

البرهان
في
علوم القرائن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
المتوفى سنة ٨٧٤هـ

خرج حديثه وقدم له وعلق عليه
مصطفى عبد القادر عطا

الجزء الأول

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكانب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص ب : ٦١ - ١١/٧
٨٣٨٢ - ٢
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبدالنور - هاتف : ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٧٨٩٨
برقياً : فكسيو - تليكس : ٤١٣٩٢ فكر | FIKR 41392 LE

بيروت
لبنان



البرهان
في
علوم القرائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الدراسة

عظمة القرآن والدراسات القرآنية

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد

أنزل القرآن هدى ورحمةً للعالمين، واختص به أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

ولقد سمي الله تعالى كتابه الكريم بأسماء كلها تشير إلى عظمته وأهميته في بناء شخصية الإنسان المسلم، واستحكام أركان المجتمع الإسلامي المكلف بالزحف على الأرض، لإعلاء راية القرآن.

ولقد أجاد الباحثون في أرجاء القرآن، فيما عدا الباحثين عن إعجازه، فإنهم لم يصلوا إلى مقطع الصواب في هذا المضمار.

ويقول الأستاذ عبد القادر عطا - رحمه الله - في مقدمة كتاب «البرهان في توجيه متشابه القرآن» للكرماني، في معرض الكلام عن الدراسات القرآنية وأهميتها^(١):

لقد أجاد اللغويون بحث القرآن من وجوه العربية إجادة ممثلة في «تفسير أبي السعود العمادي»، وأثير الدين أبي حيان، وجار الله الزمخشري.

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، مقدمة التحقيق ص ٨.

وأجاد الباحثون في الأحكام إجابة ممثلة في «تفسير القرطبي» وشيخه ابن عطية، والمتخصصون في أحكام القرآن، كابن العربي، والجصاص، وإلكيا الهراسي.

وأجاد الباحثون في أخبار القرآن، وسننه النبوية، وكان رائدهم في هذا الباب ابن جرير الطبري في تفسيره، وحيدر بن علي القاشي في «المعتمد»، كما أسهم علماء الفلسفة والكلام في فهم القرآن من وجهة نظرهم فهماً ممثلاً في تفسير فخر الدين الرازي، وأدلى الصوفية بدلائهم أيضاً، فكان تفسير القشيري، و«حقائق التفسير» للسلمي، و«روح البيان» للشيخ إسماعيل حقي، و«إعجاز البيان» للقونوي، و«تفسير النخجواني».

وهكذا الشأن في جميع العلوم والفنون، ما عدا إعجاز القرآن، فإن العلماء قد قصروا فيه، وإن كانوا قد بذلوا كل جهودهم للكشف عنه.

ولقد حاول أبو السعود العمادي، وأثير الدين أبو حيان، وجار الله الزمخشري الكشف عن بعض جوانب الإعجاز في القرآن المناسبة لمن نزل عليهم القرآن من فصحاء العرب - إذ هم المقصودون أولاً بالإعجاز - فوفقوا في حالات معدودة، ثم تكلموا عن عظمة الأساليب القرآنية من وجوه غير وجوه الإعجاز من باقيها، وإنما من وجوه البلاغة التقليدية.

ومع ذلك فإننا نرى بريقاً من نور الفهم لدى أبي السعود العمادي دور أن يطبقه على تفسيره كله، وذلك حين يقول: «إن جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تحكي بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتماً، وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر».

فالدقة في مراعاة تلك الكيفيات والاعتبارات بحيث لا يشذ منها اعتبار واحد، ولا كيفية واحدة هو مقطع الحق في مسألة الإعجاز دون مرأ.

وتلك الاعتبارات والكيفيات قد تكون ذات جوانب مختلفة: أسلوبية، وهي موسيقى اللغة، ووقعها المتهادي على مناط الذوق من كل نفس، فيكون

منه ارتياح لا نجد له، نظيراً في أسلوب آخر لا تراعى فيه تلك الكيفيات.

وقد تكون نفسية تتصل بحركات النفس وانفعالاتها.

وقد تكون من باب التشريع والتقنين، وغير ذلك من الاعتبارات، ولكن المهم هو استقصاء القرآن لإثبات أنه أسلوب لم يشذ مرة واحدة عن مراعاة أدق الكيفيات والاعتبارات.

ومن هنا يخرج عن نطاق الكلام البشري، ذلك الكلام الذي لا يوجد منه أنموذج واحد فيه هنات من إغفال اعتبار، أو إهمال كيفية.

وفي كتاب «عظمة القرآن»^(١)، للأستاذ / عبد القادر طه - رحمه الله - بحثاً هائلاً تعرض فيه المؤلف لبيان بعض وجوه إعجاز القرآن، فنراه يقول:

«وهناك محاولات تفصيلية بعيدة عن العموميات تدور حول النظر التحليلي في أسلوب القرآن، للتعرف على وجوه إعجازه من وجهة النظر العربية، يمكن الإشارة إليها على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً - الموازنة الدقيقة بين اللفظ والمعنى:

في هذا يقول ابن عطية: «إذ ترتيب اللفظة من القرآن علم الله بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول. . . وكتاب الله تعالى لو نزعته منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد».

وقد أكمل ابن سراقه هذا المعنى فقال: «إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته، فكان ذلك أبلغ في الدلالة على إعجازه».

وقد أدخل الفخر الرازي في هذا الباب علم مناسبات الآيات والسور، وارتباط بعضها ببعض حتى تصير شيئاً واحداً، وبناءً متيناً لا خلل بين أجزائه،

(١) عظمة القرآن، للأستاذ / عبد القادر عطا، ص ٨٥ وما بعدها.

حتى لقد قال: «إن الإعجاز يكاد ينحصر في هذا المعنى الذي لا يوجد أبداً في كلام البشر».

ثانياً - تفرد القرآن بطريقة بيانية غير طرق العرب:

وفي هذا المعنى يقول الأصبهاني في تفسيره: «بيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه، فمراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: فم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض، لتحصل على الكلمات الثلاث: الاسم، والفعل، والحرف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض، لتحصل على الجمل المفيدة، ويقال له: منشور الكلام.

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مباد ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: المسجع.

والخامسة: أن تجعل له مع ذلك وزن، ويقال له: الشعر.

والمنظوم: إما محاورة، ويقال له: الخطابة.

وإما مكاتبة، ويقال له: الرسالة.

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكل من ذلك نظم مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها، فلا يصح أن يقال للقرآن: رسالة، أو خطابة، أو شعر، أو سجع، كما لا يصح أن يقال: هو كلام. والبليغ: إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من الكلام».

وقال الرماني بعد أن ساق أنواع الكلام: «فأتى القرآن بطريقة مفردة، خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة، وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام».

ثالثاً - جمع القرآن لمراتب البيان في أسلوب واحد:

قال أبو سليمان الخطابي: «إن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في درجات البيان متفاوتة، فمنها الجائز المطلق المرسل، فحازت بلاغات القرآن عن كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة، والعذوبة، وهما على الانفراد في نعتيهما كالمتضادين؛ لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والتمتانة يعالجان نوعاً من الزعورة، فكان اجتماع النوعين في نظم مع بنو كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن، ليكون آية بينة لنبيه ﷺ».

رابعاً - روعته في القلوب:

وقد فطن إلى هذا الوجه بعض المؤمنين، بل وكثير من الجاحدين المنكرين أيضاً.

فيقول الخطابي: «وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس، وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في الحال. ومن الروعة والمهابة في حال آخر، ما يخلص منه إليه».

خامساً - ما وراء التكرار في القرآن:

وهذا الوجه يمكن أن نسميه بـ«التركيب الكيميائي للقرآن». وذلك أن أسلوب القرآن من هذه الوجهة مركب تركيباً دقيقاً بالغ الدقة، بحيث تقرب منه التركيبات المعملية التي توزن على مقادير بالغة الدقة، ولا تؤدي النتيجة المأمولة، منها إذا اختلت هذه التراكيب في جزء من مائة منها.

سادساً - القرآن وتيرة واحدة:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي مشيراً إلى إعجاز القرآن من هذه

الوجهة: «المراد: نعني الاختلاف عن ذات القرآن... ويقال: هذا كلام مختلف، أي: لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو هو مختلف الدعوى، أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو مختلف النظم، فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله منزّه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى درجة واحدة في الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين، ومسوق لمعنى واحد، وهو دعوة الخلق إلى الله وصرفهم عن الدنيا إلى الدين.

فهذا هو الكتاب الذي وصفه الله تعالى بأنه كتاب البشرية كلها، جاء به رسول الله ﷺ إلى كافة الناس في كل العصور والأجيال، وهكذا نلمس الحكمة المعجزة والبلغّة في القرآن وما فيه من دلالة على أنه دستور أمة استكملت مقوماتها وبقي عليها أن تدرك أسلوب العمل الديني والسياسي في العالم على هدي هذا الترتيب.

* * *

الإمام الزركشي مؤلف الكتاب في سطور

نسبه ومولده:

هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله. ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة هجرية، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة^(١).

نشأته وحياته وشيوخه:

يعد الإمام الزركشي من العلماء الأصوليين في فقه الشافعية، وأديباً فاضلاً، ومصنفاً محرراً في عدة فنون.

قال البرماوي^(٢): كان منقطعاً إلى الاشتغال عنه بشيء، وله أقارب يكفونه أمر دنياه.

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/٣٣٥. وتاريخ ابن الفرات ٩/٣٢٦. والدرر الكامنة ٣/٣٩٧. والنجوم الزاهرة ٥/٦١٦. وحسن المحاضرة ١١/١٨٥، ١٨٦. وكذلك الرسالة المستطرفة ١٤٢. وتاريخ الأدب العربي ٢/١٠٨. والأعلام ٦/٦٠. ومقدمة كتاب التذكرة للزركشي ص ١٠: ١٢.

(٢) البرماوي، هو: محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البرماوي، أبو عبد الله، شمس الدين: عالم بالفقه والحديث، شافعي المذهب، مصري، أقام مدة في دمشق، وتصدر الإفتاء والتدريس بالقاهرة، ولد سنة ٧٦٣ هـ، وتوفي سنة ٨٣١ هـ. في بيت المقدس. له مصنفات عديدة. (انظر: البدر الطالع ٢/١٨١. والأنس الجليل ٢/٤٥٧. والضوء اللامع ٧/٢٧٠. والأعلام للزركلي ٦/١٨٩).

أخذ الزركشي عن الشيخين: جمال الدين الإسنوي، وسراج الدين البلقيني، ورحل إلى الشيخ شهاب الدين الأذرعي.

سمع الحديث في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة بدمشق من الشيخ صلاح الدين عمر بن أمليلة صاحب الفخر بن البخاري، ومن غيره.

درس، وأفتى، وتولى إمامة إيوان الشافعية بالمدرسة الظاهرية العتيقة التي بين القصرين، وتولى أيضاً مشيخة خانقاه كريم الدين بالقراة الصغرى.

أقوال العلماء فيه:

قال ابن حجر في الدرر الكامنة ٣/٣٩٨: كان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب؛ وإذا حضر إليها لا يشتري شيئاً، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه.

قال ابن العماد في شذرات الذهب ٦/٣٣٥: وكان خطه ضعيفاً جداً قل من يحسن استخراجَه.

مؤلفاته:

ولقد خلف لنا الإمام الزركشي مؤلفات عدة نذكر منها ما يلي:

١ - الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (طبع مراراً، أولها بدمشق سنة ١٩٣٩).

٢ - إعلام الساجد بأحكام المساجد (فهرس دار الكتب المصرية. ومكتبة الجامع المقدس بصنعاء. ومكتبة رامبور ١/١٦٦. ومكتبة آصاف ٢/١١٤٨).

٣ - البحر المحيط: ثلاث مجلدات في أصول الفقه، وقد جمع فيه جمعاً كثيراً لم يسبق إليه كما قال في شذرات الذهب (دار الكتب المصرية ٤٨٣ أصول فقه).

- ٤ - البرهان في علوم القرآن (دار الكتب المصرية ٢٥٦ تفسير تيمور، ب ٢٣٥٣٤، ب ٢٦٥٣١، تفسير طلعت ٤٥٦).
- ٥ - التذكرة في الأحاديث المشتهرة = اللآلئ المنشورة في الأحاديث المشهورة.
- ٦ - تشنيف المسامع بجمع الجوامع (دار الكتب المصرية ٤٨٩ أصول فقه. وقد طبع سنة ١٣٢٢ هـ).
- ٧ - تفسير القرآن (ذكره السيوطي في حسن المحاضرة ١/١٨٦).
- ٨ - تكملة شرح المنهاج للنووي (شذرات الذهب ٦/٣٣٥. وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة، الورقة ١٠٤ (٩٠ م تاريخ دار الكتب المصرية). وفي كشف الظنون. ودار الكتب الظاهرية بدمشق ٣٤٥ فقه شافعي).
- ٩ - التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح (دار الكتب المصرية ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٥٥٠، ٣٥ م ٣ ش حديث) وقد طبع سنة ١٩٣٣ م.
- ١٠ - خادم شرح الرافعي على الوجيز، وخادم الروضة في الفروع للنووي (الدرر الكامنة ٣/٣٩٨. وحسن المحاضرة ١/١٨٦. وشذرات الذهب ٦/٣٣٥. ودار الكتب المصرية ٢١٦٠٢ ب).
- ١١ - خبايا الزوايا في الفروع (دار الكتب المصرية ٣٠٧ فقه تيمور. ومكتبة البودليانا ١/٢٧٧. ومكتبة جوتة ٩٨١).
- ١٢ - خلاصة الفنون الأربعة (برلين ٥٣٢٠).
- ١٣ - الدبياج في توضيح المنهاج (دار الكتب المصرية ١٠٢، ١١٣٧ فقه شافعي. ودار الكتب الظاهرية ٦٨ فقه شافعي).
- ١٤ - الذهب الإبريز في تخريج أحاديث فتح العزيز. (حسن المحاضرة ١/١٨٦. وذكره المؤلف في كتابه الإجابة ص ٨٧).
- ١٥ - ربيع الغزلان في الأدب (طبقات الشافعية ص ١٠٤).
- ١٦ - رسالة في كلمات التوحيد (البلدية بإسكندرية ٨٧ فنون متنوعة) وقد طبع مراراً.

- ١٧ - زهر العريش في أحكام الحشيش (دار الكتب المصرية ١٥٠ مجاميع، ٢٥ مجاميع قوله. ومكتبة بلدية الإسكندرية ٣٨١٢. ومكتبة برلين ٥٤٨٦. ومكتبة جوتة ٢٠٩٦).
- ١٨ - سلاسل الذهب في الأصول (دار الكتب المصرية ٢٢٠٩٥ ب).
- ١٩ - شرح الأربعين النووية (الدرر الكامنة ٣/٣٩٨).
- ٢٠ - شرح البخاري (حسن المحاضرة ١/١٨٦. والدرر الكامنة ٣/٣٩٨).
- ٢١ - شرح التنبيه في فروع الشافعية للشيرازي (مكتبة برلين ٤٤٦٦. ومكتبة باتنا ٩١/١. وحسن المحاضرة ١/١٨٦).
- ٢٢ - شرح الوجيز في الفروع للغزالي (دار الكتب الظاهرية ٣٣٩٢).
- ٢٣ - عقود الجمان وتذليل وفيات الأعيان لابن خلكان (خزانة عارف حكمت بالمدينة).
- ٢٤ - الفرغ السوافر فيما يحتاج إليه المسافر (معهد المخطوطات بالقاهرة عن نسخة مكتبة توبنجن بألمانيا).
- ٢٥ - فتاوى الزركشي (كشف الظنون).
- ٢٦ - في أحكام التمني (برلين ٥٤١٠).
- ٢٧ - القواعد في الفروع (دار الكتب المصرية ٨٥٣، ١١٠٣ فقه شافعي، وأصول تيمور ٢٣٠. مكتبة الأزهر بالقاهرة أصول ١٥١. ومكتبة أحمد الثالث ١٢٣٨، ١٢٣٩).
- ٢٨ - اللآلئ المشورة في الأحاديث المشهورة. (دار الكتب المصرية حديث طلعت ٥١٧. وحديث طلعت ٥٢٦). وقد قمت بتحقيقه وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت في مجلد، وذلك بعد إثبات صحة نسبه إلى الزركشي (انظر مقدمة التحقيق ص ١٤).
- ٢٩ - لقطه العجلان وبلة الظمان في أصول الفقه (طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ، ودمشق، ثم بيروت).
- ٣٠ - ما لا يسع المكلف جهله (مكتبة الأوسكريال ٧٠٧).

- ٣١ - مجموعة فتاوى الزركشي في الفقه الشافعي (دار الكتب المصرية ٢٥٣ فقه شافعي).
- ٣٢ - المعبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر. (دار الكتب المصرية ٤٥١ حديث تيمور. ودار الكتب الظاهرية ١١١٥ حديث).
- ٣٣ - النكت على عمدة الأحكام (انظر المنهل الصافي ١٣٦/٣ ب).
- ٣٤ - النكت على ابن الصلاح (حسن المحاضرة ١/١٨٦).

وفاته:

توفي الإمام الزركشي يوم الأحد، ثالث شهر رجب الفرد، سنة أربع وتسعين وسبعمائة هذه السنة.

ودفن بالقرب من تربة الأمير كتمر الساقبي، بالقرافة الصغرى بمصر.

وهكذا أسدل الستار على عالم فقيه، لم يعيش أكثر من ٤٩ عاماً، ولكنه أثرى التراث الإسلامي بكتبه النفيسة.

رحم الله المؤلف، وأسكنه فسيح جناته، ونفعنا والمسلمين بعلمه، آمين.



كتاب البرهان ومنهج التحقيق

لقد كان للإمام الزركشي السبق في جمع كتاب في علوم القرآن بعد كتاب الحوفي المصري النحوي المسمى «البرهان في علوم - أو في تفسير - القرآن» فقد جاء كتاب الزركشي أجمع لعلوم القرآن، ونقل فيه ما قاله الحوفي في كتابه مختصراً، بالإضافة إلى غيره من كتب التفسير، واللغة، والفقه، وغير ذلك.

فقد جمع الزركشي آراء جهابذة العلم فيما يتعلق بكل علم من علوم القرآن، جمع بين تلك الآراء وأضاف إليها من علمه الغزير ما جعل به كتابه يقف في مصاف تلك الكتب القيمة.

ولعل من أبرز ما نقل منه الإمام الزركشي في كتابه ما يلي:

الكشاف، للزمخشري. وإعجاز القرآن، للباقلاني. وأحكام القرآن، لابن العربي. وأساس البلاغة، للزمخشري. والأقصى القريب، للتوخحي. والوقف والابتداء، للأنباري. واليوافيت، لأبي عمرو الداني. والمفصل، للزمخشري. ومنهاج البلغاء، لحازم الأندلسي. والمعرب للجواليقي. ومفتاح العلوم، للسكاكي. والمفردات، للراغب. ما اتفق لفظه واختلف معناه، للمبرد. والمحتسب، لابن جنى. الكتاب، لسيبويه. واللباب، للعكبري، وإملاء ما من به الرحمن، له أيضاً. وقانون التأويل، لابن العربي. وفضائل القرآن، لأبي عبيد. وفقه اللغة، لابن فارس. والعمدة، لابن رشيقي. والقريبين، للهروي. والشافي، للجرجاني. ورصف المباني، للمالقي. ودلائل الإعجاز،

للجرجاني، والتيسير، لأبي عمرو الداني. والتذكرة، للفارسي. تاريخ الطبري.
والبرهان، للجويني. والبرهان، للحوفي. والبرهان، للكرماني. والانتصار،
للباقلاني. وأمالى المرتضى. الإيضاح، للفارسي. وإعجاز القرآن، للرماني.
وأسباب النزول، للواحدي. والإرشاد، لابن برجان. وغير ذلك من كتب التفسير
المعروفة، وغير المعروفة.

فأصبح كتاب الزركشي هذا جامعاً لعصارة فكر كل هؤلاء العلماء، توجّه
بعضارة فكره وعلمه. فجاء فريداً في نوعه، رائعاً في موضوعه، شيقاً في عرضه،
بديعاً في صياغته وجمعه، متقناً فيما حواه.

وقد جاء الإمام السيوطي من بعده، فألف كتاباً سماه «الإتقان في علوم
القرآن» جاء أكثر أنواعه من كتاب الزركشي، بل يعتبر مختصراً للكتاب الزركشي
على طريقة الإمام السيوطي، فهو يختصر ثم يضيف زيادات إلى الكتاب. ولكن
على الرغم من هذا فقد كان كتاب الزركشي أصلاً لكتاب السيوطي، بل لكل من
صنّف في هذا النوع من العلوم القرآنية.

فقد تناول الإمام الزركشي في كتابه هذا ما يتعلق بالعلوم القرآنية من معرفة
أسباب النزول، ومعرفة المناسبات بين الآيات، ومعرفة الفواصل ورؤوس الآي،
والوجوه والنظائر، وعلم المتشابه، وعلم المبهمات، وما جاء في أسرار الفواتح
والسور، وما جاء في خواتمها، ومعرفة المكي والمدني من السور، ومعرفة أول
 وآخر ما نزل من القرآن، معرفة على كم لغة نزل القرآن، وكيفية إنزاله، وبيان
جمعه ومن حفظه من الصحابة، ومعرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور
والآيات وعددها، ومعرفة أسماء القرآن واشتقاقاتها، ومعرفة ما وقع فيه من غير
لغة أهل الحجاز من قبائل العرب، ومعرفة ما فيه من غير لغة العرب، ومعرفة
غريب القرآن، وتصريفه، وأحكامه من جهة أفرادها وتركيبها، والوقف والابتداء،
ومعرفة فضائل القرآن وخواصه، ومن آداب تلاوته، ومعرفة الأمثال الكائنة فيه،
إلى غير ذلك من علوم القرآن.

فقد أجمع الإمام الزركشي وأوعى، فجاء كتابه لا يضارعه كتاب في نوعه،

فكل مَنْ أُلّف بعد الزركشي في هذا النوع من العلوم القرآنية عيال عليه .

ولما كان الكتاب بهذه الأهمية العظيمة، وندرة النسخ المطبوعة منه، فقد عازمت على تحقيقه وإخراجه، لنشره وعموم الفائدة بكتاب مثل هذا .

رحم الله الإمام الزركشي، وأسكنه فسيح جناته، ونفعنا بعلمه، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عنا والمسلمين خير الجزاء .

نسخ الكتاب :

١ - نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم وفن ٢٥٦ تفسير تيمور، تقع في مجلدين، بخط نسخ واضح مشكول، يقع المجلد الأول في ٢٠٥ ورقة وعدد أسطر الصفحة ٢٥ سطر يرجع خطه إلى القرن التاسع . أما المجلد الثاني فيقع في ٣٥١ ورقة وعدد أسطر كل صفحة ٢٥ سطر، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٣٣٥ هـ .

وهذه النسخة بها بياضات في عدة أماكن، والجدير بالذكر أن لها صورة محفوظة تحت رقم وفن ٢٦٥٣١ ب بدار الكتب المصرية، ومنها صورة ميكروفيلمية تحت رقم ٢٤١٨٦ ، ١١٢٢٦ .

٢ - نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم وفن ٤٥٦ تفسير طلعت، تقع في ١٦٠ ورقة، وعدد أسطر الصفحة ٢٧ سطر، وهي نسخة ناقصة نصفها الأخير تقريباً . وهذه النسخة ثمينة جداً، فقد قوبلت على نسخة بخط المصنف، وعليها تقييدات لابن الشحنة وغيره من العلماء الثقات .
ولهذه النسخة صورة ميكروفيلمية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٢٩٦ .

٣ - نسخة بمعهد المخطوطات بالقاهرة، على ميكروفيلم رقم ٣٧ تفسير وعلوم القرآن، عن نسخة مكتبة مدينة، الملحقة بمكتبة طوبقو سراي باستنبول .

برقم ١٧٠، عن نسخة كتبت سنة ٨٧٩ هـ، وتاريخ كتابتها مقارب لهذا التاريخ. وتقع في ٣٢٢ ورقة، وعدد أسطر كل صفحة ٣١ سطر. ولهذه النسخة صورة بمكتبة والدي الأستاذ عبد القادر عطا.

٤ - النسخة المطبوعة بدار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي سنة ١٩٥٧ م، بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

منهج التحقيق:

١ - اعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسخة دار الكتب المصرية (٢٥٦ تفسير تيمور) فنسخناها، ثم قارناها بالنسخ الأخرى، فأثبتنا ما اخترناه، وأثبتنا الاختلافات بين النسخ في الهامش، وقد أفدنا كثيراً من نسخة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢ - استخدمنا الرموز التالية للفرقة بين النسخ:

النسخة ٤٥٦ تفسير طلعت = أ.

النسخة ١٧٠ مدينة، بالمعهد = ب.

النسخة ٢٥٦ تفسير تيمور = ج.

٣ - قمنا بتخريج الآيات الكريمة على المصحف، بالإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية فيها، مع ملاحظة أننا قمنا بتخريج الآيات على حسب أسماء السور بالمصحف وليست أسماء السور التي أوردها المؤلف أحياناً.

٤ - قمنا بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة على كتب السنة الشريفة.

٥ - قمنا بالترجمة لأغلب الأعلام التي وردت بالكتاب مع الإشارة إلى مواضع وجود الترجمة بكتب الرجال.

٦ - قمنا بوضع بعض العناوين أحياناً، وأشرنا إلى ذلك في موضعه.

٧ - قمنا بوضع مقدمة اشتملت بحث في عظمة القرآن، وترجمة شاملة للمؤلف
والتعريف بالكتاب.

والله أدعو أن يتقبل منا هذا العمل، خالصاً لوجهه، وابتغاءً لمرضاته،
وطمعاً في كرمه ولطفه، راجياً من الله أن ينفع به المسلمين، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين.

مصطفى عبد القادر عطا

الأهرام في: ١١ رمضان ١٤٠٧ هـ

الموافق ٩ مايو ١٩٨٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد الدهر ، وفريد العصر ، جامع أشتات الفضائل ، وناصر الحق بالبرهان من الدلائل ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي ، بلغه الله منه ما يرجوه :

الحمدُ لله الذي نور بكتابه القلوب ، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب ، فأعيت بلاغته البلغاء ، وأعجزت حكمته الحكماء ، وأبكت فصاحته الخطباء .

أحمدُه أن جعل الحمدَ فاتحة أسراره ، وخاتمة تصاريفه وأقداره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى ، ونبية المرتضى ، الظافر من المحامد بالخصل ، الظاهر بفضله على ذوي الفضل . معلّم الحكمة ، وهادي الأمة ، أرسله بالنور الساطع ، والضياء اللامع ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار .

أما بعد : فإن أولى ما عملت فيه القرائح ، وعَلِقَتْ به الأفكار اللواحق :

الفحصُ عن أسرار التنزيل ، والكشفُ عن حقائق التأويل ، الذي تقوم به المعالم ، وتثبت الدعائم . فهو العصمة الواقية ، والنعمة الباقية ، والحجة البالغة ، والدلالة الدامغة ، وهو شفاء الصدور ، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور ؛ وهو الكلام الجزل ، وهو الفضل الذي ليس بالهزل ؛ سراج لا يخبو ضياؤه ، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه ، وبحر لا يُدرك غوره . بهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت

حقيقته ومجازه ، وتَقَارَن في الحسن مطالعه ومقاطععه ، وحوثُ كلِّ البيانِ جوامعه
وبدائعه ، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه ، وقَسَم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط
السامع ، ويقرِّط المسامع ، من تجنيس أنيس ، وتطبيق لبيق ، وتشبيه نبيه ،
وتقسيم وسيم ، وتفصيل أصيل ، وتبليغ بليغ ، وتصدير بالحسن جدير ، وترديد
ما له مزيد؛ إلى غير ذلك مما أجرى^(١) من الصياغة البديعة ، والصناعة الرفيعة ،
فالآذان بأقراطه حالية ، والأذهان من أسماطه غير خالية ؛ فهو من تناسب
الفاظه ، وتناسق أغراضه ، فلاة ذات اتساق ؛ ومن تبسم زهره ، وتنسّم نشره ،
حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق ؛ كل كلمة منه لها من نفسها طرب ،
ومن ذاتها عَجَب ، ومن طلعتها غُرّة ، ومن بهجتها دُرّة ، لاحت عليه بهجة
القدرة ، ونزل ممن له الأمر^(٢) ، فله على كل كلام سلطان وإمّرة ، بهرَ تمكُّن
فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله ، وبديع إشاراته ، وعجيب انتقالاته ؛ من
قصص باهرة ، إلى مواعظ زاجرة ، وأمثال سائرة ، وحكم زاهرة ، وأدلة على
التوحيد ظاهرة ، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة ، ومواقع تعجّب واعتبار ،
ومواطن تنزيه واستغفار ؛ إن كان سياق الكلام ترجيةً بسط ، وإن كان تخويفاً
قبض ، وإن كان وعداً أبهج ، وإن كان وعيداً أزعج ، وإن كان دعوة حذب^(٣) ،
وإن كان زجرة أرب ، وإن كان موعظة أقلق ، وإن كان ترغيباً شوق .

هذا ، وكَم فيه من مزايا وفي زواياه من خبايا
ويُطمع الجبر في التقاضي فيكشف الخبير عن قضايا

فسبحان مَنْ سلّكه ينابيع في القلوب ، وصرّفه بأبداع معنى وأغرب
أسلوب ، لا يستقصى معانيه فهُم الخلق ، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو
اللسان الطلق ، فالسعيد من صرف همته إليه ، ووقف فكره وعزمه عليه ،

(١) في ب ، ج : «احتوى». وفي أ «أجرى» وفي حاشية أ : «كذا بخط المصنف ،
ولعله : احتوى» .

(٢) في أ : «ونزل بأمر من له الأمر» .

(٣) في النسخة ج : «حرب» .

والموفق من وفقه الله لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكره ، فهو يرتع منه في رياض ، ويكرع^(١) منه في حياض .

أَنْدَى عَلَى الْأَجْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى وَالذِّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى

يملاً القلوب بشراً^(٢)، ويبعث القرائح عبيراً ونشراً ، يحيي القلوب بأورادِهِ ، وهذا سَمَاهُ اللهُ رُوحاً ؛ فقال : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٣) ، فسَمَاهُ رُوحاً ؛ لأنه يؤدي إلى حياة الأبد ، ولولا الروح لمات الجسد ، فجعل هذا الروح سبباً للاقتدار ، وعلماً على الاعتبار .

يَزِيدُ عَلَى طَوْلِ التَّأْمَلِ بِهِجَةً كَأَنَّ الْعَيُونَ النَّاضِرَاتِ صَيَاقِلُ

وإنما يفهم بعض معانيه ، ويطلع على أسراره ومبانيه ؛ مَنْ قَوِيَ نَظْرُهُ ، واتسع مجاله في الفكر وتدبره ؛ وامتد باعه ، وركت طباعه ؛ وامتد في فنون الأدب ، وأحاط بلغة العرب .

قال الحَرَّالِيُّ^(٤) ، في جزء سماه : « مفتاح الباب المقفل ، لفهم الكتاب

(١) يكرع : الكرع : شرب الماء من موضعه بغير إناء .

(٢) في ب « بشرى » .

(٣) سورة : غافر . آية : ١٥ .

(٤) هو : علي بن أحمد بن الحسن الحَرَّالِيُّ التجيبي ، أبو الحسن : مُفسِّرٌ ؛ من علماء المغرب . أطال الغبريني في الثناء عليه وإيراد أخباره ، وقال : ما من علم إلا له فيه تصنيف . أصله من « حرالة » من أعمال مرسية . ولد في مراكس ، ورحل إلى المشرق وتصوف ، ثم استوطن بجاية . وعاد إلى المشرق ، فأخرج من مصر . وتوفي في « حماة » بسورية سنة ٦٣٨ هـ ، وقيل : ٦٣٧ هـ . من مصنفاته : « مفتاح الباب المقفل » في التفسير ، قال ابن حجر : يجعله قوانين كقوانين أصول الفقه . و« السوافي » في القرائن . و« تفهيم معاني الحروف » و« الإيمان التام بمحمد عليه السلام » و« السر المكتوم في مخاطبة النجوم » وغير ذلك . قال المقرئ : صنف في كثير من الفنون ، كالأصول والمنطق والطبيعات والإلهيات .

(أنظر : عنوان الدراية ٨٥ - ٩٧ . ونفح الطيب ١/٤١٧ . وميزان الاعتدال ٢/٢١٨ ، ولسان الميزان ٤/٢٠٤ . والتاج ٧/٢٧٧ . والأعلام ٤/٢٥٧ . وشذرات الذهب ٥/١٨٩ . والنجوم الزاهرة ٦/٣١٧) .

المنزل « : لله تعالى مواهب ، جعلها أصولاً للمكاسب ، فمن وهبه عقلاً يسّر عليه السبيل ، ومن ركب فيه خُرْقاً نقص ضبطه من التحصيل ، ومن أيده بتقوى الاستناد إليه في جميع أموره علّمه وفهّمه . قال : وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهماً في كلامه ، ووعياً عن كتابه ، وتبصرة في الفرقان ، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن ، ففيه تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين ؛ إذ فيه كلّ العلوم .

وقال الشافعي رضي الله عنه^(١) : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن ، وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا - زاد غيره : وجميع الأسماء الحسنى شرح لإسمه الأعظم - وكما أنه أفضل من كل كلام سواه ، فعلموه أفضل من كل علم عداه ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(٣) .

قال مجاهد^(٤) : الفهم والإصابة في القرآن .

(١) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ، أبو عبد الله : أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة . ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ .

(أنظر : تذكرة الحفاظ ١/٣٢٩ . وتهذيب التهذيب ٩/٢٥٠ . والوفيات ١/٤٤٧ . وإرشاد الأريب ٦/٣٦٧ ، ٣٩٨ . وصفة الصفوة ٢/١٤٠ . وتاريخ بغداد ٢/٥٦ : ٧٣ . وحلية الأولياء ٩/٦٣ . وطبقات الشافعية ١/١٨٥ . والبداية والنهاية ١٠/٢٥١ . والاعلام ٦/٢٧) .

(٢) سورة : الرعد . آية : ١٥ .

(٣) سورة : البقرة . آية ٢٦٩ .

(٤) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم : تابعي ، مفسر من أهل مكة . ولد سنة ٢١ هـ . قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين . وأخذ التفسير عن ابن عباس ، قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت ، وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار ، واستقر في الكوفة . وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فظن =

وقال مقاتل (١) : يعني علم القرآن .

وقال سفيان بن عيينة (٢) ، في قوله تعالى : ﴿ سَاصِرُونَ ﴾ عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق (٣) ، قال : أحرّمهم فهم القرآن .

وقال سفيان الثوري (٤) : لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبداً .

= إليها . أما كتابه في التفسير فيتقيه المفسرون ، وسئل الأعمش عن ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب - يعني النصارى واليهود - ويقال : إنه مات ساجد سنة ١٠٤ هـ .

(أنظر : طبقات الفقهاء ٤٥ . وإرشاد الأريب ٢٤٢/٦ . وغاية النهاية ٤١/٢ . وصفة الصفوة ١١٧/٢ . وميزان الاعتدال ٩/٣ . وحلية الأولياء ٢٧٩/٣ . والأعلام ٢٧٨/٥) .

(١) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن : من أعلام المفسرين . أصله من بلخ ، انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدث بها . وتوفي بالبصرة سنة ١٥٠ هـ . كان متروك الحديث . من كتبه : « التفسير الكبير » و« نواذر التفسير » و« الرد على القدرية » و« متشابه القرآن » و« الناسخ والمنسوخ » و« القراءات » و« الوجوه والنظائر » .

(أنظر : وفيات الأعيان ١١٢/٢ . وتهذيب التهذيب ٢٧٩/١٠ . وميزان الاعتدال ١٩٦/٣ . وتاريخ بغداد ١٦٠/١٣ . والأعلام ٢٨١/٧) .

(٢) هو : سفيان بن عيينة بن ميمونة الهلالي الكوفي ، أبو محمد : محدث الحرم المكي . من الموالي . ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ . كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر ، قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . وكان أعور ، وحج سبعين سنة . قال علي بن حرب : كنت أحب أن لي جارية في غنج بن عيينة إذا حدثت ! من كتبه : « الجامع » في الحديث . وكتاب في التفسير .

(أنظر : تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ . والرسالة المستطرفة ص ٣١ . وصفة الصفوة ١٣٠/٢ . وابن خلكان ٢١٠/١ . وميزان الاعتدال ٣٩٧/١ . وحلية الأولياء ٢٧٠/٧ . وذيل المذيل ١٠٨ . وتاريخ بغداد ١٧٤/٩ . والأعلام ١٠٥/٣) .

(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٤٦ .

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبدمنه ، من مضر ، =

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني^(١) : مثل علم القرآن مثل الأسد ، لا يمكن من غيله سواه .

وقال ذو النون المصري^(٢) : أباي الله عز وجل [إلا] أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن^(٣) .

وقال عز وجل : ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤) .

= أبو عبد الله : أمير المؤمنين في الحديث . كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ بالكوفة سنة ٩٧ هـ . ومات بالبصرة سنة ١٦١ هـ . من كتبه : « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » في الحديث . وكتاب في الفرائض . ولابن الجوزي كتاب في مناقبه . « أنظر : دول الإسلام ٨٤/١ . وابن النديم ٢٢٥/١ . وطبقات ابن سعد ٢٥٧/٦ . وحلية الأولياء ٣٥٦/٦ ، ٣/٧ . وتهذيب التهذيب ١١١/٤ : ١١٥ . وتاريخ بغداد ١٥١/٩ . وصيد الخاطر ١٧٥ . والأعلام ١٠٤/٣) .

(١) هو : عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي : فقيه ، مناظر . كان من تلاميذ الإمام الشافعي . يلقب بالغول ؛ لدمامته . وقدم بغداد في أيام المأمون . فجرت بينه وبين بشر المريس مناظرة في القرآن . له تصانيف منها : « الجيدة » ، توفي سنة ٢٤٠ هـ .

(أنظر : تهذيب التهذيب ٣٦٣/٦ . ودول الإسلام ١١٣/١ . ومفتاح السعادة ١٦٣/٢ . وميزان الاعتدال ١٤١/٢) .

(٢) هو : ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري ، أبو الفياض ، أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر . نوبي الأصل من الموالي ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر . وهو أول من تكلم بمصر في « ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية » فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم . واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة ، فاستحضره إليه وسمع كلامه ، ثم أطلقه فعاد إلى مصر ، وتوفي بجيزتها سنة ٥٤ هـ .

(أنظر : وفيات الأعيان ١٠١/١ . وميزان الاعتدال ٣٣١/١ . ولسان الميزان ٤٣٧/٢ . وحلية الأولياء ٣٣١/٩ ، ٣/١٠ . وطبقات الشعراني ٥٩/١ . وتاريخ بغداد ٣٩٣/٨ . والأعلام ١٠٢/٢) .

(٣) في ب : « أباي الله عز وجل أن يكرم قلوب البطالين مكنون القرآن » .

(٤) سورة : الأنعام . آية : ٣٨ .

وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (١) .

وقال عبد الله بن مسعود (٢) ، في قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٣) قال : القرآن ، يقول : أرشدنا إلى علمه .

وقال الحسن البصري (٤) : علم القرآن (٥) ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال .

وقال الله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ تَسَاءَلْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٧) ؛ يقول : إلى كتاب الله .

(١) سورة : النساء . آية : ٨٢ .

وسورة : محمد . آية : ٢٤ .

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبيد الرحمن : صحابي . من أكابرهم ، فضلاً وعقلاً ، وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادماً الرسول الأمين ، وصاحب سنن ، ورفيقه في رحله . له ٨٤٨ حديثاً في كتب الحديث ، توفي سنة ٣٢ هـ .
(أنظر : الإصابة ت ٤٩٥٥ . وغاية النهاية ٤٥٨/١ هـ . صفة الصفوة ١/١٥٤ . وحلية الأولياء ١/١٢٤ . والأعلام ٤/١٣٧) .

(٣) سورة : الفاتحة . آية : ٦ .

(٤) هو : الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد : تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه . وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك . ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ . وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(أنظر : تهذيب التهذيب . ووفيات الأعيان . وميزان الاعتدال ١/٢٥٤ . وحلية الأولياء ٢/١٣١ . وأمالى المرتضى ١/١٠٦ . وابن خلكان ١/١٢٨ . والأعلام ٢/٢٢٧) .

(٥) في أ ، ج : « وقال الحسن البصري : القرآن ذكر لا يعلمه . . . » .

(٦) سورة : النساء . آية : ٥٩ .

(٧) سورة : الشورى . آية : ١٠٠ .

وكلّ علم من العلوم منتزِع من القرآن ، وإلا فليس له برهان .

قال ابن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن ، فإن فيه علم الأولين
والآخرين . رواه البيهقي في المدخل وقال : أراد به أصول العلم (١) .

وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم علماء ؛ كل منهم مخصوص بنوع من
العلم : كعلي رضي الله تعالى عنه بالقضاء ، وزيد بالفرائض ، ومعاذ بالتحلال
والحرام ، وأبي بالقراءة ، فلم يسم أحد منهم بحراً إلا عبد الله بن عباس ؛
لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل .

وقال فيه علي بن أبي طالب : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وقال فيه عبد الله بن مسعود : نعم ترجمان القرآن : عبد الله بن عباس .

وقد مات ابن مسعود في سنة ثنتين وثلاثين ؛ وعمّر بعده ابن عباس ستاً
وثلاثين سنة ؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ! نعم ؛ كان لعلي
فيه اليد السابقة قبل ابن عباس ؛ وهو القائل : لو أردت أن أملي وقر بعير علي
الفاتحة لفعلت .

وقال ابن عطية (٢) : فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن

(١) « رواه البيهقي في المدخل وقال : أراد به أصول العلم » على هامش أ : « ليس في
نسخة المصنف » .

(٢) هو : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ، بن عطية المحاربي . من محارب قيس ،
الغرناطي ، أبو محمد : مفسر ، فقيه ، أندلسي ، من أهل غرناطة . عارف بالأحكام
والحديث ، له شعر . ولي قضاء المرية ، وكان يكثر الغزوات في جيوش المثلثين .
وتوفي بلورقة . من كتبه : « المحرر الوجير في تفسير الكتاب العزيز » و « برنامج » .
توفي سنة ٥٤٢ هـ ، وكان مولده ٤٨١ هـ .

(أنظر : نفح الطيب ٥٩٣/١ ، وقضاة الأندلس ١٠٩ ، وبغية الملتمس ٣٧٦ ، =

أبي طالب ، ويتلوه ابن عباس رضي الله عنهما ؛ وهو تجرد للأمر وكَمَلد (١) ،
وتتبعه العلماء عليه ؛ كمجاهد ، وسعيد بن جبير (٢) ، وغيرهما .

وكان جلة من السلف : كسعيد بن المسيَّب (٣) ، الشعبي (٤) ، وغيرهما
يعظمون تفسير القرآن ، ويتوقفون عنه ، تورعاً واحتياطاً لأنفسهم ، مع إدراكهم
وتقدمهم ، ثم جاء بعدهم طبقة فطبة ، فجدوا واجتهدوا ، وكلُّ ينفق مما رزق الله .
ولهذا كان (٥) سهل بن عبد الله (٦) يقول : لو أعطى العبد بكل حرف من

= والمعجم لابن الأبار ٢٥٩ . وكشف الظنون ٤٣٩ ، ١٦١٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٥ .
والأعلام ٢٨٢/٣ .

(١) « وكمله » : سقطت من الأصول ، وأثبتناها من « المحرر الوجيز » .
(٢) هو : سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد الله : تابعي ، كان أعلمهم
على الإطلاق . وهو حشبي الأصل ، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد .
أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر . كان مولده سنة ٤٥ هـ وتوفي سنة ٩٥ هـ .
(أنظر : وفيات الأعيان ٢٠٤/١ . وطبقات ابن سعد ١٧٨/٦ . وتهذيب التهذيب
١١/٤ . وحلية الأولياء ٢٧٢/٤ . والأعلام ٩٣/٣) .

(٣) هو : سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد : سيد
التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . جمع بين الحديث والفقہ والزهد والورع ،
وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاءً ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن
الخطاب وأقضيته حتى سمي راوية عمر ، توفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ .
(أنظر : طبقات ابن سعد ٨٨/٥ . والحلية ١٦١/٢ . والأعلام ١٠٢/٣) .

(٤) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذكبار ، الشعبي الحميري ، أبو عمرو : راوية ، من
التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة . كان ضئيلاً نحيفاً ،
ولد لسبعة أشهر . وسئل عما بلغ إليه حفظه ، فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ،
ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته . وهو من رجال الحديث الثقات . توفي سنة
١٠٣ هـ .

(أنظر : تهذيب التهذيب ٦٥/٥ . والوفيات ٢٤٤/١ . وحلية الأولياء ٣١٠/٤ .
وتاريخ بغداد ٢٢٧/١٢ . والأعلام ٢٥١/٣) .

(٥) في أ : « ولهذا سهل بن عبد الله » .

(٦) هو : سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد : أحد أئمة الصوفية وعلمائهم =

القرآن أُلْف فهم ؛ لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفته . وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ؛ وإنما يفهم كلُّ بمقدار ما يفتح الله عليه . وكلام الله غير مخلوق ، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة .

ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ، ومعانيه لا تستقصى ؛ وجبت العناية بالقدر^(١) الممكن . ومما فات المتقدمين وضعُ كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى -وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك ، جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعيونه ، وضمنته من المعاني الأنيقة ، والحكم الرشيقة ، ما يهزُّ القلوبَ طرباً ، ويبهر العقول عجباً ؛ ليكون مفتاحاً لأبوابه ، عنواناً على كتابه ؛ معيناً للمفسر على حقائقه ، ومطلعاً على بعض أسراره ودقائقه ؛ والله المخلص والمعين ، وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته :

« البرهان في علوم القرآن » .

وهذه فهرست أنواعه :

- | | | |
|------------|---|------------------------------|
| ١ - الأول | : | معرفة سبب النزول . |
| ٢ - الثاني | : | معرفة المناسبات بين الآيات . |
| ٣ - الثالث | : | معرفة الفواصل . |
| ٤ - الرابع | : | معرفة الوجوه والنظائر . |
| ٥ - الخامس | : | علم المشابه . |

= والحكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعبود الأعمال . له كتاب في تفسير القرآن، وكتاب في « رقائق المحبين » . كان مولده سنة ٢٠١ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٣ هـ . (أنظر : طبقات الصوفية ٢٠٦ . والوفيات ٢١٨/١ . وحلية الأولياء ١٨٩/١٠ . والشعراني ٦٦/١ . والأعلام ١٤٣/٣) .

(١) في ج: « المقلود » .

علم المهمات .	:	٦ - السادس
في أسرار الفواتح .	:	٧ - السابع
في خواتم السور .	:	٨ - الثامن
في معرفة المكي والمدني .	:	٩ - التاسع
معرفة أول ما نزل	:	١٠ - العاشر
معرفة على كم لغة نزل .	:	١١ - الحادي عشر
في كيفية إنزاله .	:	١٢ - الثاني عشر
في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة .	:	١٣ - الثالث عشر
معرفة تقسيمه .	:	١٤ - الرابع عشر
معرفة أسمائه .	:	١٥ - الخامس عشر
معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .	:	١٦ - السادس عشر
معرفة ما فيه من لغة العرب .	:	١٧ - السابع عشر
معرفة غريبه .	:	١٨ - الثامن عشر
معرفة التصريف .	:	١٩ - التاسع عشر
معرفة الأحكام .	:	٢٠ - العشرون
معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .	:	٢١ - الحادي والعشرون
معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .	:	٢٢ - الثاني والعشرون
معرفة الوقف والابتداء .	:	٢٣ - الثالث والعشرون
معرفة توجيه القراءات .	:	٢٤ - الرابع والعشرون
علم مرسوم الخط .	:	٢٥ - الخامس والعشرون
معرفة فضائله .	:	٢٦ - السادس والعشرون
معرفة خواصه .	:	٢٧ - السابع والعشرون
هل في القرآن شيء أفضل من شيء .	:	٢٨ - الثامن والعشرون
في آداب تلاوته .	:	٢٩ - التاسع والعشرون
في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن .	:	٣٠ - الثلاثون

- ٣١ - الحادي والثلاثون : معرفة الأمثال الكائنة فيه .
- ٣٢ - الثاني والثلاثون : معرفة أحكامه .
- ٣٣ - الثالث والثلاثون : في معرفة جدله .
- ٣٤ - الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .
- ٣٥ - الخامس والثلاثون : معرفة توهم المختلف .
- ٣٦ - السادس والثلاثون : في معرفة المحكم من المتشابه .
- ٣٧ - السابع والثلاثون : في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات .
- ٣٨ - الثامن والثلاثون : معرفة إعجازه .
- ٣٩ - التاسع والثلاثون : معرفة وجوب تواتره .
- ٤٠ - الأربعون : في بيان معاضدة السنة للكتاب .
- ٤١ - الحادي والأربعون : معرفة تفسيره .
- ٤٢ - الثاني والأربعون : معرفة وجوب المخاطبات .
- ٤٣ - الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازته .
- ٤٤ - الرابع والأربعون : في الكناية والتعريض .
- ٤٥ - الخامس والأربعون : في أقسام معنى الكلام .
- ٤٦ - السادس والأربعون : في ذكر ما يتيسر من أساليب القرآن .
- ٤٧ - السابع والأربعون : في معرفة الأدوات .

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه ، لاستفرغ عمره ، ثم لم يُحكَم أمره ؛ ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والرَّمز إلى بعض فصوله ؛ فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير .

قالوا : خذ العَيْن من كُلِّ فقلتُ لهم
في العَيْن فضلٌ ولكن ناظر العَيْنِ

فصل

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمداد ذلك من : علم اللغة ، والنحو ، والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه ، والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ .

وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات ؛ ما بين مختصر ومبسوط ، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه ؛ فالزجاج^(١) والواحدي^(٢) في « البسيط »

(١) هو : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج : عالم بالنحو واللغة . ولد سنة ٢٤١ هـ ببغداد وتوفي بها سنة ٣١١ هـ . كان في فتوته يخرط الزجاج ، ومال إلى النحو فعلمه المبرد . تولى تأديب ابن عبيد الله بن سليمان ، إلى أن تولى الوزارة مكان أبيه ، فأصبح من كتاب القاسم ، ومن كتبه : « معاني القرآن » و « الاشتقاق » و « خلق الإنسان » و « الأمالي » و « المثلث » و « إعراب القرآن » .
(أنظر : معجم الأدباء ٤٧/١ . وإنباه الرواة ١٥٩/١ . وتاريخ بغداد ٨٩/٦ . وابن خلكان ١١/١ . والأعلام ٤٠/١) .

(٢) هو : علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنوية ، أبو الحسن الواحدي : مفسر ، عالم بالأدب ، نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل . كان من أولاد التجار . أصله من ساوة ومولده وفاته بنيسابور . توفي سنة ٤٦٨ هـ . من كتبه : « البسيط » ، و « الوسيط » و « الوجيز » في التفسير . والواحدي نسبة إلى الواحد بن الدليل ابن مهرة .
(أنظر : النجوم الزاهرة ١٠٤/٥ . والوفيات ٣٣٣/١ . ومفتاح السعادة ٤٠٢/١ . وإنباه الرواة ٢٢٤/٢ والأعلام ٢٥٥/٤) .

يغلب عليهما الغريب ، والثعلبي^(١) يغلب عليه القصص ، والزمخشري^(٢) علم البيان ، والإمام فخر الدين^(٣) علم الكلام وما في معناه من العلم العقلية .

واعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ؛ وإنما احتيج إلى التفسير لما سنذكر ، بعد تقرير قاعدة ؛ وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ؛ وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة :

(١) هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، مفسر ، من أهل نيسابور ، له اشتغال بالتاريخ . من كتبه : « عرائس المجالس » في قصص الأنبياء ، و « الكشف والبيان في تفسير القرآن » يعرف بتفسير الثعلبي .

(أنظر : ابن خلكان ٢٢/١ . وإنباه الرواة ١١٩/١ . والبداية والنهاية ٤٠/١٢ . واللباب ١٩٤/١ . وآداب اللغة ٣٢١/٢ . والأعلام ٢١٢/١) .

(٢) هو : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ، الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم : من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب . ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ . وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله . وتنقل بين البلدان ثم عاد إلى الجرجانية فتوفي بها سنة ٥٣٨ هـ . من أشهر كتبه : « الكشف » و « أساس البلاغة » و « المفصل » و « المقامات » و « الفائق » و « المستقصى » و « أطواق الذهب » و « المقدمة » و « الأنموذج » .

(أنظر : وفيات الأعيان ٨١/٢ . وإرشاد الأريب ١٤٧/٧ . ولسان الميزان ٤/٦ . وآداب اللغة ٤٦/٣ وفتح السعادة ٤٣١/١ . والأعلام ١٧٨/٧) .

(٣) هو : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي : الإمام المفسر ، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . وهو قرشي النسب . أصله من طبرستان ، ومولده في الري سنة ٥٤٤ هـ وإليها نسبه ، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ . من تصانيفه : « مفاتيح الغيب » و « لوامع البيئات في شرح أسماء الله تعالى والصفات » و « معالم أصول الدين » و « الآيات البيئات » و « شرح أسماء الله الحسنی » وغيرها الكثير .

(أنظر : طبقات الأطباء ٢٣/٢ . والوفيات ٤٧٤/١ وفتح السعادة ٤٤٥/١ : ٤٥١ . وآداب اللغة ٩٤/٣ . ولسان الميزان ٤٢٦/٤ . والبداية والنهاية ٥٥/١٣ . وطبقات الشافعية ٣٣/٥ . والوافي ٢٤٨/٤ . والأعلام ٣١٣/٦) .

أحدها : كمال فضيلة المصنّف ؛ فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ؛ ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدلّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : قد يكون (١) حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطاً (٢) اعتماداً على وصوحها ، أو لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

وثالثها : احتمال اللفظ لمعان ثلاثة ؛ كما في المجاز والاشتراف (٣) ودلالة الإلتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنّف وترجيحه . وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط وتكرار الشيء ، وحذف المهم ؛ وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

وإذا علم هذا فنقول : إن القرآن إنما أنزل بلسانٍ عربيٍّ مبين في زمن أفصح العرب ؛ وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ؛ أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر ؛ كسؤالهم لما نزل : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (٤) ، فقالوا : أئنا لم نظلم أنفسنا ؟ (٥) ففسره النبي ﷺ بالشرك ؛ واستدلّ عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦) .

(١) « قد تكون » ليست في النسخ المخطوطة ، وهي زيادة من محقق المطبوعة يقتضيها السياق .

(٢) في أ : « شرطاً » .

(٣) على هامش النسخة أ : « المشترك » .

(٤) سورة : الأنعام . آية : ٨٢ .

(٥) أنظر : صحيح البخاري ، باب ٨ ، ٤١ من الأنبياء . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان

حديث ١٩٧ . ومسنّد الإمام أحمد ١/٣٧٨ ، ٤٢٤ ، ٤٤٤ .

(٦) سورة : لقمان . آية : ١٣ .

وكسؤال عائشة - رضي الله عنها - عن الحساب اليسير فقال : « ذلك العَرْض ، وَمَنْ نوقش الحساب عُذَّب » (١) .

وكقصه عدي بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه (٢) . وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه .

ولم ينقل إلينا عنهم تفسيرُ القرآن وتأويله بجملته ؛ فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم ؛ فنحن أشدّ الناس احتياجاً إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة ، وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض ؛ لبلاغته ولطف معانيه ؛ ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره عليه ، ويرجع في تفسيره إليه ؛ من معرفة مفردات ألفاظه ، ومركباتها ، وسياقه ، وظاهره ، وباطنه ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ، ويدقّ عنه الفهم .

بين أقداحهم حديث قصيرٌ هو سحرٌ ، وما سواه كلامٌ

وفي هذا تفاوت الأذهان ، وتسابق في النظر إليه مسابقة الرّهان ، فمن سابق بفهمه ، وراشق كبد الرميّة بسهمه ، وآخر رمى فأشوى ، وخبط في النظر خبط (٣) عشوا - كما قيل : وأين الدّقيقُ من الرّكيك ، وأين الزلال من الزعاق .

(١) أنظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم باب ٣٥ ، وكتاب الرقاق باب ٤٩ ، ٥١ .
ومسلم ، كتاب الجنة ، حديث ٧٩ . وسنن أبي داود ، كتاب الجنائز باب ١ . وسنن الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة ٨٤ . والمسند للإمام أحمد ٤٧/٦ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٢٧ .

(٢) أنظر : صحيح البخاري ، تفسير سورة ٢ . وصحيح مسلم ، كتاب الصيام حديث ٣٣ . وسنن الترمذي ، كتاب التفسير سورة ٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الصوم باب ١٧ .

(٣) « خبط » سقطت من أ .

وقال القاضي شمس الدين الخُوِّي (١) رحمه الله : علم التفسير عسير يسير ؛ أما عُسرُه فظاهر من وجوه : أظهرها أنه كلام متكلّم لم يصل الناس إلى مراده بالسّماع منه ، ولا إمكان للوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ؛ فإنّ الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلّم بأن يسمع منه ، أو يسمع ممن سمع منه . أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يُعلّم إلا بأن يُسمع من الرسول عليه السلام ، وذلك متعذّر إلا في آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بأماراتٍ ودلائل ، والحكمة فيه أنّ الله تعالى أراد أن يتفكّر عباده في كتابه ؛ فلم يأمر نبيّه بالتنصيص على المراد ؛ وإنما هو عليه السلام صوّب رأي جماعة من المفسّرين ، فصار ذلك دليلاً قاطعاً على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله .

قال : واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبت هذا وما طالعت شيئاً من الكتب ، ويظن أنه فخر ؛ ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ؛ فإنّه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل ، ولا مزية ما قيل على ما قاله ، فبماذا يفتخر ؟
ومع هذا ما كتبت شيئاً إلا خائفاً من الله مستعيناً به ، معتمداً عليه ؛ فما كان حسناً فمن الله وفضله ، وبوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين (٢) ، وما كان ضعيفاً فمن النفس الأمانة بالسوء .

(١) هو : أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى ، أو العباس شمس الدين المهلب الخُوِّي : قاضٍ شافعي من العلماء بالكلام . له معرفة بالطب . ولد في خوي سنة ٥٨٣ هـ . وتعلم بها وبخراسان ، ثم ولي قضاء القضاة بالشام ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٧ هـ . من كتبه : « السفينة النوحية » وله كتاب في العروض ، وغير ذلك . توفي سنة ٦٣٧ هـ .

(أنظر : طبقات الأطباء ١٧١/٢ . وشدرات الذهب ١٨٣/٥ . وذيل الروضتين ١٦٩ . والأعلام ١٢١/١ . والنجوم الزاهرة ٣١٦) .

(٢) « بوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين » هذه الجملة سقطت من ب .

فصل

ذكر القاضي أبو بكر بن العربي^(١) في كتاب « قانون التأويل » : إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كلم القرآن ، مضرورة في أربعة .

قال بعض السلف : إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومقطع^(٢) ؛ وهذا مطلق دون اعتبار تركيبه وما بينها من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل .

قال : وأم علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيد ، وتذكير ، وأحكام :

فالتوحيد : تدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .

(١) هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري ، الإشبيلي ، المالكي ، أبو بكر بن العربي : قاض ، من حفاظ الحديث . ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ . ورحل إلى المشرق ، وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ، وصنف كتاباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ ، ومات بقرب فاس سنة ٥٤٣ هـ . من كتبه : « العواصم من القواصم » و « أحكام القرآن » و « عارضة الأحوني في شرح الترمذي » و « الناسخ والمنسوخ » و « قانون التأويل » .

(أنظر : وفيات الأعيان ١/٤٨٩ . ونفح الطيب ١/٣٤٠ . والمغرب في حلي المغرب ١/٢٤٩ . والديباج المنهب ٢٨١ . والصلة ٥٣١ . والوافي بالوفيات ٣/٣٣٠ . وقصة الأندلس ١٠٥ . والأعلام ٦/٢٣٠) .

(٢) على هامش أ : « مطلع » .

والتذكير : ومنه الوعد ، والوعيد ، والجنة ، والنار ، وتصفية الظاهر ،
والباطن .

والأحكام : ومنها التكاليف كلها ، وتبيين المنافع والمضار ، والأمر ،
والنهي ، والندب .

فالأول : ﴿ وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (١) ، فيه التوحيد كله في الذات ،
والصفات ، والأفعال .

والثاني : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

والثالث : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) ؛ ولذلك قيل في معنى قوله ﷺ :
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن (٤) . يعني : في الأجر ، وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء .

وقيل ثلثه في المعنى ؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا ، وهذه السورة
اشتملت على التوحيد ؛ ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب ؛ لأن
فيها الأقسام الثلاثة :

فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله : ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٥) .

وأما الأحكام فـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٦) .

وأما التذكير فمن قوله : ﴿ اهْدِنَا ﴾ (٧) إلى آخرها ؛ فصارت بهذا أمًّا ؛

(١) سورة : البقرة . آية : ١٦٣ .

(٢) سورة : الذاريات . آية : ٥٥ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٤٩ .

(٤) الحديث رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب الأدب باب ٥٢ . وأبو داود في سننه ، باب ١٨
من الوتر . والترمذي باب ١٠ ، ١١ من ثواب القرآن . والنسائي في سننه ، باب ٦٩ من
الافتتاح . ومالك في الموطأ حديث ١٧ ، ١٩ من القرآن .

وآية الحديث : رقم ١ من سورة : الإخلاص .

(٥) ، (٦) ، (٧) سورة : الفاتحة ، الآية : ٤ - ٥ - ٦ .

لأنه يتفرع عنها كل بنت .

وقيل : صارت أمًا لأنها مقدمة على القرآن بالقبلية ، والأم قبل البنت .

وقيل : سُميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها .

وقال أبو الحكم بن بَرَّجان (١) في كتاب «الإرشاد» : وجملة القرآن تشتمل على ثلاثة علوم : علم أسماء الله تعالى وصفاته ، ثم علم النبوة وبراهينها ، ثم علم التكليف والمحنة .

قال : وهو أعسر لإغرابه (٢) وقلة انصراف الهمم إلى تطلبه من مكانه .

وقال غيره : القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم : أمر ، ونهي ، وخبر واستخبار .

وقيل : ستة - وزاد الوعد ، والوعيد .

وقال محمد بن جرير الطبري (٣) : يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والأخبار والديانات ؛ ولهذا قال ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعَدِلُ ثُلُثَ

(١) هو : عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي ، الأشيلي ، أبو الحكم : متصوف ، من مشاهير الصالحين . له كتاب في تفسير القرآن أكثر كلامه فيه على طريق الصوفية لم يكمله ، و«شرح أسماء الله الحسنى» توفي بمراكش سنة ٥٣٦ هـ .
(أنظر : فوات الوفيات ٢٧٤/١ . والاستقصا ١٢٩/١ . ولسان الميزان ١٣/٤ . والأعلام ٦/٤) .

(٢) في ج : « لاغترابه » .

(٣) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام . ولد في أمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ . واستوطن بغداد ، وتوفي فيها سنة ٣١٠ هـ . وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى . من كتبه : «أخبار الرسل والملوك» المعروف بتاريخ الطبري ، و«جامع البيان في تفسير القرآن» المعروف بتفسير الطبري ، و«اختلاف الفقهاء» و«المسترشد» وغير ذلك .

(أنظر : إرشاد الأريب ٤٢٣/٦ . وتذكرة الحفاظ ٣٥١/٢ . والوفيات ٤٥٦/١ . وطبقات السبكي ١٣٥/٢ : ١٤٠ . ومفتاح السعادة ٢٠٥/١ ، ٤١٥ ، ١٧٦/٢ .

القرآن^(١) . وهذه السورة تشمل التوحيد كله .

وقال علي بن عيسى^(٢) : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً : الإعلام ، والتنبية ، والأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة ، والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله ، وصفاته ، وأفعاله^(٣) ، وتعليم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدين ، والبيان عن الرغبة ، والرغبة ، والخير ، والشر ، والحسن ، والقبيح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ، ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار ، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتفريع ، والبيان عن ذم الإخلاف ، وشرف الأداء .

قال القاضي أبو المعالي عزيزي^(٤) : وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي

= البداية والنهاية ١٤٥/١١ . وغاية النهاية ١٠٦/٢ . ولسان الميزان ١٠٠/٥ . وتاريخ بغداد ١٦٢/٢ . وكشف الظنون ٤٣٧ . وغاية النهاية ١٠٦/٢ . وميزان الاعتدال ٣٥/٣ . والأعلام ٦٩/٦ .

(١) سبق تخريجه ، راجع هامش رقم ٥٩ .

(٢) هو : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، أبو الحسن الرماني : باحث معتزلي مفسر . من كبار النحاة . أصله من سامراء ، ومولده ببغداد سنة ٢٩٦ هـ ووفاته بها سنة ٣٨٤ هـ . له نحو مائة مصنف منها : « الأكوان » و « المعلوم والمجهول » و « الأسماء والصفات » و « صنعة الاستدلال » و « كتاب التفسير » و « معاني الحروف » و « النكت في إعجاز القرآن » .

(٣) أنظر : بغية الوعاة ٣٤٤ . ووفيات الأعيان ٣٣١/١ . وتاريخ بغداد ١٦/١٢ . ونزهة الألبا ٣٨٩ . وإنباه الرواة ٢٩٤/٢ .

(٤) « وأفعاله » ليست في الأصول ، وزدناها من كتاب « الإلتقان في علوم القرآن » للسيوطي .

(٤) هو : عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجبلي ، أبو المعالي ، المعروف بشيذلة : واعظ ، من فقهاء الشافعية ، له اشتغال بالأدب . من أهل جبلان . ولي القضاء ببغداد ، ومات بها سنة ٤٩٤ هـ . من كتبه : « البرهان في مشكلات القرآن » و « ديوان الأنس » و « حديث ومواعظ » و « لوامع أنوار القلوب » وغير ذلك .

(٤) أنظر : وفيات الأعيان ٣١٨/١ . وهديّة العارفين ٦٦٣/١ . وطبقات الشافعية ٢٨٧/٣ . والأعلام ٢٣٣/٤ .

قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلها ، بل أضعافها ؛ فإن القرآن لا يُستدرَك ، ولا تُحصَى غرائبُه وعجائبُه ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (١) .

وقال غيره : علوم ألفاظ القرآن أربعة :

الإعراب : وهو في الخبر .

والنظم : وهو القصد ؛ نحو ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾ (٢) ، معنى باطن نَظِمَ بمعنى ظاهر . وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ (٣) ؛ كانه قيل : قالوا : وَمَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ فَأَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقُولَ : ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ؛ لفظ ظاهرٌ نَظِمَ بمعنى باطن .

والتصريف في الكلمة : كأقسط : عدل ، وقسط : جار . وَبَعُدَ : ضد قرب ، وَبَعُدَ : هلك .

والاعتبار : هو معيار الأنحاء الثلاث ؛ وبه يكون الاستنباط والاستدلال ؛

وهو كثير ، منه ما يعرف بفحوى الكلام . ومعنى اعتبرت الشيء طلبت بيانه ، عَبَّرْتُ الرُّؤْيَا بَيِّنَتُهَا ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾ (٤) بعد : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ (٥) دَلَّ عَلَى أَنْ انتقامه بالخروج من الدار من أعظم الوجوه ، و ﴿ أَوَّلَ الْحَشْرِ ﴾ (٦) دَلَّ عَلَى أَنَّ لَهَا (٧) توابع ؛ لأن « أول » لا يكون إلا مع « آخر » ؛ وكان هذا في بني النضير ثم أهل نَجْرَانَ . ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ (٨) إلا نبأ ، وأنهم يستقلون عدد مَنْ كان مع

(١) سورة : الأنعام . آية : ٥٩ .

(٢) سورة : الطلاق . آية : ٤ .

(٣) سورة : يونس . آية : ٣٤ .

(٤) سورة : الحشر . آية : ٢ .

(٥) سورة : الحشر . آية : ٢ .

(٦) سورة : الحشر . آية : ٢ .

(٧) في ح : « دال على أن له » .

(٨) سورة : الحشر . آية : ٢ .

النبي ﷺ. ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾^(١) فيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب في الشنة ؛ إذ جعل بدله .

وقد يتعدد الاعتبار ؛ نحو: أتاني غير زيد^(٢) ، أي أتياه ، أو أتاه غير زيد ، لا هو . لو شئت أنت لم أفعل ، أي : أنت أمرتي أو نهيتني ؛ قال الله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا﴾^(٣) ردّ عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء ؛ بدليل قوله : ﴿وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾^(٤) .

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُّوا﴾^(٥) ، فالاعتبار بإباحة .

ومن الاعتبار ما يظهر بأي آخر ؛ كقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾^(٦) ، فهذه تعتبر بأخر الواقعة ؛ من أن الناس على ثلاثة منازل ؛ أي أحل كل فريق في منزلة له ، والله بصير بمنزلهم .

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾^(٧) ، بمعنى الحديث : إن اليهود قالوا : لو جاء به ميكائيل لاتبعتك ، لأنه يأتي بالخير ، وجبريل لم يأت بالخير قط ، وأي خير أجل من القرآن؟!^(٨)

ومن ضروب النظم : قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ﴾^(٩) ، إن حمل على أن يعتبر أن العزة له لم يتنظم به ما بعده ، وإن حمل على معنى أن يعلم لمن العزة انتظم .

(١) سورة : الحشر . آية : ٣ .

(٢) في ج : «أتاني عين زيد» .

(٣) سورة : النحل . آية : ٣٥ .

(٤) سورة : الأعراف . آية : ٢٨ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٢ .

(٦) سورة : فاطر . آية : ٤٥ .

(٧) سورة : البقرة . آية : ٩٧ .

(٨) أنظر : تفسير الطبري ١/٣٧٧ .

(٩) سورة : فاطر . آية : ١٠ .

١ - النوع الأوّل معرفة أسباب النزول

وقد اعتنى بذلك المفسّرون في كتبهم ، وأفردوا فيه تصانيف ^(١) ؛ منهم عليّ بن المدينيّ ^(٢) شيخ البخاريّ ، ومن أشهرها تصنيف الواحديّ في ذلك . وأخطأ مَنْ زعم أنه لا طائل تحته ، لجريانه مجرى التاريخ ، وليس كذلك ، بل له فوائد :

منها : وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به عند مَنْ يرى أنّ العبرة بخصوص السبب .

ومنها : الوقوف على المعنى . قال الشيخ أبو الفتح القشيريّ : بيان سبب

(١) على هامش أ : « مصنفات » .

(٢) هو : علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء ، المديني ، البصري ، أبو الحسن : محدث مؤرخ ، كان حافظ عصره . له نحو مئتي مصنف . وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث ، ولد بالبصرة سنة ١٦١ هـ . ومات بسمراء سنة ٢٣٤ . من كتبه : « الأسامي والكنى » و « الطبقات » و « قبائل العرب » و « التاريخ » و « اختلاف الحديث » و « مذاهب المحدثين » و « علل الحديث ومعرفة الرجال » و « تسمية أولاد العشرة » وغير ذلك .

(أنظر : تذكرة الحفاظ ١٥/٢ . وتهذيب التهذيب ٣٤٩/٧ . وطبقات الحنابلة ١٦٨ . وميزان الاعتدال ٢٢٩/٢ ، ٢٣٦/٢ . ومفتاح السعادة ١٦٣/٢ . وتاريخ بغداد ٤٥٨/١١ . والأعلام ٣٠٣/٤) .

النزول طريقاً قوياً في فهم معاني الكتاب العزيز ؛ وهو أمر تحصيل للصحابة بقرائن تحتفت بالقضايا .

ومنها : أنه قد يكون اللفظ عاماً ، ويقوم الدليل على التخصيص ؛ فإن محلّ السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد والإجماع ؛ كما حكاه القاضي أبو بكر^(١) في « مختصر التقريب » ؛ لأن دخول السبب قطعي . ونقل بعضهم الاتفاق على أن لتقدم السبب على ورود العموم أثراً . ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم من تجويز إخراج محلّ السبب بالتخصيص لأمرين :

أحدهما : أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا يجوز .

والثاني : أن فيه عدولاً عن محلّ السؤال ؛ وذلك لا يجوز في حق الشارع ؛ لثلا يلتبس على السائل .

واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية في السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة ؛ وتؤثر أيضاً فيما وراء محلّ السبب ؛ وهو إبطال الدلالة على قول ، والضعف على قول .

ومن القرائن أيضاً : دفع توهم الحضر .

قال الشافعي ما معناه ، في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوجِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾^(٢) الآية : إن الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله ، وأحلّوا ما حرّم

(١) هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر . أبو بكر : قاض ، من كبار علماء الكلام ، إنتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة . ولد في البصرة سنة ٣٣٨ هـ . وسكن بغداد فتوفي فيها سنة ٤٠٣ هـ . من كتبه : « إعجاز القرآن » و « الإنصاف » و « مناقب الأئمة » و « تمهيد الدلائل » و « التقريب والإرشاد في أصول الفقه » وغير ذلك .
(أنظر : وفيات الأعيان ١/٤٨١ . وقضاة الأندلس ٣٧ - ٤٠ . وتاريخ بغداد ٥/٣٧٩ .
ودائرة المعارف الإسلامية ٢/٢٩٤ . وأثرافي ٣/١٧٧ . والديباج المذهب ٢٦٧ .
والأعلام ٦/١٧٦) .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٤٥ .

الله ، وكانوا على المضادة والمحاذاة ، جاءت الآية مناقضة لغرضهم ؛ فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرّمتموه ؛ ولا حرام إلا ما أحلّلتتموه ؛ نازلاً منزلة مَنْ يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ؛ فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ؛ والغرض : المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ؛ فكأنه قال : لا حرام إلا ما حللتتموه من الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهّل لغير الله به ، ولم يقصد حلّ ما وراءه ؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل .

قال إمام الحرمين^(١) : وهذا في غاية الحسن ؛ ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرّمات فيما ذكرته الآية . وهذا قد يكون من الشافعي أجراه مجرى التأويل . ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل .

وقد جاءت آيات^(٢) في مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها ؛ كنزول الظهار في سلمة بن صخر^(٣) ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية^(٤) ،

(١) هو : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين ؛ أعلم المتأخرين ، من أصحاب الشافعي . ولد في جوين سنة ٤١٩ هـ . ورحل إلى بغداد ، فمكة حيث جاور أربع سنين ، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس ، جامعاً طرق المذاهب . توفي سنة ٤٧٨ هـ . من كتبه : « غياث الأمم واليثار الظلم » و « العقيدة النظامية » و « نهاية المطلب » و « الإرشاد » و « الورقات » و « مغيب الخلق » .

(أنظر : وفيات الأعيان ٢٨٧/١ . وطبقات السبكي ٢٤٩/٣ . ومفتاح السعادة ٤٤٠/١ ، ١٨٨/٢ . وتبيين كذب المفتري ٢٧٨ : ٢٨٥ . والأعلام ١٦٠/٤) .
(٢) « آيات » ليست في الأصول المخطوطة ، وقد أضافها محقق المطبوعة ، لحاجة السياق إليها .

(٣) هو : سلمة بن صخر بن سليمان الصمة الأنصاري ، الخزرجي ، ويقال : سلمان ، ويقال له : البياضي ، صحابي ، ظاهر من امرأته . قال البيهقي : لا أعلم له مسنداً غيره . (أنظر ترجمته في : تقريب التهذيب ٣١٧/١ . والكاشف للذهبي ت ٢٠٥٤) .
(٤) هو : هلال بن أمية الخزاعي ، أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم ، نزلت فيه : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ... ﴾ الآيات .

ونزول حد القذف في رماة عائشة رضي الله عنها ، ثم تعدى إلى غيرهم ، وإن كان قد قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ (١) ، فجمعها مع غيرها ؛ إما تعظيماً لها إذ أنها أمّ المؤمنين - ومن رمى أمّ قوم فقد رماهم - وإما للإشارة إلى التعميم ؛ ولكن الرماة لها كانوا معلومين ، فتعدى الحكم إلى مَنْ سواهم . فَمَنْ يَقُولُ بِمِرَاعَاةِ حَكْمِ اللَّفْظِ كَانَ الْاِتِّفَاقُ هَا هُنَا هُوَ مُقْتَضَى الْأَصْلِ ، وَمَنْ قَالَ بِالْقَصْرِ عَلَى الْأَصْلِ خَرَجَ عَنِ الْأَصْلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِدَلِيلٍ .

ونظير هذا تخصيص الاستعاذة بالإناث في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ شَرَّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (٢) ، لخروجه على السبب ؛ وهو أن بنات لبيد سحرن رسول الله ﷺ . كذا قال أبو عبيد (٣) ؛ وفيه نظر ؛ فإن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن الأعصم كما جاء في الصحيح (٤) .

وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة ، وتوضع كل واحدة منها مع

(١) سورة : النور . آية : ٤ .

(٢) سورة : الفلق . آية : ٣ .

(٣) هو : القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء ، الخراساني البغدادي ، أبو عبيد : من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه . من أهل هراة . ولد وتعلم بها ، وكان مؤدياً . توفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ . من كتبه : « الغريب المصنف » و « الطهور » و « الأجناس من كلام العرب » و « الأمثال » و « فضائل القرآن » و « الأموال » و « الإيمان ومعالمه » و « أدب القاضي » وغير ذلك .

(أنظر : تذكرة الحفاظ ٥/٢ . وتهذيب التهذيب ٣١٥/٧ . وابن خلكان ٤١٨/١ . وغاية النهاية ١٧/٢ . وطبقات الحنابلة ٢٥٩/١ . وتاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ . وطبقات السبكي ٢٧٠/١ . ومفتاح السعادة ١٦٧/٢ . والأعلام ١٧٦/٥) .

(٤) على هامش أ : « وجه الجمع ظاهر ، إذ قد يكون هو الأمر ، وهن الفاعلات ، والله أعلم » .

والحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ١١ ، وكتاب الطب باب ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، وكتاب الأدب باب ٥٦ ، والدعوات باب ٥٨ . ومسلم في صحيحه ، حديث ٤٢ من السلام . وابن ماجه في سننه ، كتاب الطب باب ٤٥ . والإمام أحمد في المسند ٥٧/٦ ، ٦٣ ، ٩٦ .

ما يناسبها من الآي ، رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ؛ فذلك الذي وضعت معه الآية نازلة على سبب خاص للمناسبة ؛ إذا كان مسوقاً لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام ؛ أو كان من جملة الأفراد الداخلة وضعاً تحت اللفظ العام ؛ فدلالة اللفظ عليه : هل هي كالسبب فلا يخرج ، ويكون مراداً من الآيات قطعاً ؟ أو لا ينتهي في القوة إلى ذلك ؛ لأنه قد يُراد غيره ، وتكون المناسبة مشبهة به ؟ فيه احتمال .

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب ، وفوق العموم المجرد ؛ ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (١) ؛ فإن مناسبة الآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (٢) أن ذلك إشارة إلى كعب بن الأشرف (٣) ، كان قديماً إلى مكة ، وشاهد قتلى بدر ، وحرّض الكفار على الأخذ بثأرهم ، وغزى النبي ﷺ فسألوه : مَنْ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ؟ النبي ﷺ ، أو هم ؟ فقال : أنتم - كذباً منه وضلالة لعنه الله .

(١) سورة : النساء . آية : ٥٨ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٥١ .

(٣) هو : كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان : شاعر جاهلي . كانت أمه من بني النضير ، فدان باليهودية . وكان سيداً في أخواله ، يقيم في حصن له قريب من المدينة ، ما زالت بقاياها إلى اليوم ، يبيع فيه التمر والطعام . أدرك الإسلام ، ولم يسلم . وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه ، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم ، والتشبيب بنسائهم . وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر ، فندب قتلى قريش فيها ، وحض على الأخذ بثأرهم ، وعاد إلى المدينة . وأمر النبي ﷺ بقتله ، فانطلق إليه خمسة ن الأنصار ، فقتلوه في ظاهر حصنه ، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة ، وكانت وفاته في سنة ٣ هـ .

(أنظر : الروض الأنف ١٢٣/٢ . وإمتاع الأسماع ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ . وابن الأثير ٥٣/٢ . والطبري ٢/٣ . والمجبر ١١٧ ، ٢٨٢ ، ٣٩٠ . والأعلام (٢٢٥/٥) .

فتلك الآية في حقه وحق من شاركه في تلك المقالة ؛ وهم أهل كتاب يجدون عندهم في كتابهم بعث النبي ﷺ وصفته ، وقد أخذت عليهم المواثيق ألا يكتموا ذلك وأن ينصروه ؛ وكان ذلك أمانة لازمة لهم فلم يؤدوها وخانوا فيها ؛ وذلك مناسب لقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (١) .

قال ابن العربي في تفسيره (٢) : وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ ، وقولهم : إن المشركين أهدى سبيلاً ، فكان ذلك خيانة منهم ؛ فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات . انتهى .

ولا يرد على هذا أن قصة كعب بن الأشرف كانت عقب بدر ، ونزول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ (٣) في الفتح أو قريباً منها ؛ وبينهما ست سنين ؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ، ولا يشترط في المناسبة ؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها ؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها ، ويأمر النبي ﷺ بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها .

ومن فوائد هذا العلم إزالة الإشكال ؛ ففي الصحيح : عن مروان بن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون . فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ؛ ثم تلا :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (٤) . إلى قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ (٥) .

(١) سورة : النساء . آية : ٥٨ .

(٢) على هامش النسخة أ : « لعله الإمام أبو بكر المالكي العالم الحبر الجليل » .

(٣) سورة : النساء . آية : ٥٨ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٨٧ .

(٥) سورة : آل عمران . آية : ١٨٨ .

قال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء فكنتموه ، وأخبروه بغيره ؛ فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ؛ فاستحمدوا بذلك إليه ؛ وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه . انتهى (١) .

قال بعضهم : وما أجاب به ابن عباس عن سؤال مروان لا يكفي (٢) ؛ لأن اللفظ أعم من السبب ؛ ويشهد له قوله ﷺ : « المتشبع بما لم يُعْطْ كلابس ثوبي زور » (٣) .

وإنما الجواب أن الوعيد مرتب على أثر الأمرين المذكورين ؛ وهما الفرح وحبُّ الحمد ؛ لا عليهما أنفسهما ؛ إذ هما من الأمور الطبيعية التي لا يتعلّق بها التكليف أمراً ولا نهياً .

قلت : لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ اللفظ أعم من السبب ؛ لكنه بين أن المراد باللفظ خاص ؛ ونظيره تفسير النبي ﷺ الظلم بالشرك فيما سبق .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا ﴾ (٤) الآية .

فحكى عن عثمان بن مظعون (٥) ،

(١) أنظر : صحيح البخاري ، تفسير سورة ٣ . وصحيح مسلم ، كتاب الخائفين باب ٨ .

وسنن الترمذي ، تفسير سورة ٣ .

(٢) على هامش النسخة أ : « من قوله : « قال » إلى « لا يكفي » غير ثابت في النسخة التي بخط المصنف ، وفيها بدله ، وهذا الجواب مشكل » .

(٣) رواه البخاري ، كتاب النكاح باب ١٠٦ . ومسلم في كتاب اللباس حديث ١٢٦ ،

١٢٧ . والترمذي في كتاب البر باب ٨٧ . وأحمد في المسند ١٦٧/٦ ، ٣٤٥ ،

٣٤٦ ، ٣٥٣ .

(٤) سورة : المائدة ، آية : ٩٣ .

(٥) هو : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي ، أبو السائب : صحابي ، كان من حكماء العرب في الجاهلية ، يحرم الخمر . وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر إلى =

..... وعمرو بن معد يكرب^(١) أنهما كانا
يقولان : الخمر مباحة ، ويحتجّان بهذه الآية ، وخفي عليهما سبب نزولها ؛ فإنّه
يمنع من ذلك ؛ وهو ما قاله الحسن وغيره ؛ لما نزل تحريم الخمر ، قالوا :
كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم ، وقد أخبر الله أنّها رجس ! فأُنزل
اللّه تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ﴾^(٢) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَشْنَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
أَرْتَبْتُمْ ... ﴾^(٣) الآية .

قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة ؛ وقد بيّنه سبب النزول .
رُوي أن ناساً قالوا : يا رسول الله ؛ قد عرفنا عدّة ذوات الأقرء ؛ فما عدّة
اللائي لم يحضن من الصغار والكبار ؟ فنزلت ؛ فهذا بيّن معنى : ﴿ إِنْ
أَرْتَبْتُمْ ﴾ أي : إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ حُكْمُهُنَّ ، وجهلتم كيف يعتدّن ؛ فهذا
حُكْمُهُنَّ^(٤) .

= أرض الحبشة مرتين ، وأراد التبتل والسياحة في الأرض زهداً بالحياة ، فمنعه رسول
الله ﷺ . وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وكانت وفاته سنة ٢ هـ .
(أنظر : طبقات ابن سعد ٣/٢٨٦ . والإصابة ، ت ٥٤٥٥ . وصفة الصفوة ١/١٧٨ .
وحلية الأولياء ١/١٠٢ . وتاريخ الخميس ١/٤١١ . والأعلام ٤/٢١٤) .

(١) هو : عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي : فارس اليمن ، وصاحب
الغارات المذكورة . وقد على المدينة سنة ٩ هـ . في عشرة بني زيد ، فأسلم
وأسلموا ، وعادوا . ولما مات النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن . ثم رجع إلى الإسلام ،
فبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك وذهبت فيها إحدى عينيه . كانت وفاته سنة
٢١ هـ .

(أنظر : الإصابة ت ٥٩٧٢ . وطبقات ابن سعد ٥/٣٨٣ . ومعاهد التنصيص
٢/٢٤٠ . وخزانة البغدادي ١/٤٢٥ ، ٤٢٦ . والأعلام ٥/٨٦) .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٩٣ .

(٣) سورة : الطلاق . آية : ٤ .

(٤) أنظر : تفسير ابن كثير ٤/٣٨١ . وتفسير الصابوني ٣/٤٠٠ ، ٤٠١ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ؛ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُهُ
اللَّهُ ﴾ (١) .

فإننا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة
سَفَرًا وَلَا حَضْرًا ؛ وهو خلاف الإجماع ؛ فلا يفهم مراد الآية حتى يُعَلِّمَ سببها ؛
وذلك أنها نزلت لما صَلَّى النبي ﷺ على راحلته ؛ وهو مستقبل من مكة إلى
المدينة ؛ حيث توجهت به ؛ فعلم أن هذا هو المراد .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ (٢) .

فإن سبب نزولها : أن قوماً أرادوا الخروج للجهاد ؛ فَمَنَعَهُمْ أَزْوَاجَهُمْ
وَأَوْلَادَهُمْ ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ؛ ثم أنزل في بقية ما يدل على الرحمة
وترك المؤاخذة ؛ فقال : ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

(١) سورة : البقرة . آية : ١١٥ .

(٢) سورة : التغابن . آية : ١٤ .

(٣) سورة : التغابن . آية : ١٤ .

فصل

وقد يُنزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً به عند حدوث سببه ، خوف نسيانه ؛ وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة ، وأخرى بالمدينة .

وكما ثبت في الصحيحين : عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أنه أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة ، فأتى النبي ﷺ ، فأخبره ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (١) ، فقال الرجل : إليّ هذا ؟ فقال : « بل لجميع أمتي » (٢) .

فهذا كان في المدينة ؛ والرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر . وسورة هود مكية بالاتفاق ؛ ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ، ولا إشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة .

ومثله ما في الصحيحين : عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ (٣) أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح ؟ وهو في المدينة ،

(١) سورة : هود . آية : ١١٤ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المواقيت باب ٤ ، وتفسير سورة ١١ . ومسلم ،

كتاب التوبة باب ٣٩ . والترمذي ، كتاب التفسير ، سورة ١١ . وابن ماجه في الإقامة

باب ١٩٣ ، والزهد باب ٣٠ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ٨٥ .

ومعلوم أن هذه في سورة ﴿سُبْحَانَ﴾ ؛ وهي مكيّة بالاتفاق ؛ فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين ، وعن أهل الكهف ؟ قيل : ذلك بمكّة وأن اليهود أمرهم أن يسألوه عن ذلك ؛ فأنزل الله الجواب^(١) . كما قد بسط في موضعه .

وكذلك ما ورد في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) أنها جواب للمشركين بمكّة ، وأنها جواب لأهل الكتاب بالمدينة .

وكذلك ما ورد في الصحيحين : من حديث المسيّب : لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛ وتلكاً عن الشهادة ، فقال رسول الله ﷺ : « وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ »^(٣) ، فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قَرَبَىٰ ﴾^(٤) .

وأنزل الله في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾^(٥) . وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق ؛ وموت أبي طالب كان بمكّة ؛ فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى ، وجعلت أخيراً في « براءة » .

والحكمة في هذا كله : أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة ، تقتضي نزول آية ؛ وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدي تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيراً لهم بها ، وبأنها تتضمن هذه .

(١) أنظر : صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام باب ٣ ، ٨ ، وكتاب العلم باب ٤٧ ، وكتاب التفسير ، سورة ١٧ ، والتوحيد باب ٢٨ ، ٢٩ . ومسلم في كتاب المنافقين حديث ٣٢ . والترمذي في التفسير ، سورة ١٧ . ومسند الإمام أحمد ١/٢٥٥ ، ٣٨٩ ، ٤٤٤ ، ٤١٠ .

(٢) سورة : الإخلاص . آية : ١ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز باب ٨١ ، وفي مناقب الأنصار باب ٤٠ ، وتفسير سورة ٩ ، ٢٨ . ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٩ . والنسائي في سننه ، كتاب الجنائز باب ١٠٢ ، والإمام أحمد ٥/٤٣٣ .

(٤) سورة : التوبة . آية : ١١٣ .

(٥) سورة : القصص . آية : ٥٦ .

والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر أحاديث وآياتٍ تتضمَّن الحكم في تلك الواقعة ، وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل ؛ مع حفظه لذلك النص .

وما يذكره المفسِّرون من أسباب متعدِّدة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب ؛ لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ، فإنَّه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمَّن هذا الحكم ؛ لا أنَّ هذا كان السبب في نزولها .

وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند ؛ كما في قول ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ (١) ؛ وأما الإمام أحمد فلم يُدخِله في المسند ؛ وكذلك مُسلم ، وغيره ، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ؛ لا من جنس النقل لما وقع .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٢٣ .

فصل

وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة ؛ لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ . وقال الزمخشري في نفس سورة « الهمزة » : يجوز أن يكون السبب خاصاً ، والوعيد عاماً ؛ ليتناول كلَّ مَنْ باشر ذلك القبيح ؛ وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ؛ فإنَّ ذلك أزجر له ، وأنكى فيه .

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١) ؛ فإنه يُستدلُّ بها على زكاة الفطر .

رَوَى البيهقي (٢) بسنده إلى ابن عمر : أنها نزلت في زكاة رمضان ؛ ثم أسند مرفوعاً نحوه .

وقال بعضهم : لا أدري ما وجهُ هذا التأويل ! لأن هذه السورة مكّية ؛ ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

(١) سورة : الأعلى . آية : ١٤ .

(٢) هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر : من أئمة الحديث . ولد في خسرو جرد (من قرى بيهق) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم الكوفة ومكة وغيرها ، وطلب إلى نيسابور ، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٤٥٨ هـ . من كتبه : « السنن الكبرى » و« السنن الصغرى » و« الأسماء والصفات » و« ودلائل النبوة » و« الآداب » و« شعب الإيمان » و« معرفة السنن والآثار » وغير ذلك الكثير .

(أنظر : شذرات الذهب ٣/٣٠٤ . وطبقات الشافعية ٣/٣ . ومعجم البلدان ٢/٣٤٦ . والمتنظم ٨/٢٤٢ . واللباب ١/١٦٥ . والأعلام ١/١١٦) .

وأجاب البَغَوِيُّ (١) في تفسيره : بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحُكْم ؛ كما قال : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ (٢) ؛ فالسورة مكية ، وظهر أثر الحَلِّ يوم فتح مكَّة ؛ حتى قال عليه السلام : « أَجَلْتُ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » (٣) .

وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (٤) . قال عمر بن الخطاب : كنت لا أدري أيُّ الجمع يُهْزَمُ ؛ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (٥) .

(١) هو : الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ، أو ابن الفراء ، أبو محمد ، ويلقب بمحيي السنة ، البغوي : فقيه ، محدث ، مفسر . نسبته إلى « بغا » من قرى خراسان . بين هراة ومرو . كان مولده سنة ٤٣٦ هـ . وتوفي سنة ٥١٠ هـ . من كتبه : « التهذيب » و« شرح السنة » و« لباب التأويل في معالم التنزيل » و« مصابيح السنة » و« الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك .

(أنظر : وفيات الأعيان ١/١٤٥ . وتهذيب ابن عساكر ٤/٣٤٥ . والأعلام ٢/٢٥٩) .

(٢) سورة : البلد . آية : ١ ، ٢ .

(٣) أنظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم باب ٣٧ ، ٣٩ ، وكتاب الجنائز باب ٧٧ ، وكتاب الصيد باب ٨ ، ٩ ، ١٠ ، واللقطة باب ٧ . وأبو داود في السنن ، كتاب المناسك باب ٨٩ . وسنن الترمذي ، كتاب الحج باب ١ . وسنن النسائي ، كتاب المناسك باب ١١١ ، ١٢٠ . ومسند الإمام أحمد ٢/٢٣٨ .

(٤) سورة : القمر . آية : ٤٥ .

(٥) سورة : القمر . آية : ٤٥ .

فائدة :

روى البخاري في كتاب « الأدب المفرد » ، في برِّ الوالدين : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : نزلت في أربع آيات من كتاب الله عز وجل : كانت أُمِّي حلفت ألا تأكل ولا تشرب ، حتى تفارق ^(١) محمداً ﷺ ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ^(٢) ، والثانية : أني كنت أخذت سيفاً فأعجبني ، فقلت : يا رسول الله ، هب لي هذا ؛ فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ^(٣) ، والثالثة : أني كنت مرضت ، فأتاني رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، إني أريد أن أقسم مالي ، أفأوصي ^(٤) بالنصف ؟ فقال : لا ، فقلت : الثلث ؟ فسكت ؛ فكان الثلث بعدُ جائزاً . والرابعة : أني شربت الخمر مع قومٍ من الأنصار ، فضرب رجلٌ منهم أنفي بلحي جمل ^(٥) ؛ فأتيت رسول

(١) في كتاب « الأدب المفرد » : « أفارق » .

(٢) سورة : لقمان . الآية : ١٥ .

(٣) سورة : الأنفال . الآية : ١ .

(٤) « أفأوصي » : سقطت من الأصول ، وأثبتناها من الأدب المفرد .

(٥) « بلحي جمل » سقطت من الأصول ، وأثبتناها من الأدب المفرد . ولحي الجمل :

موضع بطريق مكة .

الله ﷻ ، فأنزل الله عز وجل (١) تحريم الخمر (٢) .

وأعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدأوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث : أيما أولى البداءة به : بتقدم السبب على المسبب ؛ أو بالمناسبة ، لأنها المصححة لنظم الكلام ؛ وهي سابقة على النزول . والتحقيق التفصيل ، بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية السابقة في : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٣) ، فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب ؛ لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ؛ وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة .

(١) سقطت من الأصول .

(٢) الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٢٤ . ومسلم في الصحيح ، كتاب

الفضائل والمغازي . وأبوداود في سننه ، كتاب الجهاد . والإمام أحمد في المسند

. ١٨٥/١

(٣) سورة : النساء . آية : ٥٨ .

٢ - النوع الثاني

معرفة المناسبات بين الآيات

وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١) ؛ شيخ الشيخ أبي حيان . وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك .
واعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزّر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول .

والمناسبة في اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلاناً ، أي يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسب : الذي هو القريب المتصل : كالأخوين ، وابن العم ، ونحوه ؛ وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما ، وهو القرابة . ومنه المناسبة في العلة في باب^(٢) القياس ، الوصف المقارب للحكم ؛ لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ؛ ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول ؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول .

(١) هو : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، أبو جعفر : محدث مؤرخ ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس . انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول . ولد في حيان سنة ٦٢٧ هـ ، وتوفي في غرناطة سنة ٧٠٨ هـ . من كتبه : « صلة الصلة » و « البرهان في ترتيب سور القرآن » و « ملاله التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل » و « معجم أسماء شيوخه » وغير ذلك .
(أنظر : الدرر الكامنة ١/٨٤ . والإحاطة ١/٧٢ . والبدر الطالع ١/٣٣ . وشذرات الذهب ١٦/٦) .

(٢) من أول « ونحوه » إلى « في باب » سقط من ب .

وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ؛ ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما : عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات . أو التلازم الذهني : كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين ، والضدين ، ونحوه . أو التلازم الخارجي ؛ كالمرتب على ترتيب وجود الواقع في باب الخير .

وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء .

وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ؛ وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً .

وهذا النوع يهمله بعض المفسرين ، أو كثير منهم ، وفوائده غزيرة .

قال القاضي أبو بكر بن العربي في : « سراج المريدين » : إرتباط آي القرآن بعضها ببعض^(١) حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، علم عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ؛ أنا^(٢) لم نجد له حَمَلَة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني : أول من أظهر بيغداد علم المناسبة ، ولم تكن سمعناه من غيره هو : الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري^(٣) ؛ وكان غزير

(١) من أول « النوع يهمله ... » إلى « ... القرآن بعضها ببعض » سقط من ب ، ج .

(٢) في كتاب « الإيمان في علوم القرآن » للسيوطي : « فلما » نقلاً عن ابن العربي .

(٣) هو : أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ ، إمام الشافعية

بالعراق ، توفي سنة ٣٢٤ هـ .

العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرىء عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يُزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة . انتهى .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) : المناسبة علم حسن ؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد مرتبطٍ أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال : ومنَ ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه ، إلا بربط ركيك يصابُ عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيفٍ وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسنُ أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ؛ كتصرف الملوك ، والحكام ، والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ، ومتخالفة ، ومتضادة .

وليس لأحدٍ أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها في نفسها ، واختلاف أوقاتها . انتهى .

قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة .

وفصل الخطاب : أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة

= (أنظر : شذرات الذهب ٣٠٢/٢ . واللباب ٢٥٢/٣) .

(١) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي . عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد ونشأ بدمشق سنة ٥٧٧ هـ . وتوفي سنة ٦٦٠ هـ . من كتبه : « التفسير الكبير » و « الإمام في أدلة الأحكام » و « قواعد الشريعة » و « الفوائد » و « قواعد الأحكام في إصلاح الأنام » و « بداية السؤل » وغير ذلك .

(أنظر : فوات الوفيات ٢٨٧/١ . وطبقات السبكي ٨٠/٥ . والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ . ومفتاح السعادة ٢١٢/٢ . والأعلام ٢١/٤) .

ترتيباً ؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة
سوره كلها وآياته بالتوقيف . وحافظ القرآن العظيم^(١) لو استفتي في أحكام
متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها لَذَكَرَ آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع
إلى التلاوة لم يَتَلُ كما أفتى ، ولا كما نزل مفرقاً ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت
العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ؛ فإنه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ،
ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٢) .

قال : وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يَبْحَثَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مَكْمَلَةٌ
لِمَا قَبْلَهَا ، أَوْ مُسْتَقَلَّةٌ ثُمَّ الْمُسْتَقَلَّةُ ؛ مَا وَجَّهَ مَنَاسِبَتَهَا لِمَا قَبْلَهَا ؟ فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ
جَمٌّ ؛ وَهَكَذَا فِي السُّورِ يُطَلَبُ وَجْهَ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا وَمَا سَبَقَتْ لَهُ .

قلت : وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي ؛ وهذا الراجح كما
سيأتي ، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به
السورة قبلها ؛ ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى ؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ،
فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) .

وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضاً ؛ فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله :
﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) .

وكما قال تعالى : ﴿ فَقَطَّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) .

وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة ، من

(١) في ج : « المجيد » بدل « العظيم » .

(٢) سورة : هود . آية : ١ .

(٣) سورة : الزمر . آية : ٧٥ .

(٤) سورة : سبأ . آية : ٥٤ .

(٥) سورة : الأنعام . آية : ٤٥ .

الأمر به . وكافتتاح سورة البقرة بقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (١) إشارة إلى ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ في قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢) ؛ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصِّرَاطُ الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب . وهذا معنى حَسَنٌ يَظْهَرُ فِيهِ ارتباطُ سورة البقرة بالفتحة ؛ وهو يردُّ سؤال الزمخشري في ذلك .

وتأمل ارتباط سورة ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ (٣) بسورة الفيل ؛ حتى قال الأخفش (٤) : اتصالها بها من باب قوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٥) .

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة .

فذكر هنا في مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (٦) أي : الكثير . وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي : دُمْ عليها ؛ وفي مقابلة الرياء ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ ، أي : لرضاه لا للناس ، وفي مقابلة مَنع الماعون : ﴿ وَأَنْحَرْ ﴾ ؛

(١) سورة : البقرة . آية : ١ .

(٢) سورة : الفاتحة . آية : ٦ .

(٣) سورة : قريش . آية : ١ .

(٤) هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، البلخي ثم البصري ، أبو الحسن ، المعروف بالأخفش الأوسط : نحوي ، عالم باللغة والأدب ، من أهل بلخ . سكن البصرة ، وأخذ العربية عن سيبويه . وصنف كتاباً ، منها : « تفسير معاني القرآن » و« شرح أبيات المعاني » و« الاشتقاق » و« معاني الشعر » و« القوافي » . وكانت وفاته سنة ٢١٥ هـ .

(٥) أنظر : وفيات الأعيان ٢٠٨/١ . وإنباه الرواة ٣٦/٢ . ونزهة الألبا ١٨٤ . والفهرست ، المقالة الثانية . والأعلام ١٠١/٣ .

(٥) سورة : القصص . آية ٨ .

(٦) سورة : الكوثر . آية : ١ .

وأراد به : التصدَّق بلحم الأضاحي ؛ فاعتبرَ هذه المناسبةَ العجيبة .

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسييح ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التسييح حيث جاء مقدَّم على التحميد ؛ يقال : سبحان الله ، والحمد لله .
وذكر الشيخ كمال الدين الزمِّلَكَاني^(١) في بعض دروسه ، مناسبة أستفتاحها بذلك ما ملخَّضه : إن سورة بني إسرائيل أفتُتحت بحديث الإسراء ؛ وهو من الخوارق الدالَّة على صدق رسول الله ﷺ ، وأنه رسولٌ من عند الله ، والمشركون كذبوا ذلك وقالوا : كيف يسير في ليلةٍ من مكَّة إلى بيت المقدس ؟ وعادوا وتعتتوا وقالوا : صِف لنا بيت المقدس ؛ فرفع له حتى وصفه لهم . والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ، ليكون ذلك دليلاً على صحَّة قوله بصعود السموات ؛ فافتتحت بالتسييح تصديقاً لنبيه فيما ادَّعاه ؛ لأن تكذيبهم له تكذيب عناد ، فنزَّه نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبوه .

وأما الكهف فإنه لما احتبس الوحي ، وأرجف الكفَّار بسبب ذلك ، أنزلها الله رداً عليهم ، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ ، بل أتمَّ عليه بإنزال الكتاب ، فناسبَ أفتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السُّور ، فما ظنُّك بالآيات وتعلُّق بعضها ببعض ؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كلُّه كالكلمة الواحدة .

[أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض]

عُدنا إلى ذكر ارتباط الآي بعضها ببعض ؛ فنقول :

ذكر الآية بعد الأخرى ؛ إما أن يظهر الإرتباط بينهما لتعلُّق الكلام بعضه

(١) هو : عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري ، الزمِّلَكَاني ، أبو المكارم ، كمال الدين ، ويقال له : ابن خطيب زملكا : أديب ، من القضاة . له شعر حسن . ولي قضاء صرخد ، ودرس مدة ببعلبك ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥١ . من كتبه : « التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن » ورسالة في « الخصائص النبوية » .
(أنظر : طبقات الشافعية ١٣٣/٥ . وشذرات الذهب ٢٥٤/٥ . وبغية الوعاة ٣١٦ . والأعلام ١٧٦/٤) .

ببعض ، وعدم تمامه بالأولى فواضح ، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير ، أو الاعتراض والتشديد ؛ وهذا القسم لا كلام فيه .

وإما ألا يظهر الإرتباط ؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به . فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم ، أولاً .

القسم الأول : أن تكون معطوفة ؛ ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين .

وقد تكون العلاقة بينهما المضادة ؛ وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ، والرغبة بعد الرهبة .

وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعداً ؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق ؛ ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ؛ ليُعلم عظم الأمر والنهي . وتأمل سورة البقرة ، والنساء ، والمائدة ، وغيرها تجده كذلك .

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويُشكل وجه الارتباط ؛ فتحتاج إلى شرح ؛ ونذكر من ذلك صوراً يلتحق بها ما هو في معناها :

فمنها : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ، وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . . . ﴾ (٣) الآية ؛ فقد يقال : أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت ؟ والجواب من وجوه :

(١) سورة : الحديد . آية : ٤ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٤٥ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٨٩ .

أحدها : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونقصانها : معلوم أنّ كلّ ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ، ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه ، وانظروا في واحدةٍ تفعلونها أنتم ؛ مما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّاً .

الثاني : أنه من باب الاستطراد ؛ لما ذكر أنها مواقيت للحج ؛ وكان هذا من أفعالهم في الحج ؛ ففي الحديث : أنّ ناساً من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ، ولا داراً ، ولا فسطاطاً من باب ؛ فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ؛ منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلماً يصعد به . وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ؛ فقيل لهم : ليس البرّ بتخرجكم من دخول الباب ؛ لكن البرّ برّ من اتقى ما حرم الله ؛ وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة .

ونظيره في الزيادة على الجواب قوله ﷺ لما سئل عن المتوضّئ بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحلّ ميتته » (١) .

الثالث : أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه ؛ من تعكيسهم في سؤالهم ؛ وأنّ مثلهم كمثل من يترك باباً ويدخل من ظهر البيت ؛ فقيل لهم : ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ؛ ولكن البرّ من اتقى ذلك ، ثم قال الله سبحانه : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (٢) ، أي باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا . والمراد أن يصمّم القلب على أن جميع

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الطهارة باب ٤١ . والترمذي في سننه ، كتاب الطهارة باب ٥٢ . والنسائي في سننه ، كتاب الطهارة باب ٤٦ ، وفي المياه باب ٤ ، وفي الصيد باب ٣٥ . وابن ماجه في سننه ، كتاب الطهارة باب ٣٨ ، وفي الصيد باب ١٨ . ومالك في الطهارة حديث ١٢ ، وفي الصيد حديث ١٢ . والدارمي في الوضوء باب ٥٣ ، وفي الصيد باب ٦ . وأحمد ٢/٢٣٧ ، ٣٦١ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣ ، ٣٧٣/٣ . ٣٦٥/٥ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٨٧ .

أفعال الله حكمة منه ؛ وأنه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾ (١) فَإِنِ فِي السُّؤَالِ اتِّهَامًا .

ومنها : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى . . . ﴾ (٢) إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ (٣) ، فَإِنَّهُ قَدْ يُقَالُ : أَيُّ رَابِطٍ بَيْنَ الْإِسْرَاءِ ، ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ ؟ وَوَجْهَ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلُهَا أَنْ التَّقْدِيرُ : أَطْلَعْنَاهُ عَلَى الْغَيْبِ عَيَانًا ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِوَقَائِعِ مَنْ سَلَفَ بَيَانًا ، لِتَقْوَمِ أَخْبَارُهُ عَلَى مَعْجَزَتِهِ بِرَهَانًا ؛ أَيُّ سُبْحَانَ الَّذِي أَطْلَعَكَ عَلَى بَعْضِ آيَاتِهِ لِتَقْضَى ذِكْرًا ، وَأَخْبِرَكَ بِمَا جَرَى لِمُوسَى وَقَوْمِهِ فِي الْكُرْتَيْنِ ؛ لِتَكُونَ قِصَّتُهُمَا آيَةً أُخْرَى . أَوْ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ إِلَى رَبِّهِ ، كَمَا أُسْرِيَ بِمُوسَى مِنْ مِصْرَ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ .

ثم ذكر بعده : ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٤) لِيَتَذَكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا ؛ حَيْثُ نَجَّاهُمْ مِنَ الْغَرَقِ ؛ إِذْ لَوْلَمْ يَنْجِ آبَاهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ نُوحٍ لَمَا وَجَدُوا . وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ نُوحًا كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ؛ وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَالْوَلَدُ سَرَّ أَبِيهِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا شَاكِرِينَ كَأَبِيهِمْ ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسِيرُوا سِيرَتَهُ فَيَشْكُرُوا .

وتأمل كيف أثنى عليه ، وكيف تليق صفتُه بالفاصلة ، وَتَمَّ النَّظْمُ بِهَا ، مَعَ خُرُوجِهَا مَخْرَجَ الْمُرُورِ مِنَ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ إِلَى ذِكْرِهِ وَمَدْحِهِ بِشُكْرِهِ ، وَأَنْ يَعْتَقِدُوا تَعْظِيمَ تَخْلِيصِهِ إِيَّاهُمْ مِنَ الطُّوفَانِ بِمَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ ، وَنَجَّاهُمْ مِنْهُ ؛ حِينَ أَهْلَكَ مَنْ عَدَاهُمْ .

وقد عرّفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من

(١) سورة : الأنبياء . آية : ٢٣ .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ١ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ٢ .

(٤) سورة : الإسراء . آية : ٣ .

قتلهم ، ثم عاد عليهم بالإحسان والإفضال ؛ كي يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولدهم وهم ذريته ؛ فلما صاروا إلى جهالتهم ، وتمردوا ، عاد عليهم التعذيب .

ثم ذكر تعالى في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة ، بكلمات قليلة العدد ، كثيرة الفوائد ؛ لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير ، والكلام الطويل ، مع ما اشتمل عليه من التدرج العجيب ، والموعظة العظيمة بقوله : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (١) ، ولم ينقطع بذلك نظام الكلام ، إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ﴾ (٢) ، يعني : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو .

ثم خرج خروجاً آخر إلى حكمة القرآن ؛ لأنه الآية الكبرى . وعلى هذا فقس الانتقال من مقام إلى مقام ؛ حتى ينقطع الكلام .

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى بالتخلص .

وقد أنكره أبو العلاء (٣) محمد بن غانم المعروف بالغانمي وقال : ليس في القرآن الكريم منه شيء ، لما فيه من التكلف . وليس كما قال .

ومن أحسن أمثله قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ (٤) الآية ، فإن فيها خمس تخلصات : وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله ، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجاة وصفاتها ، ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستمد منه ، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء .

(١) سورة : الإسراء . آية : ٧ .

(٢) سورة : الإسراء . آية ٨ .

(٣) أنظر ترجمته في : اللباب ١٦٦/٣ .

(٤) سورة : النور . آية : ٣٥ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... ﴾ (١) الآية ؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله ؛ ثم تخلص إلى قوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٢) بوصف ﴿ الله ذي المعارج ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٣) ، إلى قوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ، فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ؛ وتمنى الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول ؛ وهذا تخلص عجيب .

وقوله : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَأُرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٥) .

وذلك أنه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال : إن أولئك لي أعداء إلا الله ، فانقل بطريق الاستثناء المنفصل .

وقوله تعالى : ﴿ أَنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦) .

وقوله تعالى في سورة الصافات : ﴿ أَذَلِكُمْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةٌ

(١) سورة : المعارج . آية : ١ .

(٢) سورة : المعارج . آية : ٤ .

(٣) سورة : الشعراء . آية : ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) سورة : الشعراء . آية : ١٠٢ .

(٥) سورة : الشعراء . آية : ٧٢ : ٧٨ .

(٦) سورة : النمل . آية : ٢٣ : ٢٦ .

الزُّقُومِ ﴿١﴾: وهذا من بديع التخلُّص؛ فإنه سبحانه خلص من وصف المخلصين وما أعدَّ لهم، إلى وصف الظالمين وما أعدَّ لهم.

ومنه: أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام، إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام، فقال في آخرها: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ . . .﴾ إلى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (٢)، وهو من بديع التخلُّص.

واعلم أنه حيث قصد التخلُّص فلا بدَّ من التوطئة له؛ ومن بديعه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (٣) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام. فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة؛ يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز.

وكقوله سبحانه موطئاً للتخلُّص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا . . .﴾ (٤) الآية.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٥)؛ فإنه قد يقال: ما وجه اتصاله بما قبله، وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (٦) الآية؟

قال الشيخ أبو محمد الجويني (٧) في تفسيره: سمعت أبا الحسين الدهان

(١) سورة: الصافات . آية : ٦٢ .

(٢) سورة: الأعراف . آية : ١٥٥ : ١٥٧ .

(٣) سورة: يوسف . آية : ٣ .

(٤) سورة: آل عمران . آية : ٣٣ .

(٥) سورة: البقرة . آية : ١١٥ .

(٦) سورة: البقرة . آية : ١١٤ .

(٧) هو: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني، أبو محمد: من علماء التفسير

واللغة والفقهاء. ولد في جوين، وسكن نيسابور، وتوفي بها سنة ٤٣٨ هـ. من كتبه: =

يقول: وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي فلا يجرمكم ذلك واستقبلوها، فإن لله المشرق والمغرب.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . . . ﴾ (١) الآية .

فإنه يقال: ما وجه الجمع بين الإبل، والسماء، والجبال، والأرض في هذه الآية؟

والجواب: أنه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر؛ فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها؛ ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب؛ وذلك بنزول المطر؛ وهو سبب تقلب وجوههم في السماء؛ ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصنون به (٢)؛ ولا شيء في ذلك كالجبال؛ ثم لا غنى لهم - لتعدّر طول مكثهم في منزل - عن التنقل من أرض إلى سواها؛ فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة (٣) فيه على الترتيب المذكور.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ (٤).

فيقال: أي ارتباط بينهما؟ وجوابه: أن المبتدأ وهو ﴿ مَنْ ﴾ خبره محذوف، أي: أفمن هو قائم على كل نفس تترك عبادته؟ أو معادل الهمزة

= «التفسير» و«التبصرة والتذكرة» والوسائل في فروق المسائل» و«الجمع والفرق» و«إثبات الاستواء».

(أنظر: الوفيات ٢٥٢/١ . ومفتاح السعادة ١٨٤/٢ . وطبقات السبكي ٢٠٨/٣ :

٢١٩ . وتبيين كذب المفتري ٢٥٧ . والأعلام ١٤٦/٤).

(١) سورة: الغاشية . آية: ١٧ ، ١٨ .

(٢) «به» ليست في الأصول، وقد أضافها محقق المطبوعة لحاجة السياق لها .

(٣) في الأصول: «خاص» .

(٤) سورة: الرعد . آية: ٣٣ .

تقديره : أفمن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم ؟ ووجه العطف على التقديرين واضح . أما الأول فالمعنى : أتترك عبادة من هو قائم على كل نفس ، ولم يكفِ الترك حتى جعلوا له شركاء ، وأما على الثاني فالمعنى : إذا انتفت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوي حكم المساوي ؟ .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ (١) عطف قصة على قصة ؛ مع أن شرط العطف المشاكلة ، فلا يحسن في نظير الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ (٢) ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ (٣) .

ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمنزلة : هل رأيت كالذي حاج إبراهيم ؟ وإنما كانت بمنزلتها لأن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ، ولذلك يجاب ببلى ، والاستفهام يعطي النفي ، إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم ؛ ومن ثم جاء حرف الاستفهام مكان حرف النفي ، ونفي النفي إيجاب ، فصار بمثابة « رأيت » غير أنه مقصود به الاستفهام ، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده في اللفظ ؛ ولذلك أعطى معنى : هل رأيت .

فإن قلت : من أين جاءت « إلى » ورأيت يتعدى بنفسه ؟ أجب لتضمنه معنى « تنظر » .

القسم الثاني : ألا تكون معطوفة ، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام ، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط ؛ والأول مزج لفظي ؛ وهذا مزج معنوي ، تُنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني ، وله أسباب :

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) سورة : الفرقان آية : ٥٤ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .

أحدها : التنظير ؛ فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء ؛ ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ عقب قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) .

فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون ؛ وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال ، وحاجوا النبي ﷺ وجادلوه ؛ فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله ﷺ في النفل ، فأنزل الله هذه الآية ، وأنفذ أمره بها ، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما ، بعد أن كانوا مؤمنين . ووصف المؤمنين ؛ ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ (٢) ، يريد أن كراحتهم لما فعلته من الغنائم ككراحتهم للخروج معك .

وقيل : معناه أولئك هم المؤمنون حقاً ؛ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَوْرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (٣) .

وقيل : الكاف صفة لفعل مضمر ؛ وتأويله : إفعل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر ، وإن كره القوم ذلك ؛ ونظيره قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ (٤) .

معناه : كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم ، فكذلك أتم نعمتي عليكم ؛ فشبه كراحتهم ما جرى من أمر الأنفال وقسمتها بالكراهة في مخرجه من بيته . وكل ما لا يتم الكلام إلا به ؛ من صفة وصلته فهو من نفس الكلام .

(١) سورة : الأنفال . آية : ٤ - ٥ .

(٢) سورة : الأنفال . آية : ٥ .

(٣) سورة : الذاريات . آية : ٢٣ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ١٥١ .

وأما قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ (١) فإن فيه محذوفاً ؛ كأنه قال : قل أنا النذير المبين ، عقوبة أو عذاباً ، مثل ما أنزنا على المقتسمين .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (٢) وقد اكتنفه من جانبيه قوله : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ (٤) ؛ فهذا من باب قولك للرجل ، وأنت تحدثه بحديث ، فينتقل عنك ، ويقبل على ، شيء آخر : أقبِلْ عليّ واسمع ما أقول ، وافهم عني ، ونحو هذا الكلام ؛ ثم تصل حديثك ؛ فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول ؛ قاطعاً له ؛ وإنما يكون به مشوقاً للكلام .

وكان رسول الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؛ وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن حرّك لسانه بذكر الله ، فقبل له : تدبّر ما يوحي إليك ، ولا تتلقفه بلسانك ؛ فإنما نجمعه لك ونحفظه عليك .

ونظيره قوله في سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ يَشَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (٥) ، فإن الكلام بعد ذلك متصل بقوله أولاً : ﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ (٦) ، ووسط هذه الجملة بين الكلامين ترغيباً في قبول هذه الأحكام ، والعمل بها ، والحث على مخالفة الكفار وموت كلمتهم وإكمال الدين . ويدل على اتصال ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ ﴾ (٧) بقوله : ﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ آية الأنعام ﴿ قُلْ ﴾

(١) سورة : الحجر . آية : ٨٩ - ٩٠ .

(٢) سورة : القيامة . آية : ١٦ .

(٣) سورة : القيامة . آية : ١٤ - ١٥ .

(٤) سورة : القيامة . آية : ٢٠ - ٢١ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٣ .

(٦) سورة : المائدة . آية : ٣ .

(٧) سورة : المائدة . آية : ٣ .

لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ ﴿١﴾ .

الثاني : المضادة ؛ ومن أمثله قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴿٢﴾ ﴾ الآية ، فإنه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم ،
وأن من شأنه كَيْتَ وَكَيْتَ ، وأنه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كَيْتَ وَكَيْتَ .
فرجع إلى الحديث عن المؤمنين ، فلما أكملهُ عَقَبَ بما هو حديث عن الكفار ؛
فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على
الأول ، كما قيل : وبِضْدِهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ .

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأن كونه حديثاً عن المؤمنين ، بالعَرَضِ
لا بالذات ، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن
الكتاب ، لأنه مفتتح القول .

قلنا : لا يشترط في الجامع ذلك ، بل يكفي التعلق على أي وجه كان ،
ويكفي في وجه الرُّبُطِ ما ذكرنا ، لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به ،
والحث على الإيمان به ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ﴿٣﴾ الآية . فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عقب ذكر بُدُو
السَّوآتِ وَخُصْفِ الْوَرَقِ عَلَيْهَا ؛ إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما

(١) سورة : الأنعام . آية : ١٤٥ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٦ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٣ .

(٤) سورة : الأعراف . آية : ٢٦ .

في العُرْيِ وكشفِ العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الستر بابٌ عظيم من أبواب التَّقوى .

وجعل القاضي أبو بكر في كتاب «إعجاز القرآن» من الاستطراد قوله تعالى ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١) .

وقال : كأن المراد أن يجري بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص . انتهى ، وفيه نظر .

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع : كقوله تعالى في سورة ^{سورة الضحى} « ص » بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ (٢) ، فإن هذا القرآن نوع من الذكر ، لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعاً آخر ، وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ ؛ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة ، تقول : أشير عليك بكذا ، ثم تقول بعده : هذا الذي عندي والأمر إليك . وقال : ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ ، كما يقول المصنّف : هذا باب يشرع في باب آخر . ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ (٣) .

(١) سورة : النحل . آية : ٤٨ - ٤٩ .

(٢) سورة : ص . آية : ٤٩ .

(٣) سورة : ص . آية : ٥٥ .

فصل

وقد يكون اللفظ متصلًا بالآخر ، والمعنى على خلافه ؛ كقوله تعالى :
﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ (١) .

فقوله : ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ (٢) ؛ لأنه موضع الشماتة .

وقوله : ﴿ كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (٣) ؛ فإنه متصل
بقوله : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ
كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ (٥) جواب الشرط قوله
تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ قَلَّتْ لَا آجُدُ
مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ (٧) داخل في الشرط .

(١) سورة : النساء . آية : ٧٣ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٧٢ .

(٣) سورة : الأنفال . آية : ٦ .

(٤) سورة : الأنفال . آية : ٥ - ٦ .

(٥) سورة : التوبة . آية : ٩٢ .

(٦) سورة : التوبة . آية : ٩٢ .

(٧) سورة : التوبة . آية : ٩٢ .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

فقوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ متصل بقوله : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٢) . ومثّل بقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ (٣) . على تأويل : ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته إلا قليلاً ممن لم يُدخله في رحمته ، واتبعوا الشيطان ، لاتبعتم الشيطان .

ومما يحتمل الاتصال والانقطاع قوله تعالى : ﴿ فِي بِيوتِ أذنِ اللّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (٤) : يحتمل أن يكون متصلاً بقوله : ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ (٥) ، أي المصباح في بيوت ، ويكون تاممه على قوله : ﴿ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (٦) و ﴿ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا ﴾ (٧) صفة للبيوت . ويحتمل أن يكون منقطعاً ، واقعاً خبراً لقوله : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ ﴾ (٨) .

ومما يتعين أن يكون منقطعاً قوله : ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٩) مستأنف ، لأنه لو جُعِلَ متصلاً « بيعزب » لاحتل المعنى ، إذ يصير على حدِّ قولك : ما يعزب عن ذهني إلا في كتاب ، أي استدراكه .

وقوله : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٠) ، منهم مَنْ قضى باستثنافه على أنه

(١) سورة : النساء . آية : ٨٣ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٨٣ .

(٣) سورة : النساء . آية : ٨٣ .

(٤) سورة : النور . آية : ٣٦ .

(٥) سورة : النور . آية : ٣٥ .

(٦) سورة : النور . آية : ٣٦ .

(٧) سورة : النور . آية : ٣٦ .

(٨) سورة : النور . آية : ٣٧ .

(٩) سورة : يونس . آية : ٦١ .

(١٠) سورة : البقرة . آية : ٢ .

مبتدأ وخبر ، ومنهم من قضى بجعل « فيه » خبر « لا » ، و « هدى » نصبٌ على الحال في تقدير « هاديا » .

ولا يخفى انقطاع ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ (١) عن قوله : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (٢) .

وكذا ﴿ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ (٣) عن قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٤) .

وكذلك قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٥) عن قوله : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ (٦) .

(١) سورة : غافر . آية : ٧ .

(٢) سورة : غافر . آية : ٦ .

(٣) سورة : يس . آية : ٧٦ .

(٤) سورة : يس . آية : ٧٦ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٣١ .

(٦) سورة : المائدة . آية : ٣٢ .

٣ - النوع الثالث معرفة الفواصل ورءوس الآي

وهي كلمة آخر الآية : كقافية الشعر ، وقريئة السجع .

وقال الداني^(١) : كلمة آخر الجملة .

قال الجعبري^(٢) : وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيبويه^(٣)

(١) هو عثمان بن سعيد بن عثمان ، أبو عمرو الداني ، ويقال له : ابن الصيرفي ، من موالي بني أمية : أحد حفاظ الحديث ، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره . من أهل «دانية» بالأندلس . دخل المشرق ، فحج وزار مصر ، وعاد فتوفي في بلده سنة ٤٤٤ هـ ، وكان مولده سنة ٣٧١ هـ . من كتبه : «التيسير» و«الإشارة» و«المقنع» و«البيان في عد أي القرآن» و«جامع البيان» و«طبقات القراء» .

(أنظر : النجوم الزاهرة ٥/٥٤ . ونفح الطيب ١/٣٩٢ . وغاية النهاية ١/٥٠٣ . ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ . والصلة ٣٩٨ . والأعلام ٤/٣٠٦) .

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، أبو إسحاق : عالم بالقراءات ، من فقهاء الشافعية ، ولد بقلعة جعبر سنة ٦٤٠ هـ . وتعلم ببغداد ودمشق ، واستقر ببلد الخليل في فلسطين إلى أن مات سنة ٧٣٢ هـ . من كتبه : «كنز المعاني شرح حرز الأماني» و«خلاصة الأبحاث» و«نزهة البررة في القراءات العشرة» و«حديقة الزهر» و«الشرعة» و«الروضة» .

(أنظر : الأنس الجليل ٢/٤٩٦ . والبداية والنهاية ١٤/١٦٠ . والدرر الكامنة ١/٥٠ . وغاية النهاية ١/٢١ . وطبقات الشافعية ٦/٨٢ . وتاريخ العراق ١/٥١٠ . والأعلام ١/٥٦) .

(٣) هو : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب : سيبويه : إمام =

بـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾^(١)، و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾^(٢)، وليساً رأس آيٍ؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية؛ ويلزم أبا عمرو^(٣) إمالة ﴿مَنْ أَعْطَى﴾^(٤) لأبي عمرو. وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروفٌ متشكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني. انتهى.

وفرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورءوس الآي، قال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يَكُنُّ رءوس آيٍ وغيرها. وكلّ رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية؛ فالفاصلة تعمّ النوعين، وتجمع الضربين؛ ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾^(٥) و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾^(٦) - وهما غير رأس آيتين بإجماع - مع ﴿إِذَا يَسْرِ﴾^(٧)؛ وهو رأس آية باتفاق. انتهى.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها؛ وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام.

= النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز سنة ١٤٨ هـ. وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاهه. وصنف كتابه المسمى «كتاب سيبويه» في النحو؛ لم يضع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها سنة ١٨٠ هـ.

(أنظر: ابن خلكان ١/٣٨٥. والبداية والنهاية ١٠/١٧٦. وتاريخ بغداد ١٢/١٩٥. وطبقات النحويين ٦٦: ٧٤. والأعلام ٥/٨١).

(١) سورة: هود. آية: ١٠٥.

(٢) سورة: الكهف. آية: ٦٤.

(٣) الداني.

(٤) سورة: الليل. آية: ٧.

(٥) سورة: هود. آية: ١٠٥.

(٦) سورة: الكهف. آية: ٦٤.

(٧) سورة: الفجر. آية: ٤.

وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فصل
بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها أسجاعاً .

فأما مناسبة فواصل ، فلقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ (١) . وأما
تجنب أسجاع ، فلأن أصله من سَجَعَ الطيرُ ، فَشُرِّفَ القرآن الكريم أن يستعار
لشيءٍ فيه لفظٌ هو أصلٌ في صوت (٢) الطائر ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره
من الكلام الحادث في إسم السَّجْعِ الواقع في كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن
من صفات الله عز وجل ، فلا يجوز وصفه بصفةٍ لم يرد الإذن بها ، وإن صح
المعنى .

ثم فرقوا بينهما فقالوا : السَّجْعُ هو الَّذِي يُقْصَدُ فِي نَفْسِهِ ثُمَّ يَحِيلُ الْمَعْنَى
عَلَيْهِ ، وَالْفَوَاصِلُ الَّتِي تَتَّبَعُ الْمَعَانِي ، وَلَا تَكُونُ مَقْصُودَةً فِي نَفْسِهَا .

قاله الرَّمَانِيُّ (٣) في كتاب «إعجاز القرآن» ، وبني عليه أَنَّ الفواصل
بلاغة ، والسجع عيب ، وتبعه القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «إعجاز
القرآن» (٤) ، ونقل عن الأشعرية امتناع كون في القرآن سجعاً .

قال : وَنَصَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كُتُبِهِ .

قال : وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ مَخَالِفِهِمْ إِلَى إِثْبَاتِ السَّجْعِ فِي الْقُرْآنِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ

(١) سورة : فصلت . آية : ٣ .

(٢) في ج : « لصوت » .

(٣) هو : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، أبو الحسن الرماني : باحث معتزلي مفسر .
من كبار النحاة . أصله من سامراء ، ومولده ببغداد سنة ٢٩٦ هـ ، ووفاته بها سنة
٣٨٤ هـ . له نحو ١٠٠ مصنف منها : « الأسماء والصفات » و « التفسير » و « الأكوان »
و « شرح سيويه » و « معاني الحروف » و « النكت في إعجاز القرآن » و « منازل
الحروف » .

(أنظر : بغية الوعاة ٣٤٤ . ووفيات الأعيان ٣٢١/١ . وتاريخ بغداد ١٦/١٢ . ومفتاح

السعادة ١٤٢/١ . وإنباه الرواة ٢٩٤/٢ . والأعلام ٣١٧/٤) .

(٤) من « وبني عليه ... » إلى « ... » في كتاب إعجاز القرآن « سقط من ب .

ذلك مما تبين فيه فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في
البيان والفصاحة : كالتجنيس ، والاتلفات ، ونحوها .

قال : وأقوى ما استدلوا به : الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون
عليهما السلام ، ولما كان السَّجْع قيل في موضع : ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (١)
ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ مُوسَى
وهارون ﴾ (٢) .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ؛ لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا
مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه شعراً ،
وذلك القدر يتفق وجوده من المُفْحَم (٣) كما يتفق وجوده في الشعر . وأما ما جاء
في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

قال : وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ؛ قال أهل اللغة :
هو موالة الكلام على وزن (٤) واحد . قال : ابن دريد : « سجعت الحمامة » :
رددت صوتها .

قال القاضي : وهذا غير صحيح ؛ ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج
عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن
يقال : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز . وكيف والسجع مما
كانت كُهان العرب تألفه ؛ ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي
الشعر ؛ لأن الكهانة تخالف النبوات ؛ بخلاف الشعر .

وما توهموا أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو ؛
لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدّي السجع ؛ وليس كذلك ما اتفق

(١) سورة : طه . آية : ٧٠ .

(٢) سورة : الشعراء . آية : ٤٨ .

(٣) في « إعجاز القرآن » : « المُفْحَم » .

(٤) في ب : « على روى » .

مما هو في معنى السجع من القرآن ؛ لأنّ اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى .
وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدّي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ؛ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى ارتبط^(١) المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى .

قال : وما ذكره في تقديم موسى على هارون في موضع وتأخير عنه في موضع لأجل السجع ، ولتساوي مقاطع الكلام فمردود ، بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدّي معنى واحداً^(٢) ، وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة ، وتقوى البلاغة ، ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة ؛ تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله ، مبتدأً به ومكرراً .

ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدّي إلى تلك المعاني ونحوها ، فعلى هذا يكون المقصد - بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها - إظهار الإعجاز دون السجع .

إلى أن قال : فإن أن الحروف الواقعة في الفواصل مناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يُخرجها عن حدها ، ولا يدخلها في باب السجع .
وقد بينا أنهم يذمّون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ؛ فكان بعض مصاريعه كلمتين ، وبعضها يبلغ كلمات ، ولا يروّن ذلك فصاحة ، بل يروّنه عجزاً ، فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فزيد في الفصاحة على طريق القرآن ، انتهى ما ذكره القاضي ، والرماني .

(١) في «إعجاز القرآن» : «انتظم» .

(٢) في حـ : «إلى معنى واحد» .

ردّ عليهما الخفاجي^(١) « في كتاب سر الفصاحة »^(٢) فقال : وأما قول
الرماني إن السَّجْعَ عَيْبٌ ، والفواصل بلاغة فغلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع
المعنى ، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة ، والفواصل مثله . وإن أراد به ما تقع
المعاني تابعة له ، وهو مقصود متكلّف ، فذلك عيب ، والفواصل مثله .

قال : وأظن أن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم
يسموا ما تماثلت حروفه سَجْعاً ؛ رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق
بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض في التسمية قريب ،
والحقيقة ما قلناه .

ثم قال : والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل .

فإن قيل : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهل ورد القرآن كله
مسجوعاً؟! وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع؟

قلنا : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم ، وكان الفصح
منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً ، لما فيه من أمارات التكلّف والاستكراه
والتصنع ، لا سيما فيما يطول من الكلام ، فلم يردّ كله مسجوعاً جرياً منه على
عرفهم في اللطيفة العالية من كلامهم ، ولم يخل من السجع ؛ لأنه يحسن في
بعض الكلام على الصفة السابقة . فهذا هو السبب في ورود بعضه كذلك
وبعضه بخلافه .

وخصت فواصل الشعر باسم القوافي ؛ لأن الشاعر يقفوها : أي يتبعها في

(١) هو : عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الخفاجي : شاعر ، أخذ الأدب
عن أبي العلاء المعري وغيره . وكانت له ولاية بقلعة « عزاز » وعصي بها ، فاحتيل عليه
بإطعامه فشكلناجة مسمومة ، فمات ، سنة ٤٦٦ هـ . له ديوان شعر ، وكتاب « سر
الفصاحة » .

(أنظر : فوات الوفيات ٢٣٣/١ . والنجوم الزاهرة ٩٦/٥ . واللباب ٣٨١/١ .
والأعلام ١٢٢/٤) .

(٢) أنظر : سر الفصاحة ص ١٦٦ ط . الرحمانية ١٩٣٢ .

شعره ، لا يخرج عنها ، وهي في الحقيقة فاصلة ، لأنها تفصل آخر الكلام ،
فالقافية أخص في الاصطلاح ، إذ كل قافية فاصلة ، ولا عكس .

ويمتنع استعمال القافية في كلام الله تعالى ، لأن الشرع لما سلب عنه
إسم الشعر وجب سلب القافية أيضاً عنه لأنها منه ، وخاصة به في الاصطلاح .
وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة
لكتاب الله ، فلا تتعداه .

قيل : وقد يقع في القرآن الإيطاء ، وهو ليس بقبيح فيه ، إنما يقبح في
الشعر ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . ثم قال في
آخرين : ﴿ لو كانوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ، ثلاث فواصل متوالية « يعلمون » يعلمون ،
يعلمون ، فهذا لا يقبح في القرآن قولاً واحداً .

قيل : ويقع فيه التضمين ، وليس بقبيح ، إنما يقبح في الشعر ، ومنه
سورتا الفيل وقريش ، فإن اللام في ﴿ لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾ (٢) قيل : إنها متعلقة
بـ ﴿ جَعَلَهُمْ ﴾ (٣) في آخر الفيل .

وحكى حازم (٤) في « منهاج البلغاء » خلافاً غريباً فقال : وللناس في
الكلام المنشور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في الكمية ، وتناسب مقاطعها
على ضرب منها ، أو بالثقل من ضرب واقع في ضربين أو أكثر ، إلى ضرب
آخر مزدوج ، في كل ضرب ضرب منها ، أو يزيد على الأزواج ، ومن جهة

(١) سورة : البقرة . آية : ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) سورة : قريش . آية : ١ .

(٣) سورة : الفيل . آية : ٥ .

(٤) هو : حازم بن محمد بن حسن ، ابن حازم القرطاجني ، أبو الحسن : أديب من العلماء
له شعر . من أهل قرطاجنة ، ولد سنة ٦٠٨ هـ . وتوفي بتونس سنة ٦٨٤ هـ . من
كتبه : « سراج البلغاء » و « ديوان شعر » .

(أنظر : نفع الطيب ١/٦٢٧ . وأزهار الرياض ٣/١٧٢ . وبغية الوعاة ٢١٤ .

والأعلام ٢/١٥٩) .

ما يكون غير مقطع ، إلى مقادير بقصد تناسب أطرافها ، وتقارب ما بينها في كمية الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :

منهم : من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة في الطول والقصر ، لما فيه من التكلّف ، إلا ما يقع به الإلمام في النادر من الكلام .

والثاني : أنّ التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية ، وتحليلتها بمناسبة المقاطع أكيد جداً .

والثالث - وهو الوسط - : أن السّجع لما كان زينةً للكلام ، فقد يدعو إلى التكلّف ، فرئي ألاّ يستعمل في جملة الكلام ، وأن لا يُخلَى الكلام بالجملة منه أيضاً ، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبه عفواً ، بخلاف التكلّف ، وهذا رأي أبي الفرج قدامة^(١) .

قال حازم : وكيف يعاب السّجع على الإطلاق؟! وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب ، وإنما لم يجرى على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد ، لما فيه من التكلّف ، ولما في الطبع من الملل عليه ؛ ولأنّ الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل .

(١) هو : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، أبو الفرج : كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة . كان في أيام المكتفي بالله العباسي ، وأسلم على يده ، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٧ هـ . ، يضرب به المثل في البلاغة . من كتبه : « الخراج » و« نقد الشعر » و« جواهر الألفاظ » و« البلدان » وغير ذلك .
(أنظر : النجوم الزاهرة ٢٩٧/٣ . وإرشاد الأريب ٢٠٣/٦ ، ٢٠٥ . والمتنظم ٣٦٣/٦ . والفهرست ١٣٠ ، والأعلام ١٩١/٥) .

واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع :

أحدها: زيادة حرفٍ لأجلها، ولهذا ألحقت الألف بـ «الظنون» في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(١)، لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفت منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيد على النون ألفٌ لتساوي المقاطع، وتناسب نهايات الفواصل، ومثله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾^(٢)، ﴿وَأَطَعْنَا الرُّسُولًا﴾^(٣).

وأنكر بعض المعاربة ذلك وقال: لم تُزد الألف لتناسب رءوس الآي كما قال قوم، لأن في سورة الأحزاب: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(٤) وفيها: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾^(٥)، وكل واحد منها رأس آية، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك في الثاني دون الأول، فلو كان لتناسب رءوس الآي لثبت من الجميع.

قال: وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين، واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك. وكذلك لحاق هاء السكت في قوله: ﴿مَاهِيَةً﴾^(٦) في سورة القارعة، هذه الهاء عدلت مقاطع الفواصل في هذه السورة، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثيراً عظيم في الفصاحة.

وعلى هذا - والله أعلم - ينبغي أن يُحمل لحاق النون في المواضع التي قد

(١) سورة : الأحزاب ، آية : ١٠ .

(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٦٧ .

(٣) سورة : الأحزاب . آية : ٦٦ .

(٤) سورة : الأحزاب . آية : ٤ .

(٥) سورة : الأحزاب . آية : ٦٧ .

(٦) سورة : القارعة . آية : ١٠ .

تكلّم في لحاق النون إياها، نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١).
 وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢) فَإِنَّ من مآخذ الفصاحة ومذاهبها أن
 يكون ورود هذه النون في مقاطع هذه الأنحاء للآي راجح الأصالة في الفصاحة،
 لتكون فواصل السُّور الوارد فيها ذلك قد استوثق فيما قبل حروفها المتطرفة،
 وقوع حرفي المد واللين.

وقوله تعالى: ﴿وَطُورٍ سِينِينَ﴾^(٣) وهو طورُ سَيْنَاءَ؛ لقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ
 مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٥) كرر «لعلّ»
 مراعاة لفواصل الآي، إذ لو جاء على الأصل لقال: لعلّي أرجع إلى الناس
 فيعلموا؛ بحذف النون على الجواب.

الثاني: حذف همزة أو حرفٍ اطراداً؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
 يَسِيرٌ﴾^(٦).

الثالث: الجمع بين المجرورات؛ وبذلك يُجاب عن سؤال في قوله
 تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾^(٧) فإنه قد توالى المجرورات
 بالأحرف الثلاثة، وهي اللام في ﴿لَكُمْ﴾ والباء في ﴿بِهِ﴾ و«على» في
 ﴿عَلَيْنَا﴾ وكان الأحسن الفصل.

وجوابه: أن تأخر ﴿تَبِيعاً﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين
 بعض الروابط، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ﴾

-
- (١) سورة: يس . آية : ٤٠ .
 - (٢) سورة: البقرة . آية : ٦٥ .
 - (٣) سورة: التين . آية : ٢ .
 - (٤) سورة: المؤمنون . آية : ٢٠ .
 - (٥) سورة: يوسف . آية : ٤٦ .
 - (٦) سورة: الفجر . آية : ٤ .
 - (٧) سورة: الإسراء . آية : ٦٩ .

تَبِيعاً ﴿١﴾ ، فإن فواصلها كلها منصوبة منوثة ، فلم يكن بد من تأخير قوله :
﴿ تَبِيعاً ﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبةً لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة
واحدة .

الرابع : تأخير ما أصله أن يقدّم ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُوسَى ﴾ (٢) ، لأن أصل الكلام أن يتصل الفعلُ بفاعله ويؤخر المفعول ،
لكن أحرّ الفاعل ، وهو « موسى » لأجل رعاية الفاصلة .

قلت : للتأخير حكمةً أخرى ، وهي أن النفس تتشوق لفاعل
﴿ أَوْجَسَ ﴾ ، فإذا جاء بعد أن أحرّ وقع بموقع .

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ
مُسَمًّى ﴾ (٣) . فإن قوله : ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ ولهذا
رفع . والمعنى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ في التأخير ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾
لكان العذاب لزاماً . لكنّه قدم وأحرّ لتشتبك رءوس الآي . قاله ابن عطية .

وجوّز الزمخشريّ عطفه على الضمير في ﴿ لَكَانَ ﴾ ، أي لكان الأجل
العاجلُ وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعادٍ وثمود ، ولم ينفرد الأجل
المسمى دون الأجل العاجل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ (٤) ، فأحرّ الفاعل لأجل
الفاصلة .

وقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٥) أحرّ الفعل عن المفعول فيها وقدمه

(١) سورة : الإسراء . آية : ٦٩ .

(٢) سورة : طه . آية : ٦٧ .

(٣) سورة : طه . آية : ١٢٩ .

(٤) سورة : القمر . آية : ٤١ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٣ .

فيما قبلها في قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (١) لتوافق رءوس (٢) الآي . قاله أبو البقاء (٣) ، وهو أجودٌ من قول الزمخشري : قدّم المفعول للاختصاص .

ومنه : تأخير الاستعانة عن العبادة في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤) ، وهي قبل العبادة ، وإنما أخرت لأجل فواصل السورة في أحد الأجوبة .

الخامس : إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥) قال الفراء (٦) : الأصل « الأنهار » ؛ وإنما وُحد لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رءوس الآي . ويقال النهر الضياء والسعة ، فيخرج من هذا الباب .

(١) سورة : البقرة . آية : ٣ .

(٢) « رؤس » ليست في الأصول .

(٣) هو : عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي أبو البقاء ، محب الدين : عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب . أصله من عكبر ، ومولده ووفاته ببغداد سنة ٦١٦ هـ . وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنف من الكتب في الموضوع ، فيقرأها عليه بعض تلاميذه ، ثم يملي ، من كتبه : « شرح ديوان المتنبي » و « التبيان في إعراب القرآن » و « التصريف في التصريف » و « التلقين » و « إعراب الحديث » . (أنظر : الوفيات ٦٦/١ ، ونكت الهميان ١٧٨ . وبغية الوعاة ٢٨١ . وآداب اللغة ٤٢/٣ . وابن الوردي ١٣٨/٢) .

(٤) سورة : الفاتحة . آية : ٥ .

(٥) سورة : القمر . آية : ٥٤ .

(٦) هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، مولى بني أسد ، أبوزكرياء ، المعروف بالفراء ، أمير المؤمنين في النحو . ولد سنة ١٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٢٠٧ هـ . من كتبه : « المقصور والممدود » و « معاني القرآن » و « الفاخر » و « المذكر والمؤنث » و « الأيام والليالي » وغير ذلك .

(أنظر : إرشاد الأريب ٢٧٩/٧ . ووفيات الأعيان ٢/٢٢٨ . ومفتاح السعادة ١/١٤٤ . وغاية

النهاية ٣٧١/٢ . وتهذيب التهذيب ١١/٢١٢ . وتاريخ بغداد ١٤/١٤٩ : ١٥٥ .

و ١٤٦/٨ .

وقوله : ﴿ وما كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (١) .

قال ابن سيده (٢) في « المحكم » : أي أعضاداً ، وإنما أفرد ليعدل رءوس الأي بالإفراد . والعضدُ : المعين .

السادس : جمع ما أصله أن يفرد ، كقوله تعالى : ﴿ لا يبيعُ فيه ولا جِلالاً ﴾ (٣) فإن المراد « ولا خُلَّة » بدليل الآية الأخرى ، لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الأي .

السابع : تثنية ما أصله أن يُفرد ؛ كقوله تعالى : ﴿ ولَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِتَّانٍ ﴾ (٤) .

قال الفراء : هذا باب مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها كقوله : « ديار لها بالرقمتين » وقوله : « بطن المكتين » وأشير بذلك إلى نواحيها ، أو للإشعار بأن لها وجهين ، وأنتك إذا أوصلتها ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت في كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة .

قال : وإنما ثأهما هنا لأجل الفاصلة ؛ رعايةً للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن . وألقوا في تحتملُ في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام .

(١) سورة : الكهف . آية : ٥١ .

(٢) هو : علي بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده أبو الحسن ، إمام في اللغة وآدابها . ولد بمرسية ، وانتقل إلى دانية ، فتوفي بها سنة ٤٥٨ هـ . كان ضريباً ، واشتغل بنظم الشعر مدة ، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها ، فصنف « المخصص » ، و« المحكم والمحيط الأعظم » و« شرح ما أشكل من شعر المتنبي » .

(أنظر : ابن خلكان ٣٤٢/١ . وبنغية الملتمس ٤٠٥ . وإنباه الرواة ٢٢٥/٢ . ونفح الطيب ٨٧٥/٢ . ولسان الميزان ٢٠٥/٤ . وآداب اللغة ٣١١/٢ . والأعلام ٢٦٤/٤) .

(٣) سورة : إبراهيم . آية : ٣١ .

(٤) سورة : الرحمن . آية : ٤٦ .

وأنكر ذلك ابنُ قتيبة^(١) عليه وأغلظ وقال : إنما يجوز في رءوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أن يكون الله وَعَدَ جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآي فمعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٢) ، ثم قال فيها : ﴿ فِيهِمَا ﴾^(٣) . ولو أن قائلًا قال في خزنة النار : إنهم عشرون ، وإنما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هذا القول إلا كقول الفراء .

قلت : وكان الملجئ للفراء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾^(٤) ، وعكس ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾^(٥) ؛ على أن هذا قابل للتأويل ؛ فإن الألف واللام للعموم ، خصوصاً أنه يرد على الفراء قوله : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٦) .

الثامن : تأنيث ما أصله أن يذكر ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴾^(٧) ؛ وإنما عدل إليها للفاصلة .

(١) هو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين . ولد ببغداد سنة ٢١٣ هـ ، وسكن الكوفة . ثم ولي قضاء الدينور فنسب إليها . وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦ هـ . ومن كتبه : « تأويل مختلف الحديث » و « أدب الكاتب » و « المعاني » و « عيون الأخبار » و « الإمامة والسياسة » و « الأشربة » و « مشكل القرآن » و « الميسر والقдах » و « تفسير غريب القرآن » .
(أنظر : وفيات الأعيان ١/٢٥١ . وآداب اللغة ٢/١٧٠ . ولسان الميزان ٣/٣٥٧ . والأعلام ٤/١٣٧) .

(٢) سورة : الرحمن . آية : ٤٨ .

(٣) سورة : الرحمن . آية : ٥٠ .

(٤) سورة : النازعات . آية : ٤٠ - ٤١ .

(٥) سورة : طه . آية : ١١٧ .

(٦) سورة : الرحمن . آية : ٤٨ .

(٧) سورة : المدثر . آية : ٥٤ .

التاسع كقوله : ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) ، وقال في العلق : ﴿ أقرأ باسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٢) ، فزاد في الأولى ﴿ الأعلى ﴾ ، وزاد في الثانية : ﴿ خلق ﴾ ، مراعاةً للفواصل في السورتين ، وهي في « سَبَّحَ » ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴾ (٣) وفي « العلق » ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٤) .

العاشر : صرف ما أصله ألا ينصرف ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَا ﴾ (٥) . صرف الأول لأنه آخر الآية ، وآخر الثاني بالألف ، فَحَسُنَ جَعَلَهُ مُنُونًا لِيُقَلِّبَ تَنُونَهُ أَلْفًا ، فيتناسب مع بقية الآي ، كقوله تعالى : ﴿ سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا ﴾ (٦) فإن ﴿ سَلَسِلًا ﴾ لما نظم إلى ﴿ أَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (٧) صُرِفَ وَنُونٌ لِلتَّنَاسُبِ ، وبقية « قَوَارِيرَا » الثاني ؛ فإنه وإن لم يكن آخر الآية جاز صرْفُهُ ، لأنه لما نُونٌ « قَوَارِيرَا » الأول نَاسَبَ ، أن يَنُونُ « قَوَارِيرَا » الثاني لِيَتَنَاسَبَا ، ولأجل هذا لم يَنُونُ « قَوَارِيرَا » الثاني إِلَّا مَنْ يَنُونُ « قَوَارِيرَا » الأول . وزعم إمام الحَرَمَيْنِ في « البرهان » أن من ذلك صُرِفَ ما كان جمعاً في القرآن ليناسب رءوس الآي ؛ كقوله تعالى : ﴿ سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا ﴾ (٨) .

وهذا مردود ، لأن « سَلَسِلًا » ليس رأس آية ، ولا « قَوَارِيرَا » الثاني ، وإنما صُرِفَ لِلتَّنَاسُبِ ، واجتماعه مع غيره من المنصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها .

ونظيره في مراعاة المناسبة أن الأفتح أن يقال : « بدأ » ثلاثي ؛ قال الله

-
- (١) سورة : الأعلى . آية : ١ .
 - (٢) سورة : العلق . آية : ١ .
 - (٣) سورة : الأعلى . آية : ٢ .
 - (٤) سورة : العلق . آية : ٢ .
 - (٥) سورة : الإنسان . آية : ١٥ - ١٦ .
 - (٦) سورة : الإنسان . آية : ٤ .
 - (٧) سورة : الإنسان . آية : ٤ .
 - (٨) سورة : الإنسان . آية : ٤ .

تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (٢) ثم قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ (٣) ، فجاء به رباعياً فصيحاً لما حسنه من التناوب بغيره وهو قوله : ﴿ يُعِيدُهُ ﴾ .

الحادي عشر : إمالة ما أصله إلا يُمال ؛ كما إمالة ألف ﴿ والضحي . والليل إذا سَجَى ﴾ (٤) ، ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما .

والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلي منها هو التناوب ، وعبر عنه بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة . وقد يمال لكونها آخر مُجاوِر ما أميل آخره ؛ كآلف « تلا » في قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ (٥) ، فأميلت ألف ﴿ تَلَاهَا ﴾ ليشاكل اللفظ بها اللفظ الذي بعدها ، مِمَّا ألفه غيرُ ياء ؛ نحو ﴿ جَلَاهَا ﴾ ، و ﴿ غَشَاهَا ﴾ .

فإن قيل : هَلَّا جعلت إمالة ﴿ تَلَاهَا ﴾ لمناسبة ما قبلها ، أعني ﴿ ضُحَاهَا ﴾ ؟ قيل : لأن ألف ﴿ ضُحَاهَا ﴾ عن واو ، وإنما أميل لمناسبة ما بعده .

الثاني عشر : العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ ففَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٦) ؛ حيث لم يقل « وفريقاً قتلتم » كما سوى بينهما في سورة الأحزاب فقال : ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وتأسرون فريقاً ﴾ (٧) ؛ وذلك لأجل أنها هنا رأس آية .

(١) سورة : الأعراف . آية : ٢٩ .

(٢) سورة : العنكبوت . آية : ٢٠ .

(٣) سورة : العنكبوت . آية : ١٩ .

(٤) سورة : الضحى . آية : ١ - ٢ .

(٥) سورة : الشمس . آية : ٢ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٨٧ .

(٧) سورة : الأحزاب . آية : ٢٦ .

تفريعات

ثم هنا تفريعات :

١ - الأول : قد كثر في القرآن الكريم ختمُ كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ، واللين ، وإلحاق النون ؛ وحكمته وجودُ التمكن من التطريب بذلك .

قال سيبويه رحمه الله : أما إذا ترنّموا فإنهم يُلحِقون الألفَ والواو والياء ؛ لأنهم أرادوا مدّ الصوت .

وإذا أنشدوا ولم يترنّموا: فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترّيم ؛ وناسٌ من بني تميم يبدلون مكان المدّة النون^(١) . انتهى .
وجاء القرآن على أعذب مقطع ، وأسهل موقف .

٢ - الثاني : إن مبنى الفواصل على الوقف ؛ ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾^(٢) ؛ مع تقدم قوله : ﴿ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴾^(٣) ، و ﴿ شِهَابٌ مُنْقَبَطٌ ﴾^(٤) . وكذا ﴿ بِمَاءٍ مِّنْهُمْ ﴾^(٥) ، و ﴿ قَدْ

(١) أنظر : كتاب سيبويه ٢/٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) سورة : الصافات . آية : ١١ .

(٣) سورة : الصافات . آية : ٩ .

(٤) سورة : الصافات . آية : ١٠ .

(٥) سورة : القمر . آية : ١١ .

قَدَرَ ﴿ (١) . وكذا : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ ﴿ (٢) مع ﴿ وَيَنْشِءُ السَّحَابَ
الثَّقَالَ ﴾ ﴿ (٣) .

وعبارة السكاكي^(٤) قد تعطى اشتراط كون السجع يشترط فيه الموافقة في
الإعراب لما قبله ؛ على تقدير عدم الوقوف عليه ؛ كما يشترط ذلك في الشعر .
وبه صرح ابن الخشاب^(٥) معترضاً على قول الحريري^(٦) في المقامة التاسعة
والعشرين :

يا صارفاً عني المودّة والزمان له صُرُوفٌ

(١) سورة : القمر . آية : ١٢ .

(٢) سورة : الرعد . آية : ١١ .

(٣) سورة : الرعد . آية : ١٢ .

(٤) هو : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ،
سراج الدين : عالم بالعربية والأدب . مولده بخوارزم سنة ٥٥٥ هـ ، وتوفي بها سنة
٦٢٦ هـ . من كتبه : « مفتاح العلوم » و « رسالة في علم المناظرة » .
(أنظر : الإرشاد ٣٠٦/٧ . ومفتاح السعادة ١٦٣/١ . والجواهر المضية ٢٢٥/٢ .
وشذرات الذهب ١٢٢/٥ . وبغية الوعاة ٤٢٥ . والأعلام ٢٢٢/٨) .

(٥) هو : عبد الله بن أحمد ، ابن الخشاب ، أبو محمد : أعلم معاصريه بالعربية . من أهل
بغداد مولداً ووفاة : كان عارفاً بعلوم الدين ، مطلعاً على شيء من الفلسفة والحساب
والهندسة ، وقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته . من كتبه : « شرح مقدمة الوزير
ابن هبيرة » و « المترجل في شرح الجمل للزجاجي » و « الرد على التبريزي في تهذيب
الإصلاح » و « نقد المقامات الحريرية » .

(أنظر : بغية الوعاة ٢٧٦ . ووفيات الأعيان ٢٦٧/١ . وإنباه الرواة ٩٩/٢ . وإرشاد
الأريب ٢٨٦/٤ . وطبقات الحنابلة ٣١٦/١ . والأعلام ٦٧/٤) .

(٦) هو : القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أبو محمد ، الحريري البصري : الأديب
الكبير ، صاحب « المقامات الحريرية » ولد سنة ٤٤٦ هـ ، وتوفي سنة ٥١٦ هـ . من
كتبه : « درة الغواص في أوهام القصاص » و « ملحّة الإعراب » .

(أنظر : وفيات الأعيان ٤١٩/١ . ومفتاح السعادة ١٧٩/١ . وطبقات السبكي
٢٩٥/٤ . وخزانة البغدادي ١١٧/٣ . وآداب اللغة ٣٨/٣ . ومراة الزمان ١٠٩/٨ .
ونزهة الجليس ٢/٢ . ومطالع البدور ٩/١ . والأعلام ١٧٨/٥) .

ومعْنَفِي فِي فَضْحٍ مَنْ جَاوَزْتُ تَعْنِيفَ الْعَسُوفِ
 لَا تَلْحَنِي فِيمَا أَتَيْتُ فَإِنِّي بِهِمْ عُرُوفُ
 وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِهِمْ فَلَمْ أَرْهَمْ يَرَاعُونَ الضِّيُوفُ
 وَبَلَوْتُهُمْ فَوَجَدْتُهُمْ لَمَّا سَبَكْتُهُمْ زِيُوفُ

ألا ترى أنها إذا أُطْلِقَتْ ظهر الأول والثالث مرفوعين ، والرابع والخامس منصوبين ، والثاني مجروراً ، وكذا باقي القصيدة .

والصواب أن ذلك ليس بشرط لما سبق ؛ ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفاً عليها ؛ لأن الغرض المجانسة^(١) بين القرائن والمزاوجة ؛ ولا يتم ذلك إلا بالوقف^(٢) ، ولو وصلت لم يكن بدُّ من إجراء كلِّ القرائن على ما يقتضيه حكمُ الإعراب فعطلت عمل الساجع وفوتَّ غرضهم .

وإذا رأيتهم يُخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج ؛ فيقولون : آتيك بالغدايا والعشايا . مع أن فيه ارتكاباً لما يخالف اللغة ، فما ظنك بهم في ذلك !

٣ - الثالث : ذكر الزمخشري في كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرددها ، إلا مع بقاء المعاني على سدادها ، على النهج الذي يقتضيه حسنُ النظم والتثامه . كما لا يحسن تخيير الألفاظ الموقفة في السمع ، السلسلة على اللسان ؛ إلا مع مجيئها منقاداً للمعاني الصحيحة المنتظمة ؛ فأما أن تُهمل المعاني ، ويُهْتَمَّ بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة في فتييل أو نقيير . ومع ذلك يكون قوله : ﴿ وبالآخرة هم يُوقنون ﴾^(٣) . وقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾^(٤) لا يتأتى فيه ترك رعاية

(١) في النسخة ب : « المجاوزة » .

(٢) في النسخة ب : « الوقوف » .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٤ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٣ .

التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إيثاراً للفاصلة - لأن ذلك أمرٌ لفظيٌّ لا طائل تحته - وإنما عُدِلَ إلى هذا لقصد الاختصاص .

٤ - الرابع : أن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع - وهذا يكون في السَّجْع - وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تماثل ؛ وهذا لا يكون سجعاً . ولا يخلو كلُّ واحدٍ من هذين القسمين (١) : - أعني المتماثل والمتقارب - من أن يأتي طوعاً سهلاً تابِعاً للمعاني ، أو متكلفاً يتبعه المعنى .

فالقسم الأول : هو المحمود الدالٌّ على الثقافة وحسن البيان ، والثاني : هو المذموم . فأما القرآن فلم يرد فيه إلا انقسم الأول لعلوه في الفصاحة .

وقد وردت فواصله متماثلة ، ومتقاربة :

مثال المتماثلة : قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍ مَشْهُورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى . تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَأْتِرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ . . . ﴾ (٥) . إلى آخره . وحذفت الياء من ﴿ يَسْرِ ﴾ طلباً للموافقة في الفواصل .

(١) في ب ، ج : « المذهبين » .

(٢) سورة : الطور . آية : ٥٠ ، ١ .

(٣) سورة : طه . آية : ٥٠ ، ١ .

(٤) سورة : العاديات . آية : ٥٠ ، ١ .

(٥) سورة : الفجر . آية : ٤٠ ، ١ .

وقوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (١) ؛ وجميع هذه السورة على الازدواج .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَأُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِي الْكُنُوسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَأُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبِقٍ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْرًا مُّتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٧) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . . . ﴾ (٨) الآية .

وقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا . أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (٩) .

(١) سورة : القمر . آية : ١ .

(٢) سورة : التكوير . آية : ١٥ ، ١٨ .

(٣) سورة : الانشقاق . آية : ١٦ ، ١٩ .

(٤) سورة : الضحى . آية : ٥ - ٦ .

(٥) سورة : الإسراء . آية : ١٦ .

(٦) سورة : ن . آية : ٣ - ٤ .

(٧) سورة : الأعراف . آية : ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٨) سورة : القيامة . آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٩) سورة : الأعراف . آية : ٨٨ .

ومثال المتقارب في الحروف : قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ ق . وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٢) .

وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن ، لأنَّ السجع ما تماثلت حروفه .

إذا علمت هذا (٣) ، فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين ؛ بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة ، وبهذا يترجَّح مذهب الشافعيّ على مذهب أبي حنيفة في عدِّ الفاتحة سبع آيات مع البسملة ؛ وذلك لأنَّ الشافعيّ المثبت لها في القرآن قال : ﴿ صراط الذين ﴾ ، إلخ السورة آية واحدة ، وأبو حنيفة لما أسقط البسملة من الفاتحة قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ آية ، و ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) آية . ومذهب الشافعيّ أولى ، لأنَّ فاصلة قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ، ورعاية التشابه في الفواصل لازم . وقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ليس من القسمين فامتنع جعله من المقاطع ؛ وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات ؛ لكنَّ الخلاف في كيفية العدد .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف]

٥ - الخامس : قسم البديعيون السجع والواصل أيضاً إلى متوازٍ ، ومطرفٍ ، ومتوازن (٥) .

(١) سورة : الفاتحة . آية : ٣ - ٤ .

(٢) سورة : ق . آية : ١ - ٢ .

(٣) من ح : « ذلك » .

(٤) سورة : الفاتحة . آية : ٧ .

(٥) و « متوازن » ليست في الأصول ، وهي زيادة لا بد منها لسياق الكلام بعد ذلك .

وأشرفها المتوازي : وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع ؛
كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مُّوَضَّعَةٌ ﴾ (١) ، وقوله ﴿ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ . وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢) .

والمطَّرَف : أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن ؛ كقوله تعالى :
﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (٣) .

والمتوازن (٤) : أن يُراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى :
﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزُرَابِيٌّ مُّبْتُوثَةٌ ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦) . فلفظ « الكتاب » و« الصراط » متوازنان (٧) . ولفظ
« المستبين » و« المستقيم » متوازنان .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ
السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ (٨) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ . نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى . تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى .
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ (٩) .

وقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ . . . ﴾ (١٠) إلى آخرها .

(١) سورة : الغاشية . آية : ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٤٨ - ٤٩ .

(٣) سورة : نوح . آية : ١٢ - ١٣ .

(٤) في الأصول : « المتوازي » .

(٥) سورة : الغاشية . آية : ١٥ - ١٦ .

(٦) سورة : الصافات . آية : ١١٧ - ١١٨ .

(٧) في الأصول : « متوازنان » .

(٨) سورة : المعارج . آية : ٥ - ٩ .

(٩) سورة : المعارج . آية : ١٥ - ١٨ .

(١٠) سورة : الليل . آية : ١ - ٢ .

وقوله : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَىٰ . . . ﴾ (١) إلى آخرها .

وقد تكرر في سورة « حَمَّ عَسَقَ » في قوله تعالى : ﴿ وَالذِّينَ يَجَادِلُونَ فِي
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ ﴾ (٢) إلى آخر الآيات السبع ؛ فجمع في فواصلها
بين « شديد » و « قريب » و « بعيد » و « عزيز » و « نصيب » و « أليم » و « كبير »
على هذا الترتيب ؛ وهو في القرآن كثير ، وفي المفصل خاصة في قصاره .

ومنهم من يذكر بدله الترصيع ، وهو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً
من كلمات مختلفة ، والثاني مؤلفاً من مثلها في ثلاثة أشياء ؛ وهي الوزن
والتقفية وتقابل القرائن ، قيل : ولم يجيء هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه
من التكلف .

وزعم بعضهم أن منه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ
لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (٣) . وليس كذلك ، لورود لفظة « إن » و « لفي » في كل واحد
من الشطرين ، وهو مخالف لشرط الترصيع ؛ إذ شرطه اختلاف الكلمات في
الشطرين جميعاً .

وقال بعض المغاربة : سورة الواقعة من نوع الترصيع ، وتتبع آخر آياتها يدلُّ
على أن فيها موازنة .

قالوا : وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيهاً بالشعر ، فإن أبياته
متساوية ؛ كقوله تعالى : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ . وَظَلِّ
مَمْدُودٍ ﴾ (٤) ؛ وعلته أن السمع أَلِفَ الانتهاء إلى غاية في الخفة بالأولى ، فإذا
زيد عليها ثقل عنه الزائد ، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع
الظفر بمقصوده .

(١) سورة : الضحى . آية : ١ ، ٣ .

(٢) سورة : الشورى . آية : ١٦ ، ٢٢ .

(٣) سورة : الإنفطار . آية : ١٣ - ١٤ .

(٤) سورة : الواقعة . آية : ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

ثم ما طالت قرينته الثانية ، كقوله : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ : مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (١) ، أو الثالثة كقوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٢) .

وهو إما قصير كقوله : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا . فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ (٣) .

أو طويل كقوله : ﴿ إِذْ يَرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلَّلَكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٤) .

أو متوسط كقوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (٥) .

٦ - السادس : اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور ؛ أولاً وإلا خرج بعض الكلام عن بعض .

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ؛ لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يُستخرج بالتأمل لليب .

وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين ، والتوشيح ، والإيقاع ، والتصدير .

والفرق بينها ؛ أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديراً . وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحاً . وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى

(١) سورة : النجم . آية : ١ - ٢ .

(٢) سورة : الحاقة . آية : ٣٠ ، ٣٢ .

(٣) سورة : المرسلات . آية : ١ - ٢ .

(٤) سورة : الأنفال . آية : ٤٣ - ٤٤ .

(٥) سورة : القمر . آية : ١ - ٢ .

الكلام سمي إيغالاً ؛ وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كلٍ منهما صدره يدلُّ على عجزه . والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية .

١ - الأول - التمكين :

وهو أن يُمهَّد قبلها ، تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافذة ولا قليلة ، متعلّقة معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقة تاماً ؛ بحيث لو طُرِحَتْ اختلَّ المعنى واضطرب الفهم .

وهذا الباب يُطلِّعك على سر عظيم من أسرار القرآن ، فاشدد يدك به .

ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ (١) ، فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم ، ولم يبلغوا ما أرادوا ، وأن ذلك أمر اتفاقي ، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلِّم المؤمنين ، ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب الممتنع ، وأن حربه كذلك ، وأن تلك الريح التي هبَّت ليست اتفاقاً ؛ بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته ؛ وأنه ينوِّع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، وتارة بالريح كيوم الأحزاب ، وتارة بالرُّعب كبني النضير ، وطوراً ينصر عليهم كيوم أُحُد ، تعريفاً لهم أن الكثرة لا تغني شيئاً ، وأن النصر من عنده ، كيوم حُنين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة : الأحزاب . آية : ٢٥ .

(٢) سورة : السجدة . آية : ٢٦ - ٢٧ .

فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ولم يقل : « أو لم يروا » وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ؛ لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو كما يُسْمَع . وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرثية : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا ﴾ ، وقال بعدها : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجُزر مرثي .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا : يَا شَعِيبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (١) ، فإنه لما تقدم ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهيداً تاماً لذكر الحلم والرشد ؛ لأنّ الحلم الذي يصحّ به التكليف ، والرشد حسن التصرف في الأموال ، فكان آخر الآية مناسباً لأولها مناسبة معنوية ، ويسميه بعضهم ملاءمة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) ؛ فإنه سبحانه لما قدم نفي إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم ؛ إذ العادة أنّ كلّ لطيف لا تدرکه الأبصار ، ألا ترى أنّ حاسة البصر إنما تدرک اللون من كل متلون والكون من كل متكون ، فإدراكها إنما هو للمركبات دون المفردات ، ولذلك لما قال : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ عطف عليه قوله : ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ ، مخصّصاً لذاته سبحانه بصفة الكمال ؛ لأنه ليس كلّ من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء ، لأن المدرك للشيء قد يدركه ليخبره ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى أنه يدرك كلّ شيء مع الخبرة به ؛ وإنما خص الأبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضرباً من المحاسن يسمى التعطف ؛ ولو كان الكلام : لا تبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظتا ﴿ اللطيف الخبير ﴾ مناسبتين لما قبلهما .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ

(١) سورة : هود . آية : ٨٧ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٠٣ .

الغني الحميد ﴿﴾ ، إلى قوله : ﴿ لرءوفٌ رحيم ﴾ (١) إنما فصل الأولى بـ « لطف خبير » لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض ، ولأنه خبير بنفعهم . وإنما فصل الثانية بـ « غني حميد » لأنه قال : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ ، أي لا حاجة ؛ بل هو غني عنهما ، جوادٌ بهما ؛ لأنه ليس غني نافعاً غناه إلا إذا جاد به ، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، واستحق عليه الحمد ؛ فذكر « الحمد » على أنه الغني النافع بغناه خلقه . وإنما فصل الثالثة بـ « رءوف رحيم » ، لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلک في البحر لهم ، وتسييرهم في ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع ، حسن ختامه بالرافة والرحمة . ونظير هذه الثلاث فواصل مع اختلافها قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم . . . ﴾ (٢) ، الآيات (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ﴾ (٤) . قال : « الغني الحميد » لئنه على أن ما له ليس بحاجة بل هو غني عنه ، جوادٌ به ، وإذا جاد به حمده المنعم عليه . إذ « حميد » كثير المحامد الموجبة تنزيهه عن الحاجة والبخل وسائر النقائص ، فيكون « غنياً » مفسراً بالغنى المطلق ، لا يحتاج فيه لتقدير « غني عنه » .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ﴾ (٥) .

لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمدٌ بهذا التقدير ، وظرف

(١) سورة : الحج . آية : ٦٣ ، ٦٥ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ٩٧ .

(٣) من أول الفقرة وحتى « . . . الآيات » سقط من ب .

(٤) سورة : الحج . آية : ٦٤ .

(٥) سورة : القصص . آية : ٧١ .

الليل ظُرفٌ مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لا سيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصارُ إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ؛ فصار النهارُ كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد ؛ والليل كأنه لا موجود سواه ؛ إذ جعل سرمداً منسوباً إليه سبحانه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ، ولا يصلح للإبصار .

وكذلك قال في الآية التي تليها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) ، لأنه لما أضاف جعلَ النهارِ سرمداً إليه صار النهار كأنه سرمد ، وهو ظرف مضيء تنور فيه الأبصار ، وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والنهار كأنه لا موجود سواه ، إذ جعل وجوده سرمداً منسوباً إليه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ إذ الظرف مضيء صالح للإبصار ، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية .

ومنه قوله تعالى في أول سورة الجاثية : ﴿ إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) . فإن البلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى : ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، لأنه سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال : ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أن المخترع له قادر عليم حكيم ، وإن دل على وجود صانع مختار لدالاتها على صفاته مرتبة على دلالتها على ذاته ، فلا بد أولاً من التصديق بذاته ؛ حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته ، لتقدم الموصوف وجوداً واعتقاداً على الصفات .

(١) سورة : القصص . آية : ٧٢ .

(٢) سورة : الجاثية . آية ٣ ، ٥ .

وكذلك قوله في الآية الثانية : ﴿ لِقَوْمٍ يوقنون ﴾ ، فإن سرَّ الإنسان وتدبير خلقه الحيوان أقرب إليه من الأول ، وتفكره في ذلك مما يزيد يقيناً في معتقده الأول .

وكذلك معرفة جزئيات العالم ؛ من اختلاف الليل والنهار ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح يقتضي رجاحة العقل ورسالته ؛ لنعلم أن مَنْ صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع العالم الكلّي التي هي أجرامه وعوارض عنه . ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً ، فقد قام البرهان على أن للعالم الكلّي صانعاً مختاراً ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وإن احتج إلى العقل في الجميع ؛ إلا أن ذكره ها هنا أنسب بالمعنى الأول ؛ إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال : إن بعض هذه الآثار يصنع بعضاً ، فلا بد إذاً من التدبر بدقيق الفكر وراجع العقل .

ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أتحدّثونهم بما فتحَ اللَّهُ عليكم ليحاجوكم به عند ربّكم فلا تعقلون ﴾ (٢) .

والمناسبة فيه قويّة ؛ لأن من دلَّ عدوّه على عورة نفسه ، وأعطاه سلاحه ليقتله به ، فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل ؛ فلهذا ختمها بقوله : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ .

وهذه الفاصلة لا تقع إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ أتأمرونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وتَسُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا

(١) سورة : لقمان . آية : ١٦ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٧٦ .

تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ؛ لَأَنَّ فاعل غير المناسب ليس بعاقل .
وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) ، ختم بصفة العلم إشارة إلى الإحاطة بأحوالنا وأحوالكم ؛ وما نحن عليه من الحق ، وما أنتم عليه من الباطل وإذا كان عالماً بذلك ، فنسأله القضاء علينا وعليكم ، بما يعلم منا ومنكم .

(١) سورة : البقرة . آية : ٤٤ .

(٢) سورة : سبأ . آية : ٢٦ .

فصل

وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها ؛ وذلك في مواضع :

منها في أوائل النحل ، وذلك أنه سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك فقال :

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) ، ثم ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿ مِنْ نَظْفَةٍ ﴾ ^(٢) ، وأشار إلى عجائب الحيوان فقال : ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ ^(٣) ، ثم عجائب النبات فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٤) . فجعل مقطع هذه الآية التفكر ^(٥) ، لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار .

وفيه جواب عن سؤال مقدر ؛ وهو أنه : لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَثَّرُ فِيهِ طِبَائِعَ الْفُصُولِ وَحَرَكَاتِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؟

ولما كان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال ؛ لا جرم كان مجال التفكير والنظر والتأمل باقياً . إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين :

-
- (١) سورة : النحل . آية : ٣ .
 - (٢) سورة : النحل . آية : ٤ .
 - (٣) سورة : النحل . آية : ٥ .
 - (٤) سورة : النحل . آية : ١٠ - ١١ .
 - (٥) في ب : « التفكير » .

أحدهما : أن تغيّرات العالم الأسفل مربوطةٌ بأحوال (١) حركات الأفلاك ، فتلك الحركات حيث حصلت ؛ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل ، وإن كان من الخالق الحكيم فذلك الإقرارُ بوجود الإله تعالى ، وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) ، فجعل مقطع هذه الآية العقل ؛ والتقدير كأنه قيل : إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطل ، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدُها غير متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

والثاني : أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة . ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة ، والآخر في غاية السواد ، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار ، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ، كأنه قيل : قد ذكرنا ما يرسخ في عقلك أن الموجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرت إلى حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع ، بل الفاعل المختار ، فلهذا جعل مقطع الآية التذكّر .

تنبيه :

من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين ، والمحدث عنه واحد ، لنكتة لطيفة . وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٤) ، ثم قال في سورة النحل :

(١) في ب : « باختلاف أحوال » .

(٢) سورة : النحل . آية : ٨ .

(٣) سورة : النحل . آية : ١٣ .

(٤) سورة : إبراهيم . آية : ٣٤ .

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

قال القاضي ناصر الدين بن المنير^(٢) في تفسيره الكبير : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت أخذها وأنا معطيها ؛ فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوماً ، وكونك كفاراً ، ولي عند إعطائها وصفان : وهما : أنني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء . انتهى .

وهو حسن ، لكن بقي سؤال آخر ، وهو : ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه ؟ والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم ، في وصف الإنسان وما جُبل عليه ؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه . وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى ، وإثبات ألوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه . فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها في درجة البلاغة .

ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) . وفي فصلت : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤) .

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

(١) سورة : النحل . آية : ١٨ .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن منصور ، المعروف بابن المنير السكندري ، من علماء الاسكندرية وأدائها ، ولي قضاءها وخطابتها مرتين . ولد سنة ٦٢٠ هـ . وتوفي سنة ٦٨٣ هـ . من كتبه : « التفسير الكبير » و« ديوان خطب » و« تفسير حديث الإسراء » و« الانتصاف من الكشاف » وغير ذلك .

(أنظر : فوات الوفيات ٧٢/١ . والدباج المذهب ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ . والأعلام ٢٢٠/١) .

(٣) سورة : الجاثية . آية : ١٥ .

(٤) سورة : فصلت . آية : ٤٦ .

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ ، فناسب الختمُ بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الأخرى فالختم بها مناسب ؛ أي لأنه لا يضيغ عملاً صالحاً ، ولا يزيد على مَنْ عمل شيئاً .

ونظيره قوله في سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ . ختم الآية مرة بقوله : ﴿ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٢) ، ومرة بقوله : ﴿ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٣) ؛ لأن الأول نزل في اليهود ، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه ، والثاني نزل في الكفار ، ولم يكن لهم كتاب ، وكان ضلالهم أشد .

وقوله في المائدة : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (٤) ، فذكرها ثلاث مرات ، وختم الأولى بالكافرين ، والثانية بالظالمين ، والثالثة بالفاسقين .
ف قيل : لأن الأولى نزلت في أحكام المسلمين ، والثانية نزلت في أحكام اليهود ، والثالثة نزلت في أحكام النصارى .

وقيل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (٥) إنكاراً له ، فهو كافر ، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق وَحَكَمَ بضمه فهو ظالم ، ومن لم يحكم بالحق جهلاً وَحَكَمَ بضمه فهو فاسق .

وقيل : الكافر ، والظالم ، والفاسق كلُّها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، عبر عنه بألفاظ مختلفة ، لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار . وقيل غير ذلك .

عكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدّث عنه مختلف ، كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ إلى قوله :

(١) سورة : الجاثية . آية : ١٤ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٤٨ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١١٦ .

(٤) سورة : المائدة . آية : ٤٤ - ٤٥ ، ٤٧ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٤٤ .

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) . ثم قال : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

قال ابن عبد السلام في تفسيره : في الأولى : « عليم » بمصالح عباده ، « حكيم » في بيان مراده . وقال في الثانية : « عليم » بمصالح الأنام ؛ « حكيم » ببيان الأحكام . ولم يتعرض للجواب عن حكمة التكرار .

تنبيه :

حقَّ الفاصلة في هذا القسم تمكين المعنى المسوق إليه كما بيَّنا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

ووجه مناسبتة أن بعث الرسول توليةً ؛ والتولية لا تكون إلا من عزيزٍ غالبٍ على ما يريد ، وتعليمُ الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستنداً إلى حكمة مُرسِله ؛ لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه ، فلا بدَّ وأن يكون حكيماً ، فلا جرمَ كان اقترانهما مناسباً .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وجهُ المناسبتة في الحكم محمول على قول مجاهد : إن من حضر الموصي فرأى منه جَنَفًا على الورثة في وصيته مع فقرهم ، فَوَعظَه في ذلك وأصلح بينه وبينهم حتى رضوا ، فلا إثم عليه . وهو غفور للموصي إذا ارتدع بقول مَنْ وعظه ، فرجع عما هم به وغفرانه لهذا برحمته لا خفاء به ، والإثم

(١) سورة : النور . آية : ٥٨ - ٥٩ .

(٢) سورة : النور . آية : ٥٩ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٢٩ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ١٨٢ .

المرفوع عن القائل ؛ يحتمل أن يكون إثم التبديل السابق في الآية قبلها في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴾ (١) يعني : من الموصي ، أي لا يكون هذا المبدل داخلاً تحت وعيد مَنْ بَدَّلَ عَلَى الْعَموم ؛ لأنَّ تبديل هذا تَضَمَّنَ مصلحة راجحة فلا يكون كغيره .

وقد أشكلَ على ذلك مواضع ؛ منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عَادُكُمْ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) . فإنَّ قوله : ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يوهم أن الفاصلة « الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » ، وكذا نقلت عن مصحف أبي رضي الله عنه ، وبها قرأ ابن شنبوذ (٣) .

ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردُّ عليه حُكْمَهُ ، فهو العزيز ؛ لأنَّ العزيز في صفات الله هو الغالب ؛ من قولهم : عَزَّ يَعَزُّ عِزًّا إِذَا غَلَبَهُ ؛ ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ، لأنَّ الحكيم من يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ ، فالله تعالى كذلك .

إلا أنه قد يخفى وجهُ الحكمة في بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان في الوصف بالحكيم احتراص حسن ؛ أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته . وقيل : لا يجوز « الغفور الرحيم » لأنَّ الله تعالى قطع لهم بالعذاب في

(١) سورة : البقرة . آية : ١٨١ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ١١٨ .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت ، ابن شنبوذ : من كبار القراء من أهل بغداد . انفرد بشواذ كان يقرأ بها في المحراب ، منها : « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » و « تبت يدا أبي لهب وقد تب » و « وتكون الجبال كالصوف المنفوش » و « فامضوا إلى ذكر الله » وغير ذلك . ووصف كتباً منها : « اختلاف القراء » و « شواذ القراءات » وعلم الوزير ابن مقله بأمره ، فأحضره وأحضر بعض القراء ، فناظره ، فنسبهم إلى الجهل وأغلظ للوزير ، فأمر بضربه ، ثم استتيب غصباً ، ونفي إلى المدائن .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ (١) .

وقيل لأنه مقام تبرّ ، فلم يذكر الصفة المقتضية استمطار العفو لهم ، وذكر صفة العدل في ذلك بأنه العزيز الغالب . وقوله ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يُعترض عليه إن عفا عمّن يستحق العقوبة .

وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم ، ولو قيل : « فإنك أنت الغفور الرحيم » لأوهم الدعاء بالمغفرة . ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه ، لا لِنَبِيِّ ولا لغيره . وأما قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وهم عباده ؛ عذبهم أو لم يعذبهم ؛ فلأن المعنى إِنْ تُعَذِّبُهُمْ تُعَذِّبْ مَنْ الْعَادَةُ أَنْ تُحْكَمَ عَلَيْهِ . وذكر العبودية التي هي سبب القدرة كقول رؤبة :

يا رب إن أخطأت أو نسيت فأنت لا تنسى ولا تموت

والله لا يضل ولا ينسى ولا يموت ، أخطأ رؤبة أو أصاب ، فكأنه قال :
إن أخطأت تجاوزت لضعفي وقوتك ، ونقصي وكمالك .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة براءة : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) - والجواب ما ذكرناه .

ومثله قوله تعالى في سورة الممتحنة : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

ومثله في سورة غافر في قول السادة الملائكة : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

= وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨ هـ .

(أنظر : النجوم الزاهرة ٣/٢٤٨ ، ٢٩٧ . وابن خلكان ١/٤٩٠ . وإرشاد الأريب

٣٠٠/٦ . وغاية النهاية ٢/٥٢ . وتاريخ بغداد ١/٢٨٠ . ونزهة المجلس ٢/٢٧٢ .

والأعلام ٥/٣٠٩) .

(١) سورة : النساء . آية : ٤٨ ، ١١٨ .

(٢) سورة : التوبة . آية : ٧١ .

(٣) سورة : الممتحنة . آية : ٥ .

وأزواجهم وذرياتهم إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) ؛ فَإِنَّ الذي يظهر في أول النظر أَنَّ الفاصلة « تواب رحيم » ، لأن الرَّحْمَةَ مناسبة للتوبة ، وخصوصاً من هذا الذنب العظيم ؛ ولكن ها هنا معنى دقيق من أجله قال : ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ؛ وهو أن يُنبه على فائدة مشروعية اللُّعَان ، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ؛ وذلك من عظيم الحِكم ، فهذا كان ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ، بليغاً في هذا المقام دون « رَحِيمٌ » .

ومن خفيّ هذا الضرب قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقوله في آل عمران : ﴿ قُلْ إِنْ تُحْضِرُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) ، فَإِنَّ المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة ، وفي آية آل عمران الختم بالعلم ، لكن إذا نعيم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة في الآيتين .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ (٥) ؛ مع أن ظاهر الخطاب « ذو عقوبة شديدة » ، وإنما قال ذلك نفيّاً للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته ؛ وذلك أبلغ في التهديد ؛ ومعناه : لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى في الإجتراء على معصيته ؛ فإنه مع ذلك لا يردّ عذابه عنكم .

(١) سورة : غافر . آية : ٨ .

(٢) سورة : النور . آية : ٩ - ١٠ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٩ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ٢٩ .

(٥) سورة : الأنعام . آية : ١٤٧ .

وقريب منه : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (١)

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) ؛
فمناسبة الجزاء للشرط أنه لما أقدم المؤمنون وهم - ثلاثمائة وبضعة عشر - على
قتال المشركين - وهم زهاء ألف - متوكلين على الله تعالى ، وقال المنافقون :
﴿ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ حتى أقدموا على ثلاثة أمثالهم عدداً أو أكثر ؛ قال الله
تعالى رداً على المنافقين وتثبيتاً للمؤمنين : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴾ (٣) في جميع أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤) . فإن قيل : ما وجه الختام بالحلم
والمغفرة عقب تسابيح الأشياء وتزييها ؟

أجاب صاحب الفنون (٥) بثلاثة أوجه :

أحدها : إن فسرنا التسبيح على ما درج في الأشياء من العبر ، وأنها
مسبحات بمعنى مودعات من دلائل العبر ودقائق الإنعامات والحكم ما يوجب
تسبيح المعتبر المتأمل ؛ فكأنه سبحانه يقول : إنه كان من كبير إغفالكم النظر
في دلائل العبر مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (٦) ؛ كذلك موضع

(١) سورة : النبا . آية : ٣٧ .

(٢) سورة : الأنفال . آية : ٤٩ .

(٣) سورة : الأنفال . آية : ٤٩ .

(٤) سورة : الإسراء . آية : ٤٤ .

(٥) في أ : « العنوان » ، وصاحب كتاب « فنون الأفتان في علوم القرآن » هو العلامة
ابن الجوزي .

(٦) سورة : يوسف . آية : ١٠٥ .

المعربة قوله : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (١) .

وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله ؛ مما أودع مخلوقاته بما يوجب تنزيهه ؛ فهذا موضع حِلْمٍ وِغْفْرَانٍ عَمَّا جرى في ذلك من الإفراط والإهمال .

الثاني : إن جعلنا التسيح حقيقة في الحيوانات بلغاتها فمعناه : الأشياء كلها تسبحه وتحمده ، ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ، فالحلم والغفران للتقدير في الآية ؛ وهو العصيان .

وفي الحديث : « لَوْلَا بَهَائِمُ رُتَع ، وشيوخ رُكَع ، وأطفال رُضَع ، لَصَبَّ عليكم العذاب صباً » (٢) .

الثالث : أنه سبحانه قال في أولها : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (٣) ؛ أي أنه كان لتساييح المسبحين حليماً عن تفريطهم ؛ غفوراً لذنوبهم .

ألا تراه قال في موضع آخر : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) ؛ وكأنها اشتملت على ثلاثة معانٍ : إما العفو عن ترك البحث المؤدّي إلى الفهم ، لما في الأشياء من العبر ، وأنتم على العصيان . أو يريد بها الأشياء كلها تسبحه ؛

(١) سورة : الإسراء . آية : ٤٤ .

(٢) هذا الحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٤٥ . وابن عدي في الكامل ١٦٢٢/٤ ، ٢٣٧٧ . والهندي في كنز العمال ٢/٦٠ . والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/٤٣٩ . وأورده العراقي في تخریج إحياء علوم الدين ١/٢٠٤ . والفتني في تذكرة الموضوعات ١٢٣ . والعجلوني في كشف الخفاء ٢/٢٣٠ . والدولابي في الكنى والأسماء ١/٤٣ . والهشمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٢٧ . والقرطبي في تفسيره ٣/٢٦٠ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ٤٤ .

(٤) سورة : الشورى . آية : ٥ .

ومنها ما يعصيه ويخالفه ، فيغفر عصيانهم بتسايحهم .

تنبيه :

قد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن ؛ كقوله تعالى عقب الأمر بالغض في سورة النور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابة : ﴿ لَعَلَّهُمْ يُرْشَدُونَ ﴾ (٢) .

وقيل : فيه تعريض بليلة القدر ؛ أي لعلهم يُرشدون إلى معرفتها . وإنما يحتاجون للإرشاد إلى ما لا يعلمون ؛ فإن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتعظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه . وأن أرجى أوقات الإجابة فيه ليلة القدر .

٢ - الثاني : التصدير :

كقوله تعالى : ﴿ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ

(١) سورة : النور . آية : ٣٠ . (٥) سورة : الأنبياء . آية : ٣٧ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ . (٦) سورة : المائدة . آية : ٣٩ .

(٣) سورة : طه . آية : ٦١ . (٧) سورة : التوبة . آية : ٧٠ .

(٤) سورة : الإسراء . آية : ٢١ .

رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٢) ،
فجعل الفاصلة ﴿ يَزُرُونَ ﴾ لجناس ﴿ أوزارهم ﴾ ؛ وإنما قال : ﴿ عَلَى
ظُهُورِهِمْ ﴾ ولم يقل « على رءوسهم » لأن الظهر أقوى للحمل ؛ فأشار إلى ثقل
الأوزار .

وقوله : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٦) .

الثالث - التوشيح :

ويسمى به لكونِ نفس الكلام يدلُّ على آخره ؛ نزل المعنى منزلة
الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشع ، اللذين يجول عليهما
الوشاح ؛ ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تُعَلِّمُ قبل ذكرها .

وسمَّاه ابن وكيع : المطمع ؛ لأن صدره مطمع في عجزه ؛ كقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى

العَالَمِينَ ﴾ (٨) ؛ فإن معنى اصطفاء المذكورين يُعَلِّمُ منه الفاصلة ؛ إذ
المذكورون نوع من جنس العالمين .

(٥) سورة : النساء . آية : ١٦٦ .

(٦) سورة : التوبة . آية : ١٠٨ .

(٧) سورة : المؤمنون . آية : ١٤ .

(٨) سورة : آل عمران . آية : ٣٣ .

(١) سورة : يونس . آية : ١٩ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ٣١ .

(٣) سورة : نوح . آية : ١٠ .

(٤) سورة الأحزاب . آية : ٣٧ .

وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (١) .

فإنه مَنْ كان حافظاً لهذه السورة ، متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة ؛ وسمع في صدر هذه الآية : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ (٢) عَلِمَ أن الفاصلة ﴿ مُظْلِمُونَ ﴾ ؛ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٣) . فإن قوله : ﴿ لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ﴾ يدل على التقسيم .

وقوله : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

٤ - الرابع : الإيغال :

وسُمِّيَ به ؛ لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه ؛ وبلغ إلى زيادة على الحد ؛ يقال : أوغل في الأرض الفلانية ، إذا بلغ منتهاها ؛ فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه ، فقد أوغل : كقوله تعالى : ﴿ أفحكَمَ الجاهلية يَبْغُونَ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٦) .

فإن الكلام تم بقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ ، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ؛ فلما أتى بها أفاد معنى زائداً .

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّةُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ (٧) .

(١) سورة : يس . آية : ٣٧ . (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

(٢) سورة : يس . آية : ٣٧ . (٦) سورة : المائدة . آية : ٥٠ .

(٣) سورة : الزلزلة . آية : ٦ ، ٨ . (٧) سورة : النمل . آية : ٨٠ .

(٤) سورة : الملك . آية : ١٣ - ١٤ .

فإن المعنى قد تمَّ بقوله : ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال : ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ .

فإن قيل : ما معنى ﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ وقد أغنى عنها ﴿ وَلَّوْا ﴾ ؟

قلت : لا يغني عنها ﴿ وَلَّوْا ﴾ ؛ فإن التوليَّ قد يكون بجانب دون جانب ؛ بدليل قوله : ﴿ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (١) . وإن كان ذكرَ الجانب هنا مجازاً .

ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صمَّ لا يسمعون أراد تميمَ المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ؛ فإن الأصمَّ يفهم بالإشارة ، ما يفهم السميع بالعبارة .

ثم إن التوليَّ قد يكون بجانب ، مع لَحَاطِه بالجانب الآخر ؛ فيحصل له إدراكُ بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة ﴿ مُدْبِرِينَ ﴾ ليُعلم أن التوليَّ كان بجميع الجوانب ؛ بحيث صار ما كان مستقبلاً مستديراً ، فاحتجبت المخاطب عن المخاطب ، أو صار من ورائه ، فخفيت عن عينه الإشارة ، كما صمَّ أذناه عن العبارة ؛ فحصلت المبالغة من عدم الإسماع بالكلية .

وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفي الإسماع البتة ؛ فهو من إيغال الاحتياط ؛ الذي أدمجت فيه المبالغة في نفي الاستماع .

وقد يأتي الاحتياط في غير المقاطع من مجموع جمل متفرقة في ضروب من الكلام شتى ، يحملها معنى واحدة كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ .. ﴾ الآية (٢) .

وقوله : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ ﴾ (٤) .

(١) سورة : الإسراء . آية : ٨٣ .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ٨٨ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٣ .

(٤) سورة : هود . آية : ١٣ .

كما يقول الرجل لمن يجحد : ما يستحقّ عليّ درهماً ولا دانقاً ولا حبة ،
ولا كثيراً ولا قليلاً .

ولو قال : « ما يستحقّ عليّ شيئاً » لأغنى في الظاهر ؛ لكنّ التفصيل أدلُّ
على الاحتياط ، وعلى شدة الاستبعاد في الإنكار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مِهْتَدُونَ ﴾ (١) فإن
المعنى تم بقوله : ﴿ أَجْرًا ﴾ ، ثم زاد الفاصلة لمناسبة رءوس الآي ؛ فأوغل بها
كما ترى ؛ حتى أتى بها تقييد معنى زائداً عليّ معنى الكلام .

(١) سورة : يس . آية : ٢١ .

فصل

في ضابط الفواصل

ذكره الجعبري ؛ ولمعرفتها طريقان : توقيفي ، وقياسي :

١ - الأول : التوقيفي :

روى أبو داود : عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت : « كان يقطع قراءته آية آية . وقرأت : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إلى ﴿ الذين ﴾ ، تقف على كل آية » (١) .

فمعنى « يقطع قراءته آية آية » ؛ أي يقف على كل آية ؛ وإنما كانت قراءته ﷺ كذلك ليعلم رءوس الآي .

قال : ووهم فيه من سمّاه وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبداً فهو مشروع لنا ، وإن كان لغيره فلا .

فما وقف عليه السلام عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمال الوقف أن يكون لتعريفهما ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة .

والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه ، باب ١ من الحروف . والترمذي في سننه ، باب ٢٣ من ثواب القرآن . والإمام أحمد ٣٠٢/٦ من مسنده .

٢ - الثاني : القياسي :

وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص ، لمناسب .
ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محل فصلٍ
أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج
القياسي إلى طريق تعرفه .

فأقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في الشر ، وقافية البيت في النظم ؛
وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو ، والإشباع ، والتوجيه ، فليس
بعب في الفاصلة ، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة ؛ من
نوع إلى آخر ؛ بخلاف قافية القصيد .

ومن ثم ترى ﴿ يرجعون ﴾ مع ﴿ عليم ﴾^(١) ، و ﴿ الميعاد ﴾ مع
﴿ الثواب ﴾^(٢) ، و ﴿ الطارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾^(٣) .

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة ؛ ومن
ثم أجمع العادون على ترك عدّ ﴿ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ ﴾^(٤) و ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
المقربون ﴾^(٥) بالنساء ، و ﴿ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴾^(٦) بسبحان ، و ﴿ لتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ ﴾^(٧) بمریم ، و ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٨) ببطه ، و ﴿ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ ﴾^(٩) و ﴿ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١٠) بالطلاق حيث لم يُشاكل
طرفيه .

وعلى ترك عدّ ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ ﴾^(١١) بآل عمران ، و ﴿ أَفَحُكْمَ
الجاهلية يَبِغُونَ ﴾^(١٢) بالمائدة ، وعدوا نظائرها للمناسبة ، نحو ﴿ لأولي

(١) سورة : آل عمران . آية : ٧٢-٧٣ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٩٤-١٩٥ .

(٣) سورة : الطارق . آية : ١-٢-٣ .

(٤) سورة : النساء . آية : ١٣٣ .

(٥) سورة : النساء . آية : ١٧٢ .

(٦) سورة : الإسراء . آية : ٥٩ .

(٧) سورة : مريم . آية : ٩٧ .

(٨) سورة : طه . آية : ١١٣ .

(٩) سورة : الطلاق . آية : ١١ .

(١٠) سورة : الطلاق . آية : ١٢ .

(١١) سورة : آل عمران . آية : ٨٣ .

(١٢) سورة : المائدة . آية : ٥٠ .

الألْبَاب ﴿١﴾ بآل عمران ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ ﴿٢﴾ بالكهف ،
و﴿وَالسَّلْوى﴾ ﴿٣﴾ بَطَه .

وقد يتوجه الأمران في كلمة فيختلف فيها ؛ فمنها البسمة ، وقد نزلت
بعض آية في النمل ﴿٤﴾ ، وبعضها في أثناء الفاتحة ﴿٥﴾ في بعض الأحرف
السبعة .

فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها آية ، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنصّ
المتقدم ، خلافاً للداني . ومن قرأ بحرف لم تنزل معه لم يعدّها ؛ ولزمه من
الإجماع على أنها سبع آيات أن يعدّ عوضها . وهو بعد ﴿اهدنا﴾ لقوله ﷺ
عن الله تعالى :

« قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » ﴿٦﴾ .

أي قراءة الصلاة ، تعد منها ، ولا للعبد إلا هاتان ، و﴿المستقيم﴾
محقق ، فقسمتا بعدها قسمين ؛ فكانت ﴿عليهم﴾ الأولى ؛ وهي مماثلة في
الروي لما قبلها ﴿٧﴾ .

ومنها : حروف الفواتح ؛ فوجهُ عدّها استقلالها على الرفع والنصب
ومناسبة الروي والرديف . ووجه عدمه الاختلاف في الكمية والتعلق على الجزء .

ومنها : بالبقرة ﴿عذابٌ أليمٌ﴾ . و﴿إنما نحن مُصْلِحُونَ﴾ ﴿٨﴾ فوجه
عده مناسبة الروي ، ووجه عدمه تعلقه بتاليه .

ومنها ﴿إلى بني إسرائيل﴾ ﴿٩﴾ بآل عمران ؛ حملاً على ما في

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٩ . (٤) سورة : النمل . آية : ٣٠ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ١٥ . (٥) سورة : الفاتحة . آية : ٣ .

(٣) سورة : طه . آية : ٨٠ .

(٦) الحديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، حديث .

(٧) هكذا في الأصل .

(٨) سورة : البقرة . آية : ١٠ - ١١ . (٩) سورة : آل عمران . آية : ٤٩ .

الأعراف (١) ، والشعراء (٢) ، والسجدة (٣) ، والزخرف (٤) .

ومنها : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴾ (٥) بالزمر ؛ لتقدير تاليه مفعولاً ومبتدأ (٦) .

ومنها : ﴿ وَالطُّورِ ﴾ ، و ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ ، و ﴿ الْحَاقَّةِ ﴾ و ﴿ الْقَارِعَةِ ﴾ ،
و ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ حملاً على ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ و ﴿ وَالضُّحَى ﴾ للمناسبة ، لكن تفاوتت
في الكمية .

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٠٥ . (٤) سورة : الزخرف . آية : ٥٩ .

(٢) سورة : الشعراء . آية : ١٧ . (٥) سورة : الزمر . آية : ١٧ .

(٣) سورة : السجدة . آية : ٢٣ .

(٦) « لتقدير تاليه مفعولاً ومبتدأ » سقط من ب ، ج .

٤ - النوع الرابع في جمع الوجوه والنظائر

وقد صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغوني^(١) وأبو الفرج ابن الجوزي^(٢) ، والدامغاني^(٣) الواعظ ،
(١) هو : علي بن عبد الله بن نصر الزاغواني ، الحنبلي البغدادي ، أبو الحسن : نسبة إلى « زاغواني » من أعمال بغداد . كان شيخ الحنابلة وأعظم أعيانهم . توفي سنة ٥٢٧ هـ .
(أنظر : شذرات الذهب ٨٠/٤) .

(٢) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي ، البغدادي ، أبو الفرج : علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف مولده ببغداد سنة ٥٠٨ هـ . ووفاته بها سنة ٥٩٧ هـ . له نحو ثلاث مائة مصنف ، منها : « المدهش » و « تلقيح فهم أهل الآثار » و « الأذكياء » و « روح الأرواح » و « تلبس إبليس » و « فنون الأفتان من عيون علوم القرآن » و « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » و « صيد الخاطر » و « الموضوعات » و « أسماء الضعفاء والضعفين » و « زاد المسير في علم التفسير » وغير ذلك .
(أنظر : وفیات الأعيان ٢٧٩/١ . والبداية والنهاية ٢٨/١٣ . ومفتاح السعادة ٢٠٧/١ . وذيل الروضتين ٢١ . وابن الوردي ١١٨/٢ . وآداب اللغة ٩١/٣ . ومرآة الزمان ٤٨١/٨ . والكامل لابن الأثير ٢٢٨/١٠ . والأعلام ٣١٧/٣) .

(٣) هو : محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الملك بن عبد الوهاب ، أبو عبد الله الدامغاني : شيخ الحنفية في زمانه . نعت بقاضي القضاة . ولد بدامغان سنة ٣٩٨ هـ ، وتفقه بها وبنسبها ، ثم بغداد ، وولي بها القضاء ، وطالت أيامه وانتشر ذكره توفي سنة ٤٧٨ هـ . من كتبه : « مسائل الحيطان والطرق » و « الزوائد والنظائر » في غريب القرآن .

(أنظر : الجواهر المضية ٩٦/٢ . واللباب ٤٠٦/١ . ومعجم البلدان ٢٧/٤ . والوافي ١٣٩/٤ . والأعلام ٢٧٦/٦) .

وأبو الحسين بن فارس^(١) ، وسمى كتابه «الأفراد» .

فالوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ؛ كلفظ « الأمة » ،
والنظائر : كالألفاظ المتواطئة .

وقيل : النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعاني ؛ وضَعْفٌ ؛ لأنه لو أُريد
هذا لكان الجمعُ في^(٢) الألفاظ المشتركة ؛ وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ
الذي معناه واحد في مواضع كثيرة ؛ فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر
نوعاً آخر : كالأمثال .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ؛ حيث كانت الكلمة
الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل ؛ ولا يوجد ذلك في كلام
البشر .

وذكر مُقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً : « لا يكون الرجل فقيهاً كلَّ
الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة »^(٣) .
فمنه « الهدى » سبعة عشر حرفاً :

بمعنى البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾^(٤) .

(١) هو : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب .
قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان . ولد سنة
٣٢٩ هـ ، وتوفي في الري سنة ٣٩٥ هـ . من كتبه : «مقاييس اللغة» و«المجمل»
و«الصاحبي» و«جامع التأويل» و«النيروز» و«متخير الألفاظ» و«العلامات»
و«الفصيح» وغير ذلك .

(أنظر : ابن خلكان ٣٥/١ . والأنباري ٣٩٢ . وبتيمة الدهر ٢١٤/٣ . وآداب اللغة
٣٠٩/٢ . ودائرة المعارف الإسلامية ٢٤٧/١ . والأعلام ١٩٣/١) .

(٢) في ب ، ج : « بين » .

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ : « لا يفقه الرجل كل الفقه حتى
يرى للقرآن وجوهاً كثيرة » كما في «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي ١٤١/١ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٥ .

- وبمعنى الدين : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ (١) .
- وبمعنى الإيمان : ﴿ وَزَيْدَ اللَّهِ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدَىٰ ﴾ (٢) .
- وبمعنى الداعي : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (٣) . ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (٤) .
- وبمعنى الرسل والكتب : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَىٰ ﴾ (٥) .
- وبمعنى المعرفة : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٦) .
- وبمعنى الرشاد : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٧) .
- وبمعنى محمد ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ (٨) . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ (٩) .
- وبمعنى القرآن : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ (١٠) .
- وبمعنى التوراة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ ﴾ (١١) .
- وبمعنى الاسترجاع : ﴿ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمَهْتَدُونَ ﴾ (١٢) ؛ ونظيرها في التغابن : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ (١٣) أي في المصيبة أنها من عند الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (١٤) للاسترجاع .
- وبمعنى الحجة : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ بعد قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ

-
- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : آل عمران . آية : ٧٣ . | (٨) سورة : البقرة . آية : ١٥٩ . |
| (٢) سورة : مريم . آية : ٧٦ . | (٩) سورة : محمد . آية : ٣٢ . |
| (٣) سورة : الرعد . آية : ٧ . | (١٠) سورة : النجم . آية : ٢٣ . |
| (٤) سورة : الأنبياء . آية : ٧٣ . | (١١) سورة : غافر . آية : ٥٣ . |
| (٥) سورة : البقرة . آية : ٣٨ . | (١٢) سورة : البقرة . آية : ١٥٧ . |
| (٦) سورة : النحل . آية : ١٦ . | (١٣) سورة : التغابن . آية : ١١ . |
| (٧) سورة : الفاتحة . آية : ٦ . | (١٤) سورة : التغابن . آية : ١١ . |

إلى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴿١﴾ ، أَي لَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحِجَّةِ .
 وبمعنى التوحيد : ﴿ إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ ﴾ (٢) .
 وبمعنى السَّنة : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٣) .
 وبمعنى الإِصْلَاح : ﴿ وَأَنْ لِّلَّهِ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٤) .
 وبمعنى الإِلْهَام : ﴿ أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (٥) ، هَدَى كُلًّا فِي
 مَعِيشَتِهِ .

وبمعنى التوبة : ﴿ إِنَّا هُذِنَا إِلَيْكَ ﴾ (٦) أَي تَبْنَا .

وهذا كثير الأنواع .

وقال ابن فارس في كتاب « الأفراد » :

كل ما في كتاب الله من ذكر « الأسف » فمعناه الحزن ؛ كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام : « يَا أَسْفَا عَلَى يَوْسَفَ ﴾ (٧) إلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ (٨) . فإن معناه « أغضبونا » (٩) ؛ وأما قوله في قصة موسى عليه السلام : ﴿ غَضِبَانَ أَسْفًا ﴾ (١٠) فقال ابن عباس : « مغتاظاً » .

وكل ما في القرآن من ذكر « البروج » فإنها الكواكب ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ (١١) إلا التي في سورة النساء : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجِ مُشَيَّدَةٍ ﴾ (١٢) ، فإنها القصور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة .

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ . | (٨) سورة : الزخرف . آية : ٥٥ . |
| (٢) سورة : القصص . آية : ٥٧ . | (٩) في ب : « تغضبونا » . |
| (٣) سورة : الزخرف . آية : ٢٢ . | (١٠) سورة : الأعراف . آية : ١٥٠ . |
| (٤) سورة : يوسف . آية : ٥٢ . | وسورة : طه . آية : ٨٦ . |
| (٥) سورة : طه . آية : ٥٠ . | (١١) سورة : البروج . آية : ١ . |
| (٦) سورة : الأعراف . آية : ١٥٦ . | (١٢) سورة : النساء . آية : ٧٨ . |
| (٧) سورة : يوسف . آية : ٨٤ . | |

وما في القرآن من ذكر « البر » و « البحر » فإنه يراد بالبحر الماء ، وبالبرّ
التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ ﴾ (١) فإنه بمعنى البرية والعمران .

وقال بعض علمائنا : ﴿ في البرِّ ﴾ قتل ابن آدم أخاه ، وفي ﴿ البحرِ ﴾
أخذ الملك كل سفينة غصباً .

والبخس في القرآن النقص ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
وَلَا رَهَقًا ﴾ (٢) إلا حرفاً واحداً في سورة يوسف : ﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ ﴾ (٣) ؛ فإن أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ ﴾ (٤) إلا حرفاً واحداً في الصافات : ﴿ أَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ (٥) ، فإنه أراد
صنماً .

وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالإيمان ؛ كقوله :
﴿ صُمُّ بُكْمٌ ﴾ (٦) ؛ إنما أراد ﴿ بَكْمٌ ﴾ عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم ؛
إلا حرفين : أحدهما في سورة بني إسرائيل : ﴿ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ (٧)
والثاني في سورة النحل : قوله عز وجل : ﴿ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ ﴾ (٨) فإنهما في
هذين الموضوعين : اللذان لا يقدران على الكلام .

وكل شيء في القرآن : ﴿ جَثِيًّا ﴾ فمعناه « جميعاً » إلا التي في سورة
الشريعة : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ (٩) فإنه أراد تجثو على ركبتيها .

وكل حرف في القرآن « حسابان » فهو من العدد ، غير حرف في سورة

(١) سورة : الروم . آية : ٤١ . (٦) سورة : البقرة . آية : ١٨ .

(٢) سورة : الجن . آية : ١٣ . (٧) سورة : الإسراء . آية : ٢٨ .

(٣) سورة : يوسف . آية : ٢٠ . (٨) سورة : النحل . آية : ٧٦ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٢٨ . (٩) سورة : الجاثية . آية : ٢٨ .

(٥) سورة : الصافات . آية : ١٢٥ .

الكهف : ﴿ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ (١) فإنه بمعنى العذاب .

وكل ما في القرآن : « حَسْرَةً » فهو الندامة ؛ كقوله عز وجل : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ (٢) إلا التي في سورة آل عمران : ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٣) فإنه يعني به « حزنا » .

وكل شيء في القرآن : « الدَّحْضُ » و « الدَّاحِضُ » فمعناه الباطل ؛ كقوله : « حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ (٤) ، إلا التي في سورة الصافات : ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (٥) .

وكل حرف في القرآن من « رجز » فهو العذاب ؛ كقوله تعالى في قصة بني إسرائيل : ﴿ لَئِنْ كَشَفْتُمْ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ (٦) إلا في سورة المدثر : ﴿ وَالرُّجْزُ فَاهْجُرْ ﴾ (٧) فإنه يعني : الصنم ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء في القرآن من « ريب » فهو شك ، غير حرف واحد ؛ وهو قوله تعالى : « نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ (٨) فإنه يعني حوادث الدهر .

وكل شيء في القرآن : « يَرْجُمَنَّكُمْ » و « يَرْجُمُوكُمْ » فهو القتل ، غير التي في سورة مريم عليها السلام : ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ (٩) يعني لأشتمنك .

قلت : وقوله : ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ (١٠) أي ظناً . والرجم أيضاً : الطرد واللعن ؛ ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شيء في القرآن من « زور » فهو الكذب ؛ ويراد به الشرك ؛ غير التي في المجادلة : ﴿ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ (١١) ، فإنه كذب غير شرك .

-
- | | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الكهف . آية : ٤٠ . | (٧) سورة : المدثر . آية : ٥ . |
| (٢) سورة : يس . آية : ٣٠ . | (٨) سورة : الطور . آية : ٣٠ . |
| (٣) سورة : آل عمران . آية : ١٥٦ . | (٩) سورة : مريم . آية : ٤٦ . |
| (٤) سورة : الشورى . آية : ١٩ . | (١٠) سورة : الكهف . آية : ٢٢ . |
| (٥) سورة : الصافات . آية : ١٤١ . | (١١) سورة : المجادلة . آية : ٢ . |
| (٦) سورة : الأعراف . آية : ١٣٤ . | |

وكل شيء في القرآن من « زكاة » فهو المال ، غير التي في سورة مريم : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴾ (١) ؛ فإنه يعني « تعطفاً » .

وكل شيء في القرآن من « زاغوا » ولا « تُزغُ » فإنه من « مالوا » ولا « تمل » غير واحد في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٢) بمعنى « شَخَصَتْ » .

وكل شيء في القرآن من « يَسْخَرُونَ » و« سخرنا » فإنه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (٣) ، فإنه أراد أعواناً (٤) وخدماءً .

وكل سكينه في القرآن طمأنينه في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٥) ، فإنه يعني شيئاً كرأس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .

وكل شيء في القرآن من ذكر « السعير » فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ (٦) ، فإنه العناد .

وكل شيء في القرآن من ذكر « شيطان » فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ (٧) ؛ فإنه يريد كهنتهم ؛ مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأبي ياسر أخيه .

وكل « شهيد » في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس ، إلا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ (٨) ، فإنه يريد شركاءكم .

-
- (١) سورة : مريم . آية : ١٣ . (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٤٨ .
(٢) سورة : الأحزاب . آية : ١٠ . (٦) سورة : القمر . آية : ٤٧ .
(٣) سورة : الزخرف . آية : ٣٢ . (٧) سورة : البقرة . آية : ١٤ .
(٤) في أ : « عوناً » . (٨) سورة : البقرة . آية : ٢٣ .

وكل ما في القرآن من « أصحاب النار » فهم أهل النار إلا قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ (١) فإنه يريد خزنتها .

وكل « صلاة » في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى : ﴿ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ ﴾ (٢) فإنه يريد بيوت عباداتهم .

وكل « صمم » في القرآن فهو عن الاستماع للإيمان ، غير واحد في بني إسرائيل ، قوله عز وجل : ﴿ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ (٣) ، معناه لا يسمعون شيئاً .

وكل « عذاب » في القرآن فهو التعذيب إلا قوله عز وجل : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا ﴾ (٤) فإنه يريد الضرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : ﴿ كُلُّ لَهْ قَانِتُونَ ﴾ (٥) معناه « مقرّون » ، وكذلك في سورة الروم : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهْ قَانِتُونَ ﴾ (٦) ، يعني مقرّون بالعبودية .

وكل « كنز » في القرآن فهو المال إلا الذي في سورة الكهف : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ (٧) فإنه أراد صحفاً وعلماً .

وكل « مصباح » في القرآن فهو الكوكب إلا الذي في سورة النور : ﴿ الْمَصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ ﴾ (٨) ، فإنه السراج نفسه .

النكاح في القرآن الزوج ؛ إلا قوله جعل ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذْ بَلَغُوا النَّكَاحَ ﴾ (٩) فإنه يعني : الحُلم .

الأنباء والأنباء في القرآن الأخبار ؛ إلا قوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ﴾ (١٠) ؛ فإنه بمعنى : الحجج .

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : المدثر . آية : ٣١ . | (٦) سورة : الروم . آية : ٢٦ . |
| (٢) سورة : الحج . آية : ٤٠ . | (٧) سورة : الكهف . آية : ٨٢ . |
| (٣) سورة : الإسراء . آية : ٩٧ . | (٨) سورة : النور . آية : ٣٥ . |
| (٤) سورة : النور . آية : ٢ . | (٩) سورة : النساء . آية : ٦ . |
| (٥) سورة : البقرة . آية : ١١٦ . | (١٠) سورة : القصص . آية : ٦٦ . |

الورود في القرآن الدخول ، إلا في القصص : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ (١) ، يعني : هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) ؛ يعني : عن العمل إلا التي في سورة النساء ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (٣) يعني النفقة .

وكل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا التي في الرعد ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٤) أي : ألم يعلموا .

قال ابن فارس : أنشدني أبي ، فارس بن زكريا :

أقول لهم بالشَّعبِ إذ ييسرونني ألم تيسسوا أني ابن فارس زهدم

قال الصاغاني (٥) : البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي .

وكل شيء في القرآن من ذكر « الصبر » محمود ، إلا قوله عز وجل : ﴿ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ (٦) ، و ﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾ (٧) . انتهى ما ذكره ابن فارس .

وزاد غيره : كل شيء في القرآن : « لعلكم » فهو بمعنى « لكي » غير واحد في الشعراء ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ (٨) فإنه للتشبيه ؛ أي كأنكم .

(١) سورة : القصص . آية : ٢٣ . (٣) سورة : النساء . آية : ٧ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٦ . (٤) سورة : الرعد . آية : ٣١ .

(٥) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني ، الحنفي رضي الدين : أعلم أهل عصره في اللغة . وكان فقيهاً محدثاً . ولد في لاهور سنة ٥٧٧ هـ . ، وتوفي ودفن في بغداد سنة ٦٥٠ . من كتبه : « مجمع البحرين » و « التكملة » و « العباب » و « الأضداد » و « مشارق الأنوار » في الحديث « شرح صحيح البخاري » وغير ذلك .

(أنظر : الفوائد البهية ٦٣ . والنجوم الزاهرة ٢٦/٧ . والجواهر المضية ٢٠١/١ .

ونزهة الخواطر ١٣٧/١ . وآداب اللغة ٤٩/٣ . والأعلام ٢١٤/٢) .

(٦) سورة : الفرقان . آية : ٤٢ . (٨) سورة : الشعراء . آية : ١٢٩ .

(٧) سورة : ص . آية : ٦ .

وكل شيء في القرآن « أقسطوا » فهو بمعنى العدل ، إلا واحد في الجن : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (١) . يعني العادلين الذين يعدلون به غيره ؛ هذا باعتبار صورة اللفظ ؛ وإلا فمادة الرباعي تخالف مادة الثلاثي .

وكل « كسف » في القرآن يعني جانباً من السماء غير ، واحد في سورة الروم : ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾ (٢) يعني السحاب قطعاً .

وكل « ماء معين » فالمراد به الماء الجاري ؛ غير الذي في سورة تبارك (٣) ؛ فإن المراد به الماء الطاهر الذي تناله الدلاء ؛ وهي زمزم .

وكل شيء في القرآن « لثلاً » فهو بمعنى « كيلا » غير واحد في الحديد : ﴿ لِثْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ (٤) ؛ يعني لكي يعلم .

وكل شيء في القرآن « من الظلمات إلى النور » فهو بمعنى الكفر والإيمان ؛ غير واحد في أول الأنعام : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (٥) يعني ظلمة الليل ونور النهار .

وكل « صوم » في القرآن فهو الصيام المعروف ، إلا الذي في سورة مريم : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ (٦) يعني صمتاً .

وذكر أبو عمرو الداني في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ (٧) أن المراد بالحضور هنا المشاهدة . قال : وهو بالطاء بمعنى المنع والتحويط ، قال : ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (٨) .

(١) سورة : الجن . آية : ١٥ . (٦) سورة : مريم . آية : ٢٦ .

(٢) سورة : الروم . آية : ٤٨ . (٧) سورة : الأعراف . آية : ١٦٣ .

(٣) سورة : تبارك . آية : ٣٠ . (٨) سورة : القمر . آية : ٣١ .

(٤) سورة : الحديد . آية : ٢٩ .

(٥) سورة : الأنعام . آية : ١ .

قيل : وكل شيء في القرآن : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فقد أخبرنا به ، وما فيه :
﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فلم يخبرنا به ؛ حكاه البخاري رحمه الله في تفسيره . واستدرك
بعضهم عليه موضعاً ، وهو قوله : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

وقيل : الإنفاق حيث وقع في القرآن فهو الصدقة ؛ إلا في قوله تعالى :
﴿ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ (٢) فإن المراد به المهر ؛ وهو
صدقة في الأصل ؛ تصدق الله بها على النساء .

(١) سورة : الشورى . آية : ١٧ .

(٢) سورة : الممتحنة . آية : ١١ .

٥ - النوع الخامس علم المتشابه

وقد صنف فيه جماعة ، ونظمه السخاوي^(١) ، وصنف في توجيهه الكرماني^(٢) كتاب « البرهان » ، والرازي^(٣) كتاب « درة التأويل » وأبو جعفر بن الزبير ، وهو أبسطها في مجلدين .

(١) هو : علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري ، السخاوي ، الشافعي ، أبو الحسن ، علم الدين : عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير ، أصله من « سخا » بمصر ، سكن دمشق ، وتوفي فيها سنة ٦٤٣ هـ ، من كتبه : « جمال القراء وكمال الإقراء » و« هداية المرتاب » و« المفصل » و« سفر السعادة » و« الكوكب الوقاد » وغير ذلك .

(أنظر : بغية الوعاة ٣٤٩ . والخطط لمبارك ١٥/٢ . وغاية النهاية ٥٦٨/١ . وابن خلكان ٣٤٥/١ . وخزانة البغدادي ٥٢٩/٢ . ومرآة الزمان ٧٥٨/٨ . وطبقات السبكي ١٢٦/٥ . وإنباه الرواة ٣١١/٢ . والأعلام ٣٢٢/٤) .

(٢) هو : محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم ، برهان الدين الكرماني ، ويعرف بتاج القراء : عالم بالقراءات . نقل في التفسير آراء مستنكرة في معرض التحذير منها ، كان الأولى إهمالها ، توفي حوالي سنة ٥٠٥ هـ . من كتبه : « لباب التأويل » و« خط المصاحف » و« البرهان في متشابه القرآن » و« شرح اللمع لابن جني » و« الإيجاز » . (أنظر : غاية النهاية ٢٩١/٢ . وإرشاد الأريب ١٤٦/٧ . ومفتاح السعادة ٤٢١/١ . والإتقان ٢٢١/٢ . وكشف الظنون ١٣١ ، ١٥٦٢ . وهدية العارفين ٤٠٢/٢ . والأعلام ١٦٨/٧) .

(٣) في ح : « الدارمي » خطأ .

وهو إيراد القصة الواحدة في صُورٍ شتى وفواصلٍ مختلفة . ويكثرُ في إيراد القصص والأنباء ، وحكمته التصرفُ في الكلام وإتيانه على ضروب ؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طُرُق ذلك : مبتدأ به ومتكرراً ، وأكثر أحكامه تثبت من وجهين ، فلهذا جاء باعتبارين . وفيه فصول :

الفصل الأوّل باعتبار الأفراد

وهو على أقسام :

- ١ - الأول : أن يكون في موضعٍ على نظمٍ ، وفي آخرٍ على عكسه :
وهو يشبه ردّ العجز على الصّدر ؛ ووقع في القرآن منه كثير .
ففي البقرة : ﴿ وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ (١) .
وفي الأعراف : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ (٢) .
في البقرة : ﴿ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾ (٣) .
وفي الحج : ﴿ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى ﴾ (٤) .
في البقرة والأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ (٥) .
وفي آل عمران : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ (٦) .
في البقرة : ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٧) .

-
- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٥٨ . | (٥) سورة : البقرة . آية : ١٢٠ . |
| (٢) سورة : الأعراف . آية : ١٦١ . | وسورة : الأنعام . آية : ٧١ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ٦٢ . | (٦) سورة : آل عمران . آية : ٧٣٠ . |
| (٤) سورة : الحج . آية : ١٧ . | (٧) سورة : البقرة . آية : ١٤٣ . |

- وفي الحج : ﴿ شَهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .
- في البقرة : ﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾ (٢) .
- وباقى القرآن : ﴿ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (٣) .
- في البقرة : ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ (٤) .
- وفي إبراهيم : ﴿ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ (٥) .
- في آل عمران : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ (٦) .
- وفي الأنفال : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ (٧) .
- في النساء : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (٨) .
- وفي المائدة : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (٩) .
- في الأنعام : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١٠) .
- وفي حم المؤمن : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١١) .
- في الأنعام : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (١٢) .
- وفي بني إسرائيل : ﴿ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (١٣) .
- في النحل : ﴿ وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴾ (١٤) .

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : الحج . آية : ٧٨ . | (٧) سورة : الأنفال . آية : ١٠ . |
| (٢) سورة : البقرة . آية : ١٧٣ . | (٨) سورة : النساء . آية : ١٣٥ . |
| (٣) سورة : المائدة . آية : ٣ . | (٩) سورة : المائدة . آية : ٨ . |
| وسورة : النحل . آية : ١١٥ . | (١٠) سورة : الأنعام ، آية : ١٠٢ . |
| وسورة : الأنعام . آية : ١٤٥ . | (١١) سورة : غافر . آية : ٦٢ . |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٢٦٤ . | (١٢) سورة : الأنعام . آية : ١٥١ . |
| (٥) سورة : إبراهيم . آية : ١٨ . | (١٣) سورة : الإسراء . آية : ٣١ . |
| (٦) سورة : آل عمران . آية : ١٢٦ . | (١٤) سورة : النحل . آية : ١٤ . |

- وفي فاطر : ﴿ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴾ (١) .
- في بني إسرائيل : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ (٢) .
- وفي الكهف : ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) .
- في بني إسرائيل : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٤) .
- وفي العنكبوت : ﴿ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٥) .
- في المؤمنين : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (٦) .
- وفي النمل : ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (٧) .
- في القصص : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ (٨) .
- وفي يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ (٩) .
- في آل عمران : ﴿ قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ (١٠) .

وفي كهيعص : ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (١١) .

٢ - الثاني : ما يشبهه بالزيادة والنقصان :

في البقرة : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (١٢) .

وفي يس : ﴿ وَسَوَاءٌ ﴾ (١٣) بزيادة « واو » ، لأن ما في البقرة جملة هي خبرٌ عن أسم « إن » ، وما في يس جملة عطفٌ بالواو على جملة .

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : فاطر . آية : ١٢ . | (٨) سورة : القصص . آية : ٢٠ . |
| (٢) سورة : الإسراء . آية : ٨٩ . | (٩) سورة : يس . آية : ٢٠ . |
| (٣) سورة : الكهف . آية : ٥٤ . | (١٠) سورة : آل عمران . آية : ٤٠ . |
| (٤) سورة : الإسراء . آية : ٩٦ . | (١١) سورة : مريم . آية : ٨ . |
| (٥) سورة : العنكبوت . آية : ٥٢ . | (١٢) سورة : البقرة . آية : ٦ . |
| (٦) سورة : المؤمنون . آية : ٨٣ . | (١٣) سورة : يس . آية : ١٠ . |
| (٧) سورة : النمل . آية : ٦٨ . | |

في البقرة : ﴿ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (١) .

وفي غيرها بإسقاط ﴿ مِنْ ﴾ لأنها للتبويض ؛ ولما كانت سورة البقرة سَنَام القرآن وأوَّله بعد الفاتحة حَسُنَ دخول ﴿ مِنْ ﴾ فيها ؛ لِيُعْلَمَ أن التحدي واقِع على جميع القرآن مِن أوَّله إلى آخره ، بخلاف غيرها من السُّور ، فإنه لو دخلها ﴿ مِنْ ﴾ لكان التحدي واقِعاً على بعض السُّورِ دونَ بعض ، ولم يكن ذلك بالسَّهل .

في البقرة : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾ (٢) .

وفي طه : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ (٣) ، لأجل قوله هناك : ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ (٤) .

في البقرة : ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ (٥) ، بغير « واو » على أنه بدلٌ من ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ (٦) ، ومثله في الأعراف ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾ (٧) .

وفي إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ (٨) بالواو ، لأنه من كلام موسى عليه السلام ، يعدد المحن عليهم .

في البقرة : ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٩) .

وفي آل عمران : ﴿ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٠) .

في البقرة : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً ﴾ (١١) ، ثم قال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضاً ﴾ (١٢) .

(٧) سورة : الأعراف . آية : ١٤١ .

(٨) سورة : إبراهيم . آية : ٦ .

(٩) سورة : البقرة . آية : ٥٧ .

(١٠) سورة : آل عمران . آية : ١١٧ .

(١١) سورة : البقرة . آية : ١٨٥ .

(١٢) سورة : البقرة . آية : ١٩٦ .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٣ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٣٨ .

(٣) سورة : طه . آية : ١٢٣ .

(٤) سورة : طه . آية : ١٠٨ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٤٩ .

(٦) سورة : الأعراف . آية : ١٤١ .

في البقرة : ﴿ وَيُكْفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) ،
وسائر ما في القرآن بإسقاط ﴿ مِنْ ﴾ .

وفيها : ﴿ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ (٢) .

وفي آل عمران : ﴿ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ (٣) .

قالوا : وجميع ما في القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالفاء ، إلا
قوله تعالى في طه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي
نَسْفًا ... ﴾ (٤) ، الآية ؛ لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال ، وفي طه
كانت قبل السؤال . وكأنه قيل : إن سئلت عن الجواب فقل .

في الأعراف : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ (٥) ، بغير «واو» ، وليس في القرآن غيره .
في البقرة : ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (٦) .

وفي الأنفال : ﴿ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٧) .

في آل عمران : ﴿ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٨) .

وفي المائدة : ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٩) .

في آل عمران : ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١٠) بياء واحدة
إلا في قراءة ابن عامر .

وفي فاطر : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١١) بثلاث بئات .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٧١ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٧٤ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٧٧ .

(٤) سورة : طه . آية : ١٠٥ .

(٥) سورة : الأعراف . آية : ٥٩ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ١٩٣ .

(٧) سورة : الأنفال . آية : ٣٩ .

(٨) سورة : آل عمران . آية : ٦٤ .

(٩) سورة : المائدة . آية : ١١١ .

(١٠) سورة : آل عمران . آية : ١٨٤ .

(١١) سورة : فاطر . آية : ٢٥ .

في آل عمران : ﴿ هَأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ (١) وسائر ما في القرآن : ﴿ هؤلاء ﴾ بإثبات الهاء .

في النساء : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) بالواو .

وفي ﴿ براءة ﴾ (٣) ﴿ ذلك ﴾ بغير واو .

في النساء : ﴿ فَاَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ (٤) .

وفي المائدة بزيادة ﴿ منه ﴾ (٥) .

في الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (٦) ، فكرر ﴿ لَكُمْ ﴾ .

وقال في هود : ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (٧) ؛ لأنه تكرر ﴿ لكم ﴾ في قصته أربع مرات فاكتفى بذلك .

في الأنعام : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٨) .

وفي القلم : ﴿ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٩) بزيادة الباء ولفظ الماضي .

وفي النجم : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴾ (١٠) .

في الأنعام : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (١١) .

وفي سورة المؤمنين بزيادة ﴿ نُمُوتُ ﴾ (١٢) ، وفيها أيضاً : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ

(١) سورة : آل عمران . آية : ١١٩ . (٧) سورة : هود . آية : ٣١ .

(٢) سورة النساء . آية : ١٣ . (٨) سورة : الأنعام . آية : ١١٧ .

(٣) سورة : التوبة . آية : ١ . (٩) سورة : القلم . آية : ٧ .

(٤) سورة : النساء . آية : ٤٣ . (١٠) سورة : النجم . آية : ٣٠ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٦ . (١١) سورة : الأنعام . آية : ٢٩ .

(٦) سورة : الأنعام . آية : ٥٠ . (١٢) سورة : المؤمنون . آية : ٣٧ .

إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾ ليس فيها غيره . وفيها : ﴿ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ (٢) .

وفي فاطر : ﴿ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) ، بإثبات ﴿ في ﴾ .

في الأعراف : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ (٤) .

وفي ص : ﴿ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ (٥) .

وفي الحجر : ﴿ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٦) فزاد ﴿ لا ﴾ .

في الأعراف : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ (٧) بالفاء ، وكذا حيث وقع ، إلا في يونس (٨) .

في الأعراف : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ (٩) بغير واو .

وفي المؤمنين ، وهود : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ بالواو (١٠) .

في الأعراف : ﴿ كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ (١١) .

وفي يونس بزيادة ﴿ به ﴾ (١٢) .

في الأعراف : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ (١٣) .

وفي الشعراء بزيادة ﴿ بِسِحْرِهِ ﴾ (١٤) .

في هود : ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا ﴾ (١٥) .

-
- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ١٥٩ . | (٩) سورة : الأعراف . آية : ٥٩ . |
| (٢) سورة : الأنعام . آية : ١٦٥ . | (١٠) سورة : هود . آية : ٢٥ . |
| (٣) سورة : فاطر . آية : ٣٩ . | وسورة المؤمنين . آية : ٢٣ . |
| (٤) سورة : الأعراف . آية : ١٢ . | (١١) سورة : الأعراف . آية : ١٠١ . |
| (٥) سورة : ص . آية : ٧٥ . | (١٢) سورة : يونس . آية : ٧٤ . |
| (٦) سورة : الحجر . آية : ٣٢ . | (١٣) سورة : الأعراف . آية : ١١٠ . |
| (٧) سورة : الأعراف . آية : ٣٤ . | (١٤) سورة : الشعراء . آية : ٣٥ . |
| (٨) سورة : يونس . آية : ٤٩ . | (١٥) سورة : هود . آية : ٦ . |

- وفي إبراهيم : ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا ﴾ (١) .
- في يوسف : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٢) .
- وفي الأنبياء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾ (٣) .
- في النحل : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (٤) .
- وفي العنكبوت : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ (٥) .
- وكذلك حذف « من » من قوله : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (٦) .
- وفي الحج : ﴿ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (٧) .
- في الحج : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٨) .
- وفي السجدة : ﴿ مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٩) .
- في النمل : ﴿ وَآتَى عَصَاكَ ﴾ (١٠) .
- وفي القصص : ﴿ وَأَنْ آتَى عَصَاكَ ﴾ (١١) .
- في العنكبوت : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ (١٢) .
- وفي هود : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ ﴾ (١٣) بغير « أن » .
- في العنكبوت : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ (١٤) بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ ليس غيره .

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : إبراهيم . آية : ٩ . | (٨) سورة : الحج . آية : ٢٢ . |
| (٢) سورة : يوسف . آية : ١٠٩ . | (٩) سورة : السجدة . آية : ٢٠ . |
| (٣) سورة : الأنبياء . آية : ٧ . | (١٠) سورة : النمل . آية : ١٠ . |
| (٤) سورة : النحل . آية : ٦٥ . | (١١) سورة : القصص . آية : ٣١ . |
| (٥) سورة : العنكبوت . آية : ٦٣ . | (١٢) سورة : العنكبوت . آية : ٣٣ . |
| (٦) سورة : النحل . آية : ٧٠ . | (١٣) سورة : هود . آية : ٧٧ . |
| (٧) سورة : الحج . آية : ٥ . | (١٤) سورة : العنكبوت . آية : ٦٣ . |

في سورة المؤمن : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ﴾ (١) ، وفي طه : ﴿ آتِيَةٌ ﴾ (٢) .

في النحل : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وفي الأعراف : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ (٤) .

في المؤمنين : ﴿ موسى وأخاه هارونَ بآياتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ (٥) .

وفي المؤمن بإسقاط ذكر « الأخ » (٦) .

في البقرة : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ (٧) .

وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ (٨) ، بالواو ؛ ووجهه أنه في سورة إبراهيم تقدم ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ ، وهي أوقات عقوبات إلى أن قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٩) ، واللائق أن يعدد امتحانهم تعديداً يؤذن بصدق الجمع عليه لتكثر المنة ؛ ولذلك أتى بالعاطف ليؤذن بأن إسماتهم العذاب مغايرٌ لتذبيح الأبناء وسبِّي النساء ؛ وهو ما كانوا عليه من التسخير ، بخلاف المذكور في البقرة ، فإن ما بعد ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ تفسير له ، فلم يعطف عليه . ولأجل مطابقة السابق جاء في الأعراف : ﴿ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ (١٠) ، ليطابق : ﴿ سَنُقْتِلْ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ (١١) .

٣ - الثالث : التقديم والتأخير :

وهو قريب من الأول ، ومنه في البقرة : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

-
- | | |
|---------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : غافر . آية : ٥٩ . | (٧) سورة : البقرة . آية : ٤٩ . |
| (٢) سورة : طه . آية : ١٥ . | (٨) سورة : إبراهيم . آية : ٦ . |
| (٣) سورة : النحل . آية : ٢٠ . | (٩) سورة : إبراهيم . آية : ٥ . |
| (٤) سورة : الأعراف . آية : ١٩٧ . | (١٠) سورة : الأعراف . آية : ١٤١ . |
| (٥) سورة : المؤمنون . آية : ٤٥ - ٤٦ . | (١١) سورة : الأعراف . آية : ١٢٧ . |
| (٦) سورة : غافر . آية : ٢٣ . | |

الكتاب والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴿١﴾ مؤخر ، وما سواه : ﴿ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٢) .

ومنه تقديم « اللَّعِبِ » على « اللّهُو » في موضعين من سورة الأنعام (٣) ،
وكذلك في القتال (٤) ، والحديد (٥) .

وقدم « اللّهُو » على « اللّعب » في الأعراف (٦) ، والعنكبوت (٧) ، وإنما
قدم اللّعب في الأكثر ، لأن اللّعب زمان الصبا ، واللّهُو زمان الشباب ، وزمانُ
الصبا متقدم على زمان اللّهُو .

تنبيه :

ما ذكره في الحديث : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ﴾ ؛ أي كلعب
الصبيان ، ﴿ ولهُو ﴾ أي كلهُو الشباب ، ﴿ وزينة ﴾ كزينة النساء ، ﴿ وتفاجر ﴾
كتفاجر الإخوان ، ﴿ وتكاثر ﴾ كتكاثر السُّلطان . وقريب منه في تقديم اللّعب
على اللّهُو قوله : ﴿ وما بَيْنَهُمَا لِاعْيِينِ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًّا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ
لَدُنَّا ﴾ (٨) .

وقدم « اللّهُو » في الأعراف ؛ لأن ذلك يوم القيامة ، فذكر على ترتيب
ما انقضى ، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين .

وأما العنكبوت فالمراد بذكرهما زمان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء قليل
البقاء . ﴿ وأن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ (٩) ؛ أي الحياة التي لا أبد لها
ولانهاية لأبدها ؛ فبدأ بذكر اللّهُو ، لأنه في زمان الشباب ، وهو أكثر من زمان
اللّعب ؛ وهو زمان الصِّبَا .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٢٩ .

(٢) سورة : الجمعة . آية : ٢ .

(٣) سورة : الأنعام . آية : ٣٢ .

(٤) سورة : محمد . آية : ٣٦ .

(٥) سورة : الحديد . آية : ٢٠ .

(٦) سورة : الأعراف . آية : ٥١ .

(٧) سورة : العنكبوت . آية : ٦٤ .

(٨) سورة : الأنبياء . آية : ١٦ - ١٧ .

(٩) سورة : العنكبوت . آية : ٦٤ .

ومنه تقديم لفظ « الضرر » على « النفع » في الأكثر ، لأن العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً ، ثم طمعاً في ثوابه .

وحيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع ؛ وذلك في سبعة مواضع :

ثلاثة منها بلفظ الاسم ، وهي في الأعراف^(١) ، والرعد^(٢) ، وسبأ^(٣) .
وأربعة بلفظ الفعل ، وهي في الأنعام ، وهي في الأعراف^(٤) .
وفي آخر يونس : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾^(٥) . وفي الأنبياء :
﴿ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾^(٦) . وفي الفرقان : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾^(٧) .

أما في الأعراف فلتقدم قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ
يُضِلِّ ﴾^(٨) فقدم الهداية على الضلال ، وبعد ذلك : ﴿ لَأَسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ
وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾^(٩) فقدّم الخير على السوء ، وكذا قدم النفع على الضرر .

أما في الرعد فلتقدم « الطوع » في قوله : ﴿ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾^(١٠) .
وأما في سبأ فلتقدم « البسط » في قوله : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ ﴾^(١١) .

وفي يونس قدم الضرر على الأصل ولموافقة ما قبلها فإن فيها :
﴿ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾^(١٢) وفيها : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ ﴾^(١٣)

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الأعراف . آية : ١٨٨ . | (٨) سورة : الأعراف . آية : ١٧٨ . |
| (٢) سورة : الرعد . آية : ١٦ . | (٩) سورة : الأعراف . آية : ١٨٨ . |
| (٣) سورة : سبأ . آية : ٤٢ . | (١٠) سورة : فصلت . آية : ١١ . |
| (٤) سورة : الأنعام . آية : ٧١ . | (١١) سورة : سبأ . آية : ٣٦ . |
| (٥) سورة : يونس . آية : ١٠٦ . | (١٢) سورة : يونس . آية : ١٨ . |
| (٦) سورة : الأنبياء . آية : ٦٦ . | (١٣) سورة : يونس . آية : ١٢ . |
| (٧) سورة : الفرقان . آية : ٥٥ . | |

فتكون الآية ثلاث مرات .

وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمن نفعاً .

أما الأنعام ففيها : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ، وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ (١) ، ثم وصله بقوله : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ (٢) .

وفي يونس تقدم قوله : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ (٤) .

وفي الأنبياء ، تقدم قول الكفار لإبراهيم في المجادلة : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٥) .

وفي الفرقان تقدم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (٦) نعماً جمّة في الآيات ، ثم قال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ (٧) .

فتأمل هذه المواضع المطردة التي هي أعظم اتساقاً من العقود . ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ (٨) .

ثم قال سبحانه في السورة : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً . . . ﴾ الآية (٩) .

-
- | | |
|---------------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ٧٠ . | (٦) سورة : الفرقان . آية : ٤٥ . |
| (٢) سورة : الأنعام . آية : ٧١ . | (٧) سورة : الفرقان . آية : ٥٥ . |
| (٣) سورة : يونس . آية : ١٠٢ . | (٨) سورة : البقرة . آية : ٤٨ . |
| (٤) سورة : يونس . آية : ١٠٦ . | (٩) سورة : البقرة . آية : ١٢٣ . |
| (٥) سورة : الأنبياء . آية : ٦٥ - ٦٦ . | |

وفيها سؤالان :

أحدهما : أنه سبحانه في الأولى قدم نفي قبول الشفاعة على أخذ العدل ، وفي الثاني قدم نفي قبول العدل على الشفاعة .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى قال في الأولى : ﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾^(١) وفي الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾^(٢) فغاير بين اللفظين ، فهل ذلك لمعنى يترتب عليه ، أو من باب التوسّع في الكلام ، والتنقل من أسلوب إلى آخر كما جرت عادة العرب ؟

والجواب : أن القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لكنه يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٣) ولم يقل « من رحمّن ، ولا رحيم » ، للتخصيص على أنه لا بدّ من الحكمة ؛ وهاتان الآيتان كلاهما في حق بني إسرائيل ، وكانوا يقولون : إنهم أبناء الأنبياء وأبناء آبائهم ، وسيشفع لنا أبأؤنا ، فأعلمهم الله أنه لا تنفعهم الشفاعة ، ولا تجزي نفس عن نفس شيئاً .
وتعلّق بهذه الآية المعتزلة على نفي الشفاعة ، كما ذكره الزمخشري ؛ وأجاب عنها أهل السنة بأجوبة كثيرة ليس هذا محلّها .

وذكر الله في الآيتين « النفس » متكرّرة ، ثم أتى بضمير يحتمل رجوعه إلى الأولى أو إلى الثانية ، وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ؛ ولكن قد يعود إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَزَّزُوا وَتَوَقَّروْهُ وَتَسْبَحُوْهُ بِكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾^(٤) فالضمير في التعزير والتوقير راجع إلى النبي ﷺ ، وفي التسبيح عائد إلى الله تعالى ، وهو متقدم على ذكر النبي ﷺ ، فعاد الضمير على غير الأقرب .

(١) سورة : البقرة . آية : ٤٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٢٣ .

(٣) سورة : هود . آية : ٢ .

(٤) سورة : الفتح . آية : ٩ .

إذا علمت ذلك ، فقوله في الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (١) الضمير راجع إلى النفس الأولى وهي الشفاعة لغيرها .

فلما كان المراد في هذه الآية ذكر الشفاعة للمشفوع له ، أخبر أن الشفاعة غير مقبولة للمشفوع احتقاراً له وعدم الاحتفاء به ؛ وهذا الخبر يكون باعثاً للسامع في ترك الشفاعة إذا علم أن المشفوع عنده لا يقبل شفاعته ، فيكون التقدير على هذا التفسير : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (٢) « لو شفعت » ، يعني : وهم لا يشفعون ، فيكون ذلك مؤسباً لهم فيما زعموا أن آباءهم الأنبياء يتفعونهم من غير عمل منهم .

وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ (٣) إن جعلنا الضمير في ﴿ مِنْهَا ﴾ راجعاً إلى الشافع أيضاً ، فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يدفع إلى المشفوع عنده شيئاً ليكون مؤكداً لقبول شفاعته ، فمن هذا قدم ذكر الشفاعة على دفع العدل ؛ وإن جعلنا الضمير راجعاً إلى المشفوع فيه فهو أحرى بالتأخير ، ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قبلت ، فتقديم العدل ليكون ذلك مؤسباً لحصول مقصود الشفاعة ، وهو ثمرتها للمشفوع فيه .

وأما الآية الثانية : فالضمير في قوله : ﴿ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ راجع إلى النفس الثانية ، وهي النفس التي هي صاحبة الجريمة ، فلا يقبل منها عدل ؛ لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة يكون مقدماً على الشفاعة فيه ؛ ليكون ذلك أبلغ في تحصيل مقصوده ، فناسب ذلك تقديم العدل الذي هو الفدية من المشفوع له على الشفاعة .

ففي هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ؛ وقدم بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه ، ولهذا قال في الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (٤) وفي

(١) سورة : البقرة . آية : ١٢٣ . (٣) سورة : البقرة . آية : ٤٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٤٨ . (٤) سورة : البقرة . آية : ٤٨ .

الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (١) ، لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

وقال الراغب (٢) : إنما كرر ﴿ لَا ﴾ فيهما على سبيل الإنذار بالواعظ إذا وعظ لأمر ، فإنه يكرّر اللفظ لأجله تعظيماً للأمر .

قال : وأما تغييره النظم ، فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة ، لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرق في المعنى .

وقال الإمام فخر الدين : لما كان الناس متفاوتين ، فمنهم مَنْ يختار أن يشفع فيه مقدماً على العدل الذي يخرج به ؛ ومنهم مَنْ يختار العدل مقدماً على الشفاعة ، ذكر سبحانه وتعالى القسمين ؛ فقدم الشفاعة باعتبار طائفة ، وقدم العدل باعتبار أخرى .

قال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى : الظاهر أنه سبحانه وتعالى إنما نفى قبول الشفاعة لانفعها ، ونفى أصل العدل الذي هو الفداء ، وبدأ بالشفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل العدل الذي هو الفداء ، على ما هو المعروف في دار الدنيا ؛ وفي الآية الثانية أنه لما تقرر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم ، الذي هو الخلاص بالعدل ، وثنى بنفع الشفاعة فقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (٣) ولم يقل : لا تقبل منها شفاعة ، وإن كان نفي الشفاعة يستلزم نفي

(١) سورة : البقرة . آية : ١٢٣ .

(٢) هو : الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم ، الأصبهاني المعروف بالراغب : أديب ، من الحكماء العلماء ، من أهل أصبهان ، سكن بغداد ، واشتهر ، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي ، توفي سنة ٥٠٢ هـ . من كتبه : « محاضرات الأدباء » و « الذريعة إلى مكارم الشريعة » و « جامع التفسير » و « المفردات في غريب القرآن » و « حل مشابهاة القرآن » وغير ذلك .

(أنظر : روضات الجنات ٢٤٩ . وكشف الظنون ٣٦/١ . وآداب اللغة ٤٤/٣ .

وسفينة البحار ٥٢٨/١ . وحكماء الإسلام ١١٢ . والأعلام ٢٥٥/٢ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٢٣ .

قبولها ، لأن الشفاعة تكون نافعة غير مقبولة ، وتنفع لأغراض : من وعد بخير ، وإبدال المشفوع بغيره ؛ فنفي النفع أعم ، فلم يكن بين نفي القبول ونفي النفع بالشفاعة تلازم ، كما ادعاه الراغب . وكان التقدير بالفداء الذي هو نفي قبول العدل ونفي نفع الشفاعة شيئين مؤكدين لاستقرار ذلك في الآية الثانية .

ومما يدل على أن نفي الشفاعة أمر زائد على نفي قبولها أنه سبحانه لما أخبر عن المشركين أخبر بنفي النفع ، لا بنفي القبول فقال : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴾ (٢) الآية .

وفي الحديث الصحيح : أنهم قالوا : يا رسول الله ، هل نفعت عمك أبا طالب ؟ فقال : « وجدته فنقلته إلى ضحضاح من النار » (٣) .

مع علمهم أنه لا يشفع فيه . فإن قيل : فقد قال في آخر السورة : ﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ (٤) فنفي الشفاعة ولم ينفع نفعها ؟

قيل : من باب زيادة التأكيد أيضاً ؛ فإنه سبحانه ذكر في هذه الآية الأسباب المنجية في الدنيا ونفاها هناك ، وهي إما البيع الذي يتوصل به الإنسان إلى المقاصد ، أو الخلة التي هي كمال المحبة . وبدأ بنفي المحبة لأنه أعم وقوعاً من الصداقة والمخاللة ، وثنى بنفي الخلة التي هي سبب لنيل الأغراض في الدنيا أيضاً ؛ وذكر ثالثاً نفي الشفاعة أصلاً ، وهي أبلغ من نفي قبولها ؛ فعاد الأمر إلى تكرار الجمل في الآيات ليفيد قوة الدلالة .

(١) سورة : المدثر . آية : ٤٨ .

(٢) سورة : سبأ . آية : ٢٣ .

(٣) أنظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ . وصحيح

البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ٤٠ ، والأدب باب ١١٥ ، والرقائق باب ٥١ .

ومسند الإمام أحمد ١/٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٩/٣ ، ٥٠ ، ٥٥ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٥٤ .

٤ - الرابع : بالتعريف والتنكير :

كقوله في البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (١) وفي آل عمران : ﴿ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ (٢) .

وقوله في البقرة : ﴿ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (٣) ، وفي سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا الْبَلَدُ آمِنًا ﴾ (٤) ؛ لأنه للإشارة إلى قوله : ﴿ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ (٥) ؛ ويكون ﴿ بَلَدًا ﴾ هنا هو المفعول الثاني ، و ﴿ آمِنًا ﴾ صفته ، وفي إبراهيم ﴿ البلد ﴾ مفعول أول ، و ﴿ آمِنًا ﴾ الثاني .

وقوله في آل عمران : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٦) ، وفي الأنفال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧) .

وقوله في حم السجدة : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨) وفي الأعراف : ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٩) ، لأنها في « حم » مؤكدة بالتكرار بقوله : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ (١٠) ؛ فبالغ بالتعريف ، وليس هذا في سورة الأعراف ، فجاء على الأصل : المخبر عنه معرفة والخبر نكرة .

٥ - الخامس : بالجمع والإفراد :

كقوله في سورة البقرة : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ (١١) وفي آل عمران : ﴿ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (١٢) ؛ لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكراً أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو : ﴿ سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ .

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٦١ . | (٧) سورة : الأنفال . آية : ١٠ . |
| (٢) سورة : آل عمران . آية : ١١٢ . | (٨) سورة : فصلت . آية : ٣٦ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ١٢٦ . | (٩) سورة : الأعراف . آية : ٢٠٠ . |
| (٤) سورة : إبراهيم . آية : ٣٥ . | (١٠) سورة : فصلت . آية : ٣٥ . |
| (٥) سورة : إبراهيم . آية : ٣٧ . | (١١) سورة : البقرة . آية : ٨٠ . |
| (٦) سورة : آل عمران . آية : ١٢٦ . | (١٢) سورة : آل عمران . آية : ٢٤ . |

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَائِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١﴾ فجاء في البقرة على الأصل . وفي آل عمران على الفرع ﴿٢﴾ .

٦ - السادس : إبدال حرف بحرف غيره :

كقوله تعالى في البقرة : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا ﴾ ﴿٣﴾ بالواو ، وفي الأعراف : ﴿ فِكْلَا ﴾ ﴿٤﴾ بالفاء ، وحكمته أن ﴿ اسْكُنْ ﴾ في البقرة من السكون الذي هو الإقامة . فلم يصلح إلا بالواو ؛ ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة . والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكناً ، فكانت الفاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمناً متجدداً ، وزاد في البقرة ﴿ رَغْدًا ﴾ لقوله : ﴿ وَقُلْنَا ﴾ ، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها : ﴿ قَالَ ﴾ وذهب قوم إلى أن ما في الأعراف خطابٌ لهما قبل الدخول ، وما في البقرة بعد الدخول .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا ﴾ ﴿٥﴾ بالفاء ، وفي الأعراف ﴿٦﴾ بالواو .

في البقرة : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ﴿٧﴾ ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ ﴾ ﴿٨﴾ .

في البقرة : ﴿ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ ﴾ ﴿٩﴾ ، وفي غيرها : ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

في البقرة : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا ﴾ ﴿١١﴾ ، وفي آل عمران : ﴿ عَلَيْنَا ﴾ ﴿١٢﴾ .

-
- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : الغاشية . آية : ١٣ ، ١٦ . | (٧) سورة : البقرة . آية : ١٢٠ . |
| (٢) في أ : « النوع » . | (٨) سورة : البقرة . آية : ١٤٥ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ٣٥ . | (٩) سورة : البقرة . آية : ٨٦ . |
| (٤) سورة : الأعراف . آية : ١٩ . | (١٠) سورة : آل عمران . آية : ٨٨ . |
| (٥) سورة : البقرة . آية : ٥٨ . | (١١) سورة : البقرة . آية : ١٣٦ . |
| (٦) سورة : الأعراف . آية : ١٦١ . | (١٢) سورة : آل عمران . آية : ٨٤ . |

في الأنعام : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا ﴾ (١) ، وفي غيرها :
﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ (٢) .

في الأعراف : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ (٣) بالواو ، وفي غيرها بالفاء .

في الأعراف : ﴿ آمْتَمَّ بِهِ ﴾ (٤) ، وفي الباقي : ﴿ آمْتَمَّ لَهُ ﴾ (٥) .

في سورة الرعد : ﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٦) ، وفي لقمان :
﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٧) ، لا ثاني له .

في الكهف : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (٨) ، وفي
السجدة : ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (٩) .

في طه : ﴿ أَلَقَمَ يَهْدِيهِمْ ﴾ (١٠) بالفاء ، وفي السجدة : ﴿ أَوْ لَمْ
يَهْدِيهِمْ ﴾ (١١) .

في القصص : ﴿ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١٢) ، وفي الشورى : ﴿ فَمَا
أَوْتَيْتُمْ ﴾ (١٣) بالفاء .

في الطور : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١٤) ، و ﴿ وَاضْبُرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ ﴾ (١٥) ، بالواو فيهما ؛ وفي الصافات : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ ﴾ (١٦) ، وفي القلم : ﴿ فَاصْبُرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ (١٧) ، بالفاء فيهما (١٨) كما

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ١١ . | (١٠) سورة : طه . آية : ١٢٨ . |
| (٢) سورة : النمل . آية : ٦٩ . | (١١) سورة : السجدة . آية : ٢٦ . |
| (٣) سورة : الأعراف . آية : ٨٢ . | (١٢) سورة : القصص . آية : ٦٠ . |
| (٤) سورة : الأعراف . آية : ١٢٣ . | (١٣) سورة : الشورى . آية : ٣٦ . |
| (٥) سورة : طه . آية : ٧١ . | (١٤) سورة : الطور . آية : ٢٥ . |
| (٦) سورة : الرعد . آية : ٢ . | (١٥) سورة : الطور . آية : ٤٨ . |
| (٧) سورة : لقمان . آية : ٢٩ . | (١٦) سورة : الصافات . آية : ٥٠ . |
| (٨) سورة : الكهف . آية : ٥٧ . | (١٧) سورة : القلم . آية : ٤٨ . |
| (٩) سورة : السجدة . آية : ٢٢ . | |

(١٨) من « ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ ... ﴾ » إلى « ... بالفاء فيهما » ليست في الأصول ، وقد
أضافها محقق المطبوعة لمناسبتها للسياق .

أن : ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾^(١) ، و ﴿ وَيَذَّبْحُونَ ﴾^(٢) بالواو فيهما ، في إبراهيم .
في الأعراف : ﴿ سُقْنَاہ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾^(٣) ، وفي فاطر : ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾^(٤) ، ﴿ ٥ ﴾ .

٧ - السابع : إبدال كلمة بأخرى :

في البقرة : ﴿ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾^(٦) ، وفي لقمان : ﴿ وَجَدْنَا ﴾^(٧) .

في البقرة : ﴿ فَانفَجَرْتُمْ ﴾^(٨) ، وفي الأعراف : ﴿ فَانْبَجَسْتُمْ ﴾^(٩) .

في البقرة : ﴿ فَازَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾^(١٠) ، وفي الأعراف : ﴿ فوسوسَ لهما
الشيطان ﴾^(١١) .

في آل عمران : ﴿ قَالَتْ : رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾^(١٢) ، وفي مريم :
﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾^(١٣) ، لأنه تقدم ذكره في ﴿ لِأَهَبَ لِكَ غُلَامًا
زَكِيًّا ﴾^(١٤) .

في النساء : ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ ﴾^(١٥) ، وفي الأحزاب : ﴿ شَيْئًا أَوْ
تُخْفَوْهُ ﴾^(١٦) .

في الأنعام : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾^(١٧) ،
والثاني ﴿ يَخْرِجُ ﴾ بالفعل^(١٨) .

(١) سورة : إبراهيم . آية : ٢٩ . (٣) سورة : الأعراف . آية : ٥٧ .

(٢) سورة : إبراهيم . آية : ٦ . (٤) سورة : فاطر . آية : ٣٥ .

(٥) « وفي فاطر : ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ » ليست في الأصول ، وقد أضافها محقق المطبوعة
لمناسبتها للسياق

(٦) سورة : البقرة . آية : ١٧٠ .

(٧) سورة : لقمان . آية : ٢١ . (١٣) سورة : مريم . آية : ٢٠ .

(٨) سورة : البقرة . آية : ٦٠ . (١٤) سورة : مريم . آية : ١٩ .

(٩) سورة : الأعراف . آية : ١٦٠ . (١٥) سورة : النساء . آية : ١٤٩ .

(١٠) سورة : البقرة . آية : ٣٦ . (١٦) سورة : الأحزاب . آية : ٥٤ .

(١١) سورة : الأعراف . آية : ٢٠ . (١٧) سورة : الأنعام . آية : ٩٥ .

(١٢) سورة : آل عمران . آية : ٤٧ . (١٨) سورة : يونس . آية : ٣١ .

في الكهف : ﴿ وَلَيْتَ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ (١) ، وفي حم : ﴿ وَلَيْتَ رُجِعْتُ ﴾ (٢) .

في طه : ﴿ فَلَمَّا أَنَاهَا ﴾ (٣) ، وفي النمل : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا ﴾ (٤) .

في طه : ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ (٥) ، وفي الزخرف : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ (٦) .

في الأنبياء : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (٧) ، وفي الشعراء : ﴿ مِنْ الرَّحْمَنِ ﴾ (٨) .

في النمل : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَفْزِعٌ ﴾ (٩) ، وفي الزمر : ﴿ فَصَعِقَ ﴾ (١٠) .

في الأحزاب ، في أولها : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴾ (١١) ، وفيها : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (١٢) بعد ﴿ وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (١٣) .

﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٤) بعد ﴿ لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٥) ، و﴿ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١٦) بعد ﴿ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (١٧) .

﴿ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (١٨) بعد ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (١٩) ، و﴿ رِزْقًا

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الكهف . آية : ٣٦ . | (١١) سورة : الأحزاب . آية : ٢ . |
| (٢) سورة : فصلت . آية : ٥٠ . | (١٢) سورة : الأحزاب . آية : ٩ . |
| (٣) سورة : طه . آية : ١١ . | (١٣) سورة : الأحزاب . آية : ٩ . |
| (٤) سورة : النمل . آية : ٨ . | (١٤) سورة : الأحزاب . آية : ٨ . |
| (٥) سورة : طه . آية : ٥٣ . | (١٥) سورة : الأحزاب . آية : ٨ . |
| (٦) سورة : الزخرف . آية : ١٠ . | (١٦) سورة : الأحزاب . آية : ٥٧ . |
| (٧) سورة : الأنبياء . آية : ٢ . | (١٧) سورة : الأحزاب . آية : ٥٧ . |
| (٨) سورة : الشعراء . آية : ٥ . | (١٨) سورة : الأحزاب . آية : ٤٤ . |
| (٩) سورة : النمل . آية : ٨٧ . | (١٩) سورة : الأحزاب . آية : ٤٤ . |
| (١٠) سورة : الزمر . آية : ٧٨ . | |

كَرِيماً ﴿١﴾ . بعد : ﴿ نُوْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿٤﴾ موضعان في الأحزاب ، وفي سورة غافر : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ .

وفي البقرة : ﴿ وَهُدًى وَيُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٧﴾ ، وفي النحل : ﴿ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٨﴾ في موضعين .

في المائدة : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ ﴿٩﴾ ، وبالنون في الكهف ﴿١٠﴾ .

٨ - الثامن : الإدغام وتركه :

في النساء والأنفال : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ ﴿١١﴾ ، وفي الحشر بالإدغام ﴿١٢﴾ .

في الأنعام : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ وفي الأعراف : ﴿ يَضُرَّعُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

(١) سورة : الأحزاب . آية : ٣١ .

(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٣١ .

(٣) من « بعد » تحيتهم ... » إلى « ... مرتين » ، ليست في الأصول ، وقد أضافها محقق المطبوعة لحاجة السياق إليها .

(٤) سورة : الأحزاب . آية : ٣٨ ، ٦٢ .

(٥) سورة : غافر . آية : ٨٥ .

(٦) من « وفي سورة : » إلى « وقد خلت » ، ليست في الأصول ، وقد أضافها محقق المطبوعة لحاجة السياق إليها .

(٧) سورة : البقرة . آية : ٩٧ .

(٨) سورة : النحل . آية : ٨٩ ، ١٠٢ .

(٩) سورة : المائدة . آية : ٦٠ .

(١٠) سورة : الكهف . آية : ١٠٣ .

(١١) سورة : النساء . آية : ١١٥ .

(١٢) سورة : الحشر . آية : ٤ .

(١٣) سورة : الأنعام . آية : ٤٢ .

وسورة : الأنفال . آية : ١٣ .

الفصل الثاني ما جاء على حرفين

- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ في القرآن ، اثنان في البقرة^(١) .
- ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، اثنان في يونس ، والنمل^(٢) .
- ﴿ أَنْ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة ، وفي آل عمران ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾^(٣) ؛ وأما ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾^(٤) فواحد في البقرة . وكذلك فيها :
﴿ غِنِيَّ حَلِيمٌ ﴾^(٥) ، وليس غيره .
- ﴿ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ ، حرفان ، في الزخرف ، وفي الذاريات^(٦) .
- ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ ، اثنان في قصة نوح ، في هود ، والمؤمنون^(٧) ؛ في السورتين بالفاء .
- و ﴿ عَذَابٌ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ اثنان ، في هود ، والزخرف^(٨) .

-
- (١) سورة : البقرة . آية : ٢١٩ ، ٢٦٦ . (٦) سورة : الزخرف . آية : ٨٤ .
- (٢) سورة : يونس . آية : ٦٠ . وسورة : الذاريات . آية : ٣٠ .
- (٣) سورة : البقرة . آية : ٢٣٥ . وسورة : آل عمران . آية : ١٥٥ .
- (٤) سورة : البقرة . آية : ٢٢٥ . وسورة : الزخرف . آية : ٦٥ .
- (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٦٣ .
- (٧) سورة : النمل . آية : ٧٣ . وسورة : هود . آية : ٢٧ .
- (٨) سورة : المؤمنون . آية : ٢٤ . وسورة : هود . آية : ٢٦ .

﴿ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ اثنان في العنكبوت ، وسبأ^(١) ، وأما الذي في القصص فهو ﴿ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ ﴾^(٢) ، وباقى القرآن ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾^(٣) فقط .

﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ ، حرفان : في يوسف ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾^(٤) ، وفي القصص ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ ﴾^(٥) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى ﴾ بالواو ، حرفان في الأنعام^(٦) . وفي يونس^(٧) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾^(٨) بالفاء .

﴿ أَعْرَضَ ﴾ حرفان في الكهف ، وفي السجدة ؛ إلا أن الأول ﴿ فَأَعْرَضَ ﴾^(٩) والثاني ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ ﴾^(١٠) .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ من غير تكرار « الطاعة » : حرفان ، وهما في آل عمران : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾^(١١) ، و﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(١٢) .

﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيْنَاتُ ﴾ بغير تاء التانيث ، حرفان ، وهما في آل عمران^(١٣) .

﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، حرفان ، في آل عمران ، وفي الأنفال^(١٤) .

- | | |
|----------------------------------|---|
| (١) سورة : العنكبوت . آية : ٦٢ . | (٦) سورة : الأنعام . آية : ٢١ ، ٩٣ . |
| وسورة : سبأ . آية : ٣٩ . | (٧) في الأصول : « هود » خطأ . |
| (٢) سورة : القصص . آية : ٨٢ . | (٨) سورة : يونس . آية : ١٧ . |
| (٣) سورة : الرعد . آية : ٢٦ . | (٩) سورة : الكهف . آية : ٥٧ . |
| وسورة : الإسراء . آية : ٣٠ . | (١٠) سورة : السجدة . آية : ٢٢ . |
| وسورة : الروم . آية : ٣٧ . | (١١) سورة : آل عمران . آية : ٣٢ . |
| وسورة : سبأ . آية : ٣٦ . | (١٢) سورة : آل عمران . آية : ١٣٢ . |
| وسورة : الشورى . آية : ١٢ . | (١٣) سورة : آل عمران . آية : ٨٦ ، ١٠٥ . |
| (٤) سورة : يوسف . آية : ٩٦ . | (١٤) سورة : آل عمران . آية : ٩٢ . |
| (٥) سورة : القصص . آية : ١٩ . | وسورة : الأنفال . آية : ٦٠ . |

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ بالفاء ، حرفان في آل عمران ، وفي الأنعام (١) .
 ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ ﴾ حرفان ، وهما في الأنعام (٢) .
 ﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ حرفان ، في التوبة ، وفي المنافقين (٣) .
 ﴿ إِنْ اللَّهُ لَاقِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤) ، بزيادة اللام ، حرفان في الحج .
 ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴾ (٥) حرفان (٦) في هود في قصة صالح وشعيب .

قال بعض المشايخ : ما كان فيه « الصيحة » فهو ﴿ دِيَارِهِمْ ﴾ (٧) على الجمع ، وما كان فيه « الرجفة » فهو ﴿ دَارِهِمْ ﴾ (٨) بالتوحيد .
 ﴿ وَمَا كَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ بتكرير « من » حرفان ، هما في هود (٩) .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ ، حرفان ، في العنكبوت ، والزمر (١٠) .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ بلفظ التوحيد ، حرفان في الحجر ، والعنكبوت (١١) .

-
- (١) سورة : آل عمران . آية : ١٨٤ . (٤) سورة : الحج . آية : ٤٠ ، ٧٤ .
 وسورة : الأنعام . آية : ١٤٧ . (٥) سورة : هود . آية : ٦٧ ، ٩٤ .
 (٢) سورة : الأنعام . آية : ٤٠ ، ٤٧ .
 (٣) سورة : التوبة . آية : ٢٤ ، ٨٠ .
 وسورة المنافقون . آية : ٦ .
 (٦) من « في الحج ... » إلى « ... حرفان » ليست في الأصول ، وقد أضافها محقق المطبوعة لحاجة السياق إليها .
 (٧) سورة : هود . آية : ٦٧ ، ٩٤ . (١٠) سورة : العنكبوت . آية : ٦٨ .
 (٨) سورة : الأعراف . آية : ٧٨ ، ٩١ . وسورة : الزمر . آية : ٣٢ .
 (١١) سورة : الحجر . آية : ٧٧ .
 (٩) سورة : هود . آية : ٢٠ ، ١١٣ . وسورة : العنكبوت . آية : ٤٤ .

- ﴿ تَبِعَ ﴾ بإسقاط الألف حرفان ، في البقرة ، وآل عمران^(١) .
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ ﴾ ، حرفان في الفرقان ، وفي آل السجدة^(٢) .
- ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ حرفان ، في (٣) ، وحم عسق^(٣) .
- ﴿ اللّهُ ﴾ قبل « اللعب » حرفان ، في الأعراف ، والعنكبوت^(٤) .
- ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ ﴾ بالواو ، حرفان في الأعراف ، وآل السجدة^(٥) .
- ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ حرفان ، في النحل ، والعنكبوت^(٦) .
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ حرفان ، في آل عمران ، والنور^(٧) .
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾ بغير « مِنْ » ، حرفان ، في البقرة ، والنساء^(٨) .
- ﴿ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ حرفان ، في آل عمران ، وفي الحديد^(٩) .

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ في الزمر ، وحم عسق^(١٠) .

- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) سورة : آل عمران . آية : ٧٣ . | وهما في سورة : النحل . آية : ٢٧ . |
| وسورة : البقرة . آية : ٣٨ . | وسورة : العنكبوت . آية : ٢٥ . |
| (٢) سورة : الفرقان . آية : ٥٩ . | (٧) سورة : آل عمران . آية : ٨٩ . |
| وسورة : السجدة . آية : ٤ . | وسورة : النور . آية : ٥ . |
| (٣) سورة : لقمان . آية : ٢٩ . | (٨) سورة : البقرة . آية : ١٦٠ . |
| وسورة : الشورى . آية : ١٤ . | وسورة : النساء . آية : ١٤٦ . |
| (٤) سورة : الأعراف . آية : ٥١ . | (٩) سورة : آل عمران . آية : ١٨٠ . |
| وسورة : العنكبوت . آية : ٦٤ . | وسورة : الحديد . آية : ١٠ . |
| (٥) سورة : الأعراف . آية : ١٠٠ . | (١٠) سورة : الزمر . آية : ٦٣ . |
| وسورة : السجدة . آية : ٢٦ . | وسورة : الشورى . آية : ١٢ . |
| (٦) في الأصول : « الأحزاب والفتح » خطأ . | وفي الأصول : « المؤمن » خطأ . |

﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ إخباراً عن الجماعة الغيب ، حرفان في الأعراف ، وسبباً^(١) .

﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ بالرفع ، في البقرة ﴿ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾^(٢) ، وفي النحل : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾^(٣) .

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٤٧ . (٢) سورة : البقرة . آية : ١٥٤ .
(٣) سورة : النحل . آية : ٢١ . سورة : سبأ . آية : ٣٣ .

الفصل الثالث

ما جاء على ثلاثة أحرف

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ثلاثة في القرآن ، في الروم ، وفاطر ،
والمؤمن^(١) .

﴿ فَنجِّنَاهُ ﴾ بالفاء ، في يونس ، والأنبياء ، والشعراء^(٢) .

﴿ قليلاً ما تذكرون ﴾ ثلاثة في الأعراف ، والنمل ، والحاقة^(٣) .

﴿ لعلهم يذكرون ﴾ اثنان في الأعراف ، والثالث في الأنفال^(٤) .

﴿ تتذكرون ﴾ بتاءين متكررتين ؛ ثلاثة ، في الأنعام ، وآلم السجدة ،
والمؤمن^(٥) .

﴿ وما يذكر إلا أولوا الأبواب ﴾ في البقرة ، وآل عمران ، وإبراهيم^(٦) .

-
- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| (١) سورة : الروم . آية : ٩ . | (٤) سورة : الأعراف . آية : ٢٦ ، ١٣٠ . |
| وسورة : فاطر . آية : ٤٤ . | وسورة : الأنفال . آية : ٥٧ . |
| وسورة : غافر . آية : ٢١ . | (٥) سورة : الأنعام . آية : ٨٠ . |
| (٢) سورة : يونس . آية : ٧٣ . | وسورة : السجدة . آية : ٤ . |
| وسورة : الأنبياء . آية : ٧٦ . | وسورة : غافر . آية : ٥٨ . |
| وسورة : الشعراء . آية : ١٧٠ . | (٦) سورة : البقرة . آية : ٢٦٩ . |
| (٣) سورة : الأعراف . آية : ٣٠ . | وسورة : آل عمران . آية : ٧ . |
| وسورة : النمل . آية : ٦٢ . | وسورة : إبراهيم . آية : ٥٢ . |
| وسورة : الحاقة . آية : ٤٢ . | |

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ ، في النساء ، والتوبة ،
والصف (١) .

﴿ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ بزيادة الباء في أول البقرة ؛ وفي النساء ، والتوبة ،
ولكن هو فيهما بالنفي (٢) .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ﴾ ، في البقرة ، وفي المائدة ، وفي
الصف . (٣)

﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ في البقرة اثنان ؛ والثالث في التين والزيتون ؛ إلا أنه
بإسقاط الهاء والميم (٤) .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، في هود ، والرعد ، والمؤمن (٥) .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، في البقرة ، ويوسف ،
والمؤمن (٦) .

﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ في هود ، ويوسف ، والسجدة (٧) .

-
- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : النساء . آية : ٩٥ . | وسورة : الرعد . آية : ١ . |
| وسورة : التوبة . آية : ٢٠ . | وسورة : غافر . آية : ٥٩ . |
| وسورة : الصف . آية : ١١ . | (٦) سورة : البقرة . آية : ٢٤٣ . |
| (٢) سورة : البقرة . آية : ٨ . | وسورة : يوسف . آية : ٢٨ . |
| وسورة : النساء . آية : ٣٨ . | وسورة : غافر . آية : ٦١ . |
| وسورة : التوبة . آية : ٢٩ . | (٧) سورة : هود . آية : ١٩ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ٥٤ . | وسورة : يوسف . آية : ٣٧ . |
| وسورة : المائدة . آية : ٢٠ . | وسورة : السجدة . آية : ٧ . |
| وسورة : الصف . آية : ٥ . | |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٦٢ ، ٢٧٤ . | |
| وسورة : التين . آية : ١٠ . | |
| (٥) سورة : هود . آية : ١٧ . | |

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ بزيادة « من » ، في الأنعام ، وص ،
وآلَم السَّجْدَة ؛ لكن بلفظ ﴿ من القرون ﴾ (١) .

﴿ أجمعون ﴾ بالواو في الحجر ، والشعراء ، وص (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، في المائدة ، والنور ، والحشر (٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، في آل عمران ، والمائدة ،
ولقمان (٤) .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ ، في الأعراف ، والفرقان ، وآلَم السجدة (٥) .

﴿ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ بزيادة « من » ، في إبراهيم ، والأحقاف ، ونوح (٦) .

﴿ مَبِينَاتٍ ﴾ في النور اثنان ، والثالث في الطلاق (٧) .

﴿ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ ﴾ في الرعد اثنان ، والثالث في يونس (٨) .

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ في الرعد ، والنحل ، وفاطر (٩) .

(١) سورة : الأنعام . آية : ٦ (٥) سورة : الأعراف . آية : ١٧٦ .

وسورة : ص . آية : ٣ .

وسورة : السجدة . آية : ٢٦ .

(٢) سورة : الحجر . آية : ٣٠ .

وسورة : الشعراء . آية : ٩٥ .

وسورة : ص . آية : ٧٣ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٨ .

وسورة : النور . آية : ٥٣ .

وسورة : الحشر . آية : ١٨ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ١١٩ .

وسورة : المائدة . آية : ٧ .

وسورة : لقمان . آية : ٢٣ .

(٥) سورة : الأعراف . آية : ١٧٦ .

وسورة : الفرقان . آية : ٥١ .

وسورة : السجدة . آية : ١٣ .

(٦) سورة : إبراهيم . آية : ١٠ .

وسورة : الأحقاف . آية : ٣١ .

وسورة : نوح . آية : ٤ .

(٧) سورة : النور . آية : ٣٤ ، ٤٦ .

وسورة : الطلاق . آية : ١١ .

(٨) سورة : الرعد . آية : ٧ ، ٢٧ .

وسورة : يونس . آية : ٢٠ .

(٩) سورة : الرعد . آية : ٢٣ .

وسورة : النحل . آية : ٣١ .

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ في الروم^(١) ، والتوبة^(٢) ، والعنكبوت^(٣) ،
لكن بالواو .

﴿ لَعَلَى ﴾ في الحج ، وسبأ ، ونون^(٤) .

﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ في سبأ اثنان ، وفي آخر فاطر^(٥) .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿ بَاوَا ، فِي الْبَقْرَةِ ، وَالْحَجْرِ ، وَصَّ ﴾^(٦) .

﴿ وَنَزَّلْنَا ﴾ ثلاثة أحرف ، في طه ، والنحل ، وق^(٧) ، والباقي

﴿ وَأَنْزَلْنَا ﴾ .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ في المائدة ، ويونس ، والتغابن^(٨) .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في النحل ، والنمل ، ويس^(٩) .

﴿ أَمْوَاتًا ﴾ بالنصب ؛ في البقرة : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ ، وآل عمران ، ﴿ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ ، وفي المرسلات ﴿ أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتًا ﴾^(١٠) .

-
- | | |
|------------------------------------|---|
| وسورة : فاطر . آية : ٣٣ . | = |
| (١) في الأصول : « آل عمران » خطأ . | |
| (٢) سورة : التوبة . آية : ٧٠ . | |
| (٣) سورة : العنكبوت . آية : ٤٠ . | |
| (٤) سورة : الحج . آية : ٦٧ . | |
| وسورة : سبأ . آية : ٢٤ . | |
| وسورة : القلم . آية : ٤ . | |
| (٥) سورة : سبأ . آية : ٣ ، ٢٢ . | |
| وسورة : فاطر . آية : ٤٤ . | |
| (٦) سورة : البقرة . آية : ٣٠ . | |
| وسورة : الحجر . آية : ٢٨ . | |
| وسورة : ص . آية : ٧١ . | |
| (٧) سورة : طه . آية : ٨٠ . | |
| وسورة : النحل . آية : ٨٩ . | |
| وسورة : ق . آية : ٩ . | |
| (٨) سورة : المائدة . آية : ٢٩٢ . | |
| وسورة : يونس . آية : ٩٢ . | |
| وسورة : التغابن . آية : ١٢ . | |
| (٩) سورة : النحل . آية : ٧٩ . | |
| وسورة : النمل . آية : ٨٦ . | |
| وسورة : يس . آية : ٣١ . | |
| (١٠) سورة : البقرة . آية : ٢٨ . | |
| وسورة : آل عمران . آية : ١٦٩ . | |
| وسورة : المرسلات . آية : ٢٦ . | |

- ﴿ أجلاً ﴾ بالنصب ، في الأنعام ، وبني إسرائيل ، والمؤمن (١) .
- ﴿ أنذا كنا تراباً ﴾ بغير ذكر « العظام » في الرعد ، والنمل ، وق (٢) .
- ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴾ في الرعد ، والروم ، والمؤمن (٣) .

-
- (١) سورة : الأنعام . آية : ٢ .
 - وسورة : الإسراء . آية : ٩٩ .
 - وسورة : غافر . آية : ٦٧ .
 - (٢) سورة : الرعد . آية : ٥ .
 - وسورة : النمل . آية : ٦٧ .
 - وسورة : ق . آية : ٣٠ .
 - (٣) سورة : الرعد . آية : ٣٨ .
 - وسورة : الروم . آية : ٤٧ .
 - وسورة : غافر . آية : ٧٨ .

الفصل الرابع

ما جاء على أربعة حروف

﴿ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، بتكرير ﴿ مَنْ ﴾ في يونس ،
والحج ، والنمل ، والزمر^(١) .

﴿ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ، في المائدة اثنان ، في ص ،
وآخر الزخرف^(٢) .

﴿ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾ بإسقاط « من » في بني إسرائيل ، والأنبياء ، والفرقان ،
وسيا^(٣) .

﴿ أَهْؤُلَاءِ ﴾ بألف^(٤) قبل الهاء ، في المائدة ، والأنعام ، والأعراف ،
وسيا^(٥) .

﴿ مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ في الأنعام ، والأعراف ، ويونس ، والكهف^(٦) ؛ وأما

-
- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : يونس . آية : ٦٦ . | وسورة : سبأ . آية : ٤٤ . |
| وسورة : الحج . آية : ١٨ . | (٤) في جـ : « بالألف » . |
| وسورة : النمل . آية : ٨٧ . | (٥) سورة : المائدة . آية : ٥٣ . |
| وسورة : الزمر . آية : ٦٨ . | وسورة : الأنعام . آية : ٥٣ . |
| (٢) سورة : المائدة . آية : ١٧ - ١٨ . | وسورة : الأعراف . آية : ٤٩ . |
| وسورة : ص . آية : ١٠ . | وسورة : سبأ . آية : ٤٠ . |
| وسورة : الزخرف . آية : ٧٥ . | (٦) سورة : الأنعام . آية : ٦ . |
| (٣) سورة : الإسراء . آية : ٧٧ . | وسورة : الأعراف . آية : ٤٣ . |
| وسورة : الأنبياء . آية : ٧ . | وسورة : يونس . آية : ٩ . |
| وسورة : الفرقان . آية : ٢٠ . | وسورة : الكهف . آية : ٣١ . |

﴿ تجرِي تحتها الأنهار ﴾ فموضع واحد في براءة^(١) .

﴿ أو أن ﴾ بهمزة قبل الواو . في هود : ﴿ أو أن نَفَعَل ﴾^(٢) ، وفي بني إسرائيل ﴿ أو إن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾^(٣) ، وفي طه ﴿ أو أن يَطغى ﴾^(٤) ، وفي المؤمن : ﴿ أو أن يُظهِرَ في الأرض الفساد ﴾^(٥) .

﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ في النساء اثنان^(٦) ، وفي الأحزاب^(٧) ، والإنسان^(٨) .

﴿ آباؤهم ﴾ بالرفع ، في البقرة : ﴿ أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ﴾^(٩) .

وفي المائدة : ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ﴾^(١٠) . وفي هود : ﴿ إلا كما يعبد آباؤهم ﴾^(١١) ، وفي يس : ﴿ لتُنذِر قوماً ما أنذِر آباؤهم ﴾^{(١٢)(١٣)} .

﴿ قل يأيها الناس ﴾ في الأعراف ، وفي يونس اثنان منها ، وفي الحج^(١٤) .

(١) سورة : التوبة . آية : ١٠٠ . (٧) سورة : الأحزاب . آية : ١ .

(٢) سورة : هود . آية : ٨٧ . (٨) سورة : الإنسان . آية : ٣٠ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ٥٤ . (٩) سورة : البقرة . آية : ١٧١ .

(٤) سورة : طه . آية : ٤٥ . (١٠) سورة : المائدة . آية : ١٠٤ .

(٥) سورة : غافر . آية : ٢٦ . (١١) سورة : هود . آية : ١٠٩ .

(٦) سورة : النساء . آية : ١١ ، ٢٤ . (١٢) سورة : يس . آية : ٦ .

(١٣) من « وفي المائدة » إلى « ما أنذر آباؤهم ﴾ ليست في الأصول ، وقد أضافها محقق المطبوعة لحاجة السياق إليها .

(١٤) سورة : الأعراف . آية : ١٥٨ .

وسورة : يونس . آية : ١٠٤ ، ١٠٨ .

وسورة : الحج . آية : ٤٩ .

- ﴿ نُصَرِّفَ الْآيَاتِ ﴾ في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الأعراف^(١) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، في المائدة ، والأنعام ،
والقصص ، والأحقاف^(٢) .
- ﴿ مَبَارَكًا ﴾ بالنصب ، في آل عمران ، ومريم ، والمؤمنين ، وق^(٣) .
- ﴿ مَبَارِكٌ ﴾ بالرفع ، في الأنعام اثنان ، وفي الأنبياء ، وص^(٤) .
- ﴿ مَا كَسَبَتْ ﴾ بحذف الباء من أوله ، في البقرة ، وآل عمران اثنان ، وفي
إبراهيم^(٥) .
- ﴿ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ بإثبات الهمزة قبل الواو ، في آل عمران ، والنساء ،
والنحل ، وغافر^(٦) .
- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في الأنعام ، والأعراف ، والنمل ، ويس^(٧) .
- ﴿ وَلَبِئْسَ ﴾ في البقرة اثنان : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ ﴾^(٨) ، و ﴿ وَلَبِئْسَ

- (١) سورة : الأنعام . آية : ٤٦ ، ٦٥ ، ١٠٥ .
وسورة : الأعراف . آية : ٥٨ . (٥) سورة : البقرة . آية : ١٣٤ .
- (٢) سورة : المائدة . آية : ٥١ .
وسورة : الأنعام . آية : ١٤٤ .
وسورة : القصص . آية : ٥٠ .
وسورة : الأحقاف . آية : ١٠ .
- (٣) سورة : آل عمران . آية : ٩٦ .
وسورة : مريم . آية : ٣١ .
وسورة : المؤمنون . آية : ٢٩ .
وسورة : ق . آية : ٩ .
- (٤) سورة : الأنعام . آية : ٩٢ ، ١٥٥ .
وسورة : الأنبياء . آية : ٥٠ .
وسورة : ص . آية : ٢٩ .
- (٥) سورة : آل عمران . آية : ١٩٥ .
وسورة : النساء . آية : ١١ .
وسورة : النحل . آية : ٩٧ .
وسورة : غافر . آية : ٤٠ .
- (٦) سورة : الأنعام . آية : ٦ .
وسورة : الأعراف . آية : ١٤٨ .
وسورة : النمل . آية : ٨٦ .
وسورة : يس . آية : ٣١ .
سورة : البقرة . آية : ١٠٢ . (٨)

المهاد ﴿١﴾ . وفي الحج : ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ ﴿٢﴾ وفي النور : ﴿وَلَبِئْسَ
المصيرُ﴾ ﴿٣﴾ .

وأما ﴿فَلَبِئْسَ﴾ بالفاء ، فموضع واحد في النحل : ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٤﴾ .

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع ، في النساء ، والتوبة ، وهود ، والكهف ﴿٥﴾ .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ في يوسف ، وفي الحج ، وفي المؤمن ، وفي
القتال ﴿٦﴾ .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في الأنعام : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
انظُرُوا﴾ ﴿٧﴾ وليس في القرآن «ثُمَّ» غيره ، وفي النمل : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ ﴿٨﴾ ، وكذا في العنكبوت والروم ﴿٩﴾ .

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بالفاء بعد الهمزة : في مريم ، والشعراء ، والجاثية ،
والنجم ﴿١٠﴾ .

اللَّعْبَ قَبْلَ اللَّهِ ، في الأنعام اثنان ﴿١١﴾ ، وفي القتال ، والحديد ﴿١٢﴾ .

-
- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٢٠٦ . | (٧) سورة : الأنعام . آية : ١١ . |
| (٢) سورة : الحج . آية : ١٣ . | (٨) سورة : النمل . آية : ٦٩ . |
| (٣) سورة : النور . آية : ٥٧ . | (٩) سورة : العنكبوت . آية : ٢٠ . |
| (٤) سورة : النحل . آية : ٢٩ . | وسورة : النور . آية : ٤٢ . |
| (٥) سورة : النساء . آية : ٦٦ . | (١٠) سورة : مريم . آية : ٧٧ . |
| وسورة : الكهف . آية : ٢٢ . | وسورة : الشعراء . آية : ٢٠٥ . |
| وسورة : التوبة . آية : ٢٨ . | وسورة : الجاثية . آية : ٢٣ . |
| وسورة : هود . آية : ٤٠ . | وسورة : النجم . آية : ٣٣ . |
| (٦) سورة : يوسف . آية : ١٠٩ . | (١١) سورة : الأنعام . آية : ٢٣ ، ٧٠ . |
| وسورة : الحج . آية : ٤٦ . | (١٢) سورة : محمد . آية : ٣٦ . |
| وسورة : غافر . آية : ٨٢ . | وسورة : الحديد . آية : ٢٠ . |
| وسورة : محمد . آية : ١٠ . | |

﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بلفظ الجمع : في البقرة ، والرعد ، والروم ، والنحل (١) .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ على لفظ (٢) الجمع : في يونس (٣) .

﴿لَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ بالتوحيد في النحل (٤) كذلك ، وبالجمع في الروم (٥) ، وآل السجدة (٦) .

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ في مريم ، والعنكبوت ، ويس ، والأحقاف (٧) .

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في هود (٨) ، والنحل اثنان (٩) ، وفي الزخرف (١٠) .

﴿وَأَذَقْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ في البقرة ، وبني إسرائيل ، والكهف ، وطه (١١) .

والأنبياء والنبين بغير حق في آل عمران : ﴿النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (١٢) .

-
- | | |
|---------------------------------|--|
| (١) سورة : البقرة . آية : ١٦٤ . | وسورة : الأحقاف . آية : ١١ . |
| وسورة : الرعد . آية : ٤ . | (٨) سورة : هود . آية : ١٠١ . |
| وسورة : الروم . آية : ٢٤ . | (٩) وسورة : النحل . آية : ١١٨ . |
| وسورة : النحل . آية : ١٢ . | وفي سورة النحل موضع واحد فقط وليست إثنان . |
| (٢) في ب : « في لفظ » . | (١٠) سورة : الزخرف . آية : ٧٦ . |
| (٣) سورة : يونس . آية : ٦٧ . | (١١) سورة : البقرة . آية : ٣٤ . |
| (٤) سورة : النحل . آية : ٦٥ . | وسورة : الإسراء . آية : ٦١ . |
| (٥) سورة : الروم . آية : ٢٣ . | وسورة : الكهف . آية : ٥٠ . |
| (٦) سورة : السجدة . آية : ٢٦ . | وسورة : طه . آية : ١١٦ . |
| (٧) سورة : مريم . آية : ٧٣ . | (١٢) سورة : آل عمران . آية : ٢١ . |
| وسورة : العنكبوت . آية : ١٢ . | وسورة : يس . آية : ٤٧ . |

- وفيها : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ (١) .
وفيها أيضاً : ﴿ وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ (٢) وفي النساء (٣) .
فأما الذي في البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٤) فليس له نظير .

-
- (١) سورة : آل عمران . آية : ١١٢ .
(٢) سورة : آل عمران . آية : ١٨١ .
(٣) سورة : النساء . آية : ١٥٥ .
(٤) سورة : البقرة . آية : ٦١ .

الفصل الخامس

ما جاء على خمسة حروف

﴿ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ في الأنعام ثلاثة^(١) ، والرابع في الحجر^(٢) ،
والخامس في النمل^(٣) .

﴿ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ في الأنفال اثنان^(٤) ، وفي الحج ، والنور ،
وسبأ^(٥) (٦) .

الأرض قبل السماء ، في آل عمران ، ويونس ، وإبراهيم ، وطه ،
والعنكبوت^(٧) .

﴿ لَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ بلفظ الجمع ، في الرعد ، والروم ، والزمر ،
والجاثية ، ولفظ التوحيد في النحل^(٨) .

-
- (١) سورة : الأنعام . آية : ٨٣ ، ١٢٨ - (٧) سورة : آل عمران . آية : ٥ .
١٢٩ .
(٢) سورة : الحجر . آية : ٢٥ .
(٣) سورة : النمل . آية : ٦ .
(٤) سورة : الأنفال . آية : ٤ ، ٧٤ .
(٥) سورة : الحج . آية : ٥٠ .
(٦) في الأصول « آل عمران والأحقاف ،
والأنعام » خطأ .
(٧) سورة : الرعد . آية : ٣ .
(٨) سورة : الروم . آية : ٢١ .
وسورة : الزمر . آية : ٤٢ .
وسورة : الجاثية . آية : ١٣ .
وسورة : النحل . آية : ١١ ، ٦٩ .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ بتكرير الطاعة ، في النساء ، والمائدة ، والنور ، والقتال ، والتغابن^(١) .

﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ، منها حرفان بالواو : في التوبة ، ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ، وكذلك في المؤمن^(٢) . والباقي بلا واو : في يونس ، والدخان ، والحديد^(٣) .

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : النساء . آية : ٥٩ . | (٢) سورة : التوبة . آية : ١١ . |
| وسورة : المائدة . آية : ٩٢ . | وسورة : غافر . آية : ٩ . |
| وسورة : النور . آية : ٥٤ . | (٣) سورة : يونس . آية : ٦٤ . |
| وسورة : محمد . آية : ٣٣ . | وسورة : الدخان . آية : ٥٧ . |
| وسورة : التغابن . آية : ١٢ . | وسورة : الحديد . آية : ١٢ . |

الفصل السادس

ما جاء على ستة حروف

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ في الأنعام ، والنحل ، والنمل ،
والعنكبوت والروم ، والزمر^(١) .

﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ، منها بواو ، واحد في النساء : ﴿ خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم ﴾^(٢) وفي المائة : ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ ، ومثله في
التوبة : موضعان ، والصف ، والتغابن^(٣) .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ بالفاء ، في الأنعام : موضعان ، والأعراف ، ويونس ،
والكهف ، والزمر^(٤) .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ ﴾ بالواو : ثلاثة في البقرة ، وبني إسرائيل ، والكهف ،
وطه^(٥) .

-
- | | |
|-----------------------------------|---|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ٩٩ . | وسورة : التغابن . آية : ٩ . |
| وسورة : النحل . آية ؛ ٧٩ . | (٤) سورة : الأنعام . آية : ١٤٤ ، ١٥٧ . |
| وسورة : النمل . آية : ٨٦ . | وسورة : الأعراف . آية : ٣٧ . |
| وسورة : العنكبوت . آية : ٢٤ . | وسورة : يونس . آية : ١٧ . |
| وسورة : الروم . آية : ٣٧ . | وسورة : الكهف . آية : ١٥ . |
| وسورة : الزمر . آية : ٥٢ . | وسورة : الزمر . آية : ٣٢ . |
| (٢) سورة : النساء . آية : ١٣ . | (٥) سورة : البقرة . آية : ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٢٢٢ . |
| (٣) سورة : المائة . آية : ١١٩ . | وسورة : الإسراء . آية : ٨٥ . |
| وسورة : التوبة . آية : ٨٩ ، ١٠٠ . | وسورة : الكهف . آية : ٨٣ . |
| وسورة : الصف . آية : ١٢ . | وسورة : طه . آية : ١٠٥ . |

﴿ فَبِئْسَ ﴾ بالفاء : في ص : اثنان ، وفي الزمر ، وفي غافر ،
والزخرف ، والمجادلة (١) .

﴿ نَزَّلْنَا ﴾ بغير واو ، في البقرة ، والنساء ، والأنعام : موضعان ،
والحجر ، والإنسان (٢) .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ في آل عمران : ثلاثة ، وفي المائدة : ثلاثة (٣) .

(١) سورة : ص . آية : ٥٦ ، ٦٠ .

وسورة : الزمر . آية : ٧٢ .

وسورة : غافر . آية : ٧٦ .

وسورة : الزخرف . آية : ٣٨ .

وسورة : المجادلة . آية : ٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٣ .

وسورة : النساء . آية : ٤٧ .

وسورة : الأنعام . آية : ٧ ، ١١١ .

وسورة : الحجر . آية : ٩ .

وسورة : الإنسان . آية : ٢٣ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٦٤ ، ٩٨ ، ٩٩ .

وسورة : المائدة . آية : ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٧ .

الفصل السابع

ما جاء على سبعة حروف

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ في البقرة ، وإبراهيم^(١) ، والقصص : ثلاثة مواضع^(٢) ، والزمر^(٣) ، والدخان^(٤) .

﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ في مريم ، والشعراء ، والصفات ، وص : موضعان ، والزخرف ، والدخان^(٥) .

« المرأة » مكتوبة بالتاء في سبعة مواضع : في آل عمران ، وفي يوسف : موضعان ، « امرأت العزيز » ، وفي القصص ﴿ امرأت فرعون ﴾ ، وفي التحريم : ثلاثة مواضع^(٦) .

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٢٢١ . | وسورة : الصافات . آية : ٥ . |
| (٢) سورة : إبراهيم . آية : ٢٥ . | وسورة : ص . آية : ١٠ ، ٦٦ . |
| (٣) سورة : القصص . آية : ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ . | وسورة : الزخرف . آية : ٨٥ . |
| (٤) سورة : الزمر . آية : ٢٧ . | وسورة : الدخان . آية : ٧ . |
| (٥) سورة : الدخان . آية : ٥٨ . | (٦) سورة : آل عمران . آية : ٣٥ . |
| (٥) سورة : مريم . آية : ٦٥ . | وسورة : يوسف . آية : ٣٠ ، ٥١ . |
| وسورة : الشعراء . آية : ٢٤ . | وسورة : القصص . آية : ٩ . |
| | وسورة : التحريم . آية : ١٠ - ١١ . |

الفصل الثامن

ما جاء على ثمانية حروف

النفع قبل الضر: في الأنعام، والأعراف، ويونس، والرعد، والأنبياء، والفرقان، والشعراء، وسبأ^(١).

﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بقاء: في الرعد، وطه، والملائكة، وصر، والزمر، والمؤمن، والنازعات، والفجر^(٢).

-
- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ٧١ . | (٢) سورة : الرعد . آية : ١٩ . |
| وسورة : الأعراف . آية : ١٨٨ . | وسورة : طه . آية : ٤٤ . |
| وسورة : يونس . آية : ١٠٦ . | وسورة : فاطر . آية : ٣٧ . |
| وسورة : الرعد . آية : ١٦ . | وسورة : ص . آية : ٢٩ . |
| وسورة : الأنبياء ، آية : ٦٦ . | وسورة : الزمر . آية : ٩ . |
| وسورة : الفرقان . آية : ٥٥ . | وسورة : غافر . آية : ١٣ . |
| وسورة : الشعراء . آية : ٧٣ . | وسورة : النازعات . آية : ٣٥ . |
| وسورة : سبأ . آية : ٤٢ . | وسورة : الفجر . آية : ٢٣ . |

الفصل التاسع

ما جاء على تسعة حروف

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بغير تكرار «مَنْ»: في آل عمران، والرعد، وفي بني إسرائيل، ومريم، والأنبياء، والنور، والنمل، والروم، والرحمن^(١).
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالهاء والميم: في الأنعام، والأعراف، والأنفال، ويونس، والقصص: موضعان، والزمر، والذي في الدخان، والطور^(٢).

﴿يَكُ﴾ بالياء، من غير نون بعد الكاف: في الأنفال، والتوبة، والنحل، ومريم، والمؤمن: موضعان، وفي المدثر: موضعان بالنون في أوله، وفي القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾^(٣).

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة: آل عمران . آية : ٨٣ . | سورة: يونس . آية : ٥٥ . |
| سورة: الرعد . آية : ١٦ . | سورة: القصص . آية : ١٣ ، ٥٧ . |
| سورة: الإسراء . آية : ٥٥ . | سورة: الزمر . آية : ٤٩ . |
| سورة: مريم . آية : ٩٣ . | سورة: الدخان . آية : ٣٩ . |
| سورة: الأنبياء . آية : ١٩ . | سورة: الطور . آية : ٤٧ . |
| سورة: النور . آية : ٤١ . | سورة: الأنفال . آية : ٥٣ (٣) . |
| سورة: النمل . آية : ٦٥ . | سورة: التوبة . آية : ٧٤ . |
| سورة: الروم . آية : ٢٦ . | سورة: النحل . آية : ١٢٠ . |
| سورة: الرحمن . آية : ٢٩ . | سورة: مريم . آية : ٦٧ . |
| سورة: الأنعام . آية : ٣٧ . | سورة: غافر . آية : ٢٨ ، ٨٥ . |
| سورة: الأعراف . آية : ١٣١ . | سورة: المدثر . آية : ٤٣ - ٤٤ . |
| سورة: الأنفال . آية : ٣٤ . | سورة: القيامة . آية : ٣٧ . |

الفصل العاشر

ما جاء على عشرة أحرف

﴿وَلَمَّا﴾ بالواو: في هود، ويوسف^(١) ، وفي غيرهما بالفاء: في هود: أربعة أحرف^(٢) ، وفي يوسف: ستة^(٣) .

﴿أَنْ لَا﴾ تكتب في المصحف بالنون منفصلة عشرة: في الأعراف: موضعان، والتوبة، وفي هود: موضعان، والحج، ويس، والدخان، والممتحنة، والقلم^(٤) .

(١) سورة: هود. آية: ٥٨، ٧٧، ٩٤ .

وسورة: يوسف. آية: ٢٢، ٥٨، ٦٥، ٦٨-٦٩، ٩٤ .

(٢) سورة: هود. آية: ٦٦، ٧٠، ٧٤، ٨٢ .

(٣) تسعة مواضع وليست ستة هي: الآية: ١٥، ٢٨، ٣١، ٥٠، ٦٣، ٧٠، ٨٠، ٨٨، ٩٦ من سورة يوسف .

(٤) سورة: الأعراف. آية: ١٠٥، ١٦٩ .

وسورة: التوبة. آية: ١١٨ .

وسورة: هود. آية: ١٤، ٢٦ .

وسورة: الحج. آية: ٢٦ .

وسورة: يس. آية: ٦٠ .

وسورة: الدخان. آية: ١٩ .

وسورة: الممتحنة. آية: ١٢ .

وسورة: القلم. آية: ٢٤ .

الفصل الحادي عشر

ما جاء على أحد عشر حرفاً

أحد عشر ﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ﴾: في التوبة، والرعد، والنحل، والكهف،
ومريم، وطه، والملائكة، وص، والمؤمن، والصف، ولم يكن^(١).

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في البقرة، والنساء، والأنعام، ويونس،
والنحل، والنور، والعنكبوت، ولقمان، والحديد، والحشر، والتغابن^(٢).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ في النساء: ثلاثة مواضع، والمائدة، والتوبة:
موضعان، والأحزاب، والتغابن، والطلاق، والجن، والبرية^(٣).

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------------|
| (١) سورة: التوبة . آية : ٧٢ . | سورة: النحل . آية : ٥٢ . |
| سورة: الرعد . آية : ٢٣ . | سورة: النور . آية : ٦٤ . |
| سورة: النحل . آية : ٣١ . | سورة: العنكبوت . آية : ٥٢ . |
| سورة: الكهف . آية : ٣١ . | سورة: لقمان . آية : ٢٦ . |
| سورة: مريم . آية : ٦١ . | سورة: الحديد . آية : ١ . |
| سورة: طه . آية : ٧٦ . | سورة: الحشر . آية : ٢٤ . |
| سورة: فاطر . آية : ٣٣ . | سورة: التغابن . آية : ٤ . |
| سورة: ص . آية : ٥٠ . | سورة: النساء . آية : ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٦٩ . |
| سورة: غافر . آية : ٨ . | (٣) سورة: المائدة . آية : ١١٩ . |
| سورة: الصف . آية : ١٢ . | سورة: التوبة . آية : ٢٢ ، ١٠٠ . |
| سورة: البينة . آية : ٨ . | سورة: الأحزاب . آية : ٦٥ . |
| (٢) سورة: البقرة . آية : ١١٦ . | سورة: التغابن . آية : ٩ . |
| سورة: النساء . آية : ١٧٠ . | سورة: الطلاق . آية : ١١ . |
| سورة: الأنعام . آية : ١٢ . | سورة: الجن . آية : ٢٣ . |
| سورة: يونس . آية : ٥٥ . | سورة: البينة . آية : ٦ . |

﴿وَتِلْكَ﴾ بالواو: في البقرة، وآل عمران، والأنعام، وهود، والكهف،
والشعراء، والعنكبوت، والزخرف، والمجادلة، والحشر، والطلاق^(١).

﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ كتبت بالتاء في أحد عشر موضعاً: في البقرة ﴿اذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وفي آل عمران، والمائدة، وإبراهيم: موضعان، والنحل:
ثلاثة مواضع، ولقمان، وفاطر، والطور^(٢).

﴿في ما﴾ كتبت منفصلة في أحد عشر موضعاً:

- في البقرة: ﴿فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَعْرُوفٍ﴾^(٣).
وفي المائدة: ﴿لِيَلْبُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٤).
وفي الأنعام: ﴿فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ﴾^(٥).
وفيها أيضاً: ﴿لِيَلْبُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٦).
وفي الأنبياء: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(٧).
وفي النور: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾^(٨).
وفي الشعراء: ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾^(٩).

-
- (١) سورة: البقرة . آية : ٢٣٠ .
وسورة: آل عمران . آية : ١٤٠ .
وسورة: الأنعام . آية : ٨٣ .
وسورة: هود . آية : ٥٩ .
وسورة: الكهف . آية : ٥٩ .
وسورة: الشعراء . آية : ٢٢ .
وسورة: العنكبوت . آية : ٤٣ .
وسورة: الزخرف . آية : ٧٢ .
وسورة: المجادلة . آية : ٤ .
وسورة: الحشر . آية : ٢١ .
وسورة: الطلاق . آية : ١ .
(٢) سورة: البقرة . آية : ٢٣١ .
وسورة: آل عمران . آية : ١٠٣ .
سورة: المائدة . آية : ١١ .
وسورة: إبراهيم . آية : ٢٨ ، ٣٤ .
وسورة: النحل . آية : ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤ .
وسورة: لقمان . آية : ٣١ .
وسورة: فاطر . آية : ٣ .
وسورة: الطور . آية : ٢٩ .
(٣) سورة: البقرة . آية : ٢٣٤ .
(٤) سورة: المائدة . آية : ٤٨ .
(٥) سورة: الأنعام . آية : ١٤٥ .
(٦) سورة: الأنعام . آية : ١٦٥ .
(٧) سورة: الأنبياء . آية : ١٠٢ .
(٨) سورة: النور . آية : ١٤ .
(٩) سورة: الشعراء . آية : ١٤٦ .

- وفي الروم: ﴿شَرَكَاةٍ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (١)
وفي الزمر: ﴿تَحَكُّمٌ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢)
وفيها أيضاً: ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا﴾ (٣)
وفي الواقعة: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

-
- (١) سورة: الروم . آية : ٢٨ .
(٢) سورة: الزمر . آية : ٣ .
(٣) سورة: الزمر . آية : ٤٦ .
(٤) سورة: الواقعة . آية : ٦٢ .

الفصل الثاني عشر

ما جاء على خمسة عشر وجهاً

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ ليس فيها «خالدين»: في البقرة: موضعان، وآل عمران، والمائدة، والرعد، والنحل، والحج: موضعان، والفرقان، والزمر، والقتال، والفتح، والصف، والتحريم، والبروج^(١).

﴿وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، بالتوحيد: في البقرة، والأعراف، ويونس، والأنبياء: موضعان، وفي الحج، والنمل: موضعان، والروم، وسبأ، والملائكة، وص، والدخان، والذاريات، والحديد^(٢).

(١) سورة: البقرة . آية : ٢٥ ، ٢٦٦ . (٢) سورة: البقرة . آية : ١٦٤ .

وسورة: آل عمران . آية : ١٩٥ .

وسورة: المائدة . آية : ١٢ .

وسورة: الرعد . آية : ٣٥ .

وسورة: النحل . آية : ٣١ .

وسورة: الحج . آية : ١٤ ، ٢٣ .

وسورة: الفرقان . آية : ١٠ .

وسورة: الزمر . آية : ٢٠ .

وسورة: محمد . آية : ١٢ .

وسورة: الفتح . آية : ٥ .

وسورة: الصف . آية : ١٢ .

وسورة: التحريم . آية : ٨ .

وسورة: البروج . آية : ١١ .

(٢) سورة: البقرة . آية : ١٦٤ .

وسورة: الأعراف . آية : ٩٦ .

وسورة: يونس . آية : ٣١ .

وسورة: الأنبياء . آية : ٤ ، ١٦ .

وسورة: الحج . آية : ٧٠ .

وسورة: النمل . آية : ٦٤ ، ٧٥ .

وسورة: الروم . آية : ٢٥ .

وسورة: سبأ . آية : ٩ .

وسورة: فاطر . آية : ٣ .

وسورة: ص . آية : ٢٧ .

وسورة: الدخان . آية : ٢٩ .

وسورة: الذاريات . آية : ٢٣ .

وسورة: الحديد . آية : ٢١ .

الفصل الثالث عشر

ما جاء على ثمانية عشر وجهاً

﴿أَك﴾، ﴿نَك﴾، و﴿يَك﴾، و﴿تَك﴾ بحروف المضارعة في أولها،
وبغير نون في آخرها.

في النساء: ﴿وَأَنْ تَكُ حَسَنَةً﴾^(١).

والأنفال: ﴿لَمْ يَكُ مُغَيَّرًا﴾^(٢).

وفي التوبة: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(٣).

وفي هود موضعان: ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرْيَمَ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾، ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرْيَمَ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٤).

وفي النحل موضعان: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾^(٥).

وفي مريم: ثلاثة مواضع^(٦).

وفي لقمان، وغافر، أربع مواضع^(٧)، وفي المدثر موضعان^(٨)، وفي
القيامة^(٩).

-
- | | |
|-------------------------------------|---|
| (١) سورة: النساء . آية : ٤٠ . | (٦) سورة: مريم . آية : ٩ ، ٢٠ ، ٦٧ . |
| (٢) سورة: الأنفال . آية : ٥٣ . | (٧) سورة: لقمان . آية : ١٦ . |
| (٣) سورة: التوبة . آية : ٧٤ . | وسورة: غافر . آية : ١٦ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٨٥ . |
| (٤) سورة: هود . آية : ١٧ ، ١٠٩ . | (٨) سورة: المدثر . آية : ٤٣ - ٤٤ . |
| (٥) سورة: النحل . آية : ١٢٠ ، ١٢٧ . | (٩) سورة: القيامة . آية : ٣٧ . |

الفصل الرابع عشر

فيما جاء على عشرين وجهاً

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ على التوحيد: في البقرة، وآل عمران، وهود، والحجر^(١) وفي النحل خمسة أحرف بالتوحيد. وفي الشعراء ثمانية. وفي النمل، والعنكبوت، وسبأ^(٢).

(١) في الأصول: «الحجرات» خطأ.

(٢) سورة: البقرة. آية: ٢٤٨.

وسورة: آل عمران. آية: ٤٩.

وسورة: هود. آية: ١٠٣.

وسورة: الحجر. آية: ٧٧.

وسورة: النحل. آية: ١١، ١٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩.

وسورة: الشعراء. آية: ٨، ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.

وسورة: النمل. آية: ٥٢.

وسورة: العنكبوت. آية: ٤٤.

وسورة سبأ: آية: ٩.

الفصل الخامس عشر

ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

وذلك ﴿نزل﴾ و﴿أنزل﴾.

في البقرة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾^(١).

وفي آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^(٢).

وفي النساء موضعان: ﴿وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾^(٣).

وفي الأنعام: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٤).

وفي الأعراف موضعان: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾^(٥).

وفي الحجر: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾^(٦).

وفي النحل: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٧).

وفي بني إسرائيل: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾^(٨).

وفي الفرقان ثلاثة مواضع: أولها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾، ﴿وَنَزَّلَ

(١) سورة: البقرة . آية : ١٧٦ . (٥) سورة: الأعراف . آية : ٧١ ، ١٩٦ .

(٢) سورة: آل عمران . آية : ٣ . (٦) سورة: الحجر . آية : ٦ .

(٣) سورة: النساء . آية : ١٣٦ ، ١٤٠ . (٧) سورة: النحل . آية : ٤٤ .

(٤) سورة: الأنعام . آية : ٣٧ . (٨) سورة: الإسراء . آية : ١٠٥ .

الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿١﴾ ، ﴿لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ (١) .

وفي الشعراء : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ (٢) .

وفي العنكبوت : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأُحْيِيَ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ (٣) ؛ وليس في القرآن ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ بزيادة « من » غيره .

وفي الصافات : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ (٤) .

وفي الزمر : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ (٥) .

وفي الزخرف موضعان : ﴿ لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ (٦) .

وفي القتال موضعان : ﴿ وَأَمَّنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ . ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ سُنْطِيعَكُمْ ﴾ (٧) .

وفي الحديد : ﴿ مَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٨) .

وفي تبارك : ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٩) .

(١) سورة : الفرقان . آية : ١ ، ٢٥ ، ٣٢ .

(٢) سورة : الشعراء . آية : ١٩٣ .

(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٦٣ .

(٤) سورة : الصافات . آية : ١٧٧ .

(٥) سورة : الزمر . آية : ٢٣ .

(٦) سورة : الزخرف . آية : ٣١ ، ١١ .

(٧) سورة : محمد . آية : ٢ ، ٢٦ .

(٨) سورة : الحديد . آية : ١٦ .

(٩) سورة : الملك . آية : ٩ .

٦ - النوع السادس علم المبهّمات

وقد صنّف فيه أبو القاسم السّهيلي^(١) كتابه المسمّى : « بالتعريف والإعلام » ، وتلاه تلميذه ابنُ عسكر^(٢) في كتابه المسمّى : « بالتكميل والإتمام » ، وهو المبهّمات المصنفة في علوم الحديث ، وكان في السلف من يُعنى به .

(١) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي : حافظ ، عالم باللغة والسير ، ضريب ، ولد في مالقة سنة ٥٠٨ هـ ، وعمي وعمره ١٧ سنة . ونيغ ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه ، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١ هـ . من كتبه : « الروض الأنف » و « تفسير سورة يوسف » و « التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام » و « الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين » و « نتائج الفكر » .

(أنظر : وفيات الأعيان ١/٢٨٠ . ونكت الهميان ١٨٧ . وزاد المسافر ٩٦ . والمغرب في حلي المغرب ١/٤٨٨ . وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٧ . والاستقصا ١/١٨٧ . وإنباه الرواة ٢/١٦٢ . والأعلام ٣/٣١٢) .

(٢) في الأصول : « ابن عساكر » تحريف ، وكذا في المطبوعة .

وهو : محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني ، أبو عبد الله ، المعروف بابن عسكر : أديب ، نبيل ، عالم بالتاريخ والحديث . من أهل مالقة ، ولي قضاءها نيابة ثم أصالة ، وحسنت مسيرته ، وكانت وفاته في سنة ٦٣٦ هـ . من كتبه : « نزهة الناظر » و « المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي » و « التكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام » وغير ذلك .

(أنظر : قضاة الأندلس ١٢٣ . والتكملة لابن الأبار ٣٤٨ . والإحاطة ٢/١١٢ : ١٢٥ والأعلام ٦/٢٨١) .

قال عكرمة^(١) : طلبتُ الَّذِي خَرَجَ فِي بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْحَثُ فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِاسْتِثْنَائِهِ بَعْلَمَهُ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْ دُونِهِمْ لَنْ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾^(٢) وَالْعَجَبُ مِمَّنْ تَجَرَّأَ وَقَالَ : قِيلَ إِنَّهُمْ قَرِيبَةٌ ، وَقِيلَ : مِنَ الْجِنِّ .

[أسباب الإبهام]^(٣) :

وله أسباب : -

١ - الأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ أَبْهَمُ فِي مَوْضِعِ اسْتِغْنَاءٍ^(٤) بَيَّانُهُ فِي آخِرِ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾^(٥) بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾^(٦) الْآيَةَ .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٧) ، بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٩) ؛ وَالْمَرَادُ آدَمَ ، وَالسِّيَاقُ بَيَّنَّهُ .

(١) هو : عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس : تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي . طاف البلدان ، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل ، منهم أكثر من سبعين تابعياً ، مات سنة ١٠٥ هـ .

(أنظر : تهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ : ٢٧٣ . وحلية الأولياء ٣/٣٢٦ . وميزان الاعتدال ٢٠٨/٢ . وابن خلكان ١/٣١٩ . والأعلام ٤/٢٤٤) .

(٢) سورة : الأنفال . آية : ٦٠ .

(٣) هذا العنوان ليست في الأصول ، وقد أضفناه للتقسيم .

(٤) في ب ، ج : « استغناء » وفي أ : « أن يكون المبهم في موضع استغني ببيانه في آخر » .

(٥) سورة : الفاتحة . آية : ٢ .

(٦) سورة : الانفطار . آية : ١٧ .

(٧) سورة : الفاتحة . آية : ٧ .

(٨) سورة : النساء . آية : ٦٩ .

(٩) سورة : البقرة . آية : ٣٠ .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) ، والمراد بهم المهاجرون ، لقوله في الحشر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ (٢) . وقد احتج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة فقال : نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ، أي تبعاً لنا - وإنما استحقها دونهم لأنه الصديق الأكبر .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ (٣) يعني : مريم وعيسى ، وقال ﴿ آيَةً ﴾ ولم يقل : آيتين ، وهما آيتان ؛ لأنها قضية واحدة ، وهي ولادتها له من غير ذكر .

٢ - والثاني : أن يتعين لاشتهاره :

كقوله : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (٤) ولم يقل حواء ؛ لأنه ليس غيرها .

وكقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ (٥) ، والمراد : النمرود ؛ لأنه المرسل إليه .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ (٦) ، والمراد : العزيز .

وقوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ (٧) ، والمراد : قابيل ، وهابيل .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٨) .

قالوا : وحيثما جاء في القرآن : ﴿ أساطيرُ الأولين ﴾ فقائلها : النضر بن

- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : التوبة . آية : ١١٩ . | (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ . |
| (٢) سورة : الحشر . آية : ٨ . | (٦) سورة : يوسف . آية : ٢١ . |
| (٣) سورة : المؤمنون . آية : ٥٠ . | (٧) سورة : المائدة . آية : ٢٧ . |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٣٥ . | (٨) سورة : الأنعام . آية : ٢٥ . |

الحارث بن كلدة^(١) ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس ، وتعلم الأخبار ثم جاء ، وكان يقول : أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد ، وإنما يحدثكم أساطير الأولين ، وفيه نزل : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٢) . وَقَتْلَهُ النَّبِيُّ ﷺ صَبْرًا يَوْمَ بَدْر .

وقوله : ﴿ لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾^(٣) ، فإنه ترجح كونه مسجد قباء ، بقوله : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾^(٤) ؛ لأنه أسس قبل مسجد المدينة ، وحُدس هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت ؛ وكلاهما أُسِّس على هذا من أول يوم ، أي من أول عام من الهجرة ، وجاء في حديث^(٥) تفسيره بمسجد المدينة . وجمع بينهما بأن كليهما مراد الآية .

٣ - الثالث : قصد الستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه : ولهذا كان النبي ﷺ إذا بلغه عن قوم شيء حَظَبَ فقال : « ما بال رجال قالوا كذا »^(٦) .

وهو غالب ما في القرآن كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ

(١) هو : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، من بني عبد الدار ، من قريش : صاحب لواء المشركين ببدر ، وهو ابن خالة النبي ﷺ ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله ﷺ كثيراً . شهد وقعة بدر مع مشركي قريش ، فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم من الوقعة .

(أنظر : الكامل لابن الأثير ٢/٢٦ . وزهر الآداب ١/٣٣ ، ٣٤ . ومعجم البلدان ١/١١٢ . ومطالع البدر ١/٢٣٢ . ونسب قريش . وجمهرة الأنساب ١١٧ . والأعلام ٨/٣٣) .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ٩٣ .

(٣) سورة : التوبة . آية : ١٠٨ .

(٤) سورة : التوبة . آية : ١٠٨ .

(٥) أنظر الحديث في : مسند الإمام أحمد . وتفسير ابن كثير ٢/٣٨٩ .

(٦) أنظر : صحيح البخاري ، كتاب الأيمان باب ٣ . وهو أسلوب النبي ﷺ في الستر على الخطأ ، فبذلك يكون الكلام أوقع على سامعيه .

مِنْهُمْ ﴿١﴾ ؛ قيل : هو مالك بن الصَّيْف .

وقوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴾ (٢) ، والمراد هو : رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد .

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (٥) .

٤ - الرابع : ألا يكون في تعيينه كثير فائدة :

كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ (٦) والمراد بها : بيت المقدس .

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ (٧) والمراد : أيلة ، وقيل : طبرية .

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ﴾ (٨) والمراد : نينوى .

﴿ أَتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ (٩) قيل : بركة .

فإن قيل ما الفائدة في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر ﴾ (١٠) قيل : آزر اسم صنم ؛ وفي الكلام : حذف أي دع آزر ؛ وقيل كلمة زجر ؛ وقيل : بل هو اسم أبيه ؛ وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلق على الجد ، فقال : « آزر » لرفع المجاز .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٠٠ .

(٢) وانظر : تفسير القرطبي ٤٠/٢ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٠٨ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٠٤ .

(٥) سورة : النساء . آية : ٤٤ .

(٦) سورة : آل عمران . آية : ٧٢ .

(٧) وانظر : تفسير القرطبي ١١/٤ .

(٨) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .

(٩) سورة : الأعراف . آية : ١٩٣ .

(١٠) سورة : يونس . آية : ٩٨ .

(١١) سورة : الكهف . آية : ٧٧ .

(١٢) سورة : الأنعام . آية : ٧٤ .

٥ - الخامس : التنبية على التعميم ، وهو غيرُ خاصٍّ بخلاف ما لو عيّن :
كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

قال عِكْرِمَةُ : أقيمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته ، هو :
ضمرة بن العيص ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضاً ، فلما نزلت آية
الهجرة خرج منها فمات بالتَّعْمِيمِ .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (٢) .

قيل : نزلت في عليّ ، كان معه أربع دنانق ، فتصدق بواحد بالنهار ،
وآخر بالليل ، وآخر سراً ، وآخر علانية .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ (٣) .

قيل : نزلت في عديّ بن حاتم (٤) ، كان له كلاب خمسة قد سماها
بأسماء أعلام (٥) .

٦ - السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم :

كقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ (٦) ، والمراد : الصديق .

وكذلك : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ﴾ (٧) ، يعني : محمداً .

(١) سورة : النساء . آية : ١٠٠ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٧٤ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٤ .

(٤) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو وهب وأبو طريف : أمير

صحابي ، من الأجواد كان رئيس طيء في الجاهلية . أسلم سنة ٩ هـ ، روى عنه

المحدثون ٦٦ حديثاً . وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل .

(أنظر : الإصابة ت ٥٤٧٧ . وخزانة البغدادي ١/١٣٩ . والروض الأنف ٢/٣٤٣ .

ورغبة الأمل ٦/١٣٥) .

(٥) في الأصول : « كان له كلاب قد سماها أعلام » ، وقد استكمل محقق المطبوعة النص

من تفسير القرطبي ٦/٦٦ .

(٦) سورة : الزمر . آية : ٣٣ .

(٧) سورة : النور . آية : ٢٢ .

﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾^(١) ، يعني : أبا بكر ودخل في الآية كل مصدق ، ولذلك قال : ﴿ أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٢) .

٧ - السابع : تحقيره بالوصف الناقص :

كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾^(٤) والمراد فيها : العاصي بن وائل .

وقوله : ﴿ إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾^(٥) والمراد : الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

وأما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾^(٦) فذكره هنالك للتنبيه على أن ماله للنار ذات اللهب .

تنبيهات :

١ - الأول :

قد يكون للشخص إسمان ، فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكتة :

فمنه : قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٧) ، ولم يُذكرُوا في القرآن إلا بهذا ، دون « يا بني يعقوب » . وسره أن القوم لما حُوطبوا بعبادة الله ، وذكروا بدين أسلافهم ؛ موعظةً لهم ؛ وتنبهاً من غفلتهم ، سُموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله ، فإن « إسرائيل » إسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل .

ولهذا لما دعا النبي ﷺ قوماً إلى الإسلام يقال لهم : « بنو عبد الله » ،

قال : « يا بني عبد الله ، إن الله قد حَسَّنَ اسمَ أبيكم »^(٨) ، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه^(٩) اسمه من العبودية .

(١) سورة : الزمر . آية : ٣٣ . (٦) سورة : المسد . آية : ١١ .

(٢) سورة : الزمر . آية : ٣٣ . (٧) سورة : البقرة . آية : ٤٠ ، ٤٧ .

(٣) سورة : النساء . آية : ٥٦ . (٨) الحديث .

(٤) سورة : الكوثر . آية : ٣ . (٩) في ب : « يقتضي » .

(٥) سورة : الحجرات . آية : ٦ .

ولما ذكّر موهبته لإبراهيم وتبشيرَه به قال : يعقوب ، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبةٌ تَعْقُبُ أخرى ، وبشري عقب بها بشري^(١) فقال : ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾^(٢) وإن كان^(٣) إسم يعقوب عبرانياً ؛ لكن لفظه موافق للعربي ، من العقب والتعقيب . فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فإنه من العجائب .

وكذلك حيث ذكر الله نوحاً سماه به ، واسمه عبد الغفار ، للتبنيه على كثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه .

ومنه : قوله تعالى حاكياً عن عيسى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾^(٤) ، ولم يقل « محمد » ؛ لأنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد ، حمد ربه ، فنباؤه وشرفه ، فلذلك تقدم على محمد بذكره عيسى به .

ومنه : أن مدين هم أصحاب الأيكة ، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدين قال : ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾^(٥) ، وحيث أخبر عن الأيكة^(٦) لم يقل « أخوهم » .

والحكمة فيه أنه لما عرفهم بالنسب ، وهو أخوهم في ذلك النسب ذكره ، ولما عرفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخوهم ، وأخرجه عنهم .
ومنه : ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾^(٧) ، فأضافه إلى الحوت ، والمراد : يونس .

وقال في سورة القلم : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾^(٨) ، والإضافة

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) في ب : « عقب بها فقال » . | (٦) في سورة : الحجر . آية : ٧٨ . |
| (٢) سورة : هود . آية : ٧١ . | وسورة الشعراء . آية : ١٧٦ . |
| (٣) في ب : « وإن إسم يعقوب » . | وسورة : ق . آية : ١٤ . |
| (٤) سورة : الصف . آية : ٦ . | وسورة : ص . آية : ١٣ . |
| (٥) سورة : العنكبوت . آية : ٣٦ . | (٧) سورة : الأنبياء . آية : ٨٧ . |
| وسورة : الأعراف . آية : ٨٥ . | (٨) سورة : القلم . آية : ٤٨ . |
| وسورة : هود . آية : ٨٤ . | |

«بذي» أشرف من الإضافة «بصاحب»، ولفظ «النون» أشرف من «الحوت» .

ولذلك وجد في حروف التهجّي ، كقوله : ﴿ نَ وَالْقَلَمِ ﴾ (١) . وقد قيل : إنه قسم ، وليس في الآخر ما يشرفه بذلك .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٢) ، فعُدل عن الاثم إلى الكنية ؛ إما لاشتهاره بها ، أو لقيح الاسم ، فقد كان اسمه عبد العزّي .

واعلم أنه لم يسم الله قبيلةً من جميع قبائل العرب باسمها إلا قريشاً ؛ سُمّاهم بذلك في القرآن ، ليبقى على مرّ الدهور ذكرهم ، فقال تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ (٣) (٤) .

٢ - الثاني :

أنه قد بالغ في الصفات ، للتنبيه على أنه يريد إنساناً بعينه :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ... ﴾ (٥) الآية ؛ قيل : إنه الأخنس بن شريق .

وقوله : ﴿ وَيَبُلُّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَمْزَةً ﴾ (٦) ؛ قيل : إنه أمية بن خلف (٧) ؛ كان يهمز النبي ﷺ .

(١) سورة : القلم . آية : ١ .

(٢) سورة : المسد . آية : ١ .

(٣) سورة : قريش . آية : ١ .

(٤) الفقرة من أول : تعالى : ﴿ تبّت يدا ... ﴾ إلى ﴿ ... لإيلاف قريش ﴾ ليست في ب ، وج . وهي على هامش النسخة أ .

(٥) سورة : ن . آية : ١٠ - ١١ .

(٦) سورة : الهمزة . آية : ١ .

(٧) هو : أمية بن خلف بن وهب ، من بني لؤي : أحد جبابرة قريش في الجاهلية ، ومن =

٣ - الثالث :

قيل : لم يذكر الله تعالى « امرأة » في القرآن وسَمَّاهَا بِاسْمِهَا ، إلا مريم بنت عمران ، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً ، لحكمة ذكرها بعض الأسيخ قال :

إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم ، ولا يتدلون أسماءهم ، يَكُونُ عن الزوجة بِالْعُرْسِ ، والعيال ، والأهل ، ونحوه ، فإذا ذكروا الإماء لم يَكُونُوا عَنْهُنَّ ، ولم يَصُونُوا أَسْمَاءَهُنَّ عن الذَّكْرِ والتصريح بها ، فلما قالت النصرى في مريم وفي ابنها ما قالت ، صرَّحَ اللهُ تَعَالَى بِاسْمِهَا ، ولم يَكُنْ عَنْهَا ؛ تأكيداً لأمر العبودية التي هي صفة لها ، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها ؛ ومع هذا فإن عيسى لا أب له ، واعتقاد هذا واجب ، فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم ، استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه ، وتزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله .

٤ - الرابع :

وأما الرجال فذكر منهم كثيراً ؛ وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ^(١) أنه الوليد بن المغيرة ^(٢) .

= ساداتهم ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم . وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداءة ظهور الإسلام . أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر ، فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله ، فقتلوه . (أنظر : سيرة ابن هشام ٥٢/٢ . والكامل لابن الأثير ٤٨/٢ . وعيون الأثر ٢٥٩/١) .

(١) سورة : المدثر . آية : ١١ .

(٢) هو : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس : من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها . يقال له « العدل » لأنه كان عدل قريش كلها . كان ممن حرم الخمر في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاماً على شربها . أدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاده وقاوم دعوته . وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، ودفن بالحجون . وهو والد سيف الله خالد بن الوليد .

وقد سَمَّى الله زَيْدًا في سورة الأحزاب ؛ للتصريح بأنّه ليس بابن النبي ﷺ ؛ وأضيف إلى ذلك السَّجَل ؛ قيل : إنه كان يكتب للنبي ﷺ ، وأنه المراد بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ السَّجِلَ لِلنَّبِيِّ ﴾ (١) .

= (أنظر : الكامل ٢/٢٦ . والنويري ١٦/٢٧٣ . واليعقوبي ١/٢١٥ . ورجبة الأمل ٥/٢٩ .. والأعلام ٨/١٢٢) .
(١) سورة : الأنبياء . آية : ١٠٤ .

٧ - النوع السابع في أسرار الفواتح والسُّور

اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة ؛ وفيها يُلغز فيقال :
أي شيء إذا عدده زاد على المائة ؛ وإذا عدت نصفه كان دون العشرين ؟ .
وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ؛ لا يخرج
شيء من السُّور عنها .

١ - الأول : استفتاحه بالثناء عليه عز وجل .

والثناء قسمان : إثبات لصفات المدح ؛ ونفي وتنزيه من صفات النقص .
والإثبات نحو :

﴿ الحمد لله ﴾ في خمس سور^(١) .

و ﴿ تبارك ﴾ في سورتين^(٢) : الفرقان : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ،
والملك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ .

والتنزيه نحو : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾^(٣) .

(١) هي : سورة الكهف ، وسبأ ، والأنعام ، وفاطر ، وال فاتحة .

(٢) « و ﴿ تبارك ﴾ في سورتين » إضافة من محقق المطبوعة يقتضيها السياق .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ١ .

﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ (٢) .
﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾ (٣) .

كلاهما في سبع (٤) سور ، فهذه أربع عشرة سورة اسْتُفْتِحَتْ بالثناء على الله : نصفها لثبوت صفات الكمال ؟ ونصفها لسلب النقائص .

قلت : وهو سرّ عظيم من أسرار الألوهية .

قال صاحب « العجائب » :

« سبح لله » هذه كلمة استأثر الله بها ؛ فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل لأنه الأصل ؛ ثم الماضي ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ ، في الحديد والحشر والصف ؛ لأنه أسبقُ الزمانين ، ثم المستقبل (٥) في الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها ، وهي أربع : المصدر ، والماضي ، والمستقبل ، والأمر المخاطب ، فهذه أعجوبة وبرهان .

٢ - الثاني : استفتاح السُّور بحروف التَّهَجِّي (٦) :

نحو : الَمْ ، الَمْص ، الَمْر ، كَهَيْعَص ، طه ، طس ، طسَم ، حم ، حمَم ، عَسَق ، ق ، ن . وذلك في تسع وعشرين سورة .

قال الزمخشري : « وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتها نصف أسامي حروف المعجم ، أربعة عشر : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ،

(١) سورة : الأعلى . آية : ١ .

(٢) سورة : الحديد ، والصف ، والحشر .

(٣) سورة : التغابن ، والجمعة .

(٤) في أ ، ب ، ح : « خمس » وما أثبتناه من الإتيان في علوم القرآن ، للسيوطي ١٠٥/٢ ، وهو المناسب لسياق الكلام .

(٥) في أ ، ب ، ح : « المستقبل » وما أثبتناه من المرجع السابق ، وهو الأنسب .

(٦) في النسخة ج : « الهجاء » .

والحاء ، والقاف ، والنون . في تسع وعشرين عدد حروف المعجم . ثم تجدها مشتمةً على أصناف أجناس الحروف : المهموسة والمجهورة والشديدة والمطبقة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقة . ثم إذا استقرت الكلام تجدُ هذه الحروف هي أكثر دوراً مما بقي ، ودليله أنّ الألف واللام لما كانت أكثر تداوراً جاءت في معظم هذه الفواتح ، فسبحان الذي دَقَّت في كل شيء حكيمته»^(١) . انتهى .

قيل : وبقي عليه من الأصناف : الشديدة والمنفتحة ، وقد ذكر تعالى نصفها . أما حروف الصفير فهي ثلاثة ليس لها نصف ؛ فجاء منها السين والصاد ، ولم يبق إلا الزاي .

وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء ، أما المكرر وهو الراء ، والهاوي وهو الألف ، والمنحرف وهو اللام فذكرها ؛ ولم يأت خارجاً عن هذا النمط إلا ما بين الشديدة والرّخوة ؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف .

وهذا التداخل موجود في كل قسم قبله ، ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها .

ووهم الزمخشريّ في عد حروف القلقة ؛ إنما ذكر نصفها ، فإنها خمسة ذكر منها حرفان : القاف والطاء .

وقال القاضي أبو بكر : إنما جاءت على نصف حروف المعجم ؛ كأنه قيل : مَنْ زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقي ، ويُرْكَب عليه لفظاً معارضة للقرآن .

وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق .

واعلم أن الأسماء المتهجّاة في أول السور ثمانية وسبعون حرفاً ، فالكاف

(١) أنظر : الكشاف للزمخشري ١٣/١ ، ١٤ .

والنون كل واحد في مكان واحد ، والعين والياء والهاء والقاف كل واحد في مكانين ، والصاد في ثلاثة ، والطاء في أربعة ، والسين في خمسة ، والراء في ستة ، والحاء في سبعة ، والألف واللام في ثلاثة عشر ، والميم في سبعة عشر ، وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما :

كُنْ وَاحِدٌ عَيْهَقُ اثْنَانِ ثَلَاثَةٌ صَا ذُ الطَّاءُ أَرْبَعَةٌ وَالسِّينُ خَمْسٌ عَلا
والرَّاءُ سِتٌّ وَسَبْعُ الحَاءِ آلٌ وَدَج وَمِيمِهَا سَبْعُ عَشْرٍ تَمَّ وَاكْتَمَلَا

وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة ، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً ؛ يجمعها قولك : « نص حكيم قاطع له سر » ؛ وجمعها السهيلي في قوله : « ألم يَسْطَع نور حق كره » .

وهذا الضابط في لفظه ثَقُل ، وهو غير عذب في السمع ولا في اللفظ ؛ ولو قال : « لم يكرها نصٌّ حق سَطَع » لكان أعذب .

ومنهم من ضبط بقوله : « طرق سمعك النصيحة » ، و « صُنْ سرّاً يقطعك حملة » ، و « على صراط حق يمسه » .

وقيل : « مَنْ حَرَصَ على بَطْه كاسر » .

وقيل : « سر حصين قطع كلامه » .

ثم بنيتها^(١) ثلاثة حروف موحدة : ص ق ن ، وعشرة مثني : طه ، طس ، يس ، حم . واثنان عشر مثلثة الحروف : ألم ، آلر ، طسم ، واثنان حروفها أربعة : ألمص ، ألمر . واثنان حروفها خمسة : كهيعص حم عسق .

وأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها : ما هو ثلاثة أحرف ، وما هو أربعة أحرف (سورتان) ، وما ابتدئ بخمسة أحرف (سورتان) .

وأما ما بدىء بحرف واحد فاختلفوا فيه :

(١) في النسخة ج : « منها » .

فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً وإنما جعله إسماً لشيء خاص .
ومنهم مَنْ جعله حرفاً وقال : أراد أن يتحقق الحروف مفردَها ومنظومَها .
فأما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سرٌّ ، وذلك أن الألف إذا بدىء بها أولاً
كانت همزةً ، وهي أولُ المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج
الحروف ، وهي أشدُّ الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف
ومخرجها من الفم .

وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ؛ أعني الحلق ، واللسان ،
والشفتين ، وترتبت في التنزيل من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة ، التي يتفرع منها ستة عشر
مخرجاً ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين ،
مع تضمّنها سراً عجيباً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم
للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية ، والنهاية ، والواسطة
بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبدأ الخلق ،
ونهايته ، وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية
من الشرائع^(١) والأوامر .

فتأمل ذلك في البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .
وأيضاً : فلأن الألف واللام كُثرت في الفواتح دون غيرها من الحروف
لكثرتها في الكلام .

وأيضاً : من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرثة ؛ فهي أعمق
الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقةً بصدر الغار الأعلى من
الفم ؛ فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم ، والميم مُطبَّقة ؛ لأن مخرجها من

(١) في النسخة جـ : « التشريع » .

الشفيتين إذا أطبقا ، ويُرمز بهنَّ إلى باقي الحروف ؛ كَمَا رَمَزَ ﷺ بقوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » (١) إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما .

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فإنَّ الطاء جمعتُ من صفات الحروف خمسَ صفات لم يجمعها غيرها : وهي الجهرُ ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق ، والإصمات .

والسَّين مهموس رِخْو مستفل صفيح منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرفٌ يقابلها ، كالسين والهاء ؛ فذكرَ الحرفين اللذين جَمَعَا صفات الحروف .

وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة : كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ؛ فمن ذلك : ﴿ قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴾ (٢) فإنَّ السورة مبنية على الكلمات القافية : من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق ، وتكرار القول ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقي الملكين ، وقول العتيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق ، والقرين ، والإلقاء في جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرن ، والتنقيب في البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسي فيها ، وبسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وسرَّ آخر وهو أن كلَّ معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة ، والجهر ، والقلقلة ، والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة « ص » من الخصومات المتعددة ؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ . وقولهم : « أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا . . . » (٣) ، إلى آخر كلامهم ، ثم اختصام الخصمين عند

(١) الحديث أخرجه :

(٢) سورة : ق . آية : ١ .

(٣) سورة : ص . آية : ٤ .

داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصاص الملائة الأعلى في العلم ، وهو الدَّرَجَات ، والكفارات ، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربّه وأمره بالسجود ، ثم اختصاصه ثانياً في شأن بَنِيهِ وَحَلِيفِهِ لِيُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إلا أهل الإخلاص منهم .

وكذلك سورة ﴿ ن وَالْقَلَم ﴾ (١) ؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن ، مع ما تضمنت من الألفاظ التورية .

وتأمل سورة الأعراف زاد فيها « صر » لأجل قوله : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ (٢) وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء .

ولهذا قال بعضهم : معنى ﴿ أَلَمْص ﴾ ، ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٣) .

وقيل : معناه المصوّر .

وقيل : أشار بالميم لمحمد ، وبالصاد للصدّيق ؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم ، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصدّيق لمحمد ومتابعته له .

وجعل السهيليّ هذا من أسرار الفواتح ، وزاد في الرعد « راء » لأجل قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾ (٤) ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما .

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ (٥) وقد جاء بخلاف ذلك في العنكبوت والروم ، فيسأل عن حكمة ذلك .

(١) سورة : القلم . آية : ١ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ٢ .

(٣) سورة : الانشراح . آية : ١ .

(٤) سورة : الرعد . آية : ٣ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١ ، ٢ .

تنبيهات :

ثم لا بدّ من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة :

الأول : أن البصريين لم يعدّوا شيئاً منها آية ؛ وأما الكوفيون فمنها ما عدّوه آية ، ومنها ما لم يعدّوه آية ؛ وهو عِلْمُ تَوْقِيفِيٍّ لا مجال للقياس فيه ؛ كـمعرفة السور ؛ أما ﴿ آلم ﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتحة بها ، وهي ست^(١) ، وكذلك ﴿ آلمص ﴾ آية ، و ﴿ آلمر ﴾ لم تُعدّ آية ، و ﴿ آلر ﴾ ليست بآية من سورها الخمس ، و ﴿ طسم ﴾ آية في سورتها ، و ﴿ طه ﴾ و ﴿ يس ﴾ آيتان ، و ﴿ طس ﴾ ليست بآية ، و ﴿ حم ﴾ ، آية في سورها كلها ، و ﴿ حم . عسق ﴾ آيتان ، و ﴿ كهيعص ﴾ آية واحدة ، و ﴿ ص ﴾ ، و ﴿ ق ﴾ ؛ و ﴿ ن ﴾ ، لم تعد واحدة منها آية ؛ وإنما عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية ، كما عدّ ﴿ الرحمن ﴾ وحده ، و ﴿ مُدْهَامَتَان ﴾^(٢) وحدها آيتين على طريق التوقيف .

وقال الواحدي في « البسيط » في أول سورة يوسف : لا يعدّ شيء منها آية إلا في ﴿ طه ﴾ ، وسرّه أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رءوس الآي ، فلهذا لم يعدّ آية ؛ بخلاف ﴿ طه ﴾ ، فإنها تشاكل ما بعدها .

الثاني : هذه الفواتح الشريفة على ضربين :

أحدهما : ما لا يتأتى فيه إعراب ، نحو ﴿ كهيعص ﴾ و ﴿ آلم ﴾ .

والثاني : ما يتأتى فيه ؛ وهو إما أن يكون اسماً مفرداً كـ : ص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ « حم » ، و « طس » ، و « يس » فإنها موازنة لقابيل وهابيل ، وكذلك « طسم » يتأتى فيها أن تفتح نونها فتصير (ميم) مضمومة إلى « طس » فيجعلها اسماً واحداً كدارانجرد .

فالنوع الأول محكيّ ليس إلا ، وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران :

الإعراب والحكاية .

(١) الروم ، وآل عمران ، والسجدة ، ولقمان ، والبقرة ، والعنكبوت .

(٢) سورة : الرحمن . آية : ٦٤ .

الثالث : أنه يوقف على جميعها وقف التمام ؛ إن حُمِلَتْ على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده ، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ، وينعق^(١) بها كما ينعق بالأصوات ؛ أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف ؛ كقوله تعالى : ﴿ اَلَمْ . اَللَّهُ ﴾^(٢) أي : هذه السورة « اَلَمْ » ثم ابتداء فقال : ﴿ اَللَّهُ لِاِلهِ اِلَّا هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴾^(٣) .

الرابع : أنها كتبت في المصاحف الشريفة على صورة الحروف أنفسها ، لا على صورة أساميها ، وعُلِّلَ ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تُهَجِّت ، ومتى قيل للكاتب : اكتب : كَيْتَ وكَيْتَ ، أن يلفظ بالأسماء ، وتقع في الكتابة الحروف أنفسها ؛ فحمل على ذلك للمشكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح .

وأيضاً فإن شهرة أمرها ، وإقامة السنة الأحمر والأسود لها ؛ وأن اللفظ بها غير متهجأة لا يجيء بطائل فيها ، وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها .

وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يُبنى عليها علمُ الخطِّ والهجاء ؛ ثم ما عَادَ ذلك بنكير^(٤) ، ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ ، وكان اتباع خطِّ المصحف سنة لا تخالف . أشار إلى هذه الأحكام المذكورة صاحبُ الكشاف^(٥) .

وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل السور على قولين : أحدهما : أن هذا علم مستور ، وسر محجوب استأثر الله به ، ولهذا قال

(١) في النسخة ب : « ينطق » .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ١ - ٢ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥٥ .

(٤) في النسخة أ : « بتكثير » .

(٥) أنظر : الكشاف ، للزمخشري ١/٢ ، ١٢ .

الصديق رضي الله عنه : في كل كتاب سرّ ، وسِرُّه في القرآن أوائلُ السور .
قال الشعبيّ : إنها من المتشابه ، نوّمن بظاهاها ، ونكّل العلم فيها إلى
الله عز وجلّ .

قال الإمام الرازي : وقد أنكر المتكلّمون هذا القول ، وقالوا : لا يجوز أن
يرد في كتاب الله ما لا يفهمه الخلق ، لأنّ الله تعالى أمر بتدبيره ، والاستنباط
منه ؛ وذلك لا يمكن إلاّ مع الإحاطة بمعناه ، ولأنه كما جاز التعبّد بما لا يعقل
معناه في الأفعال ، فلم لا يجوز في الأقوال بأن يأمرنا الله تارةً بأن نتكلم بما نقف
على معناه ، وتارة بما لا نقف على معناه ، ويكون القصدُ منه ظهور الانقياد
والتسليم !

القول الثاني : أن المراد منها معلوم ، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين
وجهاً ؛ فمنها البعيد ، ومنها القريب :

أحدها : ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كلّ حرف منها مأخوذ
من إسم من أسمائه سبحانه ، فالألف من « الله » ، واللام من « لطيف » ،
والميم من « مجيد » ، أو الألف من « آله » ، واللام من « لطفه » ، والميم من
« مجده » .

قال ابن فارس : وهذا وجه جيّد ، وله في كلام العرب شاهد :

* قلنا لها قفي فقالت ق *

فعبّر عن قولها « وَقَفْتُ » بق .

الثاني : أن الله أقسم بهذه الحروف بأنّ هذا الكتاب الذي يقرؤه^(١)
محمد هو الكتاب المنزّل لا شك فيه ، وذلك يدل على جلالته قدر هذه الحروف
إذ كانت مادّة البيان . وما في كتب^(٢) الله المنزلة باللغات المختلفة ، وهي

(١) في النسخة ب : « يقوله » .

(٢) في النسخة ح : « ومباني كتب الله . . . » .

أصول كلام الأمم^(١) بها يتعارفون ، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿الفجر﴾ و ﴿الطور﴾ ؛ فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها .

الثالث : أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين ؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح إسم من أسمائه عز وجل ، أو آله ، أو بلائه ، أو مدة أقوام أو آجالهم .

فالآلف سنة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون ؛ روي عن الربيع بن أنس .

قال ابن فارس : وهو قول حسن لطيف ، لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدع نظماً عجيباً ، ولا علماً نافعاً إلا أودعه إياه ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى : ﴿آلَمَ﴾ . أنا الله أعلم . وفي ﴿آلَمَصَ﴾ أنا الله أفصل ، و ﴿آلَرَ﴾ أنا الله أرى ، ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسماء للسور فـ ﴿آلَمَ﴾ إسم لهذه ، و ﴿حَمَ﴾ إسم لتلك ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ؛ فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ، ونقله الزمخشري عن الأكثرين ، وأن سيبويه^(٢) نص عليه في كتابه .

وقال الإمام فخر الدين : هو قول أكثر المتكلمين . فإن قيل : فقد وجدنا ﴿آلَمَ﴾ افتتح بها عدة سور ، فأين التمييز ؟

قلنا : قد يقع الوافق بين إسمين لشخصين ثم يميّز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميّزان بأن يقال : زيد الفقيه ، وزيد

(١) في النسخة حـ : «الإسم» .

(٢) أنظر : الكتاب ، لسيبويه ٣٠/٢ ، والكشاف ، للزمخشري ١١/١ .

النحوي ، فكذلك إذا قرأ القارئ : ﴿ اَلَمْ . ذَلِكَ اَلْكِتَابُ ﴾ (١) فقد ميّزها عن ﴿ اَلَمْ . اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ ﴾ (٢) .

السادس : أنّ لكل كتاب سرّاً ، وسرّ القرآن فواتح السور .

قال ابن فارس : وأظنّ قائل ذلك أراد أنه من السرّ الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم . واختاره جماعة ، منهم أبو حاتم بن حبان (٣) .

قلت : وقد استخرج بعض أئمة المغرب من قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ . غَلِبَتِ اَلرُّومُ ﴾ (٤) فتوح بيت المقدس ، واستنقاده من العدو في سنة معيّنة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغّوا فيه .

وقال بعضهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا اَلْقُرْآنِ وَآلَغُوا فِيهِ ﴾ (٥) فانزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ، ويكون تعجبهم سبباً لاستماعهم ، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده ، فترقّ القلوب وتلين الأفتدة .

الثامن : أنّ هذه الحروف ذكرت لتدلّ على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي : ا ، ب ، ت ، ث . . . فجاء بعضها مقطّعا ، وجاء تمامها مؤلفاً ،

(١) سورة : البقرة . آية : ١ - ٢ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ١ - ٢ .

(٣) هو : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، أبو حاتم البستي ، ويقال له : ابن حبان : مؤرخ علامة ، جغرافي ، محدث . ولد في بست ، وتوفي سنة ٣٥٤ هـ . من كتبه : روضة العقلاء ، وصحيح ابن حبان ، ومعرفة المجروحين من المحدثين ، والثقات ، وغير ذلك .

(أنظر : شذرات الذهب ١٦/٣ . واللباب ١٢٢/١ . وتذكرة الحفاظ ١٢٥/٣ . وميزان الاعتدال ٣٩/٣ . ولسان الميزان ١١٢/٥ . وطبقات السبكي ١٤١/٢ . والأعلام ٧٨/٦) .

(٤) سورة : الروم . آية : ١ - ٢ .

(٥) سورة : فصلت . آية : ٢٦ .

ليدلّ القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعقلونها ، ويبنون كلامهم منها .

التاسع : واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلاً واحداً ؛ فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادةً منه للدلالة بكل حرف منها على معاني كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من إسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكون اللّه عز وجل^(١) قد وضعها هذا الوضع^(٢) فسمي بها ، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين ، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى في إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سمع ، وأن فيها إعلماً للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد ﷺ بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو إسم لتلك السورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

العاشر : أنها كالمهيبة لمن سمعها من الفصحاء ، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل ، والأخذ في التفاضل ، وهي بمنزلة زمجرة الرعد قبل الناظر في الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام .

وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه .

الحادي عشر : التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط ، ولم يعان الطريقة ، على ما قال تعالى :

(١) في النسخة ج : « الله تعالى » .

(٢) في النسخة ب : « هذا الموضع » .

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

الثاني عشر : انحصارها في نصف أسماء حروف المعجم ؛ لأنها أربعة عشر حرفاً على ما سبق تفصيله ؛ وهذا واضح على من عدّ حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفاً (٢) ، وقال « لا » مركبة من اللام والألف .

والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفاً ، والنطق « بلا » في الهجاء كالنطق في « لا رجل في الدار » ، وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف المعجم صدر اسمه إلا الألف ، فإنه لما لم يُمكن أن يُبتدأ به لكونه مطبوعاً على السكون فلا يقبل الحركة أصلاً تُوصّل إليه باللام ؛ لأنها شابهته في الاعتداد والانتصاب ، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : فقد تقدم إسم الألف في أول حروف الهجاء ؟

قلت : ذلك إسم الهمزة لوجهين :

أحدهما : أنه صدره ، والثاني : أنها صدر ما تصدر من حروف المعجم لتكون صورته ثلاثاً ؛ وإنما كانت صدره لأن صورتها كالمتركة أربع مرات ؛ لأنها تلبس صورة العين وصورة الألف والواو والياء لما يعرض من الحركة والسكون ، ولذلك أخرجوا ما بعد الطاء والظاء والعين ؛ لأن صورتها ليست متكررة . وجوابه على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه (٣) ، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز .

الثالث عشر : مجيئها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف .

فإن قلت : هلا روعي صورتها كما روعي عددها ؟

قلت : عرض لبعضها الثقل لفظاً فأهمل .

(١) سورة : العنكبوت . آية : ٤٨ .

(٢) في النسخة ج : « عند من قال إن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً » .

(٣) في النسخة ج : « تنصفه » .

فصل

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضروريةً في النطق ، واجبةً في الهجاء ، لازمةً التقدم في الخطِّ والنطق - إذ المفرد مقدّم على المركب - فقدّمت هذه المفردات على مركّباتها في القرآن ، فليس في المفرد ما في المركب ، بل في المركب ما في المفرد وزيادة . ولما كان نزول القرآن في أزمنة متطاولة ، تزيد على عشرين سنة ، وكان باقياً إلى آخر الزمان ؛ لأنه ناسخ لما قبله ، ولا كتاب بعده ، جعل الله تعالى حروفه كالعلائم ، مبيّنة أن هذه السورة هي من قبيل تلك التي أنزلت من عشر سنين مثلاً ، حتى كأنها تنتمه ، لها وإن كان بينهما مدة .

وأما نزول ذلك في مُدَدٍ وأزمنة ، أو نزول سورٍ خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع . وأما ترتيبُ وضعِها في المصحف - أعني السور - فله أسباب مذكورة في النوع الثالث عشر .

وأما زيادةُ بعض الحروف في بعض السور وتغييرُ بعضها ، فليُعلم أنّ المراد الإعلام بالحروف فقط ؛ وذلك أنه متى فرض الإنسان في بعضها شيئاً ، مثل ﴿ آلم ﴾ السجدة ، لزمه في مثلها مثله ، كألف لام ميم البقرة ؛ فلما لم يجد ذلك الثاني على بطلان الأول ، وتحقق أن هذه الحروف هي علامات المكتوب والمنطوق . وأما كونها اختصّت بسورة البقرة فيحتمل أن ذلك تنبيه على السور ، وأنها احتوت على جملة المنطوق به من جهة الدلالة ؛ ولهذا حصّلت في تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف .

ولو كان القصد الاحتواء على نصف الكتاب ل جاءت في أربع عشرة سورة ؛ وهذا الاحتواء ليس من كل وجه ، بل من وجه يرجع إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية ؛ وما يقتضي أن يقع فيه التعجيز . ويحتمل أن يكون لمعان آخر ، يجدها من يفتح الله عليه بالتأمل والنظر ؛ أو هبة من لدنه سبحانه .

ولا يمتنع أن يكون في بقية السور أيضاً كما في ذوات الحروف ، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تعلم عليها السور ، لينبه على فضلها ، وهذا من باب الاحتمال .

والأولى أن الأحرف إنما جاءت في تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف ، فتكون السور من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة ؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين .

٣ - النوع الثالث من أنواع استفتاح السور : النداء .

نحو : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾^(٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴾^(٣) ؛ وذلك في عشر سور^(٤) .

٤ - الرابع : الجمل الخبرية :

نحو ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾^(٥) . ﴿ براءة من الله ﴾^(٦) . ﴿ أتى أمرُ

(١) سورة : المائدة ، والممتحنة ، والحجرات .

(٢) سورة : الطلاق ، والأحزاب ، والتحريم .

(٣) سورة : المدثر . آية : ١ .

(٤) ذكر المؤلف سبع مواضع فقط ، وقد استفتح أيضاً الله عز وجل بالنداء في سورة : الحج والمزمل ، والنساء .

(٥) سورة : الأنفال . آية : ١ .

(٦) سورة : التوبة . آية : ١ .

الله ﴿١﴾ . ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ ﴿٢﴾ . ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ﴿٣﴾ .
﴿ سورة أنزلناها ﴾ ﴿٤﴾ . ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ ﴿٥﴾ . ﴿ الذين كفروا ﴾ ﴿٦﴾ . ﴿ إنا
فتحنا ﴾ ﴿٧﴾ . ﴿ اقتربت الساعة ﴾ ﴿٨﴾ . ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ ﴿٩﴾ . ﴿ قد
سمع الله ﴾ ﴿١٠﴾ . ﴿ الحاقة ﴾ ﴿١١﴾ . ﴿ سأل سائل ﴾ ﴿١٢﴾ . ﴿ إنا
أرسلنا ﴾ ﴿١٣﴾ . ﴿ لا أقسم ﴾ في موضعين ﴿١٤﴾ . ﴿ عبس ﴾ ﴿١٥﴾ . ﴿ إنا
أنزلناه ﴾ ﴿١٦﴾ . ﴿ لم يكن ﴾ ﴿١٧﴾ . ﴿ القارعة ﴾ ﴿١٨﴾ . ﴿ أهلكم ﴾ ﴿١٩﴾ . ﴿ إنا
أعطيناك ﴾ ﴿٢٠﴾ فتلك ثلاث وعشرون سورة .

٥ - الخامس : القسم :

نحو: ﴿ والصفات ﴾ . ﴿ والذاريات ﴾ . ﴿ والطور ﴾ . ﴿ والنجم ﴾ .
﴿ والمرسلات ﴾ . ﴿ والنازعات ﴾ . ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ . ﴿ والسماء
والطارق ﴾ . ﴿ والفجر ﴾ . ﴿ والشمس ﴾ . ﴿ والليل ﴾ . ﴿ والضحى ﴾ .
﴿ والتين ﴾ . ﴿ والعاديات ﴾ . ﴿ والعصر ﴾ ؛ فتلك خمس عشرة سورة .

٦ - السادس : الشرط :

نحو ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ ﴿٢١﴾ . ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ ﴿٢٢﴾ . ﴿ إذا
الشمس كورت ﴾ ﴿٢٣﴾ . ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ ﴿٢٤﴾ . ﴿ إذا السماء

- | | |
|----------------------------------|--|
| (١) سورة : النحل . آية : ١ . | (١٣) سورة : نوح . آية : ١ . |
| (٢) سورة : الأنبياء . آية : ١ . | (١٤) سورة : القيامة ، والبلد . آية : ١ . |
| (٣) سورة : المؤمنون . آية : ١ . | (١٥) سورة : عبس . آية : ١ . |
| (٤) سورة : النور . آية : ١ . | (١٦) سورة : القدر . آية : ١ . |
| (٥) سورة : الزمر . آية : ١ . | (١٧) سورة : البيئ . آية : ١ . |
| (٦) سورة : محمد . آية : ١ . | (١٨) سورة : القارعة . آية : ١ . |
| (٧) سورة : الفتح . آية : ١ . | (١٩) سورة : التكاثر . آية : ١ . |
| (٨) سورة : القمر . آية : ١ . | (٢٠) سورة : الكوثر . آية : ١ . |
| (٩) سورة : الرحمن . آية : ١ . | (٢١) سورة : الواقعة . آية : ١ . |
| (١٠) سورة : المجادلة . آية : ١ . | (٢٢) سورة : المنافقون . آية : ١ . |
| (١١) سورة : الحاقة . آية : ١ . | (٢٣) سورة : التكوير . آية : ١ . |
| (١٢) سورة : المعارج . آية : ١ . | (٢٤) سورة : الإنفطار . آية : ١ . |

انشقَّت ﴿١﴾ . ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ ﴿٢﴾ . ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ ﴿٣﴾ ؛ فذلك سبع سور .

٧ - السابع : الاستفتاح بالأمر :

في ست سور : ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ ﴿٤﴾ . ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿٥﴾ . ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٦﴾ . ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿٧﴾ . ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ ﴿٨﴾ في سورتين .

٨ - الثامن : لفظ الاستفهام :

في ﴿هَلْ أَتَى﴾ ﴿٩﴾ . ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ . ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ ﴿١١﴾ . ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ﴿١٢﴾ . ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ﴿١٣﴾ . ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ﴿١٤﴾ ، فتلك ست سور .

٩ - التاسع : الدعاء :

في ثلاث سور : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١٥﴾ . ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ ﴿١٦﴾ . ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ﴿١٧﴾ .

١٠ - العاشر : التعليل :

في موضع واحد ؛ نحو : ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ﴾ ﴿١٨﴾ .

-
- | | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الإنشقاق . آية : ١ . | (١٠) سورة : النبأ . آية : ١ . |
| (٢) سورة : الزلزلة . آية : ١ . | (١١) سورة : العاشية . آية : ١ . |
| (٣) سورة : النصر . آية : ١ . | (١٢) سورة : الشرح . آية : ١ . |
| (٤) سورة : الجن . آية : ١ . | (١٣) سورة : الفيل . آية : ١ . |
| (٥) سورة : العلق . آية : ١ . | (١٤) سورة : الماعون . آية : ١ . |
| (٦) سورة : الكافرون . آية : ١ . | (١٥) سورة : المطففين . آية : ١ . |
| (٧) سورة : الإخلاص . آية : ١ . | (١٦) سورة : الهمزة . آية : ١ . |
| (٨) سورة : الناس ، والفلق . آية : ١ . | (١٧) سورة : المسد . آية : ١ . |
| (٩) سورة : الإنسان . آية : ١ . | (١٨) سورة : قريش . آية : ١ . |

هكذا جمع الشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسي^(١) ؛ قال : وما ذكرناه في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ؛ وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خبر إلا ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾^(٢) فإنه يدخل أيضاً في قسم الأمر ، و ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾^(٣) . يحتمل الأمر والخبر ؛ ونظم ذلك في بيتين فقال :

أثنى على نفسه سُبْحَانَهُ بِبُورِ الْمُنْحِ وَالسُّلْبِ لَمَّا اسْتَفْتَحَ السُّورَا
وَالأَمْرُ شَرْطُ النَّدَا التَّعْلِيلُ وَالْقَسَمُ الدَّعَا حُرُوفُ التَّهْجِي اسْتَفْهَمِ الْخَبْرَا

* * *

(١) هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ، الدمشقي ، أبو القاسم ، شهاب الدين ، أبو شامة : مؤرخ ، محدث ، باحث ، ولد سنة ٥٩٩ في دمشق ، وتوفي بها سنة ٦٦٥ .

من كتبه : « الروضتين في أخبار الدولتين » ، و « مختصر تاريخ ابن عساكر » و « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » و « إبراز المعاني » وغير ذلك .
أنظر : (فوات الوفيات ٢٥٢/١ . وبغية الوعاة ٢٩٧ . والبداية والنهاية ٢٥٠/١٣ .
و غاية النهاية ٣٦٥/١ . وطبقات الشافعية ٦١/٥ . والنعمي ٢٣/١ . والأعلام ٢٩٩/٣ .

(٢) سورة : الأعلى . آية : ١ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ١ .

٨ - النوع الثامن في خواتم السور

وهي مثل الفواتح في الحسن ؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع ؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة ؛ مع إيدان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد .

ومن أوضحه : خاتمة سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا بَلَغٌ لِلنَّاسِ ﴾^(١) .
وخاتمة سورة الأحقاف : ﴿ بَلَغٌ ؛ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٢) ؛
ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواظ وتحميد وتهليل ، ووعد ووعيد ؛ إلى غير ذلك .

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب ؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسيبة لغضب الله والضلال ؛ ففصل جملة ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) ؛ والمراد : المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيد ليتناول كل إنعام ؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتعبة لجميع النعم ؛ ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(٤) يعني : أنهم جمَعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان ، وبين السلامة من غضب الله والضلال المسيبين عن معاصيه وتعدّي حدوده .

(١) سورة : إبراهيم . آية : ٥٢ . (٢) سورة : الأحقاف . آية : ٣٥ .
(٣) سورة : الفاتحة . آية : ٧ . (٤) سورة : الفاتحة . آية : ٧ .

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة^(١).

وكالصايا التي خُتِمَتْ بها سورة آل عمران^(٢)، بالصَّبْر على تكاليف الدين، والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعابقتهم، والصبر على شدائد الحرب والمرابطة في الغزو المحضوض عليها بقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٣)، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق في المضايق، وسهولة الرزق في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٤). وبالفلاح لأن ﴿لعل﴾ من الله واجبة.

وكالصايا والفرائض التي ختمت بها سورة النساء^(٥)، وحسن الختم بها لأنها آخر ما نزل من الأحكام عام حجة الوداع.

والتبجيل، والتعظيم الذي ختمت به المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦)، ولإرادة المبالغة في التعظيم اختيرت «ما» على «من» لإفادة العموم، فيتناول الأجناس كلها.

وكالوعد، والوعيد الذي ختمت به سورة الأنعام بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٧).

ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع.

والتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي خُتِمَتْ به سورة الأعراف^(٨).

والحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال^(٩).

-
- (١) الآيتان : ٢٨٥ - ٢٨٦ من سورة البقرة . (٦) سورة : المائدة . آية : ١٢٠ .
(٢) الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران . (٧) سورة : الأنعام . آية : ١٦٥ .
(٣) سورة : الأنفال . آية : ٦٠ . (٨) الآية ٢٠٦ من سورة الأعراف .
(٤) سورة : الطلاق . آية : ٢ - ٣ . (٩) الآية ٧٥ من سورة الأنفال .
(٥) سورة : النساء . آية : ١٧٦ .

ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل
الذي ختمت به براءة^(١) .

وتسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختم بها سورة يونس^(٢) . ومثلها
خاتمة هود^(٣) .

ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به سورة يوسف^(٤) .

والرد على مَنْ كَذَّب الرسول الذي ختم به الرعد^(٥) .

ومدح القرآن ، وذكر فائدته ، والعلّة في أنّه إلهٌ واحد الذي ختمت به
إبراهيم^(٦) .

ووصيته الرسول التي ختم بها الحجر^(٧) .

وتسليّة الرسول بطمأنينته ووعده الله سبحانه الذي ختمت به النحل^(٨) .

والتحميد الذي ختمت به سبحان^(٩) .

وتحضيض الرسول على البلاغ ، والإقرار بالتنزيه ، والأمر بالتوحيد الذي
ختمت به الكهف^(١٠) .

وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثلاً لمن نظر في بقيته .

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) الآية ١٢٩ من سورة التوبة . | (٦) الآية ٥٢ من سورة إبراهيم . |
| (٢) الآية ١٠٩ من سورة يونس . | (٧) الآية ٩٩ من سورة الحجر . |
| (٣) الآية ١٢٣ من سورة هود . | (٨) الآية ١٢٨ من سورة النحل . |
| (٤) الآية ١١١ من سورة يوسف . | (٩) الآية ١١١ من سورة الإسراء . |
| (٥) الآية ٤٣ من سورة الرعد . | (١٠) الآية ١١٠ من سورة الكهف . |

فصل

ومن أسراره مناسبة فواتح السور وخواتمها :

وتأمل سورة القصص وابدائها بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(١) ، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة ، وختمها بأمر النبي ﷺ بآلاً يكون ظهيراً للكافرين ، وتسليته بخروجه من مكة ، والوعد بعوده إليها بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ ^(٢) .

قال الزمخشري : وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٣) . وأورد في خاتمها : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٤) ، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة !

(١) سورة : القصص . آية : ١٧ .

(٢) سورة : القصص . آية : ٨٥ .

(٣) سورة : المؤمنون . آية : ٢ .

(٤) سورة : المؤمنون . آية : ١١٧ .

فصل

ومن أسرارها مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها :

حتى إن منها ما يظهر تعلُّقها به لفظاً كما قيل في : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾^(١) ، ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾^(٢) .

وفي الكواشي^(٣) لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد ، والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾^(٤) .

(١) سورة : الفيل . آية : ٥ .

(٢) سورة : قريش . آية : ١ .

(٣) هو : أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلية ، موفق الدين ، أبو العباس الكواشي : عالم بالتفسير ، من فقهاء الشافعية . من أهل الموصل . ولد سنة ٥٩٠ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٠ هـ .
من كتبه : « تبصرة المتذكر » و « كشف الحقائق » و « تلخيص في تفسير القرآن العزيز » وغير ذلك .

أنظر : (النجوم الزاهرة ٣٤٨/٧ . ونكت الهميان ١١٦ . والأعلام ٢٧٤/١) .

(٤) سورة : المائدة . آية : ١ .

٩ - النوع التاسع معرفة المكي والمدني

وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ ، والمكي أكثر من المدني .

اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات :

أحدها : أن المكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة .

والثاني : - وهو المشهور- أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ، وإن كان بمكة .

والثالث : أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ؛ وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي ؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطبوا بـ « يأيها الناس » وإن كان غيرهم داخلهم ، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا بـ « يأيها الذين آمنوا » وإن كان غيرهم داخلهم .

وذكر الماوردي^(١) أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية ، وهي :

(١) هو : علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي ، أفضى قضاء عصره . من العلماء الباحثين ؛ أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . ولد بالبصرة سنة ٣٦٤ هـ . وتوفي سنة ٤٥٠ هـ . . .

من كتبه : « أدب الدنيا والدين » و « النكت والعيون » في تفسير القرآن . و « الحاوي » =

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (١) فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى . انتهى .

ونزولها هناك لا يُخرجها عن المدني بالأصطلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو غيرها .

وقال الماوردي في سورة النساء : هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان بن طلحة (٢) ، حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة (٣) ويسلمها إلى العباس ، فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٤) والكلام فيه كما تقدم .

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها « يأيتها الناس » وليس فيها « يأيتها الذين آمنوا » فهي مكية ، وفي الحج اختلاف .

وكل سورة فيها « كلاً » فهي مكية ، وكل سورة أولها حروف المعجم فهي مكية ، إلا البقرة ، وآل عمران ، وفي الرعد خلاف .
وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة .
وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت .

= الكبير في الفقه . و « نصيحة الملوك » و « أعلام النبوة » و « أدب الوزير » وغير ذلك الكثير .

أنظر : (طبقات السبكي ٣/٣٠٣ . والوفيات ١/٣٢٦ . وشذرات الذهب ٣/٢٨٥ .
وآداب اللغة ٢/٣٣٣ . ومفتاح السعادة ٢/١٩٠ . والأعلام ٤/٣٢٧) .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٨١ .

(٢) هو : عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي ، العبدري ، من بني عبد الدار : صحابي ، كان حاجب البيت الحرام . أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبية . توفي سنة ٤٢ هـ .

أنظر : الإصابة ت ٥٤٤٢ . والنووي ١/٣٢٠ . وإمتاع الأسماع ١/٣٨٥ . والأعلام ٤/٢٠٧ .

(٣) في النسخة ج : « البيت » .

(٤) سورة : النساء . آية : ٥٨ .

وقال هشام^(١) عن أبيه : كلُّ سورة ذُكرت فيها الحدود ، والفرائض : فهي مدينة ، وكلُّ ما كان فيه ذُكر القرون الماضية فهي مكّية .

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الدارمي^(٢) بإسناده إلى يحيى بن سلام^(٣) قال : ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكّي وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني ، وما كان من القرآن « يأيتها الذين آمنوا » فهو مدني ، وما كان « يأيتها الناس » فهو مكّي .

وذكر أيضاً بإسناده إلى عروة بن الزبير^(٤) قال : ما كان من حد أو فريضة ،

(١) هو : هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو المنذر : مؤرخ ، عالم بالأنساب . كثير التصانيف . توفي بالكوفة سنة ٢٠٤ هـ .
من كتبه : « جمهرة الأنساب » و « الأصنام » و « نسب الخيل » و « ملوك الطوائف » وغير ذلك .

أنظر : ابن النديم ٩٥/١ . وابن خلدون ٢٩٢/٢ . ووفيات الأعيان ١٩٥/٢ ، ١٩٦ . ولسان الميزان ١٩٦/٦ . وتاريخ بغداد ٤٥/١٤ . والأعلام ٨٨/٨ .
(٢) في النسخة ب : « الداني » بدلاً من « الدارمي » . والصحيح ما في أ ، ج وما أثبتناه . وهو : عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني ، أبو سعيد : محدث هراة . له تصانيف منها : النقص على بشر « المريسي » و « المسند » وغير ذلك . توفي سنة ٢٨٠ هـ .

(أنظر . تذكرة الحفاظ ١٧٧/٢ . والأعلام ٢٠٦/٤) .

(٣) هو : يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة ، التيمي بالولاء ، من تيم ربيعة ، البصري ثم الإفريقي : مفسر ، عالم بالحديث واللغة . كان مولده سنة ١٢٤ هـ ، ووفاته سنة ٢٠٠ هـ .

من كتبه : « تفسير القرآن » وغير ذلك .

أنظر : (معالم الإيمان ٢٣٩/١ ، ٢٤٥ . وميزان الاعتدال ٢٩٠/٣ . ولسان الميزان ٢٥٩/٦ ، ٢٦١ ، ورياض النفوس ١٢٢/١ ، ١٢٥ . والأعلام ١٤٨/٨) .

(٤) هو : عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله : أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحاً كريماً ، لم يدخل في شيء من الفتن . وانتقل إلى =

فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الأمم والعذاب ، فإنه أنزل بمكة .

وقال الجعبري : لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي وقياسي ، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما ، والقياسي ، قال علقمة^(١) عن عبد الله : كل سورة فيها « يأبها الناس » فقط أو « كلاً » أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين^(٢) والرعد في وجه ، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولي^(٣) فهي مكية ؛ وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية . انتهى .

وذكر ابن أبي شيبة^(٤) في « مصنفه » في كتاب « فضائل القرآن » : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كل شيء نزل فيه « يأبها الناس » فهو بمكة ، وكل شيء نزل فيه « يأبها الذين آمنوا » فهو بالمدينة . وهذا مرسل قد أسند عن عبد الله بن مسعود .

= البصرة ، ثم إلى مصر ، فتزوج وأقام بها سبع سنين . وعاد إلى المدينة فتوفي بها سنة ٩٣ هـ .

أنظر : (ابن خلكان ٣١٦/١ . وصفة الصفوة ٤٧/٢ . وحلية الأولياء ١٧٦/٢ . والأعلام ٢٢٦/٤) .

(١) هو : علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني ، أبوشبل : تابعي ، كان فقيه العراق ، يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله . ولد في حياة النبي ﷺ ، وروى الحديث عن الصحابة ، ورواه عنه كثيرون . وشهد صفين . وغزا خراسان ، وأقام بخوارزم ستين ، ويمرودة . وسكن الكوفة فتوفي بها سنة ٦٢ هـ .

أنظر : (تهذيب التهذيب ٢٧٦/٧ . وتذكرة الحفاظ ٤٥/١ . وحلية الأولياء ٩٨/٢ . وتاريخ بغداد ٢٩٦/١٢ . والأعلام ٢٤٨/٤) .

(٢) « الزهراوين » إسم لسورتَي : البقرة وآل عمران .

(٣) « الطولي » إسم لسورة البقرة ، نظراً لطولها .

(٤) هو : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، مولاها ، الكوفي ، أبو بكر : حافظ للحديث ، له فيه كتب ، منها : « المسند » و« المصنف » و« الإيمان » و« الزكاة » توفي سنة ٢٣٠ هـ .

أنظر : (تذكرة الحفاظ ١٨/٢ ، وتهذيب التهذيب ٢/٦ . وتاريخ بغداد ٦٦/١٠ . والرسالة المستطرفة ١٣ . والأعلام ١١٧/٤ ، ١١٨) .

ورواه الحاكم^(١) في « مستدرکه » في آخر كتاب « الهجرة » عن يحيى بن معين^(٢) ، قال : حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود : به^(٣) .

ورواه البيهقي^(٤) في أواخر « دلائل النبوة »^(٥) ، وكذا رواه البزار^(٦) في

(١) هو : محمد بن عبد الله بن حمدوية بن نعيم الضبي ، الطهماني ، الشهير بالحاكم ، المعروف بابن البيع ، أبو عبد الله : من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه . مولده في نيسابور سنة ٣٢١ هـ ، ووفاته بها سنة ٤٠٥ هـ .

من كتبه : « المستدرک علی الصحیحین » و « المدخل » و « الأکلیل » و « فضائل الشافعي » و « معرفة علوم الحديث » .

أنظر : (طبقات السبكي ٦٤/٣ . والوفيات ٤٨٤/١ . وغاية النهاية ١٨٤/٢ . وميزان الاعتدال ٨٥/٣ . ولسان الميزان ٢٣٢/٥ . وتاريخ بغداد ٤٧٣/٥ . والإعلام ٢٢٧/٦) .

(٢) هو : يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء ، البغدادي ، أبوزكريا ، من أئمة الحديث ، ومؤرخي رجاله . نعتة الذهبي بسيد الحفاظ . توفي سنة ٢٣٣ هـ .

من كتبه : « التاريخ والعلل » و « معرفة الرجال » و « الكنى والأسماء » وغير ذلك . أنظر : (تذكرة الحفاظ ١٦/٢ . وتهذيب التهذيب ٢٨٠ . ووفيات الأعيان ٢١٤/٢ . وتاريخ بغداد ١٧٧/١٤ . والأعلام ١٧٢/٨ ، ١٧٣) .

(٣) أنظر : المستدرک للحاکم .

(٤) هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبوبكر : من أئمة الحديث ، ولد في خسروجرد ، ونشأ في بيهق ، ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرها .

من كتبه : « السنن الكبرى » و « السنن الصغرى » و « دلائل النبوة » و « الآداب » و « معرفة السنن والآثار » و « الأسماء والصفات » و « شعب الإيمان » وغير ذلك .

أنظر : (شذرات الذهب ٣٠٤/٣ . وطبقات الشافعية ٣/٣ . والمتنظم ٣٤٢/٨ . واللباب ١٦٥/١ . والأعلام ١١٦/١) .

(٥) أنظر : دلائل النبوة ، للبيهقي ، باب : « ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة » ١٤٤/٧ . وكذا الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤١/١ ، ٤٢ .

(٦) هو : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبوبكر البزار : حافظ من العلماء بالحديث . من أهل البصرة . حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام ، وتوفي في الرملة سنة

٢٩٢ .

مسنده ثم قال : وهذا يرويه غير قيس ، عن علقمة مرسلًا ، ولا نعلم أحداً أسنده إلا قيس . انتهى (١) .

ورواه ابن مردويه (٢) في تفسيره في سورة الحج ، عن علقمة ، عن أبيه ، وذكر في آخر الكتاب عن عروة بن الزبير نحوه .

وقد نص (٣) على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره ، وبه قال كثير من المفسرين ، ونقله عن ابن عباس . وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر .

فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (٤) وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (٥) .

وسورة النساء مدنية ، وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ (٦) ، وفيها : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (٧) .

= من كتبه : « البحر الزاخر » وهو المسند . وغير ذلك .

أنظر : (تاريخ بغداد ٤/٣٣٤ . وتذكرة الحفاظ ٢/٢٠٤ . وشذرات الذهب ٢/٢٠٩ . وميزان الاعتدال ١/٥٩) .

(١) أنظر : كشف الأستار عن زوائد البزار ، للهيتمي . كتاب التفسير ، باب : « ما نزل بمكة والمدينة » ٣/٣٩ ، حديث رقم ٢١٨٦ .

(٢) هو : أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، أبو بكر ، ويقال له : « ابن مردويه الكبير » حافظ ، مؤرخ مفسر ، من أهل أصبهان .

من كتبه : « التاريخ » و« مسند » و« مستخرج الحديث » و« أمال » .

أنظر : (تذكرة الحفاظ ٣/٢٣٨ . وشذرات الذهب ٣/١٩٠ . والأعلام ١/٢٦١) .

(٣) في النسخة ح : « وممن نص على » .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢١ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١٦٨ .

(٦) سورة : النساء . آية : ١ .

(٧) سورة : النساء . آية : ١٣٣ .

وسورة الحج مكية ، وفيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ (١) .
فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح ، ولذا قال مكِّي (٢) :
هذا إنما هو الأكثر وليس بعام ، وفي كثير من السور المكية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا ﴾ . انتهى .

والأقرب تنزيل قول من قال : مكِّي ومدني ؛ على أنه خطاب المقصود
به ، أو جل المقصود به أهل مكة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » كذلك بالنسبة إلى أهل
المدينة .

وفي « تفسير الرازي » عن علقمة ، والحسن : أن ما في القرآن « يَا أَيُّهَا
الناس » مكِّي ، وما كان « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » فبالمدينة ، وأن القاضي قال : إن
كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلّم ، وإن كان السبب فيه حصول
المؤمنين (٣) بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ؛ إذ يجوز خطاب المؤمنين
بصفتهم واسمهم وجنسهم ، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون (٤)
بالاستمرار عليها والازدياد منها . انتهى .

(١) سورة : الحج . آية : ٧٧ .

(٢) هو : مكِّي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد :
مقرء ، عالم بالتفسير والعربية ، من أهل قيروان ، ولد فيها سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفي في
قرطبة سنة ٤٣٧ هـ .

من كتبه : « مشكل إعراب القرآن » و « الرعاية » و « الإيضاح للناسخ والمنسوخ »
و « المنتقى » و « الإبانة » وغير ذلك .

أنظر : (بغية الوعاة ٣٩٦ . ووفيات الأعيان ١٢٠/٢ . ومفتاح السعادة ٤١٨/١ . وإنباه
الرواة ٣١٣/٣ . والأعلام ٢٨٦/٧) .

(٣) من « فبالمدينة ، وأن القاضي ... » إلى « ... حصول المؤمنين » سقط من النسخة
ج .

(٤) على هامش النسخة أ مانصه : « عبارة الإمام الرازي : « المؤمن » بالإنفراد ، وخط
المصنف يحتمل ، لكن الرازي أفرد « المؤمن » أولاً فقال : ويؤمر غير المؤمن بالعبادة
كما يؤمر المؤمنون . وفي خط الزركشي الجمع أولاً . »

فصل

ويقع السؤال : أنه هل نص النبي ﷺ على بيان ذلك ؟

قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » : إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم ، كما أنه لا بدّ في العادة من معرفة معظّمِي العالم والخطيب ، وأهل الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا ما صنّفه أولاً وآخراً ، وحال القرآن في فلك أمثل ، والحرص عليه أشدّ ، غير أنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك قولٌ ، ولا ورد عنه أنه قال : اعلموا أنّ قدر ما نزل بمكّة كذا ، وبالمدينة كذا ، وفصله لهم .

ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر ، وإنما لم يفعل لأنه لم يؤمّر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ، ليعرف الحكم الذي تضمّنهما ، فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه ، وقوله هذا هو الأول المكيّ ، وهذا هو الآخر المدني .

وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني ، ممّا لا يسوغ الجهل به ، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به ، ومواصلة ذكره على أسماعهم ، وأخذهم بمعرفته .

وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكّي أو مدني ، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد ، وحينئذٍ فلم يلزم النقل

عنهم ذكر المكي والمدني ، ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه : مكة أو مدنية . فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين ؛ وإذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس ؛ ولزوم العلم به لهم ، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه .

فصل

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري^(١) في كتاب
« التنبيه على فضل علوم القرآن » :

من أشرف علوم القرآن : علم نزوله ، وجهاته ، وترتيب ما نزل بمكة
ابتداءً ووسطاً وانتهاءً ، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ، ثم ما نزل بمكة وحكمه
مدنيّ ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّيّ ، وما نزل بمكة في أهل المدينة ،
وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، ثم ما يشبه نزول المكّي في المدني ، وما يشبه
نزول المدني في المكّيّ ، ثم ما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ،
وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، ثم ما نزل ليلاً ، وما نزل نهاراً ، وما نزل
مشيئاً ، وما نزل مفرداً ، ثم الآيات المدنيّات في السور المكّية ، والآيات المكّية
في السور المدنيّة ، ثم ما حُمِل من مكّة إلى المدينة ، وما حُمِل من المدينة إلى
مكة ، وما حُمِل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ثم ما نزل مجملاً ، وما نزل
مفسّراً ، وما نزل مرموزاً ، ثم ما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : مدنيّ .

هذه خمسة وعشرون وجهاً ؛ مَنْ لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن
يتكلم في كتاب الله تعالى .

(١) سبقت ترجمته .

ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

أول ما نزل من القرآن بمكة : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، ثم ﴿ ن والقلم ﴾ ، ثم ﴿ يأيها المزمل ﴾ ، ثم ﴿ يأيها المدثر ﴾ ، ثم ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، ثم ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، ثم ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ، ثم ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ، ثم ﴿ والفجر ﴾ ، ثم ﴿ والضحى ﴾ ، ثم ﴿ ألم نشرح ﴾ ، ثم ﴿ والعصر ﴾ ، ثم ﴿ والعاديات ﴾ ، ثم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، ثم ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، ثم ﴿ أرأيت الذي ﴾ ، ثم ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ ، ثم « سورة الفيل » ثم « الفلق » ، ثم « الناس » ، ثم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ثم ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ ، ثم ﴿ عبس وتولى ﴾ ، ثم ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ، ثم ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ، ثم ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ ، ثم ﴿ والتين والزيتون ﴾ ، ثم ﴿ لإيلاف قريش ﴾ ، ثم ﴿ القارعة ﴾ ، ثم ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ، ثم ﴿ الهمزة ﴾ ، ثم المرسلات ، ثم ﴿ ق والقرآن ﴾ ، ثم ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ ، ثم الطارق ، ثم ﴿ اقتربت الساعة ﴾ ، ثم ﴿ ص والقرآن ﴾ ، ثم الأعراف ، ثم الجن ، ثم ﴿ يس ﴾ ، ثم الفرقان ، ثم الملائكة ثم مريم ، ثم طه ، ثم الواقعة ، ثم الشعراء ، ثم النمل ، ثم القصص ، ثم بني إسرائيل ، ثم يونس ، ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصفات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزمر ، ثم حم . المؤمن ، ثم حم . السجدة ، ثم حم . عسق ، ثم حم . الزخرف ، ثم حم . الدخان ، ثم حم . الجاثية ، ثم حم . الأحقاف ، ثم الذاريات ﴿ ، ثم الغاشية ، ثم الكهف ، ثم النحل ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنون ، ثم ﴿ آلّم . تنزيل ﴾ ، ثم ﴿ والطور ﴾

ثم الملك ، ثم ﴿ الحاقة ﴾ ، ثم ﴿ سأل سائل ﴾ ، ثم ﴿ عمّ يتساءلون ﴾ ، ثم ﴿ والنازعات ﴾ ، ثم ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ ، ثم ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ، ثم الروم .

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة ، فقال ابن عباس : العنكبوت .

وقال الضحاك^(١) وعطاء^(٢) : المؤمنون .

وقال مجاهد : ﴿ ويل للمطففين ﴾ .

فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة ، وعليه استقرت الرواية من الثقات ، وهي خمس وثمانون سورة .

(١) هو : الضحاك بن مزاحم البلخي ، الخراساني ، أبو القاسم : مفسر . كان يؤدب الأطفال . له كتاب في التفسير . توفي سنة ١٠٥ هـ .

أنظر : (ميزان الاعتدال ٤٧١/١ . وتاريخ الخميس ٣١٨/٢ . والعبر ١٢٤/١ . والأعلام ٢١٥/٣) .

(٢) هو : عطاء بن يسار الهلالي القاصي ، مولى ميمونة ، عن مولاته وأبي ذر وزيد بن ثابت وعدة . وعنه زيد بن أسلم وشريك بن أبي نمر ، كان من كبار التابعين وعلمائهم . مات سنة ١٠٣ هـ .

أنظر : الكاشف للذهبي ت ٣٨٦٥ .

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها : سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم ﴿ إذا زلزلت ﴾ ، ثم الحديد ، ثم محمد ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم ﴿ هل أتى ﴾ ، ثم الطلاق ، ثم ﴿ لم يكن ﴾ ، ثم الحشر ، ثم ﴿ إذا جاء نصرُ الله ﴾ ثم النور ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحَرَّمَ ﴾ ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الفتح ، ثم التوبة . ثم المائدة .

ومنهم من يقدّم المائدة على التوبة ، وقرأ النبي ﷺ المائدة في خطبة حجة الوداع وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ آخِرَ الْقُرْآنِ نَزُولاً سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، فَأَحْلُوا حَلَالَهَا ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهَا » (١) .

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينة .

وأما ما اختلفوا فيه : ففاتحة الكتاب ، قال ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل ، وعطاء : إنها مكية .

وقال مجاهد : مدنية .

واختلفوا في ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ فقال ابن عباس : مدنية .

وقال عطاء : هي آخر ما نزل بمكة .

(١) الحديث .

فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة ، وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة ، على اختلاف الروايات .

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

منها : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ... ﴾ (١) الآية ، ولها قصة يطول بذكرها الكتاب ، ونزلها بمكة يوم فتحها ، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة (٢) .

ومنها : قوله في المائة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) نزلت يوم الجمعة ، والناس وقوف بعرفات ، فبركت ناقة النبي ﷺ من هيبة القرآن . وهي مدنية لنزلها بعد الهجرة ، وهي عدة آيات يطول ذكرها .

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي

منه : الممتحنة إلى آخرها ؛ وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة (٤) وسارة ، والكتاب الذي دفعه إليها - وقصتها مشهورة - فخاطب بها أهل مكة .

ومنها : قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ... ﴾ (٥) إلى آخر السورة ، مدينيات يخاطب بها أهل مكة .

(١) سورة : الحجرات . آية : ١٣ .

(٢) أنظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٣١/٤ .

(٣) سورة : المائة . آية : ٣ ، ٥ .

(٤) هو : حاطب بن أبي بلتعة اللخمي : صحابي ، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة في الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة . بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية . ومات في المدينة . وكان أحد فرسان قریش وشعرائها في الجاهلية .

أنظر : الإصابة ٣٠٠/١ . وسيرة ابن هشام ١٦/٤ ، ١٧ .

(٥) سورة : النحل . آية : ٤١ .

ومنها : سورة الرعد يخاطب أهل مكة ، وهي مدنية .

ومن أول براءة إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (١) خطاب لمشركي مكة ؛ وهي مدنية .

فهذا من جملة ما نزل بمكة في أهل المدينة وحكمه مدني ، وما أنزل في أهل مكة (٢) وحكمه مكِّي .

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية

من ذلك : قوله تعالى في النجم : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ ﴾ (٣) يعني : كل ذنب عاقبته النار ، ﴿ والفواحش ﴾ يعني : كل ذنب فيه حدٌ ﴿ إلا اللِّمَم ﴾ ، وهو بين الحدِّين من الذنوب .

نزلت في نهبان والمرأة التي راودها عن نفسها فأبت ؛ والقصة مشهورة واستقرت الرواية بما قلنا ؛ والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حدٌ ولا غزو .

ومنها : قوله تعالى في هود : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ... ﴾ (٤) الآية نزلت في أبي مقبل : الحسين بن عمر بن قيس ، والمرأة التي اشترت منه التمر ، فراودها .

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

من ذلك : قوله تعالى في الأنبياء : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهَوًا لَاتَّخِذْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا ﴾ (٥) ، نزلت في نصارى نجران ، ومنهم السيد والعاقب .

-
- (١) سورة : التوبة . آية : ٢٨ .
 - (٢) في النسخة ج : « أو حكمه » ، وعلى هامش النسخة أ : « في خط المصنف إثبات « أو » في قوله : « أو حكمه » في الموضعين .
 - (٣) سورة : النجم . آية : ٣٢ .
 - (٤) سورة : هود . آية : ١١٤ .
 - (٥) سورة : الأنبياء . آية : ١٧ .

ومنها : سورة ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ (١) في رواية الحسين بن واقد (٢) ،
وقصتها مشهورة .

ومنها : قوله تعالى في الأنفال : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ
الْحَقُّ ... ﴾ (٣) الآية .

ما نزل بالجحفة

قوله عز وجل في سورة القصص : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ
إِلَى مَعَادٍ ﴾ (٤) : نزلت بالجحفة والنبي ﷺ مهاجر .

ما نزل ببيت المقدس

قوله تعالى في الزخرف : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا
مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ ﴾ (٥) ، نزلت عليه ليلة أُسْرِي به .

ما نزل بالطائف

قوله تعالى في الفرقان : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلْمَ ... ﴾ (٦)
الآية ، ولذلك قصة عجيبة .

وقوله في : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (٧) : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ .

(١) سورة : العاديات . آية : ١ .

(٢) هو : الحسين بن واقد ، قاضي مرو ، روى عن ابن بريدة ، وعكرمة ، وروى عنه أبناء
علي والعلاء وابن المبارك ، وعلي بن الحسن بن شقيق . قال ابن المبارك : من مثله !؟
ووثقه ابن معين وغيره ، توفي سنة ١٥٩ هـ .

أنظر : الكاشف ت ١١٢٣ .

(٣) سورة : الأنفال . آية : ٣٢ .

(٤) سورة : القصص . آية : ٨٥ .

(٥) سورة : الزخرف . آية : ٤٥ .

(٦) سورة : الفرقان . آية : ٤٥ .

(٧) سورة : الانشقاق . آية : ١ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ يعني : كفار مكة .

ما نزل بالحديبية

قوله تعالى في الرعد : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ (٢) .

نزلت بالحديبية ، حين صالح النبي ﷺ أهل مكة ، فقال رسول الله ﷺ لعليّ : اكتب : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فقال سهيل بن عمرو (٣) : ما نعرف الرحمن الرحيم ؛ ولو نعلم أنك رسول الله لتابعناك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ إلى قوله ﴿ متاب ﴾ .

ما نزل ليلاً

قوله تعالى في أول سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) ، نزلت ليلاً في غزوة بني المصطلق ، وهم حيّ من خُزاعة والناس يسيرون .

وقوله تعالى في المائدة : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٥) ، نزلت في بعض غزوات رسول الله ﷺ ، وذلك أن النبي ﷺ كان يُحرس كل ليلة .

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة (٦) : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يَحْرُسَنَا

(١) سورة : الانشقاق . آية : ٢٢ ، ٢٤ .

(٢) سورة : الرعد . آية : ٣٠ .

(٣) هو : سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، القرشي العامري ، من لؤي : خطيب قريش ، وأحد ساداتها في الجاهلية . أسره المسلمون يوم بدر . وافتنى ، فأقام على دينه إلى يوم الفتح بمكة ، فأسلم ، وسكنها ثم سكن المدينة . وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية ، ومات بالطاعون سنة ١٨ هـ .

أنظر : (الإصابات ٣٥٦٦ . والبيان والتبيين ١/١٧٢ . وصفوة الصفوة ١/٣٠٧ . والأعلام ٣/١٤٤) .

(٤) سورة : الحج . آية : ١ .

(٥) سورة : المائدة . آية : ٦٧ .

(٦) هو : سبقت ترجمته .

الليلة؟» ، فاتاه حُذيفة وسعد في آخرين معهم الحَجَف^(١) والسيوف ، وكان رسول الله ﷺ في خيمة من أدم ، فباتوا على باب الخيمة ، فلما أن كان بعد هزيع من الليل أنزل الله عليه الآية ، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من الخيمة فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، انصرفوا فقد عصمني الله »^(٢) .

ومنها : قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾^(٣) الآية .

قالت عائشة رضي الله عنها : نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وأنا معه في اللَّحَاف . ونزل عليه أكثر القرآن نهاراً^(٤) .

ما نزل مشيعاً

سورة الأنعام : نزلت مرة واحدة ، شيعها سبعون ألف ملك ، طبَّقوا ما بين السموات والأرض ، لهم زجل بالتسييح ؛ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ! » ، وخرَّ ساجداً .

قلت : ذكر أبو عمرو بن الصلاح^(٥) في « فتاويه » أن الخبر المذكور جاء من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ ؛ وفي إسناده ضعف ، ولم نر له إسناداً صحيحاً .

(١) في النسخة أ ، ب : « يوم الجحفة والسوق » تحريف .

(٢) الحديث .

(٣) سورة : القصص . آية : ٥٦ .

(٤) على هامش النسخة أ ما نصه : « ترك المؤلف ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء ، وقد ذكر العلماء أن آية الكلاله التي في أول سورة النساء نزلت في الشتاء ، وأن الآية التي في آخرها نزلت في الصيف » .

(٥) هو : عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصرى الشهرزوري الكردي ، الشرخاني ، أبو عمرو ، تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح : أحد الفضلاء المتقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال .

من كتبه : « معرفة علم الحديث » و « الفتاوى » و « شرح الوسيط » و « طبقات الفقهاء » . أنظر :

(وفيات الأعيان ١/٣١٢ . وطبقات الشافعية ٥/١٣٧ . وشذرات الذهب ٥/٢٢١ . والأعلام

٢٠٨/٤)

وقد رُوِيَ ما يخالفه ، فَرُوِيَ أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزل منها آيات بالمدينة ؛ اختلفوا في عددها ف قيل : ثلاث : هي قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ... ﴾ (١) إلخ الآيات ، وقيل : ست ، وقيل : غير ذلك ، وسائرها نزل بمكة .

وفاتحة الكتاب : نزلت ومعها ثمانون ألف مَلَك .

وآية الكرسي : نزلت ومعها ثلاثون ألف مَلَك .

وسورة يونس : نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ (٢) : نزلت ومعها عشرون ألف

ملك .

وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشيع .

الآيات المدنية في السور المكية

منها : سورة الأنعام ، وهي كلها مكية خلا ست آيات ، واستقرت بذلك

الروايات .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٣) : نزلت هذه في مالك بن الصيف ، إلى

آخر الآية ، والثانية والثالثة .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٤) : نزلت في عبد الله بن

أبي سرح (٥) ، أخي عثمان من الرضاعة ، حين قال : ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ

(١) سورة : الأنعام . آية : ١٥١ .

(٢) سورة : الزخرف . آية : ٤٥ .

(٣) سورة : الأنعام . آية : ٩١ .

(٤) سورة : الأنعام . آية : ٩٣ .

(٥) هو : عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري ، من بني عامر بن لؤي ، من

قريش : فاتح إفريقية ، وفارس بني عامر . من أبطال الصحابة ، أسلم قبل فتح مكة ، =

الله ﴿١﴾ ، وذلك أنه كان يكتب لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (٢) ، فأملأها عليه رسول الله ﷺ ، فلما بلغ قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ (٣) قال رسول الله ﷺ : اكتب ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ... ﴾ إلخ الآية ، فقال : إن كنت نبياً فأنا نبي ؛ لأنه خطر بيالي ما أملت علي . فلحق كافراً .

وأما قوله : ﴿ أَوْ قَالَ أُوْحِي إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ (٤) ، فإنه نزل في مسيلمة الكذاب ، حين زعم أن الله سبحانه أوحى إليه . وثلاث آيات من آخرها : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ إلى قوله ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ (٥)

سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ (٦) .

سورة إبراهيم مكية ، غير آيتين نزلتا في قتلى بدر : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ... ﴾ (٧) إلخ الآيتين .

سورة النحل ، مكية إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ (٨) والباقي مدني .

سورة بني إسرائيل مكية ، غير قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٩) يعني ثقيفاً ، وله قصة .

= وهو من أهلها . وكان من كتاب الوحي للنبي (ﷺ) وولي مصر سنة ٢٥ هـ . وتوفي سنة ٣٧ هـ .

أنظر : (أسد الغابة ١٧٣/٣ . والبداية والنهاية ٢٥٠/٧ . والكامل ١١٤/٣ . والنجوم الزاهرة ٧/١ ، ٩٤ . ومعالم الإيمان ١١٠/١ . والأعلام ٨٩/٤) .

- | | |
|--|--|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ٩٣ . | (٦) سورة : الأعراف . آية : ١٦٣ ، ١٧١ . |
| (٢) سورة : المؤمنون . آية : ١٢ . | (٧) سورة : إبراهيم . آية : ٢٨ - ٢٩ . |
| (٣) سورة : المؤمنون . آية : ١٤ . | (٨) سورة : النحل . آية : ٤١ . |
| (٤) سورة : الأنعام . آية : ٩٣ . | (٩) سورة : الإسراء . آية : ٧٣ . |
| (٥) سورة : الأنعام . آية : ١٥١ ، ١٥٣ . | وانظر : تفسير القرطبي ٢٩٩/٩ . |

سورة الكهف مكية ، غير قوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ (١) نزلت في سلمان
الفارسي (٢) وله قصة ..

سورة القصص مكية ، غير آية : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ (٣) - يعني
الإنجيل - ﴿ مَنْ قَبْلَهُ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني الفرقان . نزلت في أربعين رجلاً من
مؤمني أهل الكتاب قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب (٤) فأسلموا ،
ولهم قصة .

سورة الزمر مكية ، غير قوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ (٥) الآية .

الحواميم كلها مكيات ، غير آية في الأحقاف نزلت في عبد الله بن
سلام (٦) : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ (٧) .

الآيات المكية في السور المدنية

منها : قوله تعالى في الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
فِيهِمْ ... ﴾ (٨) الآية : يعني أهل مكة حتى يخرجك من بين أظهرهم .
استقرت به الرواية .

(١) سورة : الكهف . آية : ٢٨ .

وانظر : أسباب النزول للواحي ٢٢٥ .

(٢) هو : مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة : متنبئ ، من
المعمرين . أكثر مسيلمة في وضع أسجاع يضاهاي بها القرآن ، توفي سنة ١٢ هـ .
أنظر : (سيرة ابن هشام ٧٤/٣ . والروض الأنف ٣٤٠/٢ . والكامل ١٣٧/٢ ،
١٤٠ . وشذرات الذهب ٢٣/١ . وتاريخ الخميس ١٥٧/٢ . ورجبة الأمل ١٣٣/٦ .
والأعلام ٢٢٦/٧) .

(٣) سورة : القصص . آية : ٥٢ . هو : سبقت ترجمته .

وانظر : تفسير ابن كثير ٣٩٤/٣ . سورة : الأحقاف . آية : ١٠ .

(٤) هو : سبقت ترجمته . سورة : الأنفال . آية : ٣٣ .

(٥) سورة : الزمر . آية : ٥٣ .

سورة التوبة مدنية ، غير آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ... ﴾ (١) إلخ السورة .
سورة الرعد مدنية ، غير قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ إلى
قوله : ﴿ جَمِيعاً ﴾ (٢) .

سورة الحج مدنية ، وفيها أربع آيات مكيات : قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾ إلى قوله : ﴿ عَقِيمٌ ﴾ (٣) وله قصة .
سورة ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ مكية إلا قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ (٤) إلى آخرها فإنها
مدنية ؛ كذا قال مقاتل بن سليمان .

ما حُمل من مكة إلى المدينة

أول سورة حملت من مكة إلى المدينة سورة يوسف ، انطلق بها عوف بن
عفراء (٥) في الثمانية الذين قدموا على رسول الله ﷺ مكة ، فعرض عليهم
الإسلام فأسلموا ؛ وهم أول مَنْ أسلم من الأنصار ، قرأها على أهل المدينة في
بني زريق ، فأسلم يومئذ بيوت من الأنصار .

روى ذلك يزيد بن رومان ، عن عطاء ، عن ابن يسار ، عن ابن عباس ؛
ثم حمل بعدها : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... ﴾ (٦) إلى آخرها .

ثم حمل بعدها الآية التي في الأعراف : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ إلى قوله ﴿ تَهْتَدُونَ ﴾ (٧) فأسلم عليها طوائف من أهل
المدينة ، وله قصة .

ما حمل من المدينة إلى مكة

من ذلك الأنفال التي في البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ

-
- (١) سورة : التوبة . آية : ١٢٨ . (٥) هو : ستاتي ترجمته .
(٢) سورة : الرعد . آية : ٣١ . (٦) سورة : الإخلاص . آية : ١ ، ٤ .
(٣) سورة : الحج . آية : ٥٢ ، ٥٥ . (٧) سورة : الأعراف . آية : ١٥٨ .
(٤) سورة : الماعون . آية : ٤ .

فيه ... ﴿١﴾ . الآية ، وذلك حين أوردَ عبدُ الله بن جَحَشٍ (٢) كتابَ مُسْلِمِي مكة على رسول الله ﷺ ؛ بأن المشركين عَيَّرُوا قَتْلَ ابنِ الحَضْرَمِيِّ (٣) وأخذَ الأموال والأسارى في الشهر الحرام . فكتبَ بذلك عبدُ الله بن جَحَشٍ إلى مسلمي مكة : إن عَيَّرُوكم فَعَيِّرُوهم بما صنعوا بكم .

ثم حملت آية الربا من المدينة إلى مكة في حضور ثقيف وبني المغيرة إلى عتاب بن أسيد (٤) عامل رسول الله ﷺ على مكة ، فقرأ عتاب عليهم : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ (٥) فأقرؤا بتحريمه ، وتابوا وأخذوا رعوس الأموال ، ثم حملت مع الآيات من أول سورة براءة من المدينة إلى مكة ، قرأهنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النحر على الناس ، وفي ترتيبها قصة .

- (١) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ .
- (٢) هو : عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر ، الأسدي : صحابي ، قديم الإسلام ، هاجر إلى بلاد الحبشة ثم إلى المدينة ، وكان من أمراء السرايا . صهر رسول الله ﷺ أخو زينب أم المؤمنين ، قتل يوم أحد شهيداً سنة ٣ هـ .
- أنظر : (الإصابات ت . ٧٥٧٤ . وإمتاع الأسماع ٥٥/١ . والأعلام ٧٦/٤) .
- (٣) هو : يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي ، البصري ، أبو محمد : أحد القراء العشرة . مولده ووفاته بالبصرة سنة ٢٠٥ هـ . كان إمامها ومقرئها . وهو من بيت علم بالعربية والأدب .
- أنظر : (إرشاد الأريب ٣٢٠/٧ . وغاية النهاية ٣٨٦/٢ . والنجوم الزاهرة ١٧٩/٢ . والمورد ٢٧٣/٤/٣ . والأعلام ١٩٥/٨) .
- (٤) هو : عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، أبو عبد الرحمن : وآل أموي ، قرشي مكّي ، من الصحابة ، كان شجاعاً عاقلاً . من أشراف العرب في صدر الإسلام . أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي (ﷺ) عليها عند مخرجه إلى حنين وكان عمره ٢١ سنة . توفي سنة ١٣ هـ .
- أنظر : (الإصابات ت ٥٣٩٣ . وتاريخ الإسلام ٣٨٠/١) .
- (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٧٨ .
- وانظر : تفسير القرطبي ٣/٣٦٣ ، ٣٦٤ .

ثم حُمِلت من المدينة إلى مكة ، الآية التي في النساء : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَفْوَ غَفُوراً ﴾ (١) فلا تعاقبهم على تخلفهم عن الهجرة ؛ فلما بعث رسول الله ﷺ بها إلى مسلمي مكة ، قال جندُع بن ضمرة اللبثي ، ثم الجندوعي لبيته - وكان شيخاً كبيراً : ألسْتُ من المستضعفين ؟ وأني لا أهتدي إلى الطريق !؟ فحمله بنوه على سريه متوجهاً إلى المدينة ، فمات بالتَّعِيم ، فبلغ أصحاب رسول الله ﷺ موته فقالوا : لو لحق بنا لكان أكمل لأجره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (٢) . .

ما حُمِل من المدينة إلى الحبشة

هي ست آيات ، بعث رسول الله ﷺ إلى جعفر بن أبي طالب في خصومة الرهبان والقسيسين : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٣) .

فقرأها جعفر بن أبي طالب عليهم عند النجاشي ، فلما بلغ قوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ (٤) قال النجاشي : صدقوا ، ما كانت اليهودية ، والنصرانية إلا من بعده .

ثم قرأ جعفر : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ... ﴾ (٥) الآية .

قال النجاشي : اللهم إني ولي لأولياء إبراهيم ، وقال : صدقوا والمسيح .

ثم أسلم النجاشي وأسلموا .



(١) سورة : النساء . آية : ٩٨ - ٩٩ . (٣) سورة : آل عمران . آية : ٦٤ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١٠٠ . (٤) سورة : آل عمران . آية : ٦٧ .

وانظر : تفسير القرطبي ٣٤٩/٥ . (٥) سورة : آل عمران . آية : ٦٨ .

١٠ - النوع العاشر

معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله : ففي « صحيح البخاري » في حديث بدء الوحي ما يقتضي أن أول ما نزل (١) عليه ﷺ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (٢) ثم المدثر (٣) .

وأخرجه الحاكم في « مستدركه » من حديث عائشة رضي الله عنها صريحاً وقال : صحيح الإسناد (٤) .

ولفظ مسلم : « أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ » (٥) .

ووقع في « صحيح البخاري » إلى قوله : ﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ؛ وهو مختصر ، وفي الأول زيادة ، وهي من الثقة مقبولة .

وقد جاء ما يعارض هذا ، ففي « صحيح مسلم » عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة المدثر » (٦) .

(١) في النسخة جـ : « أول ما أنزل » .

(٢) سورة : العلق . آية : ١ ، ٥ .

(٣) ، (٤) ، (٥) أنظر الأحاديث في : صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب ٧٤ ، ٣ .

وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث ٢٥٧ . ومسند الإمام أحمد ٣/٣٠٦ ، ٣٩٢ .

ومستدرك الحاكم ٢/٢٢١ .

(٦) أنظر : صحيح مسلم ١/١٤٤ .

وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها أول ما نزلت ؛ وليس كذلك ، نعم هي أول ما نزل بعد سورة ﴿ اقرأ ﴾ وفترة الوحي ؛ لما ثبت في الصحيحين أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يحدث عن فترة الوحي ، قال في حديثه : « بينما أنا أمشي ، سمعت صوتاً من السماء ؛ فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه فرقاً^(١) فرجعت ، فقلت : زملوني ، زملوني ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾^(٢) »^(٣) .

فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة ، وأخبر في حديث عائشة أن نزول : ﴿ اقرأ ﴾ كان في غار حراء ، وهو أول وحي ، ثم فتر بعد ذلك .

وأخبر في حديث جابر أن الوحي يتابع بعد نزول ﴿ يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فعلم بذلك أن ﴿ اقرأ ﴾ أول ما نزل مطلقاً ، وأن سورة المدثر بعده ؛ وكذلك قال ابن جبان في صحيحه : لا تضاد بين الحديثين ؛ بل أول ما نزل : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾^(٤) بغار حراء ، فلما رجع إلى خديجة رضي الله عنها وصبت عليه الماء البارد ، أنزل الله عليه في بيت خديجة : ﴿ يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فظهر أنه لما نزل عليه ﴿ اقرأ ﴾ رجع فتدثر ، فأنزل عليه ﴿ يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وقيل : أول ما نزل سورة الفاتحة ، روى ذلك من طريق أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الصوت انطلق هارباً ، وذكر نزول

(١) في الأصول : « منه فرجعت » والإضافة من صحيح مسلم .

(٢) سورة : المدثر . آية : ١ .

(٣) أنظر : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي باب ٣ ، ٧ ، وتعبير الرؤيا ، وتفسير سورة ٩٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث ٢٥٢ ، ٢٥٥ . ومسنَد أحمد ٣/٣٢٥ ،

٣٧٧ ، ٢٢٣/٦ .

(٤) سورة : العلق . آية : ١ .

الملك عليه وقوله قل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) إلى آخرها .

وقال : القاضي أبو بكر في « الانتصار » : وهذا الخبر منقطع ؛ وأثبت الأقاويل ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، ويليه في القوة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة .

وهذا كما ورد في الحديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة » (٢) .

و « أول ما يقضى فيه الدماء » (٣) .

وجمع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء ، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة .

وقيل : أول ما نزل للرسالة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، وللنبوة : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، فإن العلماء قالوا : قوله تعالى : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ دال على نبوة محمد ﷺ ؛ لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (٤) دليل على رسالته ﷺ ؛ لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام .

(١) سورة : الفاتحة . آية : ٢ .

(٢) أنظر الحديث في : المعجم الكبير للطبراني ٣٩/٢ . وإتحاف السادة المتقين ٩/٣ . وإحياء علوم الدين ١٤٦/١ . والسنة لابن أبي عاصم ٣٤ . وكشف الخفاء ٣١٠/١ . وكنز العمال ١٨٨٣ ، ١٨٨٦٥ ، ١٨٨٦٦ . وسنن النسائي ٨٣/٧ . ومصنف ابن أبي شيبة ٤٠٥/٣ .

(٣) أنظر الحديث في : صحيح البخاري ١٣٨/٨ . وصحيح مسلم ، كتاب القسامة حديث ٢٨ . وسنن النسائي ٨٣/٧ . والسنن الكبرى للبيهقي ٢١/٨ . ومعجم الطبراني الكبير ٢٣٤/١٠ . وتفسير ابن كثير ٣٣٢/٢ . وحلية الأولياء ٨٧/٧ . ومنحة المعبود ١٤٦٢ .

(٤) سورة : المدثر . آية : ١ .

وذكر القاضي في « الانتصار » رواية : ثم نزل بعد سورة ﴿ اقرأ ﴾ ثلاث آيات من أول نوح ، وثلاث آيات من أول المدثر .

وعن مجاهد قال : أول سورة أنزلت « اقرأ » ، ثم نوح .

وذكر الحاكم في « الإكليل » أن أول آية أنزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (١) .

وروي في « المستدرک » عن ابن عباس : أول آية أنزلت فيه : ﴿ أَدْنَى لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ ... ﴾ الآية (٢) .

وأما آخره : فاختلفوا فيه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (٣) . وعن عائشة سورة المائدة .

وقيل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٤) .

وقال السدي (٥) : آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦) .

وفي « صحيح البخاري » في تفسير سورة براءة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ (٧) ،

(١) سورة : التوبة . آية : ١١١ .

(٢) سورة : الحج . آية : ٣٩ .

والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ١/٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٣) سورة : النصر . آية : ١ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٨١ .

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي : تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة . قال فيه ابن تغري بري : صاحب التفسير والمغازي والسير . وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس . توفي سنة ١٢٨ هـ .

أنظر (النجوم الزاهرة ١/٣٠٨ . واللباب ١/٥٣٧ . والأعلام ١/٣١٧) .

(٦) سورة : التوبة . آية : ١٢٩ .

(٧) سورة : النساء . آية : ١٧٦ .

وآخر سورة نزلت براءة^(١) .

وفي رواية غيره : آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية نزلت خاتمة النساء .

وذكر^(٢) ابن الأنباري^(٣) ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : آخر آية نزلت من القرآن : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾^(٤) ، ثم قال : وأخطأ أبو إسحاق ، ثم ساق سنده من طرق إلى ابن عباس : آخر آية أنزلت : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٥) ، وكان بين نزولها ووفاة النبي ﷺ أحدٌ وثمانون يوماً ، وقيل : تسع ليال . انتهى .

وفي مستدرك الحاكم : عن شُعبة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أنه قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله ﷺ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٦) ، ثم قرأها إلى آخر السورة^(٧) .

ورواه أحمد في المسند : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن

(١) أنظر الحديث في : صحيح البخاري ، تفسير سورة ٤ ، ٩ . وصحيح مسلم ، الفرائض حديث ١١ ، ١٢ .

(٢) في النسخة ج : « وروي » .

(٣) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر الأنباري : من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار ولد سنة ٢٧١ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ . من كتبه : « الزاهر » و« شرح القصائد السبع الطوال » و« إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » و« عجائب علوم القرآن » و« شرح الألفات » و« الأضداد » و« غريب الحديث » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٥٠٣ . وبيغية الوعاة ٩١ . وتذكرة الحفاظ ٣/٥٧ . وغاية النهاية ٢/٢٣٠ . وطبقات الحنابلة ٢/٦٩ . وآداب اللغة ٢/١٨٢ . والأعلام ٦/٣٣٤) .

(٤) سورة : النساء . آية : ١٧٦ . (٦) سورة : التوبة . آية : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٨١ . (٧) رواه الحاكم في المستدرک ٢/٣٣٨ .

أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله ﷺ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ ثم قرأ إلى ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) .

قال : هذا آخر ما نزل من القرآن ، فحتم بما فتح به ، بالذي لا إله إلا هو ، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وقال بعضهم : روى البخاري : آخر ما نزل آية الربا .

وروى مسلم : آخر سورة نزلت جميعاً : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (٣) .

قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » : وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رُفِعَ إلى النبي ﷺ .

ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط .

ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده .

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية ، التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرها وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب .

* * *

(١) سورة : التوبة . آية : ١٢٩ .

(٢) سورة : الأنبياء . آية : ٢٥ .

(٣) سورة : النصر . آية : ١ .

١١ - النوع الحادي عشر معرفة على كم لغة نزل

ثبت في الصحيحين : من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :
« أقراني جبريلُ على حرف فراجعته ، ثم لم أزل أستزيده فيزيديني ، حتى انتهى
إلى سبعة أحرف »^(١) .

زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة إنما هي في الأمر
الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

وأخرج أيضاً : من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن
حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها - وفي رواية : على حروف
كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ - فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ
سورة الفرقان على غير ما أقرأتها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أرسله ، اقرأ » ،
فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » ، ثم قال
لي : « اقرأ » ، فقرأت ، فقال : « هكذا أنزلت » ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة
أحرف ؛ فاقرءوا ما تيسر منه »^(٢) .

وأخرج مسلم نحوه : عن أبي بن كعب ، وفيه : فقال النبي ﷺ :
« فإني أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هوّن علي »

(١) أنظر الحديث في : صحيح البخاري الخصومات باب ٤ ، وفي فصول القرآن باب ٥ ،
والتوحيد باب ٥٣ . ومسلم في المسافرين حديث ٤ . وأبي داود ، الوتر باب ٢٢ . وسنن
الترمذي ، القراءة باب ٩ . والنسائي في الافتتاح باب ٣٧ . ومالك في الموطأ ، حديث
رقم ٤ من تفسير القرآن . والإمام أحمد ٤٠٥/١ .

(٢) أنظر صحيح البخاري ٢٢٦/٣ . وصحيح مسلم ٥٦١/١ . وانظر الهامش السابق .

أُمِّي ، فَرَدُّ إِلَى الثَّانِيَةِ : اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، فَرَدَّدْتُ إِلَيْهِ : أَنْ هُوَ عَلَى أُمِّي ؛ فَرَدُّ ، إِلَى الثَّلَاثَةِ : اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، وَلِكِ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَّدْتُكَهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمِّي . وَأَخْرَجْتُ الثَّلَاثَةَ لِيَوْمِ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ، حَتَّى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١١) .

وَأَخْرَجَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ (٢) فِي « مَصْنَفِهِ » مِنْ حَدِيثِ الْمُقْبِرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَاقْرَأُوا وَلَا حَرْجَ ، وَلَكِنْ لَا تَخْتَمُوا ذَكَرَ رَحْمَةً بِعَذَابٍ ، وَلَا ذَكَرَ عَذَابًا بِرَحْمَةٍ » .
وَأَمَّا مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » عَنْ سَمُرَةَ يَرْفَعُهُ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ » (٣) .

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِالسَّبْعَةِ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثُ .

قَالَ أَبُو شَامَةَ : يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : إِنْ بَعْضُهُ أَنْزَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ ، كَحَدْرِهِ ، وَالرَّهْبِ ، وَالصَّدَقِ ؛ فَيَقْرَأُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ . أَوْ أَرَادَ أَنْزَلَ ابْتِدَاءً عَلَى ثَلَاثَةٍ ، ثُمَّ زِيدَ إِلَى سَبْعَةٍ .

وَمَعْنَى جَمِيعِ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ مِنْهُ مَا يُقْرَأُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، وَعَلَى ثَلَاثَةٍ ، وَأَكْثَرَ ، إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، تَوْسِعَةً عَلَى الْعِبَادِ ، بِاعْتِبَارِ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْفَاظِ الْمُرَادِفَةِ وَمَا يَقَارِبُ مَعْنَاهَا .

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : لَمْ يَأْتِ فِي مَعْنَى هَذَا السَّبْعِ نَصٌّ وَلَا أَثَرٌ ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَعْيِينِهَا .

(١) أَنْظَرُ : صَحِيحُ مُسْلِمٍ ٥٦٢/١ .

(٢) هُوَ : قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ الْبِيَانِيِّ الْقُرْطُبِيِّ : مَحْدُثُ الْأَنْدَلُسِ . أَصْلُهُ مِنْ بِيَانَةَ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٢٤٧ هـ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٣٤٠ هـ . مِنْ كُتُبِهِ : « مَسْنَدُ مَالِكٍ » وَ« بَرِّ الْوَالِدَيْنِ » وَ« الصَّحِيحُ » وَ« الْأَنْسَابُ » وَ« أَحْكَامُ الْقُرْآنِ » وَ« النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ » .

أَنْظَرُ : (بَغِيَّةُ الرَّوَاةِ ٣٧٥ . وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَاظِ ٦٧/٣ . وَبَغِيَّةُ الْمُتَمَسِّسِ ٤٣٣ . وَنَفْحُ

الطَّيِّبِ ٣٥٠/١ . وَلسَانُ الْمِيزَانِ ٤٥٨/٤ . وَجَدْوَةُ الْمُقْتَبَسِ . وَالْأَعْلَامُ) .

(٣) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٢٢٣/٢ .

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي : اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً .

وقد وقفت منها على كثير ؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به الحصر .

والأكثر على أنه محصورٌ في سبعة ؛ ثم اختلفوا : هل هي باقية إلى الآن نقرأها ؟ أم كان ذلك أولاً ؟ ثم استقر الحال بعده على قولين .

وقال القرطبي^(١) : إن القائلين بالثاني - وهو أن الأمر كان كذلك ، ثم استقرَّ على ما هو الآن - هم أكثرُ العلماء : منهم سُفيان بن عيينة ، وابن وهب^(٢) ، والطبري^(٣) ، والطحاوي^(٤) .

(١) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد من أهل قرطبة . توفي في مصر سنة ٦٧١ هـ .

من كتبه : «الجامع لأحكام القرآن» و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» و«التذكار في أفضل الأذكار» و«التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة» .
أنظر : نفح الطيب ٤٢٨/١ . والديباج ٣١٧ . وبيروكلمان ٧٣٧/١ . والأعلام ٣٢٢/٥ . ومقدمة تفسير القرطبي المجلد الأول .

(٢) عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود . الأسدي القرشي : صحابي ، من الشعراء . أسلم يوم الفتح وقتل في المدينة يوم حصر عثمان في داره .
أنظر : (الإصابة ت ٥٠١٨) .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام . ولد في أمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠ هـ . من كتبه : «أخبار الرسل والملوك» ، و«جامع البيان في تفسير القرآن» ، و«اختلاف الفقهاء» وغير ذلك .
أنظر : (إرشاد الأريب ٤٢٣/٦ . وتذكرة الحفاظ ٣٥١/٢ . والوفيات ٤٥٦/١ . وطبقات السبكي ٣٥/٢ ، ١٤٠ . ومفتاح السعادة ٢٠٥/١ . والبداية والنهاية ١١/١٤٥ . وميزان الاعتدال ٣٥/٣) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة ، الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر : فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر . ولد سنة ٢٣٩ .

ثم اختلفوا : هل استقرَّ في حياته ﷺ ، أم بعد وفاته ؟ والأكثر على الأول .

واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر^(١) ، وابن العربي ، وغيرهم ؛ ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ، ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر ، فأذن لكلٍ منهم أن يقرأ على حرفه ، أي : على طريقتة في اللغة ؛ إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد وتدرّبت الألسن ، وتمكّن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة ؛ فعارض جبريلُ النبي ﷺ القرآن مرتين في السنة الآخرة ، واستقرَّ على ما هو عليه الآن ، فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاقتصار على هذه القراءة التي تلقاها الناس .

ويشهد لهذا الحديث الآتي ، من مراعاة التخفيف على العجوز ، والشيخ الكبير ، ومن التصريح في بعضها ، بأن ذلك مثل هلمّ ، وتعال .

والقائلون بأنها كانت سبعاً اختلفوا على أقوال :

أحدها : أنه من المشكل الذي لا يُدرى معناه ؛ لأن العرب تسمي الكلمة المنظومة حرفاً ، وتسمي القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضاً المعنى والجهة . قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي^(٢) .

= من كتبه : « شرح معاني الآثار » و « بيان السنة » و « الشفعة » و « مشكل الآثار » و « أحكام القرآن » وغير ذلك .

أنظر : (طبقات الحفاظ للسيوطي . وخطط مبارك ٣٠/١٣ . والبداية والنهاية ١٧٤/١١ . والجواهر المضية ١٠٢/١ . ولسان الميزان ٢٧٤/١ . والأعلام ٢٠٦/١) .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن سعدان الكوفي ، أبو جعفر : نحوي مقرئ ضريب . له كتب في النحو والقراءات منها : الجامع ، والمجرد ، وغير ذلك . توفي سنة ٢٣١ هـ .

والثاني : - وهو أضعفها - أن المراد سبعُ قراءات ؛ وحكي عن الخليل بن أحمد .

والحرف ها هنا القراءة ، وقد بين الطبري في كتاب « البيان » وغيره أن اختلاف القراء إنما هو كلُّه حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وهو الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف .

وحكى ابن عبد البر^(١) عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال : تدبّرتُ وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة :

منها : ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^(٢) و ﴿ أَطْهَرَ لَكُمْ ﴾^(٣) ، ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾^(٤) ، ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ .

ومنها : ما يتغير معناه ويزول بالإعراب ، ولا تتغير صورته كقوله : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ، و ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٥) .

ومنها : ما يتغير معناه بالحروف واختلافها ولا تتغير صورته ، كقوله : ﴿ كَيْفَ نُنشِئُهَا ﴾^(٦) ، و ﴿ نُنشِئُهَا ﴾ .

ومنها : ما تتغير صورته ، ولا يتغير معناه : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾^(٧) و « الصوف المنفوش » .

= أنظر : (نكت الهميان ٢٥٢ . ويغية الوعاة ٤٥ . وغاية النهاية ١٤٣/٢ . وتاريخ بغداد ٣٢٤/٥ . ونزهة الألبا ٢١٢ . والأعلام ١٣٧/٦) .

(١) هو : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، صاحب كتاب « الإستهباب » وغيره . توفي سنة ٤٦٣ هـ . (أنظر : شذرات الذهب ٣/٣١٤) .

(٢) سورة : هود . آية : ٧٨ . (٥) سورة : سبل . آية : ١٩ .

(٣) سورة : هود . آية : ٧٨ . (٦) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .

(٤) سورة : الشعراء . آية : ١٣ . (٧) سورة : القارعة . آية : ٥ .

ومنها : ما تتغير صورته ومعناه ، مثل : ﴿ طَلَحَ مَنضُودٌ ﴾^(١) و « طلع » .
ومنها : بالتقديم والتأخير ك : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾^(٢) ،
و « سكرة الحق بالموت » .

ومنها : الزيادة والنقصان ، مثل : ﴿ حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
الْوُسْطَى ﴾^(٣) وصلاة العصر . وقراءة ابن مسعود : ﴿ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً ﴾^(٤)
أنثى . ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾^(٥) ، وكان كافراً .

قال أبو عمرو : وهذا وجه حسنٌ من وجوه معنى الحديث .

وقال بعض المتأخرين : هذا هو المختار ، قال : والأئمة على أن مصحف
عثمان أحد الحروف السبعة ، والآخر مثل قراءة ابن مسعود ، وأبي الدرداء :
﴿ والذكر والأنثى ﴾^(٦) كما ثبت في الصحيحين ، ومثل قراءة ابن مسعود : ﴿ إِنَّ
تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٧) .

وقراءة عمر : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾^(٨) ؛ والكل حق ، والمصحف
المنقول بالتواتر مصحف عثمان ، ورسم الحروف واحد إلا ما تنوعت فيه
المصاحف ؛ وهو بضعة عشر حرفاً ، مثل « الله الغفور » ، و « إن الله هو
الغفور » .

والثالث : سبعة أنواع ، كلُّ نوعٍ منها جزء من أجزاء القرآن ، بخلاف
غيره من أنحاءه ، فبعضها أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وقصص ، وحلال وحرام ،
ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، وغيره .

قال ابنُ عبد البر : وفي ذلك حديث رواه ابن مسعود مرفوعاً قال : « كان

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الواقعة . آية : ٢٩ . | (٥) سورة : الكهف . آية : ٨٠ . |
| (٢) سورة : ق . آية : ١٩ . | (٦) سورة : الليل . آية : ٣ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ٢٣٨ . | (٧) سورة : المائدة . آية : ١١٨ . |
| (٤) سورة : ص . آية : ٢٣ . | (٨) سورة : الجمعة . آية : ٩ . |

الكتاب الأول نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأجلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، واعتبروا بأمثاله ، وآمنوا بمتشابهه^(١) .
 وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^(٢) .

قال : وهو حديثٌ عند أهل العلم لا يثبت ، وهو مجمع على ضعفه .

وذكره القاضي أبو بكر بن الطيب وقال : هذا التفسير منه ﷺ للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة كقوله : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾^(٣) .

وقال ابن عبد البر : قد ردّه قوم من أهل النظر ، منهم أحمد بن أبي عمران ، قال : مَنْ أوّله بهذا فهو فاسد ، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه أو يكون حلالاً لا ما سواه^(٤) ؛ لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كلّه ، أو حرام كلّه ، أو أمثال كلّه . حكاه الطحاوي عنه أنه سمعه منه ، وقال : هو كما قاله .

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة .

وقال الماوردي : هذا القول خطأ ، لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف ، وإبدال حرف بحرف ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام . .

(١) أنظر : مقدمة تفسير ابن عطية ٢٤١ ، ٢٦٦ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

(٣) سورة : الحج . آية : ١١ .

(٤) من « أو يكون حلالاً ... » إلى « ... لا ما سواه » سقط من النسخة ب .

وقال البيهقي في « المدخل » : وقد رُوِيَ هذا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ .

ثم قال : هذا مرسل جيد ، وأبوسلمة لم يدرك ابن مسعود ، ثم ساقه بإسقاط ابن مسعود .

ثم قال : فإن صحَّ هذا فمعنى قوله : « سبعة أحرف » أي : سبعة أوجه ، وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة أحرف ؛ ولكن المراد به اللغات التي أبيحت القراءة عليها ، وهذا المراد به الأنواع التي نزل القرآن عليها .

والرابع : أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ؛ هذا ما لم يُسمع قط ، أي : نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم ، وبعضه بلغة أزد وربيعة^(١) ، وبعضه بلغة هوازن ، وسعد بن بكر ، وكذلك سائر اللغات ؛ ومعانيها في هذا كله واحدة .

وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأحمد بن يحيى ثعلب ؛ وحكاه ابن دريد ، عن أبي حاتم السجستاني^(٢) ، وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر .

(١) من « وبعضه بلغة هذيل ... » إلى « ... وربيعة » سقط من النسخة ب .

(٢) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني : من كبار العلماء باللغة والشعر . من أهل البصرة كان المبرد يلازم القراءة عليه .

من كتبه : « المعمرين » و « النخلة » و « ما تلحن به العامة » و « الأضداد » و « الوحوش » و « الحشرات » و « العشب والبقل » و « المختصر في النحو » . وغير ذلك .

أنظر : (الفهرست لابن النديم ٥٨/١ . والوفيات ٢١٨/١ . وبغية الوعاة ٢٥٦ . وإنباه الرواة ٥٨/٢ . وآداب اللغة ١٨٥/٢ . والأعلام ١٤٣/٣) .

وقال الأزهري^(١) في « التهذيب » : إنه المختار ، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف : وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ؛ فإنه أكثر ما نزل بلسانهم .

وقال البيهقي في « شعب الإيمان » : إنه الصحيح ، أي أن المراد اللغات السبع ، التي هي شائعة في القرآن . واحتج بقول ابن مسعود : سمعتُ القراء فوجدتهم متقاربين ، اقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدهم : هلم ، وتعال ، وأقبل .

قال : وكذلك قال ابن سيرين^(٢) . قال : لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التي هي مثبتة في المصحف الذي هو الإمام بإجماع الصحابة ، وحملوها عنهم دون غيرها من الحروف ، وإن كانت جائزة في اللغة ؛ وكأنه يشير إلى أن ذلك كان عند إنزاله ، ثم استقر الأمر على ما أجمعوا عليه في الإمامة .

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول ، وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾^(٣) .

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي ، أبو منصور : أحد الأئمة في اللغة والأدب . مولده ووفاته في هراة سنة ٢٨٢ هـ . من كتبه : « غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء » و« تفسير القرآن » و« فوائد منقولة من تفسير للمزني » .

أنظر : (الوفيات ١/٥٠١ . وإرشاد الأريب ٦/٢٩٧ . وآداب اللغة ٢/٣٠٨ . ومفتاح السعادة ١/٩٧ . وطبقات السبكي ٢/١٠٦ . والأعلام ٥/٣١١) .

(٢) محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، أبو بكر : إمام وقته في علوم الدين بالبصرة : تابعي ، من أشراف الكتاب . مولده ووفاته في البصرة سنة ٣٣ هـ . تفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . واستكتبه أنس بن مالك بفارس . وكان أبوه مولى لأنس . ينسب له كتاب تعبير « الرؤيا » .

أنظر : (تهذيب التهذيب ٩/٢١٤ . والمحبر ٣٧٩ ، ٤٨٠ . ووفيات الأعيان ١/٤٥٣ . وحلية الأولياء ٢/٢٦٣ . وتاريخ بغداد ٥/٣٣١ . ودائرة المعارف الإسلامية ١/٢٠٢ . والأعلام ٦/١٥٤) .

(٣) سورة : إبراهيم . آية : ٤ .

قال ابن قتيبة : ولا نعرف في القرآن حرفاً واحداً يقرأ على سبعة أوجه .

وغلظه ابن الأنباري بحروفٍ منها : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ (٣) وقوله : ﴿ بِعَذَابٍ بَيِّسٍ ﴾ (٤) وغير ذلك .

وقال ابن عبد البر : قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات ؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر ؛ لأن ذلك من لغته التي طبع عليها .

وأيضاً فإن عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن يُنكر عليه عمر لغته .

ثم اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثرُوا .

وقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قُرَيْشٌ ، ثم بنو سعد بن بكر ؛ لأن النبي ﷺ استرضع فيهم ، ونشأ وترعرع ، وهو مخالط في اللسان كنانة ، وهديلاً ، وثقيفاً ، وخزاعة ، وأسداً ، وضبّة ، وألفافها (٥) ، لقُرْبِهِمْ من مكة وتكرارهم عليها ، ثم من بعد هذه تميماً وقيساً ، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب .

قال قاسم بن ثابت (٦) : إن قلنا من الأحرف لقريش ، ومنها لكنانة ،

(١) سورة : المائدة . آية : ٦٠ .

(٢) سورة : يوسف . آية : ١٢ .

(٣) سورة : سبأ . آية : ١٩ .

(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٦٥ .

(٥) في النسخة جـ : « وأكنافها » .

(٦) قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي ، أبو محمد : عالم بالحديث واللغة . رحل مع أبيه من سرقسطة إلى مصر ومكة ، وتوفي سنة ٣٠٢ هـ .

من كتبه : « الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل » وغير ذلك .

أنظر : (نصح الطيب ١/٣٤٦ . واللغة ٨٨ من فهرس الظاهرية . والأعلام ٥/١٧٤) .

ولأسد^(١) ، وهذيل ، وتميم ، وضبة ، وألفافها ، وقيس ، لكان قد أتى على قبائل مضر في قراءات سبع تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن .

وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة ، وسلمت لغاتها من الدخّل ، ويسرّها الله لذلك ؛ ليظهر أنّه نبيّه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه . وثبتت سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة ، فلم تفرقها الأمم .

وقيل : هذه اللغات السبع كلّها في مَضر ، واحتجوا بقول عثمان : نزل القرآن بلسان مَضر . قالوا : وجائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لضبة ، ولطابخة ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد .

قال أبو عمر بن عبد البر : وأنكر آخرون كون كل لغات مَضر في القرآن ؛ لأن فيها شواذ لا يقرأ بها ، مثل كشكشة قيس ، وعنعة تميم .

فكشكشة قيس : يجعلون كاف المؤنث شيئا ، فيقولون في : ﴿ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾^(٢) : ﴿ رَبُّشِ تَحْتَشِ ﴾ .

وعنعة تميم : ويقولون في « أن » « عن » ، فيقروون ﴿ فَعَسَى اللَّهُ « عَنُ » يَأْتِي بِالْفَتْحِ ﴾^(٣) .

وبعضهم يبدل السين تاء ، فيقول في « الناس » : « النات » .

وهذه لغات يُرغَب بالقرآن عنها . وما نقل عن عثمان معارض بما سبق أنه نزل بلغة قريش ؛ وهذا أثبت عنه ؛ لأنه من رواية ثقات أهل المدينة .

وقد يُشكّل هذا القول على بعض الناس فيقول : هل كان جبريل عليه

(١) في النسخة ج : « وأسد » .

(٢) سورة : مريم . آية : ٢٤ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٥٢ .

السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ؟

فيقال له : إنما يلزم هذا إن قلنا : إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتي في كل عَرَضَة بحرف إلى أن تمر سبعة .
وقال الكلبي : خمسة منها لهوازن ، وثنان لسائر الناس .

والخامس : المراد سبعة أوجه من المعاني المتفق ، بالألفاظ المختلفة ، نحو : أقبل ، وهلم ، وتعال ، وعجل ، وأسرع ، وأنظر ، وأخر ، وأمهل ونحوه . وكاللغات التي في « أف » ونحو ذلك .

قال ابن عبد البر: وعلى هذا القول أكثر أهل العلم ؛ وأنكروا على مَنْ قال : إنها لغات ؛ لأنَّ العرب لا تركَّب^(١) لغة بعضها بعضاً ، ومحال أن يقرئ النبي ﷺ أحداً بغير لغته . وأسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ : ﴿ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَ فِيهِ ﴾^(٢) « سَعَوْا فِيهِ » .

قال : فهذا معنى السَّبْعَة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث ؛ منهم سفيان بن عيينة ، وابن وهب ، ومحمد بن جرير الطبري ، والطحاوي وغيرهم .

وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد .

وقال الزُّهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ؛ وليست تختلف في حلال ولا حرام .

واحتج ابنُ عبد البر بحديث سلمان بن صُرد عن أبي بن كعب قال : قرأ أبي آية ، وقرأ ابن مسعود آية خلافاً ، وقرأ رجل آخر خلافاً ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : ألم تقرأ آية كذا ؟ وقال ابن مسعود : ألم تقرأ آية كذا ؟ فقال : « كلكم محسن مجمل » . وقال : « يا أباي ، إني اقرئت القرآن فقلت : على

(١) في النسخة ج : « ترتكب » .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

حرف أو حرفين؟ فقال لي المَلِكُ : على حرفين ، فقلت : على حرفين أو ثلاثة؟ فقال : على ثلاثة ؛ هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس فيها إلا شافٍ كافٍ . قلتُ غفوراً رحيماً ، أو قلتُ سمياً حكيماً ، أو قلتُ عليماً حكيماً ، أو قلتُ عزيزاً حكيماً ، أي ذلك قلتُ فإنه كذلك» (١) .

قال أبو عمر : إنما أراد بهذا ضربَ المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معانٍ متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجهٌ يخالف معنى وجهٍ خلافاً ينفيه ويضاده ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده .

وكذلك حديث أبي بكرة قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ إلى سبعة أحرف ، فقال : اقرأه ، فكلُّ شافٍ كافٍ ، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، وآية عذاب بآية رحمة ، نحو هلم ، وتعال ، وأقبل ، واذهب ، وأسرع ، وعجل .

وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب ، أنه كان يقرأ : ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُونَا ﴾ (٢) : « أمهلونا آخرون ، ارقبونا » و ﴿ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرًا فِيهِ ﴾ (٣) « مروا فيه ، سعوا فيه » .

قال أبو عمر : إلا أن مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم هو فيها حرف واحد ، وعلى هذا أهل العلم .

قال : وذكر ابن وهب في كتاب الترغيب من « جامع » ، قال :

قيل لمالك : أترى أن تقرأ مثل ما قرأ عمر بن الخطاب : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ (٤) ، قال : جاز ، قال رسول الله ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة

(١) أنظر الحديث في : فتح الباري ١٠١/٩ . (٣) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

(٢) سورة : الحديد . آية : ١٣ . (٤) سورة : الجمعة . آية : ٩ .

أحرف فاقروا ما تيسر منه»^(١) ، ومثل «يعلمون» ، و«تعلمون» ؟ قال مالك : لا أرى باختلافهم بأساً ، وقد كان الناس ولهم مصاحف .

قال ابن وهب : سألت مالكا عن مصحف عثمان ؛ فقال لي : ذَهَبَ .

وأخبرني مالك قال : أقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ . طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾^(٢) ، فجعل الرجل يقول : « طعام اليتيم » ، فقال : « طعام الفاجر » ، فقلت لمالك : أترى أن يقرأ بذلك ؟ قال : نعم ، أرى أن ذلك واسعاً .

قال أبو عمر : معناه عندي أن يُقرأ به في غير الصلاة ؛ وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة ؛ لأن ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ؛ وإنما يجري مجرى خبر^(٣) الأحاد ؛ لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده .

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة ؛ مما يخالف المصحف : لم يُصَلَّ وراءه .

قال : وعلماء مكِّيون مجتمعون على ذلك إلا شذوذاً لا يعرَّج عليه منهم إلا عثمان . وهذا كله يدل على أن السبعة الأحرف التي أشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرف زيد بن ثابت الذي جمع عثمان عليه المصاحف .

السادس : أن ذلك راجع إلى بعض الآيات ، مثل قوله : ﴿ أَفِ لَكُمْ ﴾^(٤) ؛ فهذا على سبعة أوجه بالنصب ، والجر ، والرفع ؛ وكل وجه : التنوين وغيره . وسابعها الجزم . ومثل قوله : ﴿ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ ﴾^(٥) ؛ ونحوه ، ويحتمل في القرآن تسعة أوجه ، ولا يوجد ذلك في بقية الآيات .

قال ابن عبد البر : وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه وكلماته

(١) الحديث سبقه تخريجه .

(٢) سورة : الدخان . آية : ٤٣ - ٤٤ .

(٣) في النسخة ج : « أخبار الأحاد » .

(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٦٧ .

(٥) سورة : مريم . آية : ٢٥ .

وآياته كلها أن تُقرأ على سبعة أحرف ؛ ولا شيء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتمل أن تُقرأ على سبعة أوجه إلا قليل ؛ مثل ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (١) و ﴿ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ (٢) و ﴿ عَذَابٍ بئس ﴾ (٣) ونحوه ، وذلك ليس هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وهذا المجموع في المصحف : هل هو جميع الأحرف السبعة التي أقيمت القراءة عليها ؟ أو حرف واحد منها ؟
مبطلُ القاضي أبي بكر إلى أنه جميعها ، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثر من بعده بأنه حرف منها ، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر ، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضي الله عنه .

والسابع : اختاره القاضي أبو بكر ، وقال : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ ؛ وضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف ، وأخبروا بصحتها ؛ وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواتراً ، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة ، وألفاظها أخرى ، وليست متضادة ولا منافية .

والثامن : قول الطحاوي ، أن ذلك كان في وقت خاص لضرورة دعت إليه ؛ لأن كل ذي لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته ، ثم لما كثر الناس والكتّاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد .

والتاسع : أن المراد علمُ القرآن يشتمل على سبعة أشياء :
علم الإثبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤) .

(١) سورة : المائدة . آية : ٦٠ .
(٢) سورة : البقرة . آية : ٧٠ .
(٣) سورة : الأعراف . آية : ١٦٥ .
(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٩٠ .

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٢) .

وعلم التنزيه ، كقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ (٣) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٤) .

وعلم صفات الذات ، كقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾ (٥) ، ﴿ أَلَمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ (٦) .

وعلم صفات الفعل ، كقوله : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (٧) ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٨) ، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٩) ، ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ (١٠) .

وعلم العفو والعذاب ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١١) ، ﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (١٢) .

وعلم الحشر والحساب ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ﴾ (١٣) ، ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (١٤) .

وعلم النبوات كقوله : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (١٥) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (١٦) .

والإمامات كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

(٩) سورة : البقرة . آية : ٤٣ .

(١٠) سورة : آل عمران . آية : ١٣٠ .

(١١) سورة : آل عمران . آية : ١٣٥ .

(١٢) سورة : الحجر . آية : ٤٩ - ٥٠ .

(١٣) سورة : غافر . آية : ٥٩ .

(١٤) سورة : الإسراء . آية : ١٤ .

(١٥) سورة : النساء . آية : ١٦٥ .

(١٦) سورة : إبراهيم . آية : ٤ .

(١) سورة : الإخلاص . آية : ١ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٦٣ .

(٣) سورة : النحل . آية : ١٧ .

(٤) سورة : الشورى . آية : ١١ .

(٥) سورة : المنافقون . آية : ٨ .

(٦) سورة : الجمعة . آية : ١ .

(٧) سورة : النساء . آية : ٣٦ .

(٨) سورة : النساء . آية : ١ .

الأمر منكم ﴿١﴾ ، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ (٢) ، ﴿ كُتِّمَ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ (٣) .

والعاشر : أن المراد به سبعة أشياء : المطلق والمقيّد ، والعام والخاص ، والنصّ والمؤوّل ، والناسخ ، والمنسوخ ، والمجمل والمفسّر ، والاستثناء وأقسامه ، حكاه أبو المعالي بسند له عن أئمة الفقهاء .

والحادي عشر : حكاه عن أهل اللغة ، أن المراد الحذف والصلة ، والتقديم والتأخير ، والقلب والاستعارة ، والتكرار ، والكناية والحقيقة والمجاز ، والمجمل والمفسّر ، والظاهر ، والغريب .

والثاني عشر : وحكاه عن النحاة ، أنها التذكير والتأنيث ، والشرط والجزاء ، والتصريف والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى ، وما لا يختلف في الأداء واللفظ جميعاً .

والثالث عشر : حكاه عن القراء أنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها : من إظهار ، وإدغام ، وتفخيم ، وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومدّ وقصر ، وتخفيف وتليين ، وتشديد .

والرابع عشر : وحكاه عن الصوفية أنه يشمل على سبعة أنواع من المبادلات ، والمعاملات ، وهي الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدمة مع الحياء ، والكرم والفتوة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع المشاهدة .

وقال ابن حبان : قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات ، والسّر في إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (٤) ، فلو كان تعالى أنزله على حرفٍ واحد لانعكس المقصود .

(١) سورة : النساء . آية : ٥٩ . (٣) سورة : آل عمران . آية : ١١٠ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١١٥ . (٤) سورة : القمر . آية : ١٧ .

قال : وهذه السبعة التي تتداولها اليوم غير تلك ، بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة كانت مشهورة ؛ وذكر حديث عمر مع هشام بن حكيم ؛ لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة ؛ ولم يثبت من وجه صحيح تعيين كل حرف من هذه الأحرف ؛ ولم يكلفنا الله ذلك ؛ غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة .

وقال بعض المتأخرين : الأشبهُ بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ؛ وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم ؛ من الإظهار ، والإدغام ، والإمالة ، والتفخيم ، والإشمام ، والهمز ، والتلين ، والمد ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ؛ فإن الحرف هو الطرف والوجه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾^(١) ، أي : على وجه واحد ؛ وهو أن يعبد في السراء دون الضراء ؛ وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة ؛ فإنها كلها صحّت عن رسول الله ﷺ ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ؛ فإن كل واحد اختار فيما روي وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى ، ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها ، واشتهرت عنه ونُسبت إليه ؛ فقليل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحدٌ منهم حرف الآخر ولا أنكره ، بل سوّغه وحسنه ؛ وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختيران وأكثر ؛ وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صحّ عنهم ، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعةً من الله ورحمةً على الأمة ؛ إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها ؛ من الإمالة ، والهمز والتلين ، والمد ، وغيره لشقّ عليهم .

ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب أنه لقي رسول الله ﷺ

(١) سورة : الحج . آية : ١١ .

جبريل فقال : « يا جبريل ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أَمِينٍ ؛ مِنْهُمْ الْعَجُوزُ ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالغُلَامُ ، وَالجَارِيَةُ ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً قَطُّ ؛ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ »^(١) . وقال : حسن صحيح .

(١) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ٤٠٥/٥ . وتفسير القرطبي ٤٢/١ . وسنن الترمذي ٢٩٤٤ . وفتح الباري ٢٤/٢ . وصحيح البخاري ١٦٠/٣ ، ٢٤٠/٦ . وسنن الترمذي ٢٩٤٣ . وسنن النسائي ، الباب ٢٦ ، ٣٦ من الافتتاح . ومسند أحمد بن حنبل ٤٣/١ . والسنن الكبرى ، للبيهقي ٣٨٣/٢ . ومصنف عبد الرزاق ٢٠٣٧١ . وفتح الباري ٧٣/٥ ، ٨٧/٩ . ومجمع الزوائد ١٥٣/٧ . والمطالب العالية ٣٤٩٠ ، ٣٤٩١) .

١٢ - النوع الثاني عشر في كيفية إنزاله

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (١)

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٢)

واختلف في كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة ، أو في ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة .

والقول الثاني : أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين

سنة .

وقيل : في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة .

وقيل : في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة ، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة ، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله ﷺ .

والقول الثالث : أنه ابتدء إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٨٥ .

(٢) سورة : القدر . آية : ١ .

والقول الأول أشهر وأصح ، وإليه ذهب الأكثرون ؛ ويؤيد ما رواه الحاكم في مستدرّكه عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين (١) .

وأخرج النسائي في التفسير من جهة حسن ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس قال : فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي ، ﷺ . وإسناده صحيح ، وحسن هو ابن أبي الأشرس ، وثقه النسائي وغيره .

وبالثاني قال مقاتل والإمام أبو عبد الله الحليمي (٢) في « المنهاج » والماوردي في « تفسيره » . وبالثالث قال الشعبي وغيره .

واعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل ، واختلفوا في معنى الإنزال ، فقيل : معناه إظهار القرآن ، وقيل : إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء ، وهو عالٍ من المكان وعلمه قراءته ، ثم جبريل أذاه في الأرض وهو يهبط في المكان .

والتزليل له طريقتان :

أحدهما : أن رسول الله ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة (٣) وأخذه من جبريل .

(١) أنظر : (مسند الربيع بن حبيب ٨/١ . والمستدرک ٢٢٢/٢) .

(٢) أبو عبد الله الحليمي ، هو : الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري ، الجرجاني ، فقيه شافعي ، قاض . كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر . مولده بجرجان ووفاته في بخارى سنة ٤٠٣ هـ . من كتبه : « المنهاج في شعب الإيمان » . جمع فيه أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة .

أنظر : (الرسالة المستطرفة ص ٤٤ . والأعلام للزركلي ٢٣٥/٢) .

(٣) في النسختين أ ، ب : « إلى صورة الملكية » .

والثاني : أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ؛ والأول أصعب الحالين .

ونقل بعضهم عن السمرقندي حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبي ﷺ ما هو :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .

وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كل حرف منها بقدر جبل قاف ، وأن تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله عز وجل ، وهذا معنى قول الغزالي : إن هذه الأحرف سترة لمعانيه .

والثاني : أنه إنما نزل جبريل على النبي ﷺ بالمعاني خاصة ، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ؛ وإنما تمسكوا بقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (١) .

والثالث : أن جبريل ﷺ إنما ألقى عليه المعنى ، وأنه (٢) عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ، ثم إنه أنزل به كذلك بعد ذلك .

فإن قيل : ما السرُّ في إنزاله جملة إلى السماء ؟

قيل : فيه تفخيم لأمره ، وأمر من نزل عليه ؛ وذلك بإعلان (٣) سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ؛ ولقد صرفناه إليهم ليُنزله عليهم . ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجماً بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة .

(١) سورة : الشعراء . آية : ١٩٣ .

(٢) في أ : « وإنما عبر » . وانظر : (عظمة القرآن ، عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، فقد أفاض في هذا الموضوع) .

(٣) في أ : « وذلك بإعلام » .

فإن قيل : في أيّ زمان نزل جملةً إلى سماء الدنيا ؛ بعد ظهور نبوة محمد ﷺ أم قبلها ؟

قلت : قال الشيخ أبو شامة : الظاهر أنه قبلها ، وكلاهما محتمل ؛ فإن كان بعدها فوجه التفتيح منه ما ذكرناه ، وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر .

فإن قلت : فقله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(١) ، من جملة القرآن الذي نَزَلَ جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه فما نَزَلَ جملة ؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة ؟

قلت : ذَكَرَ فيه وجهين :

أحدهما : أن يكون معنى الكلام : ما حَكَمْنَا بِإِنزَالِهِ فِي الْقَدْرِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرْنَاهُ فِي الْأَزَلِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

والثاني : أن لفظه لفظُ الماضي ومعناه الاستقبال ؛ أي ينزل جملة في ليلة مباركة هي ليلة القدر ، واختير لفظُ الماضي ؛ إمَّا لتحقيقه وكونه لا بُدَّ منه ؛ وإما لأنه حال اتصاله بالمنزل عليه يكون الماضي في معناه محققاً ؛ لأن نزوله منجماً كان بعد نزوله جملة .

فإن قلت : ما السرُّ في نزوله إلى الأرض منجماً ؟ وهل نزل جملة كسائر الكتب ؟

قلت : هذا سؤال قد تولَّى الله سبحانه جوابه ؛ فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾^(٢) ، يعنون : كما أنزل على من قبله من الرسل . فأجابهم الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ، أي : أنزلناه كذلك مفرقاً ﴿ لِنُبَيِّنَ بِهِ فَوَازِكُمْ ﴾^(٣) ، أي : لتقوي به قلبك ؛ فإن الوحي إذا كان

(١) سورة : القدر . آية : ١ .

(٢) سورة : الفرقان . آية : ٣٢ .

(٣) سورة : الفرقان . آية : ٣٢ .

يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب ، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه ؛ ويستلزم ذلك كثرة نزول المَلَك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز ، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ؛ ولهذا كان أـبـوَدَ ما يكونُ في رمضان لكثرة نزولِ جبريل عليه السلام .

وقيل : معنى ﴿ لِنُثِّبَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؛ ففرَّق عليه لیسر^(١) عليه حفظه ؛ بخلاف غيره من الأنبياء ؛ فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظُ الجميع إذا نزل جملة .

فإن قلت : كان في القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي ﷺ دفعة .

قلت : ليس كلِّ ممكن لازم الوقوع ؛ وأيضاً في القرآن أجوبة عن أسئلة ؛ فهو سبب من أسباب تفرق النزول ؛ ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً .

وقال ابن فورك^(٢) : قيل أنزلت التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبيٍّ يقرأ ويكتب - وهو موسى - وأنزل القرآن مفرقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبيٍّ أميٍّ .
وقيل : مما لم ينزل لأجله جملة واحدة أن منه الناسخ والمنسوخ ، ومنه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور ، ومنه ما هو إنكارٌ لما كان . انتهى .

وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس

(١) في أ ، ب : « فرَّق عليه ليثبت عليه » .

(٢) ابن فورك ، هو : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر : واعظ عالم بالأصول والكلام ، من فقهاء الشافعية . توفي سنة ٤٠٦ .

من كتبه : « النظامي » ، و« مشكل الحديث » و« الحدود » و« التفسير » و« حل الآيات المتشابهات » و« غريب القرآن » وغير ذلك .

أنظر : (الطبقات الكبرى ، للسبكي ٥٢/٣ ، ٥٦ . والنجوم الزاهرة ٢٤٠/٤ .
ووفيات الأعيان ٤٨٢/١ . واللباب ٢٢٦/٢ . وبيروكلمان ١٧٥/١ . والأعلام ٨٣/٦ .

وتبيين كذب المفتري ٢٣٢) .

وعشرون سنة ؛ وهو مبنيٌّ على الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد النبوة ؛
فقليل : عشر ، وقيل : ثلاث عشرة ، وقيل : خمس عشرة . ولم يختلف في مدة
إقامته بالمدينة أنها عشر .

وكان كلما أنزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته ويقول : في مفترقات
الآيات . « ضعوا هذه في سورة كذا » ، وكان يعرضه جبريل في شهر رمضان
كلَّ عام مرّة ، وعامَ مات مرتين .

وفي صحيح البخاريّ : قال مسروق : عن عائشة ، عن فاطمة رضي الله
عنهما : أسرّ النبي ﷺ إليّ : « أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة ، وأنه
عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضوراً أجلي »^(١) .

وأسنده البخاريّ في مواضع . وقد كرر النبي ﷺ الاعتكاف فاعتكف
عشرين بعد أن كان يعتكف عشراً .

* * *

(١) أنظر : (صحيح البخاري ٢٤٨/٤ ، ٢٢٩/٦ . ومسنّد أحمد ابن حنبل ٢٨٢/٦ .
ومجمع الزوائد ٢٣/٩ . ودلائل النبوة ، للبيهقي ١٥٥/٧ ، ١٦٥ . وكشف الخفا
٢٢٥/٢) .

١٣ - النوع الثالث عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم

روى البخاري في صحيحه^(١) : عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرء القرآن ؛ وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالموطن ، فيذهب كثير من القرآن ؛ وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف فعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : والله إن هذا خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ؛ وقد رأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهتمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن واجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من العُسب واللِّخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾^(٢) مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره فألحقتها في

(١) أنظر : (صحيح البخاري ، الباب ٩ ، حديث ٢٠ من التفسير ، والباب ٣ ، حديث ١ من

فضائل القرآن . والباب ٤ منه . وسنن الترمذي ، الباب ١٠ ، حديث ٢١ من التوبة) .

(٢) سورة : التوبة . آية : ١٢٨ .

سورتها ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وفي رواية قال ابن شهاب^(١) : وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول : فَقَدْتُ آيَةَ مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمَصْحَفَ ؛ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إِلَّا مَعَ خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾^(٢) فَالْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا . وَخَزِيمَةُ الْأَنْصَارِيِّ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَتَيْنِ .

وقول زيد : « لم أجدها إلا مع خزيمة » ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد ؛ لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي ﷺ ، وكذلك غيره من الصحابة ثم نسيها ، فلما سمع ذكره . وَتَبَّعَهُ لِلرِّجَالِ كَانُوا لِلْإِسْتِظْهَارِ ، لَا لِالِاسْتِحْدَاثِ الْعِلْمِ .

وسياتي أن الذين كانوا يحفظون القرآن من الصحابة على عهد رسول الله ﷺ أربعة ؛ والمراد : أن هؤلاء كانوا اشتهروا به ، فقد ثبت أن غيرهم حفظه ، وثبت أن القرآن مجموعه محفوظ كله في صدور الرجال أيام حياة النبي ﷺ ، مؤلفاً على هذا التأليف ، إلا سورة براءة .

قال ابن عباس : قلت لعثمان : ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المثين ؛ فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ؟

قال عثمان : كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وتنزل عليه السور ، وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فقال : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي

(١) أنظر: (صحيح البخاري ، الباب ١٢ ، حديث ٢ من كتاب الجهاد ، والباب ٣٣ ، حديث ٢ من التفسير ، والباب ٣ ، حديث ٢ من فضائل القرآن . وسنن الترمذي ، الباب ١٠ ، حديث ٢٣ من التوبة) .

(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٢٣ .

السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت « الأنفال » من أوائل ما نزل من المدينة ، وكانت « براءة » من آخر القرآن ؛ وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله ﷺ ، ولم يبين لنا أنها منها ؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ثم كتبت . فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ﷺ ، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد ؛ لأن النسخ كان يردُّ على بعض^(١) ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض^(٢) لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين .

واعلم أنه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف ؛ وليس كذلك لما بيناه ، بل أول من جمعها في مصحف واحد الصديق ، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف : هكذا نقله البيهقي .

قال : وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي ﷺ ، وروينا عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر ، والنسخ في المصاحف في زمن عثمان ، وكان ما يجمعون وينسخون معلوماً لهم ، بما كان مثبتاً في صدور الرجال ، وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاه علي بن أبي طالب ، وحيد أثره فيه .

وذكر غيره أن الذي استبدَّ به عثمان جمعُ الناس على قراءة محصورة ، والمنع من غير ذلك .

قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » : لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لَوْحَيْنِ ؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحفٍ لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أُثبت مع تنزيل ، ومنسوخٍ تلاوته كُتِبَ مع مثبت رسمه

(١) في ح ، أ : « كان يرد عليه بعض » .

(٢) في ح ، أ : « ثم رفعت تلاوة بعضه » .

ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد .
انتهى .

وقد روى البخاري في صحيحه^(١) : عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال [حذيفة] لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا [في الكتاب] اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ؛ فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفي هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص .

والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقاً في العُسب واللَّخاف وصدور الرجال ، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي ﷺ ، من غير أن قدموا شيئاً أو آخروا .

وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيفٍ لهم على ذلك ؛ وأن هذه الآية عقب تلك الآية ؛ فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد ، لا في ترتيب ؛ فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن ، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، كما قال الله تعالى :

(١) أنظر : (المراجع السابقة ، ونفس المواضع) .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٢)

ثم كان ينزل مفزاً على رسول الله ﷺ مدة حياته عند الحاجة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٣)

فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة ؛ وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة ، ورحمة من الله على عباده ، وتسهيلاً وتحقيقاً لوعده بحفظه ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤) وزال بذلك الاختلاف ، واتفقت الكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : كانت قراءة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وزيد بن ثابت ، والمهاجرين ، والأنصار : واحدة ، كانوا يقرأون القراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرصة الأخيرة ، وكان يقرأ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه ، وولاه عثمان كتبة المصحف .

وقال أبو الحسين بن فارس في « المسائل الخمس » :

جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَحَدُهُمَا : تَأْلِيفُ السُّورِ ، كَتَقْدِيمِ السَّبْعِ الطُّوَالِ وَتَعْقِيبِهَا بِالْمَثْنِ ؛ فَهَذَا الضَّرْبُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّاهُ الصَّحَابَةُ ، وَأَمَّا الْجَمْعُ الْآخَرُ - وَهُوَ جَمْعُ الْآيَاتِ فِي السُّورِ - فَهُوَ تَوْقِيفِي تَوَلَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ .

وقال الحاكم في « المستدرک » : وقد روي حديث عبد الرحمن بن شماس (٥) عن زيد بن ثابت قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُوَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ ... الْحَدِيثُ .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٨ . (٢) سورة : الإسراء . آية : ١٠٦ .

(٣) سورة : الحجر . آية : ٩ . (٤) سورة : الحجر . آية : ٩ .

(٥) أنظر : (دلائل النبوة ، لليبهي ١٤٧/٧ . والمستدرک ٦١١/٢) .

قال : وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ ، ثم جمع بحضرة الصديق ؛ والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان في خلافة عثمان .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي^(١) في كتاب « فهم السنن » : كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابه ، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعُسب ؛ وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ ، فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء .

فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟

قيل : لأنهم كانوا يُبدون عن تأليف مُعجز ونظم معروف ، وقد شاهدوا تلاوته من النبي ﷺ عشرين سنة ، فكان تزويد ما ليس منه مأموناً ؛ وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيحه .

فإن قيل : كيف لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك ؟

قيل : لأن الله تعالى كان قد آمنه من النسيان بقوله : ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢) أن يرفع حكمه بالنسخ ، فحين وقع الخوف من

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي : من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مبكياً ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، أخرجها وحققها الأستاذ/عبد القادر أحمد عطا ، وقال عنه : هو أستاذ علم النفس . توفي سنة ٢٤٣ هـ . . .

من كتبه : « الرعاية لحقوق الله » و « المسائل في الزهد » و « المسائل في أعمال القلوب والجوارح » و « آداب النفوس » و « معاتبة النفس » وغير ذلك .

أنظر : (تهذيب التهذيب ١٣٤/٢ . وصفة الصفة ٢٠٧/٢ . وميزان الاعتدال ١٩٩/١ . وحلية الأولياء ٧٣/١٠ . وتاريخ بغداد ٧٣/١٠) . ومقدمة الأستاذ عبد القادر عطا لكتابي : « آداب النفوس » ، و « الرعاية لحقوق الله » .

(٢) سورة : الأعلى . آية : ٦ - ٧ .

نسيان الخلق حدث ما لم يكن ، فأحدث بضبطه ما لم يُحتج إليه قبل ذلك .

وفي قول زيد بن ثابت : « فجمعتهم من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال » ما أوهم بعض الناس أن أحداً لم يجمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ ؛ وأن مَنْ قال : إنه جمع القرآن أبي بن كعب وزيد ليس بمحفوظ . وليس الأمر على ما أوهم ؛ وإنما طُلب القرآن متفرقاً ليعارض بالمجتمع عند مَنْ بقي ممن جمع القرآن ليشترك الجميع في علم ما جمع ، فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شيء ، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودع المصحف ، ولا يشكو فيه أنه جُمع عن ملاءٍ منهم .

فأما قوله : « وجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت ، ولم أجدها مع غيره » ؛ يعني : ممن كانوا في طبقة خزيمة ممن لم يجمع القرآن .

وأما أبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ؛ فبغير شكٍ جمعوا القرآن ، والدلائل عليه^(١) متظاهرة .

قال : ولهذا المعنى لم يجمعوا السنن في كتاب ، إذ لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن .

قال : ومن الدليل على ذلك أن تلك المصاحف التي كتب منها القرآن كانت عند الصديق ، لتكون إماماً ولم تُفارق الصديق في حياته ، ولا عمر أيامه . ثم كانت عند حفصة لا تُمكن منها ، ولما احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها في أيام عثمان ؛ فأخذ ذلك الإمام ، ونسخ في المصاحف التي بعث بها إلى الكوفة ، وكان الناس متروكين على قراءة ما يحفظون^(٢) من قراءتهم المختلفة ، حتى خيف الفساد ، فجمعوا على القراءة التي نحن عليها .

قال : والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضي الله عنه ، وليس

(١) في ب : « والدلائل على ذلك » .

(٢) في ب : « على قراءة ما يحفظونه » .

كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين مَنْ شَهِدَهُ من المهاجرين والأنصار لما خشيَ الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات والقرآن . وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن ؛ فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق ؛ روي عن عليّ أنه قال : رحم الله أبا بكر ! هو أولُ مَنْ جَمَعَ بين اللوحين . ولم يحتج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى جَمْعِهِ على وجه ما جَمَعَهُ عثمان ؛ لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان ؛ ولقد وُفِّقَ لأمر عظيم ، ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة ، وأراح الأمة .

وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرق المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعمى ، فإنّ هذا من فضائله وعلمه ؛ فإنه أصلح ، ولم الشعث ، وكان ذلك واجباً عليه ، ولو تركه لَعَصَى ، لما فيه من التضييع ؛ وحاشاه من ذلك .

وقولهم : إنه سَبَقَ إلى ذلك ممنوع لما بيّناه أنه كُتِبَ في زمن النبي ﷺ في الرِّقَاع والأكتاف ؛ وأنه في زمن الصديق جَمَعَهُ في حرف واحد .

قال : وأما قولهم : إنه أحرق المصاحف ؛ فإنه غير ثابت ، ولو ثبت لوجب حملة على أنه أحرق مصاحف قد أودعت ما لا يحل قراءته .

وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا طاع في التنزيل ، ولم يحرق إلا ما يجب^(١) إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحدٌ ذلك ، بل رضوه وعدّوه من مناقبه ، حتى قال عليّ : لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل . انتهى ملخصاً .

فائدة :

قال أبو عمرو الداني في « المقنع » :

(١) في ب : « ولم يحرق إلا ماوجب » .

أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ ؛
وبعث إلى كل ناحية واحداً : الكوفة والبصرة والشام ، وترك واحداً عنده . وقد
قيل : إنه جعله سبع نسخ ، وزاد : إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين . قال :
والأول أصحّ وعليه الأئمة .

فصل في بيان من جمَعَ القرآن حفظاً

حفظه في حياته جماعة من الصحابة ، وكلُّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حدّ التواتر ، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذي ، والمستدرک ، وغيرهما من حديث ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ يأتي عليه الزمانُ وهو ينزلُ عليه السُّورُ ذواتُ العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيءُ دعا بعضَ مَنْ كان يكتبُ فيقول : « ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ، قال الترمذي : هذا حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١) .

وفي البخاري : عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟ قال : أربعة كلُّهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبوزيد^(٢) .

وفي رواية : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبوزيد .

(١) أنظر : (فتح الباري ٤٠/٩) . والمستدرک ٢٢٢/٢ . ومشكاة المصابيح ، للتبريزي ٢٢٢٢ . وزاد المسير ٣٩٠/٣ . ومسند أحمد بن حنبل ٥٧/١ ، ٦٩ . وتفسير القرطبي ٦٠/١ . ودلائل النبوة ، للبيهقي ١٥٣/٧) .

(٢) أنظر : (صحيح البخاري ، الباب ٢٠ ، سورة ٩ من كتاب التفسير ، والباب ٣ ، ٨ ، ٢٥ من فضائل القرآن ، والباب ٣٧ من الأحكام) .

قال الحافظ البيهقي في كتاب «المدخل» : الرواية الأولى أصح ، ثم أسند عن ابن سيرين قال : جمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلفوا في رجلين من ثلاثة : أبو الدرداء ، وعثمان . وقيل : عثمان ، وتميم الداري . وعن الشعبي ، جمعه ستة : أبي ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد . ومجمّع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة . قال : ولم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب «الانتصار» الكلام في حَمَلَة القرآن في حياة النبي ﷺ ، وأقام الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة ، وأن العادة تحيل خلاف ذلك ؛ ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة ؛ وذلك في أول خلافة أبي بكر ، وما في الصحيحين : قُتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة ؛ كانوا يُسمّون القراء^(١) .

ثم أول القاضي الأحاديث السابقة بوجوه منها : اضطرابها ، وبين وجه الاضطراب في العَدَد وإن خُرِجَتْ في الصحيحين ، مع أنه ليس منها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ .

ومنها بتقرير سلامتها ؛ فالمعنى : لم يجمعه على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك نفر . ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمُه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرضُ حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة . ومنها أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله ﷺ وأخذه من فيه تلقياً غير تَأْك الجماعة ، وغير ذلك .

قال الماوردي : وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة ،

(١) أنظر : (صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، الباب ٣ وما بعده .)

والصحابية متفرون في البلاد ! وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزاءه
مئون لا يحصون .

قال الشيخ : وقد سمي الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من الصحابة
في أول كتاب القراءات له ، فسمي عدداً كثيراً .

قلت : وذكر الحافظ شمس الدين الذهبي^(١) في كتاب « معرفة القراء »
مباين ذلك ، وأن هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي ﷺ ، واتصلت بنا
أسانيدهم ، وأما من جمعه منهم ، ولم يتصل بنا فكثير فقال : ذكر الذين عرضوا
على النبي ﷺ القرآن وهم سبعة : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب - وقال
الشعبي : لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء الأربعة إلا عثمان ؛ ثم رد على
الشعبي قوله : بأن عاصماً قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي - وأبي بن
كعب - وهو أقرأ من أبي بكر وقد قال : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وهو
مشكل - . وعبد الله بن مسعود ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ،
وأبو الدرداء .

قال : وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة ، كمعاذ بن جبل وأبي زيد ،
وسالم مولى أبي حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر ؛ ولكن لم تتصل
بنا قراءتهم ، قال : وقرأ علي أبي جماعة من الصحابة ؛ ومنهم أبو هريرة ،
وابن عباس ، وعبد الله بن السائب .



(١) الذهبي ، هو : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، الذهبي ، أبو عبد الله : حافظ ،
مؤرخ ، علامة محقق ، تركماني الأصل ، من أهل ميافارقين ، توفي بدمشق سنة
٧٤٨ هـ . له تصانيف كثيرة منها : « ميزان الاعتدال » و « دول الإسلام » و « العباب »
و « تاريخ الإسلام » و « سير النبلاء » و « الكاشف » و « تذكرة الحفاظ » و « طبقات القراء »
و « الكباثر » و « الطب النبوي » و « معرفة القراء » و « المغني » .
أنظر : (فوات الوفيات ١٨٣/٢ . وتذكرة الحفاظ ٣٤ ، ٣٤٧ . وطبقات السبكي
٢١٦/٥ . وشذرات الذهب ١٥٣/٦ . وغاية النهاية ٧١/٢ . والدرر الكامنة ٣/٣٣٦ .
والنجوم الزاهرة ١٨٢/١٠ . ومفتاح السعادة ٢١٢/١ ، ٢١٦ . والأعلام ٢٣٦/٥) .

١٤ - النوع الرابع عشر معرفة تقسيمه بحسب سُوره وترتيب السُّور والآيات وعددها

قال العلماء رضي الله عنهم : القرآن العزيز أربعة أقسام : الطول ،
والمثون ، والمثاني ، والمفصل .

وقد جاء ذلك في حديث مرفوع ، أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن
بشير ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن وائلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ
قال :

« أعطيت السبع الطُّول مكان التوراة ، وأعطيت المثين مكان الإنجيل ،
وأعطيت المثاني مكان الزُّبور ، وفُضِّلَ بالمفصل »^(١) .

وهو حديث غريب ، وسعيد بن بشير فيه لين . وأخرجه أبو داود
الطيالسي^(٢) في مسنده ، عن عمران ، عن قتادة به .

فالسبع الطُّول أولها البقرة ، وآخرها براءة ؛ لأنهم كانوا يعدُّون الأنفال

(١) أنظر : (تفسير ابن كثير ٥٥/١ . وتفسير الطبري ٣٤/١ - والدر المثور ١٨٩/١ ،
١٠١/٦) .

(٢) أبو داود الطيالسي ، هو : سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش ، أبو داود : من كبار
حفاظ الحديث ، فارسي الأصل . سكن البصرة ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ . كان يحدث
من حفظه . له : « المسند » .

أنظر : (تاريخ بغداد ٢٤/٩ . واللباب ٩٦/٢ . والأعلام ١٢٥/٣) .

وبراءة سورة واحدة ، ولذلك لم يَفْصِلُوا بينهما ؛ لأنهما نزلتا جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ . وسميت طُولاً لطولها .

وحكي عن سعيد بن جبير أنه عدَّ السبع الطُّول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

والطُّول ، بضم : الطاء جمع طُولِي ، كالكُبر جمع كُبْرَى . قال أبو حيان التوحيدِي (١) : وكسرُ الطاء مردول .

والمثون : ما ولي السبع الطُّول ؛ سميت بذلك لأنَّ كلَّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

والمثاني : ما ولي المثين ؛ وقد تُسَمَّى سور القرآن كلها مثاني ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كِتَاباً مُّثَبِّهاً مَثَانِي ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾ (٣) .

وإنما سمي القرآن كله مثاني لأنَّ الأنبياء والقصص تُثَنَّى فيه .

ويقال : إن المثاني في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾ (٤) هي آيات سورة الحمد ، سماها مثاني لأنها تُثَنَّى في كل ركعة .

والمفصل : ما يلي المثاني من قصار السور ؛ سُمِّي مفصلاً لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم . وقيل : لقلة المنسوخ فيه . وآخره : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، وفي أوله اثنا عشر قولاً :

(١) أبو حيان التوحيدِي ، هو : علي بن محمد بن العباس التوحيدِي ، فيلسوف ، متصوف ، معتزلي ، قال عنه ابن الجوزي : كان زنديقاً . من كتبه : « المقاسات » و« الصداقة والصدق » و« البصائر والذخائر » و« الإمتاع والمؤانسة » و« الإشارات الإلهية » وغير ذلك .

أنظر : (طبقات السبكي ٢/٤ . وبغية الوعاة ٣٤٨ . وإرشاد الأريب ٣٨٠/٥ ، ٤٠٧ . وميزان الاعتدال ٣/٣٥٥ . ومفتاح السعادة ١/١٨٨ . والأعلام ٤/٣٢٦) .

(٢) سورة : الزمر . آية : ٢٣ .

(٣) سورة : الحجر . آية : ٨٧ .

(٤) سورة : الحجر . آية : ٨٧ .

أحدها : الجائية .

ثانيها : القتال^(١) ؛ وعزاه الماورديّ للأكثرين .

ثالثها : الحجرات .

رابعها : ق ؛ قيل : وهي أوّلُهُ في مصحف عثمان رضي الله عنه . وفيه حديث ذكره الخطّابي^(٢) في غريبه ، يزويه عيسى بن يونس قال : حدّثنا عبد الرحمن بن يعلى الطائفيّ قال : حدّثني عمر بن عبد الله بن أوّس بن حُدَيْفة ، عن جده : أنه وفد على رسول الله ﷺ في وفد ثَقِيف فسمع من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يحزّب القرآن .

قال : وحزب المفصّل من « ق » . وقيل : إن أحمد رواه في المسند .

وقال الماورديّ^(٣) في تفسيره : حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة ؛ للحديث المذكور .

الخامس : الصافات .

السادس : الصفّ .

السابع : تبارك . حكى هذه الثلاثة ابن أبي الصيف اليميني^(٤) في : « نكت التنبيه » .

(١) سورة القتال : سورة محمد .

(٢) الخطّابي ، هو : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان : فقيه محدث ، من أهل بست ، ولد سنة ٣١٩ ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ . من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب ، من كتبه : « معالم السفن » و « بيان إعجاز القرآن » و « إصلاح خطأ المحدثين » و « غريب الحديث » وغير ذلك .

أنظر : (تحفة ذوي الأرب ١٥٤ . ووفيات الأعيان ١٦٦/١ . وإنباه الرواة ١٢٥/١ . وخزانة الأدب ٢٨٢/١ . وبتيمة الدهر ٢٣١/٤ . والأعلام ٢٧٣/٢) .

(٣) سبقت الترجمة له ، راجع الفهرست .

(٤) ابن أبي الصيف اليميني ، هو : محمد بن إسماعيل بن علي ، أبو عبد الله بن =

الثامن : ﴿ إنا فتحنا لك ﴾ ؛ حكاه الذمماري في شرح « التنبيه » المسمى : « رفع التمويه » .

التاسع : ﴿ الرحمن ﴾ ، حكاه ابن السَّيد^(١) في أماليه على « الموطأ » وقال : إنه كذلك في مصحف ابن مسعود .

قلت : رواه أحمد في مسنده كذلك .

العاشر : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾^(٢) .

الحادي عشر : ﴿ سَبَّح ﴾ ؛ حكاه ابن الفركاح^(٣) في تعليقه عن المرزوقي .

= أبي الصيف : فقيه شافعي ، يماني ، له علم بالحديث . أصله من زبيد ، أقام وتوفي بمكة سنة ٦٠٩ هـ . من كتبه : « الأربعون حديثاً » وكتاب « زيارة الطائف » .

أنظر : (طبقات الخواص ١٤١ . وطبقات الشافعية ١٩/٥ . والأعلام ٢٦/٩) .

(١) ابن السيد ، هو : عبد الله بن محمد بن السيد ، أبو محمد ، من العلماء باللغة والأدب . ولد سنة ٤٤٤ هـ . وتوفي سنة ٥٢١ هـ .

من كتبه : « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة » و « المسائل والأجوبة » و « الحدائق » و « المثلث » و « شرح الموطأ » و « الحلل في شرح أبيات الجمل » وغير ذلك .

أنظر : (الصلة ٢٨٧ . والبداية والنهاية ١٢/١٩٨ . وبغية الملتبس ٢٨٧ . وقلائد العقيان ١٩٣ . والأعلام ١٢٣/٤) .

(٢) سورة : الإنسان ، آية : ١ .

(٣) ابن الفركاح ، هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ، بن سباع الفزاري ، أبو إسحاق ، برهان الدين ، ابن الفركاح : من كبار الشافعية ، مصري الأصل ، من أهل دمشق ، من بيت علم ، عرض عليه قضاء قضاء الشام فأبى ، توفي سنة ٧٢٩ هـ .

من كتبه : « تعليق التنبيه » و « تعليق على مختصر ابن الحاجب » و « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » و « الإعلام بفضائل الشام » و « المنائح لطالب الصيد والذبائح » و « كتاب شيوخه » .

أنظر : (البداية والنهاية ١٤/١٤٦ . وطبقات الشافعية ٦/٤٥ . وآداب اللغة ٣/٢١٩ . والأعلام ١/٤٦) .

الثاني عشر : ﴿ والضحي ﴾ ، وعزاه الماوردي لابن عباس ؛ حكاه الخطابي في غريبه ؛ ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير . قال وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة .

والصحيح عند أهل الأثر أن أوله « ق » .

قال أبو داود في سننه ، في باب : « تحزيب القرآن » :

حدثنا مسدد ، حدثنا جرار بن تمام . ح . وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان - وهذا لفظه - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جدّه أوس ، قال عبد الله بن سعيد في حديث أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ ؛ في وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له - قال مسدد : وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف - قال : كان رسول الله ﷺ كل ليلة بعد العشاء يحدثنا - قال أبو سعيد : قائماً على راحلته - ثم يقول : « لا سواء ، كنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد : بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ؛ ندأل عليهم ويدالون علينا ، فلما كانت ليلة ، أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلت : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال : إنه طرأ علي حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أتمه » (١) .

قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ ؛ كيف تُحزبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده .

رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به . ورواه أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن مهدي وأبو يعلى الطائفي (٢) : به .

(١) أنظر : (أبي داود ، الباب ، من فضائل القرآن . ومسند أحمد بن حنبل ٩/٤ ، ٣٤٣) .

(٢) أنظر : (سنن ابن ماجه ١/٤٢٧ ، ٤٢٨) .

وحينئذٍ فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة « ق » .
بيانه : ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء .

وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة .
وسبع : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ،
والنحل .

وتسع : سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ،
والمؤمنون ، والنور ، والفرقان .

وإحدى عشر : الشعراء ، والنمل ، والقصاص ، والعنكبوت ، والروم ،
ولقمان ، وآم السجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .

وثلاث عشرة : الصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وحَم السجدة ، وحَم
عَسَق ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، والقتال ، والفتح ،
والحجرات .

ثم بعد ذلك حزب المفصل - وأوله سورة « ق » وأما آل حاميم فإنه يقال :
إن حَم إسم من أسماء الله تعالى ، أضيفت هذه السورة إليه ؛ كما قيل : سور
الله لفضلها وشرفها ، وكما قيل : بيت الله .

قال الكمي^(١) :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأْوَلُهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبٌ

وقد يُجعل إسماً للسورة ويدخل الإعراب عليها ويُصرف . ومن قال هذا

(١) الكمي ، هو : الكمي بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل : شاعر الهاشميين . من
أهل الكوفة . في العصر الأموي ، كان عالماً بأداب العرب ولغاتهم وأخبارهم . له :
« الهاشميات » وغير ذلك ، توفي ١٢٦ هـ .

أنظر : (شرح شواهد المغني ١٣ . والأغاني ١٥/١٠٨ . وجمهرة أشعار العرب ١٨٧ .
وخزانة الأدب ١/٦٩ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ . والأعلام ٥/٢٣٣) .

قال في الجمع : الحواميم ؛ كما يقال : طسّ والطواسين . وكره بعض السلف -
منهم محمد بن سيرين - أن يقال : الحواميم ؛ وإنما يقال : آل حم .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : آل حم ديباج القرآن .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إن لكلّ شيء لباباً ولبابُ القرآن حم -

أو قال : الحواميم .

وقال مسعر بن كدام^(١) : كان يقالُ لهنّ العرائس ؛ ذكر ذلك كله أبو عبيد

في فضائل القرآن .

وقال حميد بن زنجويه^(٢) : ثنا عبد الله ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

عن أبي الأحوص ، عن أبي عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثّل رجل انطلق يرتادُ

منزلاً ، فمرّ بأثر غيثٍ ؛ فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضاتٍ

دمثاتٍ ؛ فقال : عجبتُ من الغيثِ الأول ، فهذا أعجب وأعجب ؛ فقليل له : إن

مثل الغيثِ الأول مثل عظم القرآن ؛ وإن مثل هؤلاء الروضات مثل « حم » في

القرآن .

أورده البغوي .

(١) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي ، أبو سلمة ، من ثقات أهل الحديث ،

كوفي . كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة بما يرويه . عنده نحو ألف حديث ،

خرج له الستة . وتوفي سنة ١٥٢ هـ .

(أنظر : تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ . وحلية الأولياء ٢٠٩/٧ . وتهذيب الكمال

ص ٣٢٠) .

(٢) هو : حميد بن مخلد (زنجويه) بن قتيبة الأزدي ، النسائي : من حفاظ الحديث . أظهر

السه في نسا ، توفي سنة ٢٥١ هـ . له كتاب « الأموال » و « الأداب النبوية » و « الترغيب

والترهيب » .

أنظر : (تذكرة الحفاظ ١١٨/٢ ، وتهذيب ابن عساكر ٤٦٠/٤ . والأعلام ٢٨٣/٢) .

فصل في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ^(١) : عددُ سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة .

وقال : بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري ، وأبا العالية ، ونضربن عاصم ، وعاصماً الجحدري ، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم .

وقال : عددوا حروف القرآن ؛ فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير ، فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً . انتهى .

وقال غيره : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ؛ ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال :

(١) أبو بكر : أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ ، النيسابوري ، إمام عصره في القراءات ، وأصله من أصبهان وسكن في نيسابور ، من كتبه : « آيات القرآن » و« غرائب القراءات » و« وقوف القرآن » و« الشامل » و« الغاية في القراءات العشر » وغير ذلك . توفي سنة ٣٨١ هـ .

أنظر : (إرشاد الأريب ٤١١/١ . والنجوم الزاهرة ١٦٠/٤ . والعبر ١٦/٣ . والأعلام ١١٥/١) .

ومائتا آية وأربع آيات . وقيل : وأربع عشرة آية . وقيل : مائتان وتسع عشرة آية . وقيل : مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية . وقيل : مائتان وست وثلاثون . حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب « البيان » .

وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان^(١) : عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ، فقال عبد الله بن جبير عن مجاهد : ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف . وقال سلام أبو محمد الحمانبي : إن الحجاج جَمَعَ القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله ، كم مِنْ حرف هو؟ قال : فحسبناه ، فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً .

قال : فأخبروني عن نصفه ؛ فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف : ﴿ وَلِيَتَلَطَّفْ ﴾^(٢) .

وثلثه الأول : عند رأس مائة من براءة ، والثاني : على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء . والثالث : إلى آخره .

وسبعة الأول إلى الدال ، في قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾^(٣) ، والسبع الثاني : إلى التاء من قوله في الأعراف : ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾^(٤) ، والثالث : إلى الألف الثانية من قوله في الرعد : ﴿ أَكُلُّهَا ﴾^(٥) ، والرابع : إلى الألف في الحج من قوله : ﴿ جَعَلْنَا

(١) في الأصل : « الفضيل بن شاذان » خطأ تصحيف ، وهو : الفضل بن شاذان بن الخليل ، أبو محمد الأزدي ، النيسابوري : عالم بالكلام ، من فقهاء الإمامية ، له نحو ١٨٠ كتاباً منها : « الرد على ابن كرام » و « الإيمان » و « محنة الإسلام » و « الرد على الدامغة الشوية » و « الرد على الباطنية والقرامطة » وغير ذلك . توفي سنة ٢٦٠ هـ .

أنظر : (الذريعة ٢/٥١٠ ، والطوسي ١٢٤ . والقمي ٣٦٨/٢ . والأعلام ١٤٩/٥) .

(٢) سورة : الكهف . آية : ١٩ . (٤) سورة : الأعراف . آية : ١٤٧ .

(٣) سورة : النساء . آية : ٥٥ . (٥) سورة : الرعد . آية : ٣٥ .

مَنْسَكًا ﴿١﴾ ، والخامس : إلى الهاء من قوله في الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ ﴿٢﴾ ، والسادس : إلى الواو من قوله في الفتح : ﴿ الظَّائِنِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ ﴾ ﴿٣﴾ والسابع : إلى آخر القرآن .

قال سلام : علمنا ذلك في أربعة أشهر .

قالوا : وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن ، فالأول إلى آخر الأنعام ، والثاني إلى ﴿ وَلِيَتَلَطَّفْ ﴾ ﴿٤﴾ من سورة الكهف ، والثالث إلى آخر المؤمن ، والرابع إلى آخر القرآن . وحكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتاب « البيان » خلافاً في هذا كله .

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها .

وقد أخرج أحمد في مسنده ، وأبوداود ، وابن ماجه : عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة . وحزب المفصل من « ق » حتى يختم (٥) .

أسند الزبيدي في كتاب « الطبقات » عن المبرد (٦) ؛ أول من نقط

(١) سورة : الحج . آية : ٣٤ ، ٦٧ . (٤) سورة : الكهف . آية : ١٩ .

(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٣٦ . (٥) سبق تخريجه ، راجع الفهرس .

(٣) سورة : الفتح . آية : ٦ .

(٦) المبرد ؛ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد : إمام العربية ببغداد في زمنه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار . مولده بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦ .

من كتبه : « الكامل » و « المذكر والمؤنث » و « المقتضب » و « التعازي والمرائي » و « شرح لأمية العرب » و « إعراب القرآن » و « المقرب » .

أنظر : (بغية الوعاة ١١٦ . ووفيات الأعيان ١/٤٩٥ . وتاريخ بغداد ٣/٣٨٠ . وآداب اللغة ٢/١٨٦ ولسان الميزان ٥/٤٣٠ . ونزهة الألبا ٢٧٩ . والأعلام ٧/١٤٤) .

المصحف أبو الأسود الدؤلي .

وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف نَقَطَه له يحيى بن يعمر .

وذكر أبو الفرج : أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود أن ينقَط

المصاحف .

وذكر الجاحظ^(١) في كتاب « الأمصار » أن نصر بن عاصم أول من نقط

المصاحف ، وكان يقال له : نصر الحروف .

وأما وضعُ الأعشار ؛ فقليل : إن المأمون العباسي أمر بذلك . وقيل : إن

الحجاج فعل ذلك .

واعلم أن عددَ سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع

عشرة سورة ؛ كما هي في المصحف العثماني ، أولها الفاتحة وآخرها الناس .

وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين

وعدم البسمة . ويردّه تسمية النبي ﷺ كلاً منهما . وكان في مصحف

ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذتان ؛ لشبهة الرُقِيّة ؛ وجوابه رجوعه

إليهم ، وما كتب الكلّ . وفي مصحف أبي ستّ عشرة ؛ وكان دعاء الاستفتاح

والقنوت في آخره كالسورتين . ولا دليل فيه لموافقتهما ؛ وهو دعاء كُتِبَ بعد

الختمّة .

وعددُ آياته في قول عليّ رضي الله عنه : ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة .

وعطاء : ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون . وحميد : ستة آلاف ومائتان واثنان

عشرة . وراشد : ستة آلاف ومائتان وأربع .

(١) الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، بالولاء ، اللثي ، أبو عثمان : كبير أئمة

الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . له : « الحيوان » و « البيان والتبيين »

و « البخلاء » و « سحر البيان » وغير ذلك . توفي سنة ٢٥٥ هـ .

أنظر : (إرشاد الأريب ٥٦/٦ ، ٨٥ . والوفيات ٣٨٨/١ . وتاريخ بغداد ٢١٢/١٢ .

وآداب اللغة ١٦٧/٢) .

وقال حميد الأعرج^(١) : نصفه ﴿ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٢) في الكهف ، وقيل :
عين ﴿ تَسْتَطِيع ﴾ وقيل : ثاني لامي ﴿ وَلَيَنْتَلِف ﴾^(٣) .

واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عدّ الآي والكلم والحروف أن النبي
ﷺ ، كان يقف على رءوس الآي للتوقيف ؛ فإذا علم محلّها وصل للتمام ؛
فيحسب السامع أنّها ليست فاصلة .

وأيضاً البسمة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ
بحرف نزلت فيه عدّها ، ومَنْ قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وسبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ورسم ؛
واعتبار كل منها جائز ؛ وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوائز .

وأطول سورة في القرآن هي البقرة ، وأقصرها الكوثر .

وأطول آية فيه آية الدّين^(٤) ؛ مائة وثمانية وعشرون كلمة ، وخمسمائة
وأربعون حرفاً .

وأقصر آية فيه ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ، ثم ﴿ وَالْفَجْر ﴾ ؛ كل كلمة خمسة أحرف
تقديراً ثم لفظاً ، ستة رسماً ؛ لا ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾^(٥) لأنها سبعة أحرف لفظاً
ورسماً ، وثمانية تقديراً ، ولا ﴿ تُمْ نَظَرَ ﴾^(٦) لأنها كلمتان ، خمسة أحرف
رسماً وكتابة ، وستة أحرف تقديراً ؛ خلافاً لبعضهم .

وأطول كلمة فيه لفظاً وكتابة بلا زيادة ﴿ فَاسْقِنَاكُمُوهُ ﴾^(٧) أحد عشر

(١) حميد الأعرج الكوفي ، القاضي ، روي عن عبد الله بن الحارث المكتب ، وعنه خلف بن
خليفة ، وعيسى بن يونس ، وعبيد الله بن موسى . قال أبو زرعة : واهي الحديث .
(أنظر : الكاشف ت : ١٢٧٣) .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٦٧ . (٥) سورة : الرحمن . آية : ٦٤ .

(٣) سورة : الكهف . آية : ١٩ . (٦) سورة : المدثر . آية : ٢١ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ . (٧) سورة : الحجر . آية : ٢٢ .

لفظاً ، ثم ﴿ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ (١) عشرة ، وكذا ﴿ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ مِثْقَالَ حَبِّ خَيْثُونٍ ﴾ (٢)
 ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ (٣) ثم ﴿ لَيْسَتْ خَلْفَهُمْ ﴾ (٤) تسعة لفظاً ، وعشرة تقديراً .
وأقصرها نحو باء الجر ، حرف واحد ؛ لا أنها حرفان ؛ خلافاً للداني
فيهما .

(١) سورة : التوبة . آية : ٢٤ .

(٢) سورة : هود . آية : ٢٨ .

(٣) سورة : النساء . آية : ٧٥ .

(٤) سورة : النور . آية : ٥٥ .

فصل

قال بعض القراء : إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آيه .
فنصفه بالحروف : « النون » من قوله : ﴿ نُكْرًا ﴾ في سورة الكهف ،
والكاف من نصفه الثاني .
ونصفه بالكلمات « الدال » من قوله : ﴿ وَالْجُلُود ﴾^(١) في سورة الحج ،
وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾^(٢) من نصفه الثاني .
ونصفه بالآيات ﴿ يَأْفِكُونَ ﴾^(٣) من سورة الشعراء ، وقوله تعالى :
﴿ فَأَلْقِي السَّحْرَةَ ﴾^(٤) من نصفه الثاني .
ونصفه على عدد السور ، فالأول الحديد ، والثاني من المجادلة .

فائدة :

سئل ابن مجاهد : كم في القرآن من قوله : ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ؟^(٥) .
فأجاب في أربعة مواضع : من النساء ، وسُبْحَانَ ، والأحزاب ، وفاطر .

-
- (١) سورة : الحج . آية : ٢٠ .
 - (٢) سورة : الحج . آية : ٢١ .
 - (٣) سورة : الشعراء . آية : ٤٥ .
 - (٤) سورة : الشعراء . آية : ٤٦ .
 - (٥) سورة : النساء . آية : ١٢٠ .

وسئل الكسائي^(١) : كم في القرآن آية أولها شين ؟

فأجاب أربع آيات : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾^(٢) ، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾^(٣) ، ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ﴾^(٤) ، ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾^(٥) .

وسئل كم آية آخرها شين ؟

فأجاب : اثنان : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾^(٦) ، ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾^(٧) .

وسئل آخر : كم ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٨) ؟

قال : خمسة ؛ ثلاثة في الأنعام^(٩) ، وفي الحجر واحد^(١٠) ، وفي النحل واحد^(١١) .

أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية ؛ وذلك في موضعين من سورة يوسف :

أحدهما : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾^(١٢) ، فبين واو « كوكباً » وياء « رأيت » ثمانية أحرف ، كلهن متحرك .

(١) الكسائي ، هو : علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء ، أبو الحسن : إمام في اللغة والنحو والقراءة . من أهل الكوفة ، ولد في إحدى قراها وتعلم بها ، من كتبه : « معاني القرآن » و « المصادر » و « الحروف » و « القراءات » و « النوادر » و « المتشابه في القرآن » و « ما يلحن فيه العوام » ، توفي سنة ١٨٩ هـ .

(أنظر : غاية النهاية ١/٥٣٥ . وابن خلكان ١/٣٣٠ . وتاريخ بغداد ١١/٤٠٣ . ونزهة الألبا ٨١ ، ٩٤ . وطبقات النحويين ١٣٨ . وإنباه الرواة ٢/٢٥٦ . والذريعة ١٩/١٥ . والأعلام ٤/٢٨٣) .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٨٥ . (٨) سورة : الأنعام . آية : ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ١٨ . (٩) سورة الأنعام . آية : ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩ .

(٤) سورة : النحل . آية : ١٢١ . (١٠) سورة : الحجر . آية : ٢٥ .

(٥) سورة : الشورى . آية : ١٣ . (١١) سورة : النحل . آية : ٦٠ .

(٦) سورة : القارعة . آية : ٥ . (١٢) سورة : يوسف . آية : ٥ .

(٧) سورة : قريش . آية : ١ .

والثاني : قوله : ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكَمَ اللَّهُ لِي ﴾ (١) على قراءة من حرَّك الياء في قوله ﴿ لِي ﴾ ، و ﴿ أَبِي ﴾ . ومثل هذين الموضعين ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (٢) .

وفي القرآن سورٌ متواليات كل سورة تجمع حروف المعجم ؛ وهو من أول : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٣) إلى آخر القرآن .

وآية واحدة تجمع حروف المعجم ، قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... ﴾ (٤) الآية .

وسورةٌ ، كل آية منها فيها اسمه تعالى ، وهي سورة المجادلة .

وفي الحج ستة آيات متواليات ، في آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى ، وهي قوله : ﴿ لَنُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴾ (٥) .

وفي القرآن آيات أولها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ (٦) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ ﴾ (٧) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (٨) .

وفيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٩) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ (١٠) .

آية في القرآن فيها ستة عشر ميماً ، وهي : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ... ﴾ (١١) الآية . وآية فيها ثلاث وثلاثون ميماً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ ﴾ (١٢) .

- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : يوسف . آية : ٨٠ . | (٧) سورة : الجمعة . آية : ٦ . |
| (٢) سورة : القصص . آية : ٣٥ . | (٨) سورة : الكافرون . آية : ١ . |
| (٣) سورة : الشرح . آية : ١ . | (٩) سورة : الانفطار . آية : ٦ . |
| (٤) سورة : الفتح . آية : ٢٩ . | (١٠) سورة : الانشقاق . آية : ٦ . |
| (٥) سورة : الحج . آية : ٥٩ . | (١١) سورة : هود . آية : ٤٨ . |
| (٦) سورة : يونس . آية : ١٠٤ . | (١٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ . |

سورة تزيد على مائة آية ، ليس فيها ذكر جنة ولا نار ، سورة يوسف .

آية فيها ﴿ الجنة ﴾ مرتان : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ (١) .

ثلاث آيات متواليات : الأولى رَدَّ عَلَى الْمَشْبَهَةِ ، والأخرى رَدَّ عَلَى الْمَجْبُورَةِ ، والأخرى رَدَّ عَلَى الْمَرْجُوتَةِ : قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) رَدَّ عَلَى الْمَشْبَهَةِ ، ﴿ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٣) رَدَّ عَلَى الْمَجْبُورَةِ ، ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ (٤) رَدَّ عَلَى الْمَرْجُوتَةِ .

ليس في القرآن « حاء » بعدها « حاء » لا حاجز بينهما إلا في موضعين في البقرة ﴿ عُقْدَةُ النِّكَاحِ حَتَّى ﴾ (٥) ، وفي الكهف ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى ﴾ (٦) .

ليس فيه كافان في كلمة واحدة ، لا حرف بينهما ، إلا في موضعين : في البقرة ﴿ مَنَاسِكُكُمْ ﴾ (٧) ، وفي المدثر ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٨) .

وأما ما يتعلق بترتيبه ؛ فأما الآيات في كل سورة ، ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوزُ تعكسها .

قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسمة .

وقال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمرٌ واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .

وأسند البيهقي في كتاب « المدخل » و « الدلائل » عن زيد بن ثابت قال : كنا حولَ رسول الله ﷺ نؤلف القرآن إذ قال : « طوبى للشام » ، فقليل له :

-
- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : الحشر . آية : ٢٠ . | (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٣٥ . |
| (٢) سورة : الشعراء . آية : ٩٨ . | (٦) سورة : الكهف . آية : ٦٠ . |
| (٣) سورة : الشعراء . آية : ١٠٠ . | (٧) سورة : البقرة . آية : ٢٠٠ . |
| (٤) سورة : الشعراء . آية : ١٠٠ . | (٨) سورة : المدثر . آية : ٤٢ . |

ولم ؟ قال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه » . زاد في الدلائل :
« نؤلف القرآن في الرقاع »^(١) .

قال : وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في
سورها ، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ .

وأخرجه الحاكم في « المستدرک » ، وقال : صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه^(٢) .

وقال : فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع
بعضه بحضرة النبي ﷺ ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع
الثالث - وهو ترتيب السور - كان بحضرة عثمان ؛ واختلف في الحرف الذي
كتب عثمان عليه المصحف ، فقيل : حرف زيد بن ثابت ، وقيل : حرف
أبي بن كعب ؛ لأنه العرضة الأخيرة التي قرأها رسول الله ﷺ . وعلى الأول
أكثر الرواة . ومعنى حرف زيد ، أي قراءته وطريقته .

وفي كتاب « فضائل القرآن » لأبي عبيد عن أبي وائل ، قيل لابن مسعود :
إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً ، فقال : ذاك منكوس القلب . ورواه البيهقي .

وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختُلف :

هل هو توقيف من النبي ﷺ ، أو من فعل الصحابة ، أو يفصل ؟ في
ذلك ثلاثة أقوال :

مذهب جمهور العلماء ؛ منهم مالك ، والقاضي أبو بكر بن الطيب - فيما
اعتمده واستقر عليه رأيه من أحد قوليهِ - إلى الثاني ، وأنه ﷺ فوّض ذلك إلى
أمتهِ بعده .

(١) أنظر : (سنن الترمذي ٣٩٥٤ . ومسند أحمد بن حنبل ١٨٤/٥ ، ١٨٥ . والمعجم
الكبير ، للطبراني ١٧٦/٥ . ومجمع الزوائد ٦٠/١٠ . والترغيب والترهيب ٦٣/٤ .
ومصنف ابن أبي شيبة ٣٢٥/٥ . والدر المنثور ١١٢/٣ . وصحيح ابن حبان ٢٣١١ .
ومشكاة المصابيح ٦٢٦٤ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٤/١ . وكشف الخفا ٣/٢) .

(٢) سبق تخريجه ، راجع الفهرس .

وذهبت طائفة إلى الأول ؛ والخلاف يرجع إلى اللفظ ؛ لأن القائل بالثاني يقول : إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته .

ولهذا قال الإمام مالك : إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم . فالخلاف إلى أنه : هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي ، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر .

فإن قيل : فإذا كانوا قد سمعوه منه ، كما استقر عليه ترتيبه ففي ماذا أعملوا الأفكار ؟ وأي مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار ؟

قيل : قد روى مسلم في صحيحه : عن حذيفة قال : « صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح سورة البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها . ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران . . . » الحديث^(١) .

فلما كان النبي ﷺ ربما فعل هذا إرادةً للتوسعة على الأمة ، وتبياناً لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف ، حتى استقر النظر على رأي ما كان من فعله الأكثر . فهذا محل اجتهادهم في المسألة .

والقول الثالث ، مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية : أن كثيراً من السور كان قد عُلم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطول ، والحواميم ، والمفصل ، وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف ، كقوله : « اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران »^(٢) . رواه مسلم .

(١) أنظر : (صحيح مسلم ، الباب ٣٥ ، حديث ١ من كتاب الصلاة . وسنن أبي داود ، الباب ١٥٢ ، حديث ٣ من الصلاة ، وسنن الترمذي ، الباب ٧٩ ، حديث ٢ من كتاب الصلاة . وسنن ابن ماجه ، الباب ٢١٨ ، حديث ٣ في الصلاة) .

(٢) أنظر : (صحيح مسلم ، حديث ٢٥٢ من صلاة المسافرين . والمستدرک ٢/٢٨٧ =

ولحديث سعيد بن خالد : صلى رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة .
رواه ابن أبي شيبة في مصنفه . وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل
في ركعة .

وروى البخاري : عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال في بني إسرائيل ،
والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادي ؛
فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها .

وفي صحيح البخاري : أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه
كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما فقراً : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(١) والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس^(٢) : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من
رسول الله ﷺ ، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب ، ثم ساق بإسناده إلى
أبي داود الطيالسي : حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح الهذلي عن
واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال : « أعطيت مكان التوراة السبع الطول ،
وأعطيت مكان الزبور المثين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفُضِّلَت
بالمفصل »^(٣) .

= وتفسير ابن كثير ٥٣/١ . والدر المنثور ١٨/١ . والترغيب والترهيب ٣٦٩/٢ . وتهذيب
تاريخ ابن عساکر ١٢/٦ .

(١) سورة : الإخلاص . آية : ١ .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر : مفسر ، أديب . مولده
ووفاته بمصر سنة ٣٣٨ هـ . كان من نظراء نبطويه وابن الأنباري . زار العراق واجتمع
بعلمائه ، صنف « تفسير القرآن » و « إعراب القرآن » و « تفسير أبيات سيويه » و « ناسخ
القرآن ومنسوخه » و « معاني القرآن » و « شرح المعلمات السبع » .

أنظر : (ابن خلكان ٢٩/١ . والنجوم الزاهرة ٣٠٠/٣ . والبداية والنهاية ٢٢٢/١١ .
وإنباه الرواة ١٠١/١ . وآداب اللغة ١٨٢/٢ . والأعلام ٢٠٨/١) .

(٣) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ١٠٧/٤ . ومجمع الزوائد ٤٦/٧ ، ١٥٨ . والترغيب
والترهيب ٣٦٨/٢ . وتفسير الطبري ٣٤/١٧ . والشريعة ، للأجري ٤٩٨ . والدر
المنثور ١١٦/٢) .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت ، وإنما جُمع في المصحف على شيء واحد ؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن .
وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال سورةٌ على حدة ، وليست من براءة .

قال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتاب « المسائل الخمس » : جَمَعُ القرآن على ضربين :

أحدهما : تأليف السور ، كتقديم السبع الطُول وتعقيبها بالمئين ؛ فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم .

وأما الجمع الآخر : فضمُّ الآي بعضها إلى بعض ، وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل .

وكذا قال : الكِرْمَانِي في « البرهان » : ترتيب السور هكذا هو عند الله وفي اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضُ عليه السلام على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين^(١) .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿ فَآتُوا بِعَشْرِ سُورٍ ﴾^(٢) معناه مثل البقرة إلى سورة هود ، وهي العاشرة .

ومعلوم أن سورة هود مكية ، وأن البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة مدنيات نزلت بعدها .

وفسر بعضهم قوله : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(٣) أي : إقرأه على هذا

(١) أنظر : (البرهان في توجيه متشابه القرآن ، للكرماني ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا) .

(٢) سورة : هود . آية : ١٣ . (٣) سورة : المزل . آية : ٤ .

الترتيب من غير تقديم ولا تأخير ببره أصول السلاوة

وجاء النكير على من قرأه معكوساً . ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يُلْزَمَ إلا على هذا الترتيب . ولو نزل القرآن جملة واحدة كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب ؛ وإنما تفرقت سوره وآياته نزولاً ، لحاجة الناس إليها حالة بعد حالة ؛ ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ، ولم يكن ليجمعوا نزولاً . وأبلغ الحُكْم في تفرقه ما قال سبحانه : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ (١) . وهذا أصل بُني عليه مسائل كثيرة .

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب : فإن قيل : قد اختلف السلف في ترتيب القرآن ، فمنهم من كتب في المصحف السور على تاريخ نزولها ، وقدم المكي على المدني . ومنهم جعل من أوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (٢) ؛ وهو أول مصحف عليّ ، وأما مصحف ابن مسعود ، فأوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف . وفي مصحف أبي كان أوله الحمد ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، على اختلاف شديد .

فالجواب : أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم .

وذكر ذلك مكي في سورة براءة ، وأن وضع البسمة في الأول هو من النبي ﷺ .

وقال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فُرِّقَ في بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر ؛ ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية . فَتَسْأَلُ السور كاتساق

(١) سورة : الإسراء . آية : ١٠٦ .

(٢) سورة : العلق . آية : ١ .

(٣) سورة : الفاتحة . آية : ٤ .

الآيات والحروف ، كلُّه عن النبي ﷺ ، فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم الآيات .

قال القاضي أبو بكر : وَمَنْ نَظَّمَ السور على المكي والمدني لم يدبر أين يضع الفاتحة ، لاختلافهم في موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به .

تنبيه :

لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطَّلَع على أنه توقيفيّ صادر عن حكيم : أحدها : بحسب الحروف ، كما في الحواميم . وثانيها : لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة . وثالثها : للوزن في اللفظ ، كآخر « تبت » وأول الإخلاص . ورابعها : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل ﴿ والضحي ﴾ و ﴿ ألم نشرح ﴾ .

قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية ، والإلتجاء إليه في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكّمة لمقصودها ؛ فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شُبُهات الخصوم ؛ ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه من بظهور الحجة والبيان ؛ فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد نجران النصارى ، وآخرها يتعلق بيوم أحد . والنصارى تمسكوا بالمتشابه ، فأجيبوا عن شبههم بالبيان . ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال فقبولوا بالبيان ، وبه يعلم الجواب لمن تتبع المتشابه من القول والفعل .

وأوجب الحج في آل عمران ، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بتمامه بعد الشروع فيه ، ولهذا ذكر البيت والصفاء والمروة . وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر ، كما أنّ خطاب اليهود في البقرة أكثر ؛ لأن التوراة أصل

والإنجيل فرع لها ، والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر ؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ؛ ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء ، فخطب بها جميع الناس . والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخطبوا : يا أهل الكتاب ، يا بني إسرائيل .

وأما سورة النساء فتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس ؛ وهي نوعان : مخلوقة لله تعالى ، ومقدورة لهم ؛ كالنسب والصهر ، ولهذا افتتحها الله بقوله : ﴿ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) ثم قال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (٢) ؛ وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم ؛ وما تعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والموارث .

ومنها العهود التي حصلت بالرسالة ، والتي أخذها الله على الرسل .

وأما المائة فسورة العقود ، وبهن تمام الشرائع ؛ قالوا : وبها تم الدين ، فهي سورة التكميل . بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد ، كالتحليل والتحرير ؛ كتحرير الدماء والأموال ، وعقوبة المعتدين .

وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين . وتحريم الميتة والدم والمنخقة ، وتحريم الصيد على المحرم من تمام الإحرام . وإحلال الطيبات من تمام عبادة الله ؛ ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ كالوضوء والحكم بالقرآن ، فقال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (٣) وذكر أنه من ارتد عوّض الله بخير منه . ولا يزال هذا الدين كاملاً ؛ ولهذا قيل : إنها آخر القرآن نزولاً فأحلّوا حلالها ، وحرّموا حرامها .

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات : البقرة ، وآل عمران ،

(١) سورة : النساء . آية : ١ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١ .

(٣) سورة : المائة . آية : ٣١١-٣١٢ .

والنساء ، والمائدة من أحسن الترتيب ؛ وهو ترتيب المصحف العثماني ، وإن كان مصحف عبد الله بن مسعود قدمت فيه سورة النساء على آل عمران ؛ وترتيب بعضها بعد بعض ليس هو أمراً أوجبه الله ، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم ، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب ، ولكن ترتيب المصحف العثماني أكمل ؛ وإنما لم يكتب في عهد النبي ﷺ مصحف لثلاثين يَفْضِي إلى تغييره كل وقت ، فهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده ، ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار .

فائدة :

اختلف في السبب في سقوط البسمة أول براءة : فقيل : كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهداً وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتاباً ، ولم يكتبوا فيه البسمة ؛ فلما نزلت « براءة » بنقض العهد الذي كان للكفار ، قرأها عليهم عليّ ولم يسمل على ما جرت به عادتهم .

ولكن في « صحيح الحاكم » : أن عثمان رضي الله عنه قال : كانت الأنفال من أوائل ما نزل ، وبراءة من آخره ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقضى النبي ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، وظننا أنها منها ، ثم فرقت بينهما ولم أكتب بينهما البسمة .

وعن مالك : أن أولها لما سقطت سقطت البسمة .

وقد قيل : إنها كانت تعدل البقرة لطولها .

وقيل : لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان اختلفوا : هل هما سورتان ، أو الأنفال سورة وبراءة سورة تركت البسمة بينهما ؟

وفي « مستدرك الحاكم » أيضاً عن ابن عباس : سألت علياً عن ذلك فقال : لأن البسمة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان (١) .

(١) أنظر : المستدرك للحاكم .

قال القشيري^(١) : والصحيح أن البسمة لم تكن فيها ؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها .

فائدة :

قال القتيبي : السُّورَة ، تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من « أسارتُ » ، أي أفضلت ، من السُّور ، وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن ، وَمَنْ لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزتها .
ومنهم مَنْ شَبَّهَهَا بسور البناء ، أي : القطعة منه ، أي : منزلةً بعد منزلةً .

وقيل : من سُور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور ؛ ومنه السُّور لإحاطته بالساعد ؛ وعلى هذا فالواو أصلية .

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة ؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً ؛ وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات .

وقال ابن جني^(٢) في « شرح منهوكة أبي نواس » : إنما سميت سورة

(١) القشيري ، هو : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، من بني قشير بن كعب ، أبو القاسم ، زين الإسلام : شيخ خراسان في عصره ، زهداً وعلماً بالدين . كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها . وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه . توفي سنة ٤٦٥ هـ .

من كتبه : « التيسير في التفسير » و « التفسير الكبير » و « لطائف الإشارات » و « الرسالة القشيرية » .

أنظر : (طبقات السبكي ٣/٢٤٣ ، ٢٤٨ . والوفيات ١/٢٩٩ . وتاريخ بغداد ١١/٨٣ . ومفتاح السعادة ١/٤٣٨ . وكشف الظنون ٥٢٠ ، و ١٥٥١ . والأعلام ٤/٥٧) .

(٢) ابن جني ، هو : عثمان بن جني الموصلية ، أبو الفتح : من أئمة الأدب والنحو ، وله شعر . ولد بالموصل ، وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ . من كتبه : « مَنْ نسب إلى أمه من الشعراء » و « شرح ديوان المتنبي » و « المحتسب » و « سر الصناعة » و « الخصائص » و « اللمع » و « المقتضب » وغير ذلك .

لارتفاع قدرها ؛ لأنها كلامُ الله تعالى ؛ وفيها معرفة الحلال والحرام ؛ ومنه رجل سَوَّار ، أي معربد ؛ لأنه يعلو بفعله ويشتط . ويقال : أصلها من السَّوْرَة وهي الوثبة ، تقول : سَرْتُ إليه وثرْتُ إليه . وجمع سُورَة القرآن سُوْر بفتح الواو ، وجمع سورة البناء سُور بسكونها .

وقيل : هو بمعنى العلوّ ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ^(١) نزلوا عليه من عُلُو ، فسميت القراءة به لتركب بعضها ^(٢) على بعض .

وقيل : لعلو شأنه وشأن قارئه . ثم كره بعضهم أن يقال : سُورَة كذا ، والصحيح جوازُه . ومنه قول ابن مسعود : هذا مُقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري : حدُّ السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة . وأقلها ثلاث آيات .

فإن قيل : فما الحكمة في تقطيع القرآن سُوراً ؟

قلت : هي الحكمة في تقطيع السور آيات معدودات ؛ لكل آية حدٌ ومطلع ؛ حتى تكون كلُّ سورة بل كل آية فناً مستقلاً وقرآناً معتبراً ، وفي تسوير السورة تحقيقٌ لكون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى . وسُوْرَت السُوْر طَوَّالاً وقصاراً وأوساطاً ؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ؛ فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزةٌ إعجازُ سورة البقرة .

ثم ظهرت لذلك حكمةٌ في التعليم ، وتدرّيج الأطفال من السُوْر القصار

= أنظر : (إرشاد الأريب / ٥ / ٣٢ ، وابن خلكان / ١ / ٣١٣ . وآداب اللغة / ٢ / ٣٠٢ .
وشذرات الذهب / ٣ / ١٤٠ . ومفتاح السعادة / ١ / ١١٤ . ونزهة الألبا / ٦ / ٤٠٦ . وبتيمة الدهر
/ ١ / ٧٧ . والأعلام / ٤ / ٢٠٤) .

(١) سورة : ص . آية : ٢١ .

(٢) في ج : « لتركب بعضاً » .

إلى ما فوقها يسيراً يسيراً ، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطُّفْلَ يفرح بإتمام السورة فَرَحَ مَنْ حصل على حدِّ معتبر .

وكذلك المُطِيل في التلاوة يرتاح عند ختم كلِّ سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى ؛ إلى أن كلَّ سورة نَمَطٌ مستقلٌّ ، فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم ، وغير ذلك .

فإن قلت : فهلاً كانت الكتب السالفة كذلك ؟

قلت : لوجهين : أحدهما : أنها لم تكن معجزاتٍ من ناحية النظم والترتيب ، والآخر : أنها لم تيسر للحفظ .

وقال الزمخشريُّ : الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة - وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزيبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورةً ، وبوب المصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم :

منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً .

ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشط له ، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً ، وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للمسير ؛ ومن ثمة جزئ القرآن أجزاء وأخماساً .

ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفةً مستقلة فيعظم عنده ما حفظه .

ومنه حديث أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلَّ فينا . ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل .

ومنها أن التفصيل يُسبِّب تلاحق الأشكال والنظائر ، وملاءمة بعضها

لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم ؛ إلى غير ذلك من الفوائد .

فائدة :

أما الآية فلها في اللغة ثلاثة معانٍ :

أحدها - جماعة الحروف ، قال أبو عمرو الشيباني^(١) : تقول العرب :
خرج القوم بآيتهم ؛ أي بجماعتهم .

ثانيها - الآية : العجب ، تقول العرب : فلان آية في العلم وفي الجمال ،
قال الشاعر :

آية في الجمال ليس له في الـ حسن شبهة وما له من نظير

فكان كل آية عجب في نظمها ، والمعاني المودعة فيها .

ثالثها - العلامة تقول العرب : خربت دار فلان وما بقي فيها آية ، أي :
علامة ؛ فكان كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ .

واختلف في وزنها فقال سيويه : « فَعَلَة » بفتح العين ، وأصلها « آيَة »
تحركت الياء وانفتح ما قبلها فجاءت آية .

وقال الكسائي : أصلها « آيَة » على وزن « فاعلة » ، حذفت الياء الأولى
مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة .

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري في كتاب « المفرد في معرفة العدد » :

حدُّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً ، ذو مبدأ ومقطع مندرج في

(١) أبو عمرو الشيباني ، هو : إسحاق بن مرار ، الشيباني بالولاء ، لغوي أديب ، من رمادة
الكوفة . مات سنة ٢٠٦ هـ .

من تصانيفه : « اللغات » و « الخيل » و « النوادر » و « غريب الحديث » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٦٥ . ونزهة الألبا ١٢٠ . وميزان الاعتدال ٣/٣٧٣ . وتاريخ

بغداد ٦/٣٢٩ . وتذكرة النوادر ١٠٥ . والأعلام للزركلي ١/٢٩٦) .

سورة ؛ وأصلها العلامة ، ومنه : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ ﴾^(١) لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة ، لأنها جماعة كلمة .

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبهة بما سواها .

وقيل : هي الواحدة من المعدودات في السُّور ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عَجَزِ المتحدِّى بها .

وقيل : لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها^(٢) عما بعدها .

قال الواحدي : وبعض أصحابنا يجوزُ على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ؛ لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن .

وقال ابن المنير في « البحر » : ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾^(٣) .

وقال بعضهم : الصحيح أنها إنما تُعلم بتوقيف من الشارع ، لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة ، فالآية طائفة حروف من القرآن ، عُلم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن ، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن ، وعن الكلام الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشري : الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ، فعدوا ﴿ آلم ﴾ آية حيث وقعت من السورة المفتوح بها ، وهي ست^(٤) ، وكذلك

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٤٨ .

(٢) في ح : « ما قبلها من الكلام وانقطاعه » .

(٣) سورة : الرحمن . آية : ٦٤ .

(٤) البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

﴿الْمَصَّ﴾^(١) آية ، و﴿الْتَمَّ﴾^(٢) لم تعد آية ، و﴿الَّرَّ﴾^(٣) ليست بآية في سورها الخمس . و﴿طَسَمَ﴾^(٤) آية في سورتها ، و﴿طه﴾ و﴿يس﴾ آيتان ، و﴿طس﴾^(٥) ليست بآية ، و﴿حَمَ﴾^(٦) آية في سورها كلها و﴿حَمَّ عَسَقَ﴾^(٧) آيتان ، و﴿كَهَيْعَصَ﴾^(٨) آية واحدة ، و﴿صَّ﴾ و﴿قَ﴾ و﴿نَ﴾ ثلاثها لم تعد آية . هذا مذهب الكوفيين ، ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية .

وقال بعضهم : إنما عدوا ﴿يس﴾ آية ولم يعدوا ﴿طس﴾ لأن ﴿طس﴾ تشبه المفرد ، كقاييل في الزنة والحروف ، و﴿يس﴾ تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء ، وليس لنا مفرد أوله ياء .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ذكر النبي ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران .

قال : وتعدد الأبي من مفصلات القرآن ؛ ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينقطع ، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ، ومنه ما يكون في أثناؤه ، كقوله : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٩) على مذهب أهل المدينة ، فإنهم يعدونها آية . وينبغي أن يعول في ذلك على فعل السلف .

(١) سورة : الأعراف . آية : ١ .

(٢) سورة : الرعد . آية : ١ .

(٣) يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

(٤) سورة الشعراء ، القصص .

(٥) سورة : النمل .

(٦) سورة : غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان .

(٧) سورة : الشورى .

(٨) سورة : مريم .

(٩) سورة : الفاتحة . آية : ٦ .

وأما الكلمة ، فهي اللفظة الواحدة ، وقد تكون على حرفين مثل « ما » ،
و« لي » ، و« له » ، و« لك » . وقد تكون أكثر .

وأكثر ما تكون عشرة أحرف ، مثل : ﴿ لَيْسْتَخْلَفْنَهُمْ ﴾^(١) ،
و﴿ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾^(٢) ، و﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾^(٣) : وقد تكون الكلمة آية مثل :
﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ ، ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ، ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ، وكذلك ﴿ أَلَمْ ﴾ ، و﴿ طه ﴾ ،
و﴿ يس ﴾ ، و﴿ حم ﴾ في قول الكوفيين . و﴿ حَمَّ عَسَق ﴾ عندهم كلمتان ،
وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول : هذه فواتح لسور .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله :
﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾^(٤) في سورة الرَّحْمَنِ .

خاتمة :

قد يكون للسورة إسم واحد وهو كثير ، وقد يكون لها إسمان : كسورة
البقرة يقال لها : فسطاط القرآن لِعِظَمِهَا وبهائِهَا . وآل عمران يقال اسمها في
التوراة : طيبة ، حكاها النقاش^(٥) . والنحل تسمى : سورة النعم لما عدّد الله
فيها من النعم على عباده . وسورة ﴿ حَمَّ عَسَق ﴾ ، وتسمى : الشورى . وسورة
الجاثية وتسمى : الشريعة . وسورة محمد ﷺ وتسمى : القتال .

(١) سورة : النور . آية : ٥٥ .

(٢) سورة : هود . آية : ٢٨ .

(٣) سورة : الحجر . آية : ٢٢ .

(٤) سورة : الرحمن . آية : ٦٤ .

(٥) النقاش ، هو : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش : عالم
بالقرآن وتفسيره . أصله من الموصل ، ومنشأه ببغداد . توفي سنة ٣٥١ هـ .

من كتبه : « شفاء الصدور » و« الإشارة » و« الموضح » و« المعجم الكبير » و« أخبار
القصاص » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٤٨٩ . وإرشاد الأريب ٦/٤٩٦ . وميزان الاعتدال ٣/٤٥ .
والاعلام ٦/٨١) .

وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة ، والعُقُود ، والمنقذة . وروى ابن عطية فيه حديثاً^(١) ، وكسورة غافر ، والطول ، والمؤمن ، لقوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾^(٢) .

وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة براءة ، والتوبة ، والفاضحة ، والحافرة ، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين .

قال ابن عباس : ما زال ينزل ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلا ذُكِرَ فيها .

وقال حذيفة : هي سورة العذاب .

وقال ابن عمر : كنا ندعوها المشقسقة .

وقال الحرث بن يزيد : كانت تدعى المبعثرة ، ويقال لها : المسورة ، ويقال لها : البحوث .

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً : الفاتحة - وثبت في الصحيحين - وأمّ الكتاب ، وأمّ القرآن ، وثبتا في صحيح مسلم ؛ وحكى ابن عطية : كراهية تسميتها عن قوم ، والسبع المثاني ، والصلاة ثبناً في صحيح مسلم ، والحمد ، رواه الدارقطني . وسميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة ، أو أنزلت مرتين ، والوافية بالفاء لأن تبويضها لا يجوز ، ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن ، والكنز لما ذكرنا ، والشافية ، والشفاء ، والكافية ، والأساس .

وينبغي البحث عن تعداد الأسماء : هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها^(٣) وهو بعيد .

(١) أنظر الحديث في : (تفسير القرطبي ٣٠/٦) .

(٢) سورة : غافر . آية : ٢٨ .

(٣) في ح : « تقتضي اشتقاق إشتمالها » .

خاتمة أخرى^(١) :

ينبغي النظر في وجه اختصاص كلِّ سورة بما سُمِّيت به ، ولا شكَّ أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذَ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصُّه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الراي للمسمَّى .

ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرتُ أسماء سُور الكتاب العزيز ؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها ، وعجيب الحكمة فيها .

وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردَّد فيها من كثير من أحكام النساء .

وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها ؛ إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾^(٢) لم يرد في غيرها ؛ كما ورد ذكرُ النساء في سُورٍ ؛ إلا أن ما تكرر ووسَّط من أحكامهنَّ لم يرد في غير سورة النساء .

وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصُّها .

فإن قيل : قد ورد في سورة هود ذكرُ نوح ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، عليهم السلام ، فلم تختصَّ باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها به ؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب .

قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف ، وسورة هود ، والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث إسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة ؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في

(١) هذه الخاتمة غير موجودة في النسختين أ ، ج .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٤٢ - ١٤٤ .

أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

وإن قيل : فقد تكرر إسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها ، وذلك أكثر من تكرر إسم هود .

قيل : لما جُرِّدَت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ، وإن تكرر اسمه فيها ؛ أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام .

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجري فيها من رَعِي التسمية ما ذكرنا . وانظر سورة ﴿ ق ﴾ لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف . ومن ذلك السور المفتحة بالحروف المقطعة ، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته ، حتى لم تكن لترد ﴿ آلم ﴾ في موضع ﴿ آلر ﴾ ، ولا ﴿ حم ﴾ في موضع ﴿ طس ﴾ ؛ لا سيما إذا قلنا : إنها أعلام لها ، وأسماء عليها .

وكذا وقع في كل سورة منها ما أكثر ترداده فيما يتركب من كلماتها ؛ ويوضحه أنك إذا نظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة أفراداً وتركيباً أكثر عدداً في كلماتها منها في نظيرتها ، ومماثلتها في عدد كلماتها وحروفها ؛ فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلماتها ففي اطراد ذلك في المماثلات مما يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وجد ما يماثلها لجرى على ما ذكرت لك .

وقد اطرَّد هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها ؛ فلو وضع موضع ﴿ ق ﴾ من سورة ﴿ ن ﴾ لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى .

وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها ﴿ آلر ﴾ مائتا كلمة وعشرون أو نحوها ، فلهذا افتتحت بـ ﴿ آلر ﴾ . وأقرب السور إليها مما يماثلها

بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل . وهي أطول منها مما
يركب على ﴿الر﴾ . من كلمها مائتا كلمة ، مع زيادتها في الطول عليها ،
فلذلك وردت الحروف المقطعة في أولها ﴿الر﴾ .

* * *

١٥ - النوع الخامس عشر معرفة أسمائه واشتقاقاتها

وقد صنف في ذلك الحرايلى جزءاً ، وأنهى أساميّه إلى ثَيْفٍ وتسعين .
وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله : اعلم أن الله تعالى سَمَى القرآن بخمسة وخمسين اسماً :

- سَمَاهُ كتاباً فقال : ﴿ حَمَّ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (١) .
وسماه قرآناً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . . . ﴾ (٢) الآية .
وسماه كلاماً فقال : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٣) .
وسماه نوراً فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ (٤) .
وسماه هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥) .
وسماه رحمة فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (٦) .
وسماه فرقاناً فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ . . . ﴾
الآية (٧) .

- وسماه شفاءً فقال : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ (٨) .
-
- (١) سورة : الدخان . آية : ١ - ٢ .
(٢) سورة : الواقعة . آية : ٧٧ .
(٣) سورة : التوبة . آية : ٦ .
(٤) سورة : النساء . آية : ١٧٤ .
(٥) سورة : لقمان . آية : ٣ .
(٦) سورة : يونس . آية : ٥٨ .
(٧) سورة : الفرقان . آية : ١ .
(٨) سورة : الإسراء . آية : ٨٢ .

- وسماه موعظة فقال : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (١) .
- وسماه ذكراً فقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ (٢) .
- وسماه كريماً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣) .
- وسماه علياً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ (٤) .
- وسماه حكمة فقال : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ (٥) .
- وسماه حكيماً فقال : ﴿ آلر . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (٦) .
- وسماه مهيمناً فقال : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٧) .
- وسماه مباركاً فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ... ﴾ (٨) الآية .
- وسماه جبلاً فقال : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ (٩) .
- وسماه الصراط المستقيم فقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ (١٠) .
- وسماه القيم فقال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيمًا ﴾ (١١) .
- وسماه فضلاً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ ﴾ (١٢) .
- وسماه نبأ عظيماً فقال : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴾ (١٣) .
- وسماه أحسن الحديث فقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ﴾ (١٤)
- الآية .

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : يونس . آية : ٥٧ . | (٨) سورة : ص . آية : ٢٩ . |
| (٢) سورة : الأنبياء . آية : ٥٠ . | (٩) سورة : آل عمران . آية : ١٠٣ . |
| (٣) سورة : الواقعة . آية : ٧٧ . | (١٠) سورة : الأنعام . آية : ١٥٣ . |
| (٤) سورة : الزخرف . آية : ٤١ . | (١١) سورة : الكهف . آية : ١ - ٢ . |
| (٥) سورة : القمر . آية : ٥ . | (١٢) سورة : الطارق . آية : ١٣ . |
| (٦) سورة : يونس . آية : ١ - ٢ . | (١٣) سورة : النبأ . آية : ١ - ٢ . |
| (٧) سورة : المائدة . آية : ٤٨ . | (١٤) سورة : الزمر . آية : ٢ . |

- وسمّاه تنزيلاً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .
- وسمّاه رُوحاً فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (٢) .
- وسمّاه وحيّاً فقال : ﴿ إِنَّمَا أَنْزَرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ (٣) .
- وسمّاه المثنائي فقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي ﴾ (٤) .
- وسمّاه عربياً فقال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٥) ، قال ابن عباس : غير مخلوق .
- وسمّاه قولاً فقال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ (٦) .
- وسمّاه بصائر فقال : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ (٧) .
- وسمّاه بياناً فقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ (٨) .
- وسمّاه علماً فقال : ﴿ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (٩) .
- وسمّاه حقاً فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (١٠) .
- وسمّاه الهادي فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴾ (١١) .
- وسمّاه عجباً فقال : ﴿ قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي ﴾ (١٢) .
- وسمّاه تذكرة فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ ﴾ (١٣) .
- وسمّاه بالعروة الوثقى فقال : ﴿ فَقَدْ آسَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى ﴾ (١٤) .

-
- (١) سورة : الشعراء . آية : ١٩٢ .
- (٢) سورة : الشورى . آية : ٥٢ .
- (٣) سورة : الأنبياء . آية : ٤٥ .
- (٤) سورة : الحجر . آية : ٨٧ .
- (٥) سورة : الزمر . آية : ٢٨ .
- (٦) سورة : القصص . آية : ٥١ .
- (٧) سورة : الجاثية . آية : ٢٠ .
- (٨) سورة : النساء . آية : ١٣٨ .
- (٩) سورة : الرعد . آية : ٣٧ .
- (١٠) سورة : آل عمران . آية : ٦٢ .
- (١١) سورة : الإسراء . آية : ٩ .
- (١٢) سورة : الجن . آية : ٢٩ .
- (١٣) سورة : المدثر . آية : ٥٤ .
- (١٤) سورة : لقمان . آية : ٢٢ .

- وسماه متشابهاً فقال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ (١) .
- وسماه صدقاً فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ (١) أي بالقرآن .
- وسماه عدلاً فقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (٢) .
- وسماه إيماناً فقال : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ (٣) .
- وسماه أمراً فقال : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ (٤) .
- وسماه بشرى فقال : ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾ (٥) .
- وسماه مجيداً فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ (٦) .
- وسماه زبوراً فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ . . . ﴾ (٧) الآية .
- وسماه مبيناً فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ . . . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (٨) .
- وسماه بشيراً ونذيراً فقال : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ ﴾ (٩) .
- وسماه عزيزاً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (١٠) .
- وسماه بلاغاً فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ (١١) .
- وسماه قصصاً فقال : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (١٢) .
- وسماه أربعة أسامي في آية واحدة فقال : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ (١٣) . انتهى .

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : الزمر . آية : ٢٣ ، ٣٣ . | (٨) سورة : يوسف . آية : ١ - ٢ . |
| (٢) سورة : الأنعام . آية : ١١٥ . | (٩) سورة : فصلت . آية : ٤ . |
| (٣) سورة : آل عمران . آية : ١٩٣ . | (١٠) سورة : فصلت . آية : ٤١ . |
| (٤) سورة : الطلاق . آية : ٥ . | (١١) سورة : إبراهيم . آية : ٥٢ . |
| (٥) سورة : النحل . آية : ٢ . | (١٢) سورة : يوسف . آية : ٣ . |
| (٦) سورة : البروج . آية : ٢١ . | (١٣) سورة : عبس . آية : ١٣ - ١٤ . |
| (٧) سورة : الأنبياء . آية : ١٠٥ . | |

تفسير هذه الأسماء

فأما الكتاب ؛ فهو مصدر كَتَبَ يَكْتُبُ كتابةً ، وأصلها الجمع ، وسميت الكتابة لجمعها الحروف ؛ فاشتق الكتاب لذلك ؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة .

ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً ، قال الله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ (١) ، أي : اللوح المحفوظ .

والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب ، خطوط موضوعة مجتمعة تدلّ على المعنى المقصود ؛ وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شيء .

وأما القرآن ، فقد اختلفوا فيه ؛ فقيل : هو اسمٌ غير مشتق من شيء ؛ بل هو اسمٌ خاصٌ بكلام الله ؛ وقيل : مشتقٌ من القَرَى ، وهو الجمع ؛ ومنه قَرِيْتُ الماء في الحوض أي : جمعته ؛ قاله الجوهري (٢) وغيره .

وقال الراغب : لا يقال لكل جمعٍ قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن ؛ ولعل مراده بذلك في العرف والاستعمال لا أصل اللغة .

وقال الهروي (٣) : كل شيء جمعته فقد قرأته .

(١) سورة : الواقعة . آية : ٧٨ .

(٢) الجوهري ، هو : إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر : أول من حاول الطيران ومات في سبيله ، لغوي ، من الأئمة . أشهر كتبه : « الصحاح » ، وله كتاب « العروض » و« مقدمة في النحو » وغير ذلك . توفي سنة ٣٩٣ هـ .

أنظر : (معجم الأدباء ٢/٢٦٩ . والنجوم الزاهرة ٤/٢٠٧ . ولسان الميزان ١/٤٠٠ . وإنباه الرواة ١/١٩٤ . ونزهة الألبا ٤١٨ . وبيمة الدهر ٤/٢٨٩ . والأعلام ١/٣١٣) .

(٣) الهروي ، هو : أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني ، أبو عبيد الهروي : باحث من أهل هراة ، توفي سنة ٤٠١ هـ .

له « كتاب الغريبين » و« ولاة هراة » .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٢٨ . وبيغة الوعاة ١٦١ . والأعلام ١/٢١٠) .

قال أبو عبيد : سمي القرآن قرآناً ؛ لأنه جَمَعَ السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : سَمِيَ قرآناً لكونه جَمَعَ ثمرات الكتب المنزلة السابقة .

وقيل : لأنه جَمَعَ أنواع العلوم كلها بمعانٍ ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١) .

وقال بعض المتأخرين : لا يكون القرآن و «قرأ» مادته بمعنى جَمَعَ (٢) ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (٣) فغاير بينهما ؛ وإنما مادته «قرأ» بمعنى أظهر وبين ، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه ، والقراء : الدم ، لظهوره وخروجه . والقراء : الوقت ؛ فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر .

وقيل : سمي قرآناً لأن القراءة عنه ، والتلاوة منه ؛ وقد قرئت بعضها عن بعض .

وفي تاريخ بغداد للخطيب (٤) في ترجمة الشافعي قال : « وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينٍ وَكَانَ يَقُولُ : الْقُرْآنَ إِسْمٌ وَلَيْسَ مَهْمُوزاً ؛ وَلَمْ يُوْخَذْ مِنْ « قَرَأْتُ » ؛ وَلَوْ أَخَذَ مِنْ « قَرَأْتُ » لَكَانَ كُلُّ مَا قُرِئَ قرآناً (٥) ولكنه إسم للقرآن ؛ مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ، ولا يهمز القرآن .

(١) سورة : الأنعام . آية : ٣٨ .

(٢) في ب : « مادته بمعنى الجمع » .

(٣) سورة : القيامة . آية : ١٧ .

(٤) الخطيب ، هو : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أبو بكر ، المعروف بالخطيب : أحد

الحفاظ المؤرخين المقدمين ، ولد سنة ٣٩٢ هـ ، وتوفي ٤٦٣ هـ .

من كتبه : « تاريخ بغداد » و « البلاء » و « الكفاية في علم الرواية » و « الجامع » و « الأسماء والألقاب » وغير ذلك الكثير .

أنظر : (طبقات الشافعية ١٢/٣ . والنجوم الزاهرة ٨٧/٥ . وابن عساكر ١/٣٩٨ .

والأعلام للزركلي ١/١٧٢) .

(٥) « قرآناً » غير موجودة بالأصول . راجع تاريخ بغداد ٦٢/٢ .

وقال الواحدي : كان ابن كثير^(١) يقرأ بغير همز ، وهي قراءة الشافعي أيضاً .

قال البيهقي : كان الشافعي يهزم « قرأت » ولا يهزم القرآن ؛ ويقول : هو إسم لكتاب الله غير مهموز .

قال الواحدي : قول الشافعي هو إسم لكتاب الله ، يعني أنه إسم علم غير مشتق ، كما قاله جماعة من الأئمة .

قال : وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرئت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه ، فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة : قران ، قال : وإلى هذا المعنى ذهب الأشعري .

وقال القرطبي : القران بغير همز مأخوذ من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ؛ ويشابه بعضها بعضاً ، فهي حينئذ قرائن .

قال الزجاج : وهذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ؛ ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ؛ وهذا ما أشار إليه الفارسي^(٢) في « الحلييات » ؛ وقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^(٣) أي : جمعه في قلبك حفظاً ، وعلى لسانك تلاوة ، وفي سمعك فهماً وعلماً .

(١) ابن كثير ، هو : عبد الله بن كثير الداري المكي ، أبو معبد : أحد القراء السبعة . كان قاضي الجماعة بمكة . توفي سنة ١٢٠ هـ .

أنظر : (وفيات الأعيان ٢٥٠/١ . والأعلام ١١٥/٤)

(٢) الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، أبو علي : أحد الأئمة في علم العربية . توفي سنة ٣٧٧ هـ .

من كتبه : « الإيضاح » و « التذكرة » و « تعاليق سيويه » و « جواهر النحو » و « الحلييات » و « المسائل العسكرية » .

أنظر : (وفيات الأعيان ١٣١/١ . ونزهة الألبا ٣٨٧ . وتاريخ بغداد ٢٧٥/٧ . وإنباه الرواة ٢٧٣/١ . الإمتاع والمؤانسة ١٣١/١ . والأعلام ١٨٠/٢) .

(٣) سورة : القيامة . آية : ١٧ .

ولهذا قال بعض أصحابنا : إن عند قراءة القارىء تُسَمَعُ قراءته المخلوقة ، ويفهم منها كلامُ الله القديم ؛ وهذا معنى قوله : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ (١) ، أي : لا تفهموا ولا تعقلوا ، لأن السَّمْعَ الطبيعيَّ يحصل للسامع شاء أو أبى .

وأما الكلام فمشتق من التأثير ، يقال : كَلَمَهُ إذا أثر فيه بالجرح ، فسمي الكلام كلاماً لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .
وأما النور ؛ فلأنه يدرك به غوامضُ الحلال والحرام .
وأما تسميته « هدى » فلأن فيه دلالةً بيّنةً إلى الحق ، وتفريقاً بينه وبين الباطل .

وأما تسميته « ذكراً » فلما فيه من المواعظ ، والتحذير ، وأخبار الأمم الماضية ؛ وهو مصدر ذكرت ذكراً ، والذكر : الشرف ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (٢) أي : شرفكم .

وأما تسميته « تبياناً » فلأنه بيّن فيه أنواع الحق وكشف أدلته .
وأما تسميته « بلاغاً » فلأنه لم يصل إليهم حال أخبار النبي ﷺ وإبلاغه إليهم إلا به .

وأما تسميته « مُبيناً » فلأنه أبان وَفَرَّقَ بين الحق والباطل .

وأما تسميته « بشيراً ونذيراً » فلأنه بشر بالجنة وأنذر من النار .

وأما تسميته « عزيزاً » أي : يعجز ويعزّ على من يروم أن يأتي بمثله فيتعذر ذلك عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ وَالجنُ . . . ﴾ (٣) ، الآية ، والقديم لا يكون له مثل ؛ إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإبلاغ والإخبار والقراءة بالوضع البديع .

(١) سورة : فصلت . آية : ٢٦ .

(٢) سورة : الإسراء . آية : ٨٨ .

(٣) سورة : الأنبياء . آية : ١٠ .

وقيل : المراد بالعزير نفي المهانة عن قارئه إذا عمل به .

وأما تسميته « فرقاناً » فلأنه فرق بين الحق والباطل ، والمسلم والكافر ،
والمؤمن والمنافق ، وبه سمي عمر بن الخطاب الفاروق .

وأما تسميته « مثنائي » فلأن فيه بيان قصص الكتب الماضية ، فيكون البيان
ثانياً للأول الذي تقدمه فيبين الأول الثاني .

وقيل : سمي « مثنائي » لتكرار الحكم ، والقصص ، والمواعظ فيه .
وقيل : إنه اسم الفاتحة وحدها .

وأما تسميته « وحيّاً » ومعناه تعريف الشيء خفية ، سواء كان بالكلام ؛
كالأنبياء والملائكة ، أو بالإلهام : كالنحل وإشارة النمل ؛ فهو مشتق من الوحي
والعجلة ، لأن فيه إلهاماً بسرعة وخفية .

وأما تسميته « حكيماً » فلأن آياته أحكمت بذكر الحلال والحرام ،
فأحكمت عن الإتيان بمثلها ؛ ومن حكمته أن علامته : مَنْ علمه وعمل به ارتدع
عن الفواحش^(١) .

وأما تسميته « مصدقاً » فإنه صدق الأنبياء الماضين أو كتبهم قبل أن تغير
وتبدل .

وأما تسميته « مهيمناً » فلأنه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله .

وأما تسميته « بلاغاً » فلأنه كان في الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة .

وأما تسميته « شفاءً » فلأنه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ، ومن
علمه وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .

وأما تسميته « رحمةً » فإن مَنْ فهمه وعقله كان رحمة له .

وأما تسميته « قصصاً » فلأن فيه قصص الأمم الماضين وأخبارهم .

(١) في ح : « من علمه وعمل به أن يدع الفواحش » .

وأما تسميته «مجيداً» والمجيد الشريف ، فمن شرفه أنه حفظ عن التغيير ، والتبديل ، والزيادة ، والنقصان ، وجعله معجزاً في نفسه عن أن يؤتى بمثله .

وأما تسميته «تنزيلاً» فلأنه مصدر نزلته ؛ لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل ، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه ، فأداه هو كما فهمه وعلمه .

وأما تسميته «بصائر» فلأنه مشتق من البصر والبصيرة ، وهو جامع لمعاني أغراض المؤمنين ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ ﴾^(١) .

وأما تسميته «ذكرى» فلأنه ذكر للمؤمنين ؛ ما فطروهم الله عليه من التوحيد . وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾^(٢) فالمراد بالزبور هنا : جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذي من عند الله تعالى .

وذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « المرشد الوجيز » في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقْنَا رَبُّكَ خَيْرًا وَأَبْقَى ﴾^(٣) قال : يعني القرآن .

وقال السخاوي^(٤) : يعني ما رزقك الله من القرآن خير مما رزقهم من الدنيا .

(١) سورة : الأنعام . آية : ٥٩ .

(٢) سورة : الأنبياء . آية : ١٠٥ .

(٣) سورة : إبراهيم . آية : ٥٢ .

(٤) السخاوي ، هو : علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي ، أبو الحسن ، علم الدين : عالم بالقراءات والتفسير ، توفي سنة ٦٤٣ هـ .

من كتبه : « هداية المرتاب » و« المفضل » و« المفخرة بين دمشق والقاهرة » و« سفر السعادة » و« القصائد السبع » وغير ذلك .

أنظر : (بغية الوعاة ٣٤٩ . وخطط مبارك ١٥/٢ . وغاية النهاية ٥٦٨/١ وابن خلكان ٣٤٥/١ . والأعلام ٣٣٣/٤) .

فائدة :

ذكر المظفر^(١) في تاريخه : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سمّوه ، فقال بعضهم : سمّوه إنجيلاً ، فكرهوه ، وقال بعضهم : سمّوه السّفْر ، فكرهوه من يهود .

فقال ابن مسعود : رأيت للحبشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه به .

فائدة :

قال الحافظ أبو طاهر السلفي^(٢) : سمعت أبا الكرم النحوي ببغداد ؛ وسئل : كلُّ كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾^(٣) .

(١) المظفر ، هو : إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الهمداني الحموي ، شهاب الدين ، أبو إسحاق ، المعروف بابن أبي الدم : مؤرخ بحاث ، من علماء الشافعية ، مولده ووفاته بحماه ، توفي سنة ٦٤٢ هـ .

من كتبه : « كتاب التاريخ » و « التاريخ المظفر » و « تدقيق العناية في تحقيق الرواية » و « أدب القاضي » وغير ذلك .

أنظر : (شذرات الذهب ٢١٣/٥ . وكشف الظنون ٤٧/١ . وطبقات الشافعية ٤٧/٥ . وابن الوردي ١٧٥/٢ . وآداب اللغة ٨١/٣ . والأعلام ٤٩/١) .

(٢) أبو طاهر السلفي ، هو : أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني ، أبو طاهر ، حافظ مؤرخ مكثّر ، من أهل أصفهان . ولد سنة ٤٧٨ هـ ، وتوفي سنة ٥٧٦ هـ في الاسكندرية .

من كتبه : « معجم مشيخة أصفهان » و « معجم شيوخ بغداد » و « معجم السفر » وغير ذلك .

أنظر : (ابن خلكان ٣١/١ . ومراة الزمان ٣٦/٨ . وأزهار الرياض ١٦٧/٣ . والأعلام للزركلي ٢١٦/١) .

(٣) سورة : إبراهيم . آية : ٥٢ .

١٦ - النوع السادس عشر معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

قد تقدم في النوع الحادي عشر الإشارة إلى الخلاف في ذلك ،
والمعروف أنه بلغة قريش .

وحكي عن أبي الأسود الدبلي أنه نزل بلسان الكعبيين : كَعَب بن لؤي جدّ
قريش ، وكَعَب بن عمرو ، جدّ خُزاعة ، فقال له خالد بن سلمة : إنما نزل
بلسان قريش ولسان خُزاعة ؛ وذلك أن الدار كانت واحدة .

وقال أبو عبيد في كتاب « فضائل القرآن » عن ابن عباس رضي الله
عنهما : نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش ، وكعب خُزاعة ؛ قيل : وكيف ذاك ؟
قال : لأن الدار واحدة .

قال أبو عبيد : يعني أن خُزاعة جيرانُ قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وأما الكلبيّ فإنه روى عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : نزل القرآن
على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العَجْز من هوازن . قال أبو عبيد : العَجْزُ
هم : سعد بن بكر ، وجشم ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهذه القبائل هي
التي يقال لها عُلَيّا هوازن وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصحُ
العرب عُلَيّا هوازن وسُفلى تميم ؛ فهذه عُلَيّا هوازن ، وأما سُفلى تميم فبنوا
دارم .

وقال أبو ميسرة : بكل لسان . وقيل : إن فيه من كل لغات العرب ؛ ولهذا قال الشافعي في « الرسالة » : لا نعلمه يحيط باللغة إلا نبي .

قال الصيرفي^(١) : يريد مَنْ بُعث بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به .

قال : وقد فضل الفراء لغة قريش على سائر اللغات ؛ وزعم أنهم يسمعون كلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم . وذَكَر قبح عنعنة تميم ، وكسكسة ربيعة ، وعجرفة قيس^(٢) .

وذكر أن عمر رضي الله عنه قال : يارسول الله ؛ إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ، ولنحنُ العرب حقاً ، فقال رسول الله ﷺ : « إن ربي علمني فتعلّمت ، وأدبني فتأدبت »^(٣) .

قال الصيرفي : ولست أعرف إسنادَ هذا الحديث ، وإن صحَّ فقد دلَّ على أن النبي ﷺ قد عرفَ ألسنة العرب .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ في « التمهيد » : قولٌ من قال : نزل بلغة قريش ، معناه عندي : في الأغلب ، لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز .

وقد روى الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف صار في عَجْز هوازن منها خمسة .

وقال أبو حاتم : خصَّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب ، لقرب جوارهم

(١) الصيرفي ، هو : محمد بن عبد الله الصيرفي ، أبو بكر : أحد المتكلمين الفقهاء . من الشافعية ، من

أهل بغداد . قال أبو بكر الففال : كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي . له كتب منها :

« البيان في دلائل الإعلام على أصول الفقه » وكتاب « الفرائض » . توفي سنة ٣٣٠ هـ .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٤٥٨) . والوافي بالوفيات ٣/٣٤٦ . وطبقات الشافعية

١٦٩/٢ . ومفتاح السعادة ٢/١٧٨ . والأعلام ٦/٢٢٤) .

(٢) العجرفة ، الجفوة في الكلام . وانظر القرطبي ١/٢٢٠ .

(٣) سبق تخريجه ، راجع الفهرس .

من مولد النبي ﷺ ، ومنزل الوحي ؛ وإنما ربعة ومضر أخوان . قال : وأحبُّ الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغاتُ قريش ، ثم أذانهم من بطون مُضَر .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك^(١) : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين ؛ فمن القليل إدغام : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ ﴾^(٢) في الحشر ، ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٣) في قراءة غير نافع ، وابن عامر ؛ فإن الإدغام في المجزوم والاسم المضاعف لغة تميم ولهذا قل ، والفك لغة أهل الحجاز ولهذا كثر ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٤) ، ﴿ وَلِيُمَلِّلْ وَلِيَهُ ﴾^(٥) ، و ﴿ يُحِبِّبِكُمُ اللَّهُ ﴾^(٦) ، ﴿ وَيُمَدِّدْكُمْ ﴾^(٧) ، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ ﴾^(٨) في النساء والأنفال ، ﴿ وَمَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ ﴾^(٩) ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾^(١٠) ، ﴿ وَاحْتَلَلْ عَقْدَةً ﴾^(١١) ، و ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾^(١٢) ، ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غُضْبِي ﴾^(١٣) .

قال : وأجمع القراءة على نصب ﴿ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنُّ ﴾^(١٤) ؛ لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع ، وإن كان بنو تميم يتبعون ؛ كما أجمعوا على نصب ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾^(١٥) ؛ لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين .

(١) جمال الدين بن مالك ، هو : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي ، أبو عبد الله : أحد الأئمة في علوم العربية . ولد سنة ٦٠٠ هـ ، وتوفي ٦٧٢ هـ .
من كتبه : « الألفية » في النحو ، و « تسهيل الفوائد » و « الكافية الشافية » و « شواهد التوضيح » و « العروض » و « لامية الأفعال » وغير ذلك .
أنظر : (بغية الوعاة ٥٣ . وفوات الوفيات ٢٢٧/٢ . ونفح الطيب ١ / ٤٣٤ ، ٤٤٠ .
وغاية النهاية ١٨٠/٢ . وآداب اللغة ١٤٠/٣ . وطبقات السبكي ٢٨/٥ . والأعلام ٢٣٣/٦) .

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (٢) سورة : الحشر . آية : ٤ . | (٩) سورة : التوبة . آية : ٦٣ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ . | (١٠) سورة : الحج . آية : ١٥ . |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٢١٧ . | (١١) سورة : طه . آية : ٢٧ . |
| (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ . | (١٢) سورة : طه . آية : ٣١ . |
| (٦) سورة : آل عمران . آية : ٣١ . | (١٣) سورة : طه . آية : ٨١ . |
| (٧) سورة : نوح . آية : ١٢ . | (١٤) سورة : النساء . آية : ١٥٧ . |
| (٨) سورة : النساء . آية : ١١٥ . | (١٥) سورة : يوسف . آية : ٣١ . |

وزعم الزمخشري أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) أنه استثناء منقطع ، جاء على لغة بني تميم ، ثم
نازعه في ذلك .

* * *

(١) سورة : النمل . آية : ٦٥ .

١٧ - النوع السابع عشر معرفة ما فيه من غير لغة العرب

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب ، فلا تجوز قراءته وتلاوته إلا بها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا... ﴾^(٢) الآية .

وهذا يدل على أنه ليس فيه غير العربي ؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدةً لنبية عليه الصلاة والسلام ، ودلالةً قاطعةً لصدقه ، وليتحدّى العرب العرباء به ، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته ؛ فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة ؛ هذا مذهب الشافعي ، وهو قول جمهور العلماء ؛ منهم : أبو عبيدة ، ومحمد بن جرير الطبري ، والقاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب « التقريب » ، وأبو الحسين بن فارس اللغوي ، وغيرهم .

وقال الشافعي في « الرسالة » في باب البيان الخامس ما نصّه : « وقد تكلم في العلم مَنْ لَوْ أَمْسَكَ عَنْ بَعْضِ مَا تَكَلَّمَ فِيهِ لَكَانَ الْإِمْسَاكُ أَوْلَى بِهِ ، وَأَقْرَبُ مِنَ السَّلَامَةِ لَهُ^(٣) ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : إِنَّ فِي الْقُرْآنِ عَرَبِيًّا وَأَعْجَمِيًّا ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، وَوَجَدَ^(٤) قَائِلٌ هَذَا

(١) سورة : يوسف . آية : ٣ .

(٢) سورة : فصلت . آية : ٤٤ .

(٣) « وأقرب من السلامة له » ، غير موجودة في الأصول ، وهي من الرسالة في الشافعي ص ٤١ .

(٤) في الأصول : وجدنا .

القول مَنْ قَبِلَ ذلك منه تقليداً له ، وَتَرَكَاَ للمسألة [له]^(١) عن حجته ومسألة غيره
مَنْ خَالَفه ؛ وبالتقليد أغفل مَنْ أغفل منهم ، والله يغفر لنا ولهم . هذا
كلامه .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس : إِنَّمَا أنزل القرآن بلسان عربي
مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا بالنبطية
فقد أكبر القول . قال : ومعناه أتى بأمر عظيم ؛ وذلك أَنَّ القرآن لو كان فيه من
غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه
أتى بلغات لا يعرفونها ، وفي ذلك ما فيه . وإن كان كذلك فلا وجه لقول من
يُجيز القراءة في الصلاة بالفارسية ؛ لأنها ترجمة غير معجزة ، وإذا جاز ذلك
لجازت الصلاة بكتب التفسير ، وهذا لا يقول به أحد . انتهى .

وممن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة ؛ لكن صح رجوعه عن
ذلك . ومذهبُ ابن عباس ، وعكرمة ، وغيرهما أنه وقع في القرآن ما ليس من
لغتهم .

فمن ذلك : « الطور » : جبل بالسريانية . و « طفقا » أي : قصدا
بالرومية . والقسط والقسطاس : العدل بالرومية . ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٢) : تبنا
بالعبرانية . « والسجل » الكتاب^(٣) بالفارسية . « والرقيم » : اللوح بالرومية .
« والمُهَل » : عكر الزيت بلسان أهل المغرب . « والسندس » : الرقيق من الستر
بالهندية . « والإستبرق » : الغليظ بالفارسية بحذف القاف^(٤) . « السري » :
النهر الصغير باليونانية . « طه » : أي طأ يارجل بالعبرانية . « يُصَهَر » : أي :
ينضح بلسان أهل المغرب . « سينين »^(٥) : الحسن بالنبطية . « المشكاة » :

(١) ما بين المعقوفتين : ساقط من الأصول .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١٥٦ .

(٣) « الكتاب » غير موجود ، في الأصول ، واستدركت من الاتقان ١٣٨/١٠ .

(٤) راجع المغرب ، للجواليقي ص ١٥ .

(٥) في الأصول : « سينين » .

الكوة بالحبشية وقيل الزجاجاة تسرج . « الدرّي » : المضيء بالحبشية .
 « الأليم » : المؤلم بالعبرانية . « نَاطِرِينَ إِنَاهُ »^(١) : أي : فضجه بلسان أهل
 المغرب . « الملة الآخرة »^(٢) : أي : الأولى بالقبطية ، والقبط يسمون الآخرة
 الأولى ، والأولى الآخرة . « وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ »^(٣) : أي : أمامهم بالقبطية .
 « اليم » : البحر ، بالقبطية . « بطائنها »^(٤) : ظواهرها بالقبطية . « الأب » :
 الحشيش ، بلغة أهل المغرب . « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ »^(٥) : قال ابن عباس : نشأ
 بلغة الحبشة : قام من الليل « كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ »^(٦) : قال أبو موسى الأشعري
 رضي الله عنه : « ضِعْفَيْنِ » بلغة الحبشة . « القسورة » : الأسد بلغة الحبشة .

واختار الزمخشري أن التوراة والإنجيل أعجميان ، ورجح ذلك بقراءة
 « الإنجيل » بالفتح ، ثم اختلفوا ، فقال الطبري : هذه الأمثلة المنسوبة إلى سائر
 اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات ، فتكلمت بها العرب ، والفرس ،
 والحبشة بلفظ واحد . وحكاها ابن فارس عن أبي عبيد .

وقال ابن عطية : « بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض
 مخالطة لسائر الألسن بتجارات ، وبرحلتى قريش ، ويسفر مسافرين ، كسفر
 أبي عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص
 وعمارة بن الوليد^(٧) إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة ، وصحبته
 لنصارها^(٨) مع كونه حجة في اللغة ، فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية ،
 غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت في تخفيف ثقل العجمة ،

(١) سورة : الأحزاب . آية : ٥٣ . (٤) سورة : الرحمن . آية : ٥٤ .

(٢) سورة : ص . آية : ٧ . (٥) سورة : المزمل . آية : ٦ .

(٣) سورة : الكهف . آية : ٧٩ . (٦) سورة : الحديد . آية : ٢٨ .

(٧) عمارة بن الوليد بن سويد بن زيد بن جرام ، من جذام : جد ، كانت مساكن بنيته بالحوف
 من شرقيه مصر يعرفون ببني عمارة .

أنظر : (سبائك الذهب ٤٥ . الأعلام ٣٨/٥) .

(٨) « لنصارها » غير موجودة بالأصول ، واستدركت من تفسير ابن عطية ص ٢٧٧ .

واستعملتها في أشعارها ومحاواراتها ، حتى جرت مجرى العربيّ الفصيح ، ووقع بها البيان .

وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربيّ فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، وكما لم يعرف ابن عباس معنى « فاصر » ، إلى غير ذلك .

قال : « فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه » .

قال : « وما ذهب إليه الطبري من أنّ اللغتين اتفقتا في لفظه فذلك بعيد ؛ بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ، لأننا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاقات إلا قليلاً شاذاً » .

وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك : إنما وجدت هذه في كلام العرب ؛ لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً ، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلى هذه الألفاظ ، وقد ثبت أنّ النبي ﷺ مبعوث إلى كافة الخلق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ (١) .

وحكى ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف في ذلك ، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء ، والمنع إلى أهل العربية . ثم قال أبو عبيد : « والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بالسنتها ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق » .

قال : « وإنما فسر هذا لثلاثي يقدّم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أَرَادَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ، فهم كانوا

(١) سورة : إبراهيم . آية : ٤ .

أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن» (١) .

قال ابن فارس : « وليس كل من خالف قائلاً في مقالته ينسبه إلى الجهل ، فقد اختلف الصدر الأول في تأويل آي من (٢) القرآن » .

قال : « فالقول إذن ما قاله أبو عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره » .

(١) أنظر : (الصاحبي ، لابن فارس ٢٩) .

(٢) « آي من » غير موجودة بالأصول .

١٨ - النوع الثامن عشر معرفة غريبه

وهو معرفة المدلول ؛ وقد صنّف فيه جماعة ؛ منهم أبو عبيدة كتاب «المجاز» ، وأبو عمر غلام ثعلب^(١) : «ياقوتة الصراط» . ومن أشهرها كتاب ابن عُرَيْزٍ^(٢) ، و«الغريبين» للهروي . ومن أحسنها كتاب «المفردات» للراغب .

وهو يتصدّى المعاني من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة .

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير : «قال أهل المعاني» فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن ، كالزجاج ومن قبله . . وفي بعض كلام الواحدي : «أكثر أهل المعاني : الفراء ، والزجاج ، وابن الأنباري قالوا كذا» . انتهى .

(١) أبو عمرو غلام بن ثعلب ، هو : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمرو الزاهد المطرز الباوردي ، المعروف بغلام ثعلب : أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف . من كتبه : «الياقوتة» و«رسالة في غريب الحديث» و«المداخل» و«العشرات» وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ٥٠٠/١ . وإرشاد الأريب ٢٦/٧ ، ٣٠ . وتاريخ بغداد ٣٥٦/٢ . ولسان الميزان ٢٦٨/٥ . وتذكرة الحفاظ ٨٦/٣ . والأعلام ٢٥٤/٩) .

(٢) ابن عزيز ، هو : محمد بن عزيز العزيزي السجستاني ، توفي سنة ٣٣٠ هـ . من كتبه «غريب القرآن» .

أنظر : (بغية الوعاة للسيوطي ٧٢) .

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : إسماً وفعلاً وحرفاً ؛
فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها ؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم .

وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة وأكثر الموضوعات في
علم اللغة كتاب ابن سيّد^(١) ؛ فإن الحافظ أبا محمد علي بن أحمد الفارسي ذكر
أنه في مائة سفر ؛ بدأ بالفلك وختم بالذرة .

ومن الكتب المطوّلة كتاب الأزهري و«الموعب»^(٢) لابن التّياني^(٣)
و«المحكم» لابن سيده ، وكتاب «الجامع» للقزاز^(٤) ، و«الصحاح»
للجوهرى ، و«البارع» لأبي علي القالي^(٥) ،

(١) ابن سيّد ، هو : أحمد بن أبان بن سيد ، أبو القاسم : عالم أندلسي كبير . توفي سنة
٣٨٢ هـ . له عدة كتب غير كتابه «المعالم» في اللغة ، وهي مفقودة كلها .

(أنظر : معجم الأدباء ٢/٢٠٣ . وإنباه الرواة ١/٣٠ . والصلة ٧ . وبغية الملتبس
١٥٩ . والأعلام ١/٨٤) .

(٢) في الأصول : «المستوعب» .

(٣) ابن التّياني ، هو : تمام بن غالب بن عمر المرسي : أديب لغوي ، من أهل مرسية
بالأندلس ، توفي سنة ٤٣٦ هـ . من كتبه «الموعب» في اللغة ، و«تلقيح العين» في
اللغة .

(أنظر : بغية الملتبس ٢٣٦ . والصلة ١٢٤ . وجذوة المقتبس ١٧٢ . وابن خلكان
٩٧/١ . وإنباه الرواة ١/٢٥٩ . والأعلام ٢/٨٦) .

(٤) القزاز ، هو : محمد بن جعفر التميمي ، أبو عبد الله ، القزاز : أديب ، عالم اللغة . من
أهل القيروان ، توفي سنة ٤١٢ هـ . من كتبه : «الجامع» و«الحروف» و«الحلى
والشيات» و«العثرات» وغير ذلك .

(أنظر : وفيات الأعيان ١/٥١٤ . وإرشاد الأريب ٦/٤٦٨ . وبغية الوعاة ٢٩ .
والأعلام ٦/٧٢) .

(٥) القالي ، هو : إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان ،
أبو علي القالي : أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب ، ولد سنة ٢٨٨ هـ ، وتوفي سنة

٣٥٦ هـ . من كتبه : «النوادر» و«البارع» و«المقصود والممدود والمهموز» وغير
ذلك .

« ومجمع البحرين » للصاغاني (١) .

ومن الموضوعات في الأفعال : كتاب ابن القوطية (٢) ، وكتاب ابن طريف (٣) ، وكتاب السَّرْقُطِي المنبوز بالحمار (٤) ، ومن أجمعها كتاب ابن القطّاع (٥) .

ومعرفة هذا الفن للمفسّر ضروريّ ، وإلا فلا يحلّ له الإقدام على كتاب

الله تعالى .

= أنظر: (نفتح الطيب ٢/٨٥ . وبغية الملتبس ٢١٦ . ووفيات الأعيان ١/٧٤ . والأعلام ٣٢١/١) .

(١) الصغاني ، هو : حسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني أو الصغاني ، الحنفي الرضي : أعلم أهل عصره في اللغة . كان فقيهاً محدثاً . ولد سنة ٥٧٧ هـ ، وتوفي سنة ٦٥٠ هـ . من كتبه : « العباب » و « الأضداد » و « مشارق الأنوار » و « السحابة » وغير ذلك .

أنظر: (النجوم الزاهرة ٧/٢٧ . وآداب اللغة ٣/٤٩ . والأعلام ٢/٢١٤) .

(٢) ابن القوطية ، هو : محمد بن عمير بن عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي ، أبو بكر ، المعروف بابن القوطية : مؤرخ ، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب . توفي سنة ٣٦٧ هـ . من كتبه : « الأفعال الثلاثة والرابعة » وغير ذلك .

أنظر: (بغية الوعاة ٨٤ . ووفيات الأعيان ١/٥١٢ . وبتيمة الدهر ١/٤١١ . ولسان الميزان ٥/٣٢٤ . والأعلام ٦/٣١١) .

(٣) ابن طريف ، هو : عبد الملك بن طريف الأندلسي ، أخذ عن أبي بكر بن القوطية . توفي سنة ٤٠٠ هـ . (أنظر : بغية الوعاة ٣١٣) .

(٤) السرقسطي ، هو : سعيد بن محمد المعافري ، القرطبي ثم السرقسطي ، أبو عثمان ، ويعرف بابن الحداد : عالم باللغة ، أخذ عن ابن القوطية ، وبسط كتاب « الأفعال » ، توفي سنة ٤٠٠ هـ أو بعدها .

أنظر : (الصلة ١/٢١٢ . والأعلام ٣/١٠١) .

(٥) ابن القطّاع ، هو : علي بن جعفر بن علي السعدي ، أبو القاسم ، المعروف بابن القطّاع : عالم باللغة والأدب ، توفي سنة ٥١٥ هـ . من كتبه : « الأفعال » و « أبنية الأسماء » و « الدرّة الخظيرة » و « الشافي في القوافي » .

أنظر : (ابن خلكان ١/٣٣٩ . ومفتاح السعادة ١/١٧٧ . وإنباه الرواة ٢/٢٣٦ . ومرآة الزمان ٨/٥٦ . ولسان الميزان ٤/٢٠٩ . وابن الوردی ٢/٣١ . والأعلام ٤/٢٦٩) .

قال يحيى بن نضلة المدني : سمعتُ مالك بن أنس يقول : لا أوتي
برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا .

وقال مجاهد : لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب
الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه
في الشعر ؛ فإنَّ الشعر ديوان العرب .

وعنه في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾^(١) قال : « ما جمع »
وأشدد :

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا مستوثقات لو يجدن سائقا

وقال : ما كنت أدري ما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾^(٢) ، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول :
أفأتحك ، يعني : أقاضيك .

وفي سورة السجدة : ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٣) يعني : متى
هذا القضاء وقوله : ﴿ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا ﴾^(٥) .

وقال أيضاً : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتاني
أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما ؛ أنا فطرتها ، يعني ابتدأتها .

وجاءه رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات
وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء ، فقال ابن عباس : ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ
وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾^(٦) . قال : ولد الوغد .

(١) سورة : الانشقاق . آية : ١٧ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ٨٩ .

(٣) سورة : السجدة . آية : ٢٨ .

(٤) سورة : هود . آية : ٧١ .

(٥) سورة : الفتح . آية : ١ .

(٦) سورة : هود . آية : ٧١ .

ومسائل نافع^(١) له عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس في كل جواب بيت ذكرها الأنباري في كتاب «الوقف والابتداء» بإسناده ، وقال : فيه دلالة على بطلان قول مَنْ أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر ، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن ، وليس كذلك ، وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٣) .

• وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم ، فالتمسوا معرفة ذلك . ثم إن كان ما تضمَّنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك ، بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ ، وتكثر شواهد من الشعر .

وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ ، كما وقع لجماعة من الكبار .

فَرَوَى الخطابي عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾^(٤) فقال : هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر ، قال الحسن : مَهْ يَا أبا العالية ! ليس هكذا ، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم ، ألا ترى قوله : ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ ﴾ ! فلما لم يتدبر أبو العالية حرف « في » و « عن » تنبَّه له الحسن ؛ إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال : « في صلاتهم » ، فلما قال : « عن صلاتهم » دلَّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت .

ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾^(٥) أنه من عَشَوْتُ أعشو عشواً إذا نظرت ؛ وغلظته في ذلك ، وإنما معناه يعرفس ؛

(١) أنظر : (الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ١٢٠/١ وما بعدها) .

(٢) سورة : يوسف . آية : ٢ . (٤) سورة : الماعون . آية : ٥ .

(٣) سورة : الشعراء . آية : ١٩٥ . (٥) سورة : الزخرف . آية : ٣٦ .

وإنما غلِطَ لأنه لم يفرق بين عشوتُ إلى الشيء وعشوت عنه .

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ (١) ، قال : فارغاً من الحزن ، لعلمها أنه لم يغرق ؛ ومنه « دم فراغ » ، أي لا قودَ فيه ولا دية .

وقال بعض الأدباء : أخطأ أبو عبيدة في المعنى ؛ لو كان قلبها فارغاً من الحزن عليه لما قال : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ (٢) ؛ لأنها كادت تبدي به . وهذا الباب عظيمُ الخطر ؛ ومن هنا تهيبَّ كثيرٌ من السلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماءً باللسان فقهاءً في الدين .

وكان الأصمعيُّ (٣) وهو إمام اللغة لا يفسر شيئاً من غريب القرآن ، وحكي عنه أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ (٤) فسكت وقال : هذا في القرآن ، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهي لكم شغاف ! ولم يزد على هذا .

ولهذا حثَّ النبي ﷺ على تعلُّم إعراب القرآن وطلب معاني العربية .

واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ، ولا يكفي في حقِّه تعلُّم اليسير منها ؛ فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم

(١) سورة : القصص . آية : ١٠ .

(٢) سورة : القصص . آية : ١٠ .

(٣) الأصمعي ، هو : عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد : راوية العرب ، وأحد أئمة اللغة والشعر والبلدان . ولد سنة ١٢٢ هـ ، وتوفي سنة ٢١٦ هـ . من كتبه : « الإبل » و « الأضداد » و « خلق الإنسان » و « الفرق » و « الشاء » و « الدارات » وغير ذلك الكثير .

أنظر : (جمهرة الأنساب ٢٣٤ . وابن خلكان ٢٨٨/١ . وتاريخ بغداد ٤١٠/١٠ . ونزهة الألبا ١٥٠ . وإنباه الرواة ١٩٧/٢ ، ٢٠٥ ، والأعلام للزركلي . ١٦٢/٤) .

(٤) سورة : يوسف . آية : ٣٠ .

أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر ؛ وهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أفصح قریش ؛ سئل أبو بكر عن « الأب » فقال أبو بكر : أي سماء تظلني ، وأي أرض تظلني إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم ! وقرأ عمر سورة « عبس » ، فلما بلغ « الأب »^(١) قال : الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم قال : لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف .

وروى عنه أيضاً أنه قال : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^(٢) : وفي رواية قال : فما الأب ؟ ثم قال : ما كلّفنا ، أو ما أمرنا بهذا .

وما ذاك بجهل منهما لمعنى « الأب » ؛ وإنما يحتمل والله أعلم أن « الأب » من الألفاظ المشتركة في لغتهما أو في لغات ، فخشياً إن فسراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره ؛ ولهذا اختلف المفسرون في معنى « الأب » على سبعة أقوال ؛ فقيل : ما ترعاه البهائم ، وأما ما يأكله آدمي فالحصيد . والثاني : التبن خاصة . والثالث : كل ما نبت على وجه الأرض . والرابع : ما سوى الفاكهة . والخامس : الثمار الرطبة ، وفيه بُعد ، لأن الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة ؛ ولا يقال أفردت للتفضيل ، إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو : ﴿ فَآكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾^(٣) . والسادس : أن رطب الثمار هو الفاكهة وبابسها هو الأب . والسابع أنه للأنعام كالفاكهة للناس .

ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين :

أحدهما : أن يكون خفي عليه معناه وإن شهر ، كما خفي على ابن عباس معنى « فاطر السموات » .

والثاني : تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لا يعلم ؛ كما كان يقول : أفلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم ، يريد الاحتراز ؛ فإن من احترز قلّت روايته .

* * *

(١) سورة : عبس . آية : ٣١ .

(٢) سورة : الرحمن . آية : ٦٨ .

(٣) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

١٩ - النوع التاسع عشر معرفة التصريف

وهو ما يلحق الكلمة ببنيته^(١) ، وينقسم قسمين :

أحدهما : جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني .
وينحصر في التصغير ، والتكبير^(٢) ، والمصدر ، واسمَي الزمان والمكان ،
واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والمقصود ، والممدود .

والثاني : تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها . وينحصر في الزيادة ،
والحذف ، والإبدال ، والقلب ، والنقل ، والإدغام .

وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ؛
فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة ؛ لأن التصريف نظر في ذات
الكلمة ، والنحو نظر في عوارضها^(٣) .

وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر .

قال ابن فارس : من فاته علمه فاته المعظم ؛ لأننا نقول « وجد » كلمة
مبهمة ، فإذا صرفناها اتضحت ، فقلنا في المال « وُجِدًا » وفي الضالة :
« وجدانًا » وفي الغضب « مَوْجِدَة » وفي الحزن « وَجْدًا » وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا

(١) في جـ : « وهو ما يلحق بنفسها » .

(٢) في بـ : « وينحصر في التصغير والتكبير » .

(٣) في جـ : « نظر في معارضها » .

الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا»^(١)، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٢) ؛ فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل .

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ؛ فيقولون للطريق في الرمل :
« حَبَّة » ، وللأرض المخصبة والمجدبة « حُبَّة »^(٣) ، وغير ذلك .

وقد ذكر الأزهري أن مادة « ذكر » بالذال المهملة مهملة غير مستعملة ،
فكتب التاج الكندي^(٤) على الطُّرَّة ما ذكر أنه مهمل : مستعمل ، قال الله
تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾^(٥) ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾^(٦) . وهذا الذي قاله سهو
أوجبه الغفلة عن قاعدة التصريف ؛ فإن الذال في الموضعين بدل من الذال ؛
لأن اذَّكر أصله « اذتكر » افتعل من الذكر ، وكذلك مذَّكر أصله « مذتكر » مفتعل
من الذكر أيضاً ، فأبدلت التاء دالاً والذال كذلك ، وأدغمت إحداهما في
الأخرى ، فصار اللفظ بهما كما ترى .

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾^(٧) سهل لهم
ركوب المعاصي ، من السَّوَّل وهو الاسترخاء ، وقد اشتقه من السَّوَّل من لا علم
له بالتصريف والاشتقاق جميعاً^(٨) - يعرض بابن السكيت^(٩) .

(١) سورة : الجن . آية : ٤ .

(٢) سورة : الحجرات . آية : ٩ .

(٣) كذا في الأصول ، راجع فقه اللغة ، لابن فارس ١٦٢ .

(٤) التاج الكندي ، هو : زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري ، من ذبي رعين ،
أبو اليمن ، تاج الدين الكندي : أديب ، من الكتاب الشعراء العلماء ، ولد سنة
٥٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٦١٣ هـ .

من كتبه : « شرح ديوان المتنبي » وكتاب « شيوخه » و« ديوان شعره » .

أنظر : (مرآة الزمان ٥٧٥/٨) . وابن خلكان ١/١٩٦ . وذيل الروضتين ٩٥ . والجواهر

المضية ١/٢٤٦ . وإرشاد الأريب ٤/٢٢٢ . والأعلام ٣/٥٨) .

(٥) سورة : يوسف . آية : ٤٥ . (٧) سورة : محمد . آية : ٢٥ .

(٦) سورة : القمر . آية : ١٥ . (٨) أنظر : (الكشاف للزمخشري ٢/٣٨) .

(٩) ابن السكيت ، هو : يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف بن السكيت : إمام اللغة والأدب . =

وقال أيضاً : من بدع التفاسير أن « الإمام » في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ (١) جمع « أم » وأن الناس يُدْعَوْنَ يوم القيامة بِأَمَّهَاتِهِمْ دون آبائهم ، لثلاثا يفتضح أولاد الزنا . قال : وليت شعري أيهما أبدع ، أصحة لفظة أمه أم [بهاء] (٢) حكمته .

يعني أن « أمّا » لا يجمع على « إمام » ، هذا كلام من لا يعرف الصناعة ، ولا لغة العرب .

وقال الراغب في قوله تعالى : ﴿ فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ (٣) : هو « تفاعلتهم » ، أصله : « تدارأتم » [(٤)] ، فأريد منه الإدغام تخفيفاً ، وأبدل من التاء دال ، [فسكن للإدغام] فَاجْتَلِبَتْ لها ألف الوصل ، فحصل على « افاعلتهم » (٥) .

وقال بعض الأدباء : ﴿ ادَّارَأْتُمْ ﴾ « افتعلتم » ؛ وغلط من أوجه :

أولاً : أن ﴿ ادَّارَأْتُمْ ﴾ على ثمانية أحرف ، و « افتعلتم » على سبعة أحرف .

والثاني : أن الذي يلي ألف الوصل تاء فجعلها دالاً .

والثالث : أن الذي يلي الثاني دال ، فجعلها تاء .

= أصله من خوزستان ، ولد سنة ١٨٦ هـ ، وتوفي سنة ٢٤٤ هـ . من كتبه : « إصلاح المنطق » و « الألفاظ » و « الأضداد » و « القلب والأبدال » و « الأجناس » و « غريب القرآن » وغير ذلك .

أنظر : (ابن خلكان ٣٠٩/٢ . والأنباري ٢٣٨ . وهدية العارفين ٥٣٦/٢ . ودائرة المعارف الإسلامية ٢٠٠/١ . والأعلام ١٩٥/٨) .

(١) سورة : الإسراء . آية : ٧١ .

(٢) ما بين المعقوفتين : غير موجودة بالأصول ، واستدركت من الكشاف .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٧٢ .

(٤) ما بين المعقوفتين : غير موجودة بالأصول واستدركت من مفردات الراغب .

(٥) في الأصول : تفاعلتهم ، والتصويب من مفردات الراغب ١٦٨ .

والرابع : أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال [منه] إلا متحركاً ، وقد جعله هذا ساكناً .

والخامس : أن ها هنا قد دخل بين التاء والذال زائد ، وفي « افتعلت » لا يدخل ذلك .

والسادس : أنه أنزل الألف منزلة العين ، وليست بعين .

والسابع : أن تاء « افتعل » قبله حرفان ، وبعده حرفان و ﴿ أَدَارَاتِم ﴾^(١) بعدها ثلاثة أحرف .

وقال ابن جنبي : من قال : « اتخذت » « افتعلت » من الأخذ ؛ فهو مخطيء . قال : وقد ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج ، وأنكره عليه أبو علي ؛ وأقام الدلالة على فساده ، وهو أن ذلك يؤدي إلى إبدال الهمزة تاء ، وذلك غير معروف .

* * *

(١) سورة : البقرة . آية : ٧٢ .

٢٠ - النوع العشرون

معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها

ويؤخذ ذلك من علم النحو ، وقد انتدب الناس لتأليف إعراب القرآن ومن أوضحها كتاب « الحوفي »^(١) ومن أحسنها كتاب « المشكل »^(٢) ، وكتاب أبي البقاء العكبري ، وكتاب المنتجب الهمذاني وكتاب الزمخشري ، وابن عطية ، وتلاههم الشيخ أبو حيان^(٣) .

قالوا : والإعراب يبين المعنى ؛ وهو الذي يميّز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين ؛ بدليل قولك : ما أحسن زيدا ، ولا تأكل السمك وتشرب

(١) الحوفي ، هو : علي بن إبراهيم بن سعيد ، أبو الحسن الحوفي : نحوي من العلماء باللغة والتفسير ، من كتبه : « البرهان في تفسير القرآن » و « الموضع » و « مختصر كتاب العين » وغير ذلك .

أنظر : (الاعلام ٤ / ٢٥٠ . وبغية الوعاة ٣٢٥ . ووفيات الأعيان ١ / ٣٣٢ . ومفتاح السعادة ١ / ٤٣٨ . وإنباه الرواة ٢ / ٢١٩) .

(٢) هو كتاب « مشكل إعراب القرآن » لمكي بن أبي طالب .

(٣) أبو حيان ، هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، الجياني ، التعزي ، أثير الدين ، أبو حيان : من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد سنة ٦٥٤ هـ . وتوفي سنة ٧٤٥ هـ . من كتبه : « البحر المحيط » و « النهر » و « تحفة الأريب » وغير ذلك .

أنظر : (الدرر الكامنة ٤ / ٣٠٢ . وبغية الوعاة ١٢١ . وفوات الوفيات ٢ / ٢٨٢ . ونكت الهميان ٢٨٠ . وشذرات الذهب ٦ / ١٤٥ . والنجوم الزاهرة ١٠ / ١١١ ، والأعلام ١٥٢ / ٧) .

اللبن ، وكذلك فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني ، فقالوا : مُفْتَحٌ لِلآلَةِ التي يفتح بها ، ومُفْتَحٌ لموضع الفتح ، ومِقْصَصٌ لِلآلَةِ ، ومِقْصَصٌ للموضع الذي يكون فيه القَصَصُ . ويقولون : امرأة طاهر من الحيض لأن الرجل يشاركها في الطهارة .

وعلى الناظر في كتاب الله ، الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلّها ، ككونها مبتدأ أو خبراً ، أو فاعلة أو مفعولة ، أو في مبادئ الكلام أو في جواب ، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير ، أو جمع قلّة أو كثرة ، إلى غير ذلك .

ويجب عليه مراعاة أمور :

أحدها - وهو أول واجب عليه - أن يفهم معنى ما يريد أن يعرّبه ، مفرداً كان أو مركباً ؛ قبل الإعراب ؛ فإنه فرع المعنى ؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثره الله بعلمه .

ولهذا قالوا في توجيه النصب في « كلاله » في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ (١) أنه يتوقف على المراد بالكلاله ؛ هل هو إسم للميت ، أو للورثة ، أو للمال ؟ فإن كان إسماً للميت فهي منصوبة على الحال ؛ وإن كان تامة لا خبر لها بمعنى وُجد . ويجوز أن تكون ناقصة والكلاله خبرها ، وجاز أن يخبر عن النكرة لأنها قد وصفت بقوله : « يُورث » والأول أوجه . وإن كانت إسماً للورثة فهي منصوبة على الحال من ضمير ﴿ يُورث ﴾ لكن على حذف مضاف ، أي : ذا كلاله ، وعلى هذا فكان ناقصة « ويورث » خبر . ويجوز أن تكون تامة فيورث صفة . ويجوز أن يكون خبراً فتكون صفته . وإن كانت إسماً للمال فهي مفعول ثان ليورث ، كما تقول : ورثت زيدا مالاً وقيل تمييز ، وليس بشيء . ومن جعل الكلاله الوراثه فهي نعت لمصدر محذوف ، أي : وراثه كلاله ، أي : يورث بالوراثه التي يقال لها : الكلاله ، هذا كله على قراءة ﴿ يُورث ﴾ بفتح الراء ، فأما من قرأ ﴿ يُورث ﴾ بكسرهما مخففة أو مشددة ، فالكلاله هي الورثه أو المال .

(١) سورة : النساء . آية : ١٢ .

ومن ذلك «تقاة» في قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(١) ، في نصبها ثلاثة أوجه مبنية على تفسيرها . فإن كانت بمعنى الانتقاء فهي مصدر كقوله تعالى : ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(٢) ، وإن كانت بمعنى المفعول أي أمراً يجب اتقاؤه ، فهي نصب على المفعول به ، وإن كانت جمعاً كرامٍ ورماة ، فهي نصب على الحال .

ومن ذلك إعراب «أخوى» من قوله : ﴿غُثَاءٌ أَخْوَى﴾^(٣) ، وفيه قولان متضادان :

أحدهما : أنه الأسود من الجفاف واليبس .

والثاني : أنه الأسود من شدة الخضرة ، كما فسر ﴿مُدَّهَا مَتَانٍ﴾^(٤) .

فعلی الأول هو صفة لغُثَاء ، وعلى الثاني هو حال من المرعى ، وأخر لتناسب الفواصل .

ومنه : قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا . أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾^(٥) .

فإنه قيل : الكفات : الأوعية ، ومفردها «كَفَتْ» والأحياء والأموات كناية عما نبت وما لا ينبت ، وقيل : الكُفَات مصدر كَفَتْه إذا ضَمَّه وَجَمَعَه ؛ فعلى الأول ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ صفة لكفَاتاً ؛ كأنه قيل : أوعية حيّة وميتة ، أو حالان ؛ وعلى الثاني فهما مفعولان لمحذوف ، ودلّ عليه ﴿كَفَاتًا﴾ أي : يجمع أحياءً وأمواتاً .

ومنه قوله : ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾^(٦) فإنه إن كان المراد به القرآن ، فمن للتبويض ، والقرآن حينئذٍ من عطف العام على الخاص ؛ وإن كانت الفاتحة فمن لبيان الجنس ، أي : سبعاً هي المثاني .

(١) سورة : آل عمران . آية : ٢٨ .

(٢) سورة : نوح . آية : ١٧ .

(٣) سورة : المرسلات . آية : ٢٥ .

(٤) سورة : الحجر . آية : ٨٧ .

(٥) سورة : الرحمن . آية : ٦٤ .

(٦) سورة : الأعلى . آية : ٥ .

تنبيه :

قد يقع في كلامهم : هذا تفسير معنى ، وهذا تفسير إعراب . والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك ، وقد قال سيويه في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَنْعِقُونَ ﴾^(١) : «تقديره مثلك يا محمد، ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به»^(٢).

واختلف الشارحون في فهم كلام سيويه ، فقليل : هو تفسير معنى ، وقيل : تفسير إعراب ؛ فيكون في الكلام حذفان : حذف من الأول وهو حذف داعيهم ، وقد أثبت نظيره في الثاني ، وحذف من الثاني وهو حذف المنعوق ، وقد أثبت نظيره في الأول ؛ فعلى هذا يجوز مثل ذلك في الكلام .
والثاني : تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة ، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش .

قال الزمخشري في كشافه القديم : القرآن لا يعمل فيه إلا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب ، دون الشاذ النادر الذي لا يُعثر عليه إلا في موضع أو موضعين .

وبهذا يتبين غلط جماعة من الفقهاء والمعربين حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ في قراءة الجر ؛ وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصيح ؛ ولأنه إنما يُصار إليه إذا أمن اللبس ، والآية محتملة ، ولأنه إنما يجيء مع عدم حرف العطف ، وهو هنا موجود .

وأيضاً فنحن في غنية عن ذلك كما قاله سيويه : إنَّ العرب يقرب عندها المسح من الغسل ؛ لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا في المعنى حصل العطف كقوله :

(١) سورة : البقرة . آية : ١٧١ .

(٢) أنظر : (الكتاب ، لسيويه ٢/٢٦٠) .

* متقلداً سيفاً ورُمحاً *

ومنها : أمكن المشاركة في المعنى حسن العطف وإلا امتنع ؛ فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر ، وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف في قوله تعالى : ﴿ سَلَسِلاً وَأَغْلَالاً ﴾^(١) ؛ فإنما أجزى في الكلام ، لأنه رُدُّ إلى الأصل ، والعطف على الجوار خروج عن الأصل ، فافترقا .

الثالث : تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، أو التكرار ، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحوه ، مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها ؛ لأنه لا فائدة فيه أصلاً ، فإن ذلك لا يحتمل من متكلمٍ ، فضلاً عن كلام الحكيم .

وقال ابن الخشاب « في المعتمد » : اختلف في هذه المسألة ، فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ، وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف ، هذا للاختصار والتخفيف ، وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام ويقول : هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها ، فلا أقضي عليها بالزيادة ، ونقله عن ابن درستويه^(٢) .

قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل ؛ لأنه عبث ، فتعين أن إلينا به حاجة ، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب

(١) سورة : الإنسان . آية : ٤ .

(٢) ابن درستويه ، هو : عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ، ابن المرزبان ، أبو محمد : من علماء اللغة ، فارسي الأصل ، ولد سنة ٢٥٨ هـ . وتوفي سنة ٣٤٧ هـ . من كتبه : « تصحيح الفصيح » و « الكتاب » و « الإرشاد » و « أخبار النحويين » وغير ذلك .

أنظر : (بغية الوعاة ٢٧٩ . والفهرست ٦٣/١ . والوفيات ٢٥١/١ . وتاريخ بغداد ٤٢٨/٩ . ونزهة الألبا ٣٥٦ . والأعلام ٧٦/٤) .

المقاصد ، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي زيد عندها ولا زيادة ، كالحاجة إلى الألفاظ التي رأوها^(١) مزيدة عليه ، وبه يرتفع الخلاف .

وكثير من القدماء يسمون الزائد : صلة ، وبعضهم يسميه مقحماً ، ويقع ذلك في عبارة مستوية .

الرابع : تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كتجويز الزمخشري في ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾^(٢) في سورة الحشر ، أن يكون بدلاً من قوله : ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾^(٣) ، وهذا فصل كبير ، وإنما حملة عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لا يستحق القريب بقربته بل لكونه فقيراً ، والشافعي يخالفه . ونظيره إعراب بعضهم : ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾^(٤) بدلاً من المجرور في قوله تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾^(٥) .

الخامس : تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة ، ولا يجوز فيه جميع ما يجوزُه النحاة في شعر امرئ القيس وغيره ، وأن نقول في نحو : ﴿ اغفر لنا ﴾ و ﴿ اهدنا ﴾ فعلَي دعاء أو سؤال ، ولا نقول : فعلَي أمر ، تأدباً ، من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء ، على الخلاف فيه .

وقال أبو حيان التوحيدي في « البصائر » : سألت السيرافي^(٦) عن قوله

تعالى : ﴿ قائماً بالقسط ﴾^(٧) بم انتصب ؟

قال : بالحال ، قلت : لمن الحال ؟ قال : لله تعالى ، قلت : فيقال لله حال ؟ قال : إن الحال في اللفظ لا لمن يُلفظ بالحال عنه ؛ ولكن الترجمة لا تستوفي حقيقة المعنى في النفس إلا بعد أن يصوغ الوهم هذه الأشياء صياغةً تسكن إليها النفس ، ويتفجع بها القلب ، ثم تكون حقائق الألفاظ في مفادها غير

(١) في ج : « كالحاجة إلى اللفظ الذي رأوه زائدة عليه » .

(٢) سورة : الحشر . آية : ٨ .
(٣) سورة : الحشر . آية : ٧ .
(٤) سورة : الأنبياء . آية : ٣ .
(٥) سورة : الأنبياء . آية : ١ .
(٦) ستأتي ترجمته .
(٧) سورة : آل عمران . آية : ١٨ .

معلومة ولا منقوضة باعتقاد ، وكما أن المعنى على بعد من اللفظ ، كذلك الحقيقة على بعد من الوهم .

السادس : البحث على الأصلي والزائد ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾^(١) ؛ فإنه قد نتوهم « الواو » في الأولى ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون مع « أن » ، وليس كذلك ؛ بل الواو هنا لام الكلمة ، والنون ضمير جمع المؤنث ، فبني الفعل معها على السكون ؛ فإذا وُصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ؛ ومثله : « النساء يرجون » ، بخلاف : « الرجال يرجون » ، فإن الواو فيه ضمير الجمع ، والنون حرف علامة للرفع ؛ وأصله « يَرْجُونَ » أعلت لام الكلمة بما يقتضيه التصريف ، فإذا دخل الجازم حذف النون ؛ وهذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف في التقدير .

وكذلك يُبحث عما تقتضيه الصناعة في التقدير ، ولا يؤخذ بالظاهر ، ففي نحو قوله تعالى : ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾^(٢) يتبادر إلى الذهن أن ﴿ مرحباً ﴾ نصب ، إسم لا ، وهو فاسد ، لأن شرط عملها في الإسم ألا يكون معمولاً لغيرها ؛ وإنما نصب بفعل مضمَر يجب إضماره ، و ﴿ لا ﴾ دعاء ، و ﴿ بهم ﴾ بيان للمدعو عليهم .

وأجاز أبو البقاء أن ينصب على المفعول به ، أي : لا يسمعون مرحباً ، وأجاز في جملة ﴿ لا مرحباً ﴾ أن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالاً ، أي : هذا فوجٌ مقولاً له : ﴿ لا مرحباً ﴾^(٣) .

وفيه نظر ؛ لأنه قدّر « مقولاً » فمقولاً هو الحال ، و ﴿ لا مرحباً ﴾ محكية بالقول في موضع نصب .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(٤) ، يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبله خبر « أن » على التقديم ، وهو فاسد لأنه ليس المراد

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٣٧ . (٢) أنظر : إملاء ما من به الرحمن ، للعكبري ١١٤/٢

(٣) سورة : ص . آية : ٥٩ . (٤) سورة : الحجرات . آية : ٧ .

الإخبار بأن رسول الله ﷺ فيهم ، وإنما الغرض أنه لو أطاعكم في كثير من الأمر لعنتم ، وإنما ﴿ فيكم ﴾ حال ، والمعنى : واعلموا أن رسول الله في حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴾ (٢) .

فإن الجواب وقع فيهما بعد النفي مقروناً بالفاء ، وفي الأولى حذفت النون وفي الثانية أثبتتها ، فما الفرق بينهما ؟

وجوابه أن حذف النون جواباً للنفي هو على أحد معني نصب « ما تأتينا فتحدثنا » أي : ما يكون إتيان ولا حديث ، والمعنى الثاني : إثبات الإتيان ونفي الحديث ، أي ما تأتينا محدثاً ، أي تأتينا غير محدث ، وهذا لا يجوز في الآية . وأما إثبات النون فعلى العطف .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ (٤) حيث انتصب « بشراً » في الأول وارتفع في الثاني ، فيقال : ما الفرق بينهما ؟

والجواب : أن نصب « بشراً » على الاشتغال ، والشاغل للعامل منصوب ، فصح لعامله أن يفسر ناصباً ، وأما في الثانية فالشاغل مرفوع مفسر رافعاً ؛ وهذا كما تقول : أزيد قام ؟ فزيد مرفوع على الفاعلية لطلب أداة الفعل ؛ فهذا في الاشتغال والشاغل مرفوع ، وتقول فيما الشاغل فيه منصوب : أزيداً ضربته ؟

وقريب منه : إجماع القراء على نصب « قليل » في : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا

قَلِيلًا ﴾ (٥) .

(٤) سورة : التغابن . آية : ٦ .

(١) سورة : فاطر . آية : ٣٦ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٤٩ .

(٢) سورة : المرسلات . آية : ٣٦ .

(٣) سورة : القمر . آية : ٢٤ .

واختلفوا في : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (١) ؛ وإنما كان كذلك لأن ﴿ قَلِيلًا ﴾ الأول استثناء من موجب ، والثاني استثناء من منفي .

فإن قيل : فلم أجمعوا على النصب في ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) مع أنه استثناء من غير موجب ؟

قيل : لأن هذا استثناء مُفْرَغ ، وهو نعت لمصدر محذوف ، فالتقدير : فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً .

ومثله : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (٣) في سورة الحديد ، قرأها ابن عامر برفع ﴿ كُلٌّ ﴾ ووافق الجماعة على النصب في النساء . والفرق أن الذي في سورة الحديد شغل الخبر بهاءٍ مضمرة ، وليس قبل هذه الجملة جملة فعلية ، فيختار لأجلها النصب ، فرفع بالابتداء ، وأما التي في سورة النساء فإنما اختير فيها النصب ؛ لأن قبله جملة فعلية ، وهي قوله : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ .
تنبیه :

قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد ، وكان أبو علي الفارسي يُلَمِّمُ به كثيراً ، وذلك أنه يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ، قالوا : والتمسك بصحة المعنى يؤول لصحة الإعراف ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (٤) .

فالظرف الذي هو ﴿ يوم ﴾ يقتضي المعنى أن يتعلق بالمصدر الذي هو « رجع » ، أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر ؛ لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي ، فحينئذٍ يجعل العامل فيه فعلاً مقدرًا دلَّ عليه المصدر .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى

(٣) سورة : الحديد . آية : ١٠ .

(١) سورة : النساء . آية : ٦٦ .

(٤) سورة : الطلاق . آية : ٨ - ٩ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٤٦ .

الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١﴾ ، فالمعنى : يقتضي تعلق « إذ » بالمقت ، والإعراب يمنعه للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ، فيقدر له فعل يدل عليه المقت .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ (٢) .

فالمعنى : أن العامل في إذا « خبير » ، والإعراب يمنعه ؛ لأن ما بعد « إن » لا يعمل فيما قبلها ، فافتضى أن يقدر له العامل .

تنبیه :

على النحوي بيان مراتب الكلام ؛ فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة ، ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر ، ومرتبة ما يصل الفعل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر - وإن كانا فضلتين - ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثاني . وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التقديم وهو يعود على ما مرتبته التأخير ، فلا يجوز أن يتقدم ، لأنه يكون متقدماً لفظاً ومرتبة ، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن يتقدم ؛ لأنه يكون مقدماً لفظاً مؤخراً رتبةً ، فعلى هذا يجوز : « في داره زيد » لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير ، ولا يجوز : « صاحبها في الدار » ، لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم .

* * *

(١) سورة : غافر . آية : ١٠ .

(٢) سورة : العاديات . آية : ٩ - ١٠ .

٢١ - النوع الحادي والعشرون معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنّف الناس في ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها : ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب^(١) مجلدين قدمهما أمام تفسيره ، وما وضعه حازم^(٢) الأندلسي المسمى « بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء » .

وهذا العلم أعظم أركان المفسّر ، فإنه لا بدّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يُواخى بين الموارد ، ويعتمد ما سبق له الكلام حتى لا يتنافر ، وغير ذلك . وأملأ الناس بهذا صاحب « الكشاف » .

قال السكاكي : واعلم أنّ شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ؛ كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ، ولا طريق إلى تحصيله لذوي الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرّن فيهما .

(١) هو : محمد بن سليمان بن الحسن البلخي ، المقدسي ، أبو عبد الله ، جمال الدين ، ابن النقيب : مفسر ، من فقهاء الحنفية ، توفي سنة ٦٩٨ هـ . من كتبه « التفسير » سماه « التحرير الحبير لأقوال أئمة التفسير » .

أنظر (الأنس الجليل ٥٥٦/٢ . والفوائد البهية ١٦٨ . وفوات الوفيات ٢١٥/٢ . والأعلام ١٥٠/٦ .

(٢) حازم الأندلسي ، هو : حازم بن محمد بن حسين القرطاجني ، توفي سنة ٦٨٤ هـ . من كتبه « منهاج البلغاء » . (أنظر : شذرات الذهب ٣٨٨/٥) .

وقال الزمخشريّ : من حقّ مفسّر كتاب الله الباهر ، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدّي سليماً من القادح ، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل .

وادعى القاضي أبو الطيب في كتاب « إعجاز القرآن » أن كثيراً من محاسن هذا العلم لا يُعدّ من البلاغة القرآنية ؛ بناءً على اختياره في أن القرآن نزل على خلاف أساليبهم ، وسيأتي الكلام في ذلك .

فإن قلت : كيف عدت هذا من أنواع علومه ؛ مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه ولم ينقل عنهم شيء من ذلك ، وإنما هذا أحدثه المتأخرون ؟

قلت : إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام ، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ، ولم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة ؛ وإنما جاءت لتكون معجزةً ، وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه ، فلم يكن الخوض فيه مسوغاً ؛ إذا البلاغة ليست مقصودةً فيه أصلاً ؛ لأنه موجود في الصحف الأولى ؛ لا مع هذه البلاغة المعينة ؛ وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتكلم ؛ فلماذا لم يتكلم السلف في ذلك ، وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان ، بخلاف استنباط الأحكام ، فلماذا تكلموا في الثاني دون الأول .

وأعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير ، المطلع على عجائب كلام الله ، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ، ولو لم يحبب الفصاحة إلا قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(١) ، [لكفى] ، والمعلومات كثيرة ، ومنن الله تعالى جمّة ، ولم يخص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ

(١) سورة : الرحمن . آية : ٤١ .

للناس ﴿١﴾ ، وقال تعالى : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) .

ولحذف الواو في قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (٣) نكتة علمية : فإنه جعل تعليم البيان في وزن خَلَقَهُ ، وكالبدل من قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ (٤) ؛ لأنه حيٌّ ناطقٌ ؛ وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم في حدِّ الإنسان : حيوان ناطق .

ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ، ليتمكن بها من اتباع التصديق به ، وإذعان النفس له .

وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلم فيها البليغ مُثَبِّتاً وناظياً .

فمنها : تحقيق العقائد الإلهية ، كقوله سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (٥) بعد ذكره النطفة ومتعلقها في مراتب الوجود .

وكقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (٦) .

فمن يقرع سمعه هذا الكلام المعجز استشعر من روعة النفس ، واقشعرار الجلد ما يُمكن خشية الله وعظمته من قلبه .

ومنها : بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٧) .

وكقوله ﷺ : « فمن أين يكون الشبه » (٨) ؟

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٣٨ . (٥) سورة : القيامة . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٨٩ . (٦) سورة : الزمر . آية : ٦٧ .

(٣) سورة : الرحمن . آية : ٣ . (٧) سورة : الأنفال . آية : ٦١ .

(٤) سورة : الرحمن . آية : ٤ .

(٨) أنظر : (سنن النسائي ، الباب ١٣٠ من كتاب الطهارة . والسنن الكبرى ، للبيهقي

١٦٩/١ . ومصنف عبد الرزاق (١٠٩٢) .

فانظر كيف أعطى في هذه الأحرف اليسيرة الحجة على من أنكر احتلام المرأة فلا يبين من هذا البيان، ولا أشفى للمرتاب من هذا القول، فإنه يرى إحدى المقدمتين عياناً، وهو شبه الولد بأمه، ويعلم قطعاً أنه ليس هناك سبب يُحال الشبه عليه غير الذي أنكر.

ومنها: تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض، والإرضاء والإغضاب، والتشجيع والتخويف. ويكون في مدح ودم، وشكاية واعتذار، وإذن ومنع.

وينضم إلى قوة القول البلاغي معنى متصل إعانة لها؛ مثل فضيلة القائل وحمية النازع، وقوة البليغ على إطراء نفسه، وتحسين رأيه.

ومن ذلك: استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل، وزيادة تفهم؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلِكُمْ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (٢)؛ وسرُّ هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثنى عليهم، فيسارع إلى التصديق، ويُلقي في نفسه نوراً من التوفيق.

وكذلك قوله: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (٢)؛ وسرُّ هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثنى عليهم، فيسارع إلى التصديق، ويُلقي في نفسه نوراً من التوفيق.

ويكون هذا القول البلاغي ما يسمى بالضمير، ويسمى التمثيل؛ وأعني بالضمير أن يُضمَّر بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه؛ كقول الفقيه: النبيذ مُسكر فهو حرام.

وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٣).

وقد يكون هذا الإضمار في القياس الاستثنائي أيضاً؛ كقولك: لو كان فلان عزيزاً لمنع بأعنة الخيل جاره، أو جواداً لشب لساري الليل ناره، معولاً

(١) سورة: سبأ. آية: ٤٦ .

(٢) سورة: الإسراء. آية: ٣٧ .

(٣) سورة: العنكبوت. آية: ٤٣ .

على أنه قد علم أنه ما منع ولا شبَّ ، فيثبت بذلك مقابله وهو البخل والذلة ؛
ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١) ؛
وقد شهد الحسن والعيان أنهم ما انفضوا من حوله وهي المضمرة ، فانتفى عنه
صلوات الله عليه أنه فظ غليظ القلب .

ومن أحسن ما أبرز فيه هذا المضمرة قول الشاعر :

ولو كان عبدُ الله مولى هجوته ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا

ومثال : الاستمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

وحسبك إمام المتقين حين سمع شعر القائلة :

ما كان ضررك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنوق

قال : « لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لما قتلتها » ، وقال الآخر :

ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتيينا

ومن الاستمالة والاسترضاء ما لا يخرق السمع أنفذ منه إلى القلوب ،
وأوقع على المطلوب ، قوله ﷺ للأنصار وقد وجدوا في نفوسهم قسمة الغنائم
في غيرهم : يا معشر الأنصار ، ألم أجِدْكُمْ كذا ! ألم أجِدْكُمْ كذا ! ثم قال :
أجيبوني ، فما زادوا على قولهم : اللهُ ورسوله آمن ، فقال عليه الصلاة
والسلام : « أما إنكم إن شئتم لقلتم - [فلصدقتُم] ، ولصدقتُم » (٣) جئنا بحال
كذا وكذا . فانظر ما أعجب هذا ! استشعر منهم عليه السلام أن إمساكهم عن
الجواب أدبٌ معه لا عجز عنه ، فأعلمهم بأنهم لو قالوا صدقوا ، ولم يكن هو
بالذي يغضب من سماعه ، ثم زادهم تكريماً بقوله : « أما ترضون أن يذهب

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٥٩ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ٢٣ .

(٣) أنظر : (صحيح مسلم ، حديث ١٣٩ من كتاب الزكاة وسيرة ابن هشام ١٤٦/٤) .

الناس بالشاء والبعير ، وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم» (١) ، ثم زاد يمينه
المباركة البرّة على فضل ما ينصرفون به ؛ اللهم انفعنا بمحبته ، وتفضل علينا
بشفاعته .

ومما تجد من هذا الطراز قولُ بعضهم :

أناسٌ أعرَضُوا عَنَّا بلا جُرْمٍ ولا مَعْنَى
أساءوا ظَنُّهُمْ فِينا فهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ!
فإنَّ عادوا لنا عُدْنَا وإن خانوا فما خُنَّا
وإن كانوا قد استَغْنَوْا فإنَّا عنهم أَغْنَى
وإن قالوا : اذُنٌ مِنَّا بَعْدُ باعدنا مَنْ استَدْنَى

ومن الإغضاب العجيب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٤) .

ولله در القائل :

إذا والى صديقك مَنْ تُعادي فقد عاداك وانقطع الكلامُ

ومن قسم التشجيع قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (٥) .

(١) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ٤/٤٢٠) . ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/٥٣٣ . والبداية

والنهاية ٤/٣٥٦ ، ٥٣٨ . والسنن الكبرى ، للبيهقي ٦/٣٣٨) .

(٢) سورة : الممتحنة . آية : ٩ . (٤) سورة : الكهف . آية : ٥٠ .

(٣) سورة : الممتحنة . آية : ١ . (٥) سورة : الصف . آية : ٤ .

وَكَفَىٰ بِحُبِّ اللَّهِ مُشْجَعًا عَلَىٰ مَنَازِلَةِ الْأَقْرَانِ وَمَبَاشِرَةً الطَّعَانِ !

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ تَصَبُّرًا وَتَتَّقُوا وَيَتَوَكَّمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١) ، وكيف لا يكون والقوم صبروا والملك الحق جل جلاله وَعَدَّهَم بِالْمَدَدِ الْكَثِيرِ ! ثم قال : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ (٣) وفي مقابلة هذا القسم ما يراد به الأخذ بالحزم ، والثاني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة ، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٤) .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٥) .

ومنه : الإبانة بالمدح ، وربما مُدِح الْكَرِيمِ بِالْتَّعَافُلِ عَنْ الزَّلَّةِ وَالتَّهَافُونَ بِالذَّنْبِ ؛ كما أشار إليه القرآن فيما أَسْرَسَ سَيِّدَ الْبَشَرِ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مِمَّنْ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَى إِفْسَائِهِ ، فأخبر سبحانه أنه عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ؛ ولذلك قيل :

ليس الغيبيُّ بسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمَتَغَابِي

ومنه : التمثيل ؛ وإنما يكون بأمر ظاهر يُسَلِّمُهُ السَّامِعُ ، وَيَقْوِيهِ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِ الْأَشْقِيَاءِ تَحْذِيرًا لِمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَأَخْبَارِ السَّعْدَاءِ ، تَرْغِيبًا لِمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ .

وفي الحديث : « أَرَأَيْتَ لَوْ مَضَّضْتَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران . آية : ١٢٦ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٩٥ .

(٤) سورة : النساء . آية : ١٠٤ .

(٥) سورة : الأنفال . آية : ٦٠ .

دين»^(١) ، كيف ظهر إمكان نقل الحكم من شبه إلى شبه .

ومنه : أن يذكر الترغيب مع التهيب ويُشفع البشارة بالإندار .

قال الزمخشري : وسرُّه إرادة التسليط لاكتساب ما يزلف ، والتشيط عن اقتراف ما يتلف ؛ فلما ذكر الكفارَ وأعمالهم وأوعدهم بالعذاب ، ثنَّاه ببشارة عباده المؤمنين .

تنبيه :

ليكن محطَّ نظر المفسِّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له ، وإن خالف أصل الوضع اللغويِّ لثبوت التجوِّز ؛ ولهذا ترى صاحب «الكشاف» يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً ، حتى كأنه غيره مطروح .

* * *

(١) أنظر : (سنن النسائي ١١٨/٥ . ومسند أحمد بن حنبل ٢٤٥/١ ، ٥/٤ . والتمهيد ،

لابن عبد البر ٣٩٠/١ ، ١٣٢/٩ . والمعجم الكبير ، للطبراني ١٤٩/١١) .

٢٢ - النوع الثاني والعشرون معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

وذلك متواتر وآحاد ، ويوجد هذا الوجه من علم القراءة . وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب « التيسير » لأبي عمرو الداني ، وقد نظمه أبو محمد القاسم الشاطبي^(١) في لاميته التي عمّ النفع بها ، وكتاب « الإقناع » لأبي جعفر بن الباذش^(٢) ، وفي القراءات العشر كتاب المصباح لأبي الكرم الشهرزوري^(٣) .

واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور

(١) هو : القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيبي ، أبو محمد الشاطبي : إمام القراءة . ولد سنة ٥٣٨ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٠ هـ . كان عالماً بالتفسير ، له « حرز الأمانى » .
أنظر : (نكت الهميان ٢٢٨ . والوفيات ٤٢٢/١ . ونفح الطيب ٣٣٩/١ . وشذرات الذهب ٣٠١/٤ . والأعلام ١٨٠/٥) .

(٢) أبو جعفر بن الباذش ، هو : أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي ، أبو جعفر ، المعروف بابن الباذش : عالم بالقراءات ، أديب له كتاب « الإقناع » في القراءات . توفي سنة ٥٤٠ هـ .

أنظر : (بغية الوعاة ١٤٧ . وغاية النهاية ٨٣/١ . والأعلام ١٧٣/١) .

(٣) الشهرزوري ، هو : مبارك بن الحسن بن أحمد الشهرزوري ، أبو الكرم : عالم بالقراءات مجود لها . صنف كتاب « المصباح الزاهر في القراءات العشر » . توفي ببغداد سنة ٥٥٠ هـ .

أنظر : (غاية النهاية ٣٨/٢ . وإرشاد الأريب ٢٢٧/٦) .

في كتبة الحروف أو كيفيتها ؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما ، ثم ها هنا أمور :

أحدها : أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل بل مشهورة ، ولا عبرة بإنكار المبرّد قراءة حمزة : ﴿ وَالْأَرْحَامِ ﴾ (١) و ﴿ مُصْرَحِي ﴾ (٢) ، ولا بإنكار مغاربة النحاة كابن عصفور (٣) قراءة ابن عامر ﴿ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ (٤) ، والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر ؛ فَإِنَّ إِسْنَادَ الْأُئِمَّةِ السَّبْعَةِ بِهَذِهِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ ، وَهِيَ نَقْلُ الْوَاحِدِ عَنِ الْوَاحِدِ لَمْ تَكْمَلْ شُرُوطُ التَّوَاتُرِ فِي اسْتِوَاءِ الطَّرْفَيْنِ وَالْوِاسِطَةِ ، وَهَذَا شَيْءٌ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِهِمْ ، وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي كِتَابِهِ « الْمُرْشِدُ الْوَجِيزُ » إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

الثاني : استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب (٥) قولنا : إن القراءات السبع متواترة ما ليس من قبيل الأداء ، ومثله بالمد والإمالة وتخفيف الهمزة ؛ يعني فإنها ليست متواترة .

(١) سورة : النساء . آية : ١ .

(٢) سورة : إبراهيم . آية : ٢٢ .

(٣) ابن عصفور ، هو : علي بن مؤمن بن محمد ، الحضرمي الإشبيلي ، أبو الحسن المعروف بابن عصفور : حامل لواء العربية بالأندلس في عصره ، ولد سنة ٥٩٧ هـ ، وتوفي سنة ٩٦٩ هـ . من كتبه : « المقرب » و « الممتع » و « المفتاح » و « المقنع » وغير ذلك .

أنظر : (فوات الوفيات ٩٣/٢ . وشذرات الذهب ٣٣٠/٥ . والأعلام ٢٧/٥) .

(٤) سورة : الأنعام . آية : ١٣٧ .

(٥) أبو عمرو بن الحاجب ، هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، جمال الدين ، ابن الحاجب : فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية . ولد سنة ٥٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٦ هـ .

من كتبه : « الكافية » و « الشافية » و « الإيضاح » و « مختصر منتهى السؤل » و « جامع الأمهات » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ٣١٤/١ . والظالع السعيد ١٨٨ . وخطط مبارك ٦٢/٨ . وغاية النهاية ٥٠٨/١ . وآداب اللغة ٥٣/٣ . ومفتاح السعادة ١١٧/١ . والأعلام ٢١١/٤) .

وهذا ضعيف ؛ والحقُّ أن المدَّ والإمالة لا شك في تواتر المشترك بينهما ، وهو المدُّ من حيث هو مدُّ ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء في تقدير المدِّ ؛ فمنهم مَنْ رآه طويلاً ، ومنهم من رآه قصيراً ؛ ومنهم من بالغ في القصر ، ومنهم من تزايد ، فحمزة وورش بمقدار ستِّ لغات ، وقيل : خمس ، وقيل : أربع ، وعن عاصم : ثلاث ، وعن الكسائي : ألفان ونصف ، وقالون : ألفان ، والسُّوسِي ألف ، ونصف .

قال الداني في التيسير : أطولهم مدًّا في الضربين جميعاً - يعني المتصل والمنفصل - وورش وحمزة ، ودونهما عاصم ، ودونه ابن عامر والكسائي ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق ، وقالون من طريق أبي نَشِيْطٍ بخلافٍ عنه .

وهذا كلُّه على التقريب من غير إفراط ، وإنما هو على مقدارِ مذاهبهم من التحقيق والحذف . انتهى كلامه .

فُعَلِمَ بهذا أن أصلَ المدِّ متواتر والاختلاف والطرق إنما هو في كيفية التلفُّظ به .

وكان الإمام أبو القاسم الشاطبي يقرأ بمدتين : طُولِي لورش وحمزة ، ووسطى لمن بقي .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حمزة لما فيها من طول المدِّ وغيره ، فقال : لا تعجبني ، ولو كانت متواترة لما كرهها .

وكذلك ذكر القراء أن الإمالة قسمان : إمالة محضة ، وهي أن يُنحَى بالألف إلى الياء وتكون الياء أقرب ، وبالفتحة إلى الكسرة وتكون الكسرة أقرب . وإمالة تسمى بينَ يَينَ ؛ وهي كذلك ؛ إلا أن الألفَ والفتحة أقرب ، وهذه أصعب الإمالتين وهي المختارة عند الأئمة . ولا شك في تواتر الإمالة أيضاً ، وإنما اختلافهم في كيفيةها مبالغةً وحضوراً .

أما تخفيفُ الهمزة - وهو الذي يطلق عليه تخفيف ، وتلين ، وتسهيل ،

أسماء مترادفة - فإنه يشمل أربعة أنواع من التخفيف ، وكلٌ منها متواتر بلا شك :
 أحدها : النقل ، وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، نحو ﴿ قَدْ
 أَفْلَحَ ﴾^(١) ، بنقل حركة الهمزة ، وهي الفتحة إلى دال « قد » ، وتسقط الهمزة
 فيبقى اللفظ بدالٍ مفتوحة بعدها فاء ، وهذا النقل قراءة نافع من طريق ورش في
 حال الوصل والوقف ، وقراءة حمزة في حال الوقف .

الثاني : أن تبدل الهمزة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها إن كان قبلها
 فتحة أبدلت ألفها ، نحو « باس » ، وهذا البدل قراءة أبي عمرو بن العلاء ،
 ونافع من طريق ورش في فاء الفعل ، وحمزة إذا وقف على ذلك .

الثالث : تخفيف الهمز ، بين بيّن ، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين
 الحرف الذي منه حركتها ، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو ، أو
 مفتوحة فبيّن الهمزة والألف ، أو مكسورة فبين الهمزة والياء ، وهذا يسمى
 إشماماً ، وقرأ به كثيرٌ من القراء وأجمعوا عليه في قوله تعالى : ﴿ قُلْ
 الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٢) ونحوه ، وذكره النحاة عن لغات العرب .

قال ابن الحاجب في تصريفه : واغتفر التقاء الساكنين في نحو : الْحَسَنُ
 عندك ؟ وأيْمُنُ الله يمينك ؟ وهو في كل كلمة أولها همزة وصلٍ مفتوحة ودخلت
 همزة الاستفهام عليها ؛ وذلك ما فيه لام التعريف مطلقاً ، وفي أيْمُنُ الله وأيْمُ
 الله خاصة ، إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها ؛ وإنما فعلوا ذلك خوف لبس الخبر
 بالاستخبار ، ألا ترى أنهم لو قالوا : أَلْحَسَنُ عندك ؟ وحذفوا همزة الوصل على
 القياس في مثلها لم يعلم استخبار هو أم خبر ؟ فأتوا بهذه عوضاً عن همزة
 الوصل قبل الساكن ، فصار قبل الساكن مدة فقالوا : أَلْحَسَنُ عندك ؟ وكذلك
 أيْمُنُ الله يمينك ؟ فيما ذكره^(٣) .

وبعض العرب يجعل همزة الوصل فيما ذكرنا بيّن بيّن ، ويقول الحسن

(٣) في ب : « فيما ذكرناه » .

(١) سورة : المؤمنون . آية : ١ .

(٢) سورة : الأنعام . آية : ١٤٣ .

عندك وآيمن الله يمينك ؟ فيما ذكرنا ، وقد جاء عن القراء بالوجهين في مثل ذلك ، والمشهور الأول .

وقد أشار الصحابة رضي الله عنهم إلى التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في رسم المصاحف العثمانية ، فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ أُوْبِتُّكُمْ ﴾ (١) وأوأ على إرادة التسهيل بَيْنَ بَيْنَ . قاله الداني وغيره .

الرابع : تخفيفُ الإسقاط ، وهو أن تُسقط الهمزة رأساً . وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منهما على رأي الشاطبي ، وقيل : الثانية في نحو : ﴿ جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ (٢) ، ووافقه على ذلك في المفتوحتين نافع من طريق قالون ، وابن كثير من طريق البزِّي (٣) ، وجاء هذا الإسقاط في كلمة واحدة في قراءة قُنبِل (٤) عن ابن كثير في : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ ﴾ (٥) بإسقاط همزة ﴿ شركائي ﴾ .

الثالث : أن القراءاتِ توقيفية وليست اختيارية ، خلافاً لجماعة منهم الزمخشري ، حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء . وردَّ على حمزة قراءة ﴿ والأَرْحَامِ ﴾ (٦) بالخفض ؛ ومثل ما حكى عن أبي زيد ، والأصمعي ، ويعقوب الحضرمي أن خَطَّثُوا حمزة في قراءته : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ﴾ (٧) بكسر الياء المشددة ، وكذا أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء عند اللام في : ﴿ يَغْفِلُكُمْ ﴾ (٨) .

وقال الزجاج : إنه خطأ فاحش ؛ ولا تدغم الراء في اللام إذا قلت : « مُرْ لي » بكذا ، لأن الراء حرف مكرر ، ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به ؛

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٥ . (٥) سورة : النحل . آية : ٢٧ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٦١ . (٦) سورة : النساء . آية : ١ .

(٣) في أ ، ب : « من طريق البري » . (٧) سورة : إبراهيم . آية : ٢٢ .

(٤) في ب : « كلمة في قراءة قنبِل » . (٨) سورة : نوح . آية : ٤ .

فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء ، ولو أدغمت اللام في الراء^(١) لزم التكرير من الراء . وهذا إجماع النحويين . انتهى .

وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة وأنها سنة متبعة ؛ ولا مجال للاجتهاد فيها .

ولهذا قال سيوييه في كتابه في قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾^(٢) « وبنو تميم يرفعونه إلا من درى كيف هي في المصحف »^(٣) .

وإنما كان كذلك ، لأن القراءة سنة مروية عن النبي ﷺ ، ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه . انتهى .

الرابع : ما تضمنه « التيسير » ، و« الشاطبية » ، قال الشيخ أثير الدين أبو حيان :

لم يحويها جميع القراءات السبع ، وإنما هي نزر يسير منها ، ومن عني بفن القراءات ، وطالع ما صنّفه علماء الإسلام في ذلك ، علم ذلك العلم اليقين ، وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقراء السبع ، لبعدها عن بلاد الإسلام ، واجتازوا عند الحج بديار مصر ، وتحفظوا ممن كان بها من المصريين شيئاً يسيراً من حروف السبع - وكان المصريون بمصر إذ ذاك لم تكن لهم روايات متسعة ، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التي اتسعت فيها الروايات - كأبي الطيب بن غلبون^(٤) وابنه أبي الحسن طاهر^(٥) ، وأبي الفتح

(١) في ج « ولو أدغمت المراء في اللام » .

(٢) سورة : يوسف . آية : ٣١ .

(٣) أنظر : (الكتاب ، لسيوييه ٢٨/١) .

(٤) هو : عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك ، أبو الطيب : أديب ، عالم بالقرآن ومعانيه . له « الإرشاد » . و« الاستكمال » . توفي سنة ٣٨٩ هـ .

(٥) أنظر : النشر ٧٨/١ . وطبقات ٤٧٠/١ . والأعلام ١٦٧/٤) .

(٥) هو : أبو الحسن طاهر ، أحد المحققين . مات بمصر سنة ٣٩٩ هـ . له « التذكرة » في القراءات (أنظر : حسن المحاضرة للسيوطي ٢٠٩ ، ٢١٠) .

فارس بن أحمد^(١) ، وابنه عبد الباقي ، وأبي العباس بن نفيس^(٢) ، وكان بها أبو أحمد السامري ، وهو أعلاهم إسناداً .

وسبب قلّة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلب الإسماعيلية عليها ، وقتل ملوكهم العلماء .

فكان من قدماء علمائنا ممن حجّ يأخذ بمصر شيئاً يسيراً ، كأبي عمر الطلمنكي^(٣) صاحب « الروضة » ، وأبي محمد مكّي بن أبي طالب .

ثم رحل أبو عمرو الدانيّ لطول إقامته بدانية فأخذ عن أبي خاقان ، وفارس ، وابن غلبون ؛ وصنف كتاب « التيسير » . وقرأ على هؤلاء . ورحل أيضاً أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي^(٤) ، فأبعد في الشقة ، وجمّع بين طريق المشرق والمغرب ، وصنف كتاب الكامل ، يحتوي على القراءات السبع وغيرها ، ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ، ولا أكثر شيوخاً .

(١) هو : فارس بن أحمد بن موسى ، الحمصي ، المقرئ ، توفي سنة ٤٠١ هـ . له « المثنان في القراءات الثمان » (أنظر : حسن المحاضرة ٢١٠/١) .

(٢) هو : أحمد بن سعد بن أحمد بن نفيس ، أبو العباس المصري ، توفي سنة ٤٥٣ هـ ، أنظر : (حسن المحاضرة ٢١١/١) .

(٣) الطلمنكي ، هو : أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري ، الأندلسي الطلمنكي ، أبو عمر : أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس . كان عالماً بالتفسير والحديث . من كتبه : « الدليل إلى معرفة الجليل » و « البيان في إعراب القرآن » وغير ذلك . توفي سنة ٤٢٩ هـ .

أنظر : (الديباج : ٣٩ . وغاية النهاية ١٢٠/١ . والاعلام ٢١٢/١) .

(٤) هو : يوسف بن علي بن جبارة ، أبو القاسم الهذلي البسكري : متكلم ، علم بالقراءات المشهورة والشاذة . ولد سنة ٤٠٣ هـ ، وتوفي سنة ٤٦٥ هـ . له « الكامل » في القراءات .

أنظر : (إرشاد الأريب ٧/٣٠٨ . والصلة ٦١٩ . ومرآة الجنان ٩٣/٣ . وغاية النهاية ٢/٣٩٧ . والاعلام ٨/٢٤٢) .

وقد أقرأ القرآن بمكة أبو معشر الطبري^(١) ، وأبو عبد الله الكارزيني^(٢) وكانا متسعي الرواية .

وكان بمصر أبو علي المالكي^(٣) مؤلف «الروضة» ، وكان قد قرأ بالعراق ، وأقرأ بمصر .

وبعدهم التاج الكندي فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا .

وكان أيضاً ابن مامويه^(٤) بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر .

وبمصر النظام الكوفي يقرئ بالعشر وبغيرها ، كقراءة ابن محيص ، والحسن .

وكان بمكة أيضاً زاهر بن رستم ، وأبو بكر الزنجاني ، وكانا قد أخذوا عن أبي الكرم الشهرزوري كتاب «المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر» ؛ وأقرأه الزنجاني لبعض شيوخنا .

وكان عز الدين الفاورشي بدمشق ، يقرئ القرآن بروايات كثيرة ، حتى قيل إنه أقرأ بقراءة أبي حنيفة .

(١) أبو معشر الطبري ، هو : عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد ، القطان الطبري الشافعي : عالم بالقراءات ، مؤرخ لرجالها . توفي سنة ٤٧٨ هـ .
من كتبه : «التلخيص» و«سوق العروس» و«الدرر» و«طبقات القراء» و«عيون المسائل» .

أنظر : (طبقات الشافعية ٢٤٣/٣ . وغاية النهاية ٤٠١/١ . والأعلام ٥٢/٤) .

(٢) الكارزيني ، هو : محمد بن الحسين الكارزيني الفارسي ، عاش بمكة ، وتوفي بعد سنة ٤٤١ هـ (أنظر : طبقات القراء ١٣٢/٢) .

(٣) هو : الحسن بن محمد بن إبراهيم ، أبو علي المالكي : عالم بالقراءات . من أهل بغداد . توفي سنة ٤٣٨ هـ . ومن كتبه : «الروضة» وغير ذلك .

أنظر : (غاية النهاية ٢٣٠/١ . والأعلام ٢١٣/٢ وطبقات القراء ٢٣٠/١) .

(٤) ابن مامويه ، هو : أحمد بن محمد بن مامويه ، أبو الحسن الدمشقي ، أنظر ترجمته في : طبقات القراء ١٢٨/١ .

والحاصل اتساع روايات غير بلادنا ، وأن الذي تضمنه « التيسير » ،
والتبصرة » ، « والكافي » وغيرها من تأليفهم ؛ إنما هو قُلُّ من كُثْر ، ونَزْر من
بحر .

وبيانه أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية : ورش ، وقالون ، وقد
رَوَى الناس عن نافع غيرهما ؛ منهم إسماعيل بن أبي جعفر المدني ،
وأبو خلف ، وابن حبان ، والأصمعي ، والسبتي وغيرهم ، ومن هؤلاء مَنْ هو
أعلم وأوثق من ورش وقالون ، وكذا العمل في كل راوٍ وقارىء .

الخامس : أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ؛ ولهذا بنى
الفقهاء نقضَ وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾
و ﴿ لَأَمَسْتُمْ ﴾ (١) .

وكذلك جوازُ وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم
في ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ (٢) .

وكذلك [آية] السجدة (٣) في سورة النمل مبنية على القراءتين .

قال الفراء : من خَفَّف ﴿ أَلَا ﴾ كان الأمر بالسجود ، ومن شَدَّد لم يكن
فيها (٤) أمرٌ به . وقد نوزع في ذلك .

إذا علمت ذلك فاختلفوا في الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى قال بهما جميعاً .

والثاني : أن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن يُقرأ بقراءتين .

وهذا الخلاف غريب رأيتُه في كتاب « البستان » لأبي الليث

(١) سورة : النساء . آية : ٤٣ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٢٢ .

(٣) سورة : النمل . آية : ٢٥ .

(٤) أنظر : (إتحاف فضلاء البشر ٣٣٦) .

السَّمْرَقَنْدِيَّ (١). ثم اختاروا في المسألة توسطاً ، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً وتصير القراءات بمنزلة آيتين ، مثل قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ﴾ (٢) .

وإن كان تفسيرهما واحداً : كالبيوت ، والبيوت ، والمحصنات ، والمحصنات ، بالنصب والجر ، فإنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ، على ما تعود لسانهم (٣) .

فإن قيل : إذا صحَّ أنه قال بأحدهما فبأي القراءتين قال ؟ قيل : بلغة قريش . انتهى .

السادس : أن القراءات لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن الأربعمائة ، جمعها أبو بكر بن مجاهد (٤) ؛ ولم يكن متسع الرواية والرحلة كغيره .

والمراد بالقراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة :

أحدهم : عبد الله بن كثير المكي القرشي مولاهم ؛ أبو سعيد ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو بكر ، وقيل : أبو الصلت ، ويقال له : الداري (٥) : وهو من التابعين ، سمع عبد الله بن الزبير وغيره . توفي بمكة سنة عشرين ومائة ، وقيل اثنتين وعشرين .

(١) السمرقندي ، هو : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، أبو الليث ، الملقب بإمام الهدى : علامة ، من أئمة الحنفية ، توفي سنة ٣٧٣ هـ . له : « بستان العارفين » و « خزنة الفقه » و « عيون المسائل » و « أصول الدين » و « عمدة العقائد » و « تنبيه الغافلين » و « مختلف الرواية » و « النوازل » . وغير ذلك الكثير .
أنظر : (الفوائد البهية ٢٢٠ . والجواهر المضية ١٩٦/٢ . ومفتاح الكنوز ١٣٠ ، ١٤٠ ، ٤٤٥ . والأعلام ٢٧/٨) .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٢٢ .

(٣) أنظر : (إتحاف فضلاء البشر ١٨٨ ، ٢٥٣) .

(٤) هو : أحمد بن موسى بن العباس التميمي ، أبو بكر بن مجاهد . كبير العلماء بالقراءات ،

له « القراءات الكبير » أنظر (الأعلام ٢٦١/١) .

(٥) في الأصول : الدارني .

الثاني : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ؛ مولى جَعُونَةَ بن شعوب^(١) اللّيثي ، وهو مدنيّ ؛ أصله من أصبهان ، كنيته أبو رُوَيْم ؛ وقيل : أبو الحسن ، وقيل : أبو عبد الرحمن وقيل : أبو عبد الله . توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة .

الثالث : عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبيّ الدمشقيّ ، قاضي دمشق ، وهو من كبار التابعين ، ولد في أول سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة ، وقيل : ولد سنة ثمان من الهجرة ، ومات وهو ابن مائة وعشر سنين . وفي كنيته سبعة أقوال : أصحابها : أبو عمرو . وقيل : أبو محمد ، وأبو عبد الله ، وأبو موسى ، وأبو نعيم ، وأبو عثمان ، وأبو مغيث .

الرابع : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصري . قيل : اسمه زَبَّان ، وقيل : يحيى ، وقيل : عثمان ، وقيل : محبوب ، وقيل : اسمه كنيته . توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقرأ على ابن كثير وغيره .

الخامس : عاصم بن أبي النّجود (بفتح النون) أبو بكر الأسديّ الكوفي ، توفّي بالكوفة سنة سبع ، وقيل ثمان وعشرين ومائة . قال سفيان وأحمد بن حنبل وغيرهما : بهدلة هو أبو النّجود . وقال عمرو بن علي : بهدلة أمه . قال أبو بكر بن داود : هذا خطأ . وقال عبد الله بن أحمد : قال أبي : أنا أختار قراءة عاصم .

السادس : حمزة بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الزيات التيميّ ، مولاهم ، الكوفي أبو عمار . توفي بحلوان سنة ثمان ، وقيل ست وخمسين ومائة .

السابع : الكسائيّ عليّ بن حمزة الأسديّ . توفي سنة تسع وثمانين ومائة ؛ كان قرأ على حمزة . قال مكّي : وإنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون ؛

(١) في النسخة ج : « جعونة بن شعيب » تصحيف .

وإنما كان السابغ يعقوب الحضرمي ، فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في السابغ يعقوب .

هؤلاء السبعة من العرب ، إلا ابن عامر ، وأبو عمرو .

قال مكّي : وإنما كانوا سبعة لوجهين :

أحدُهُما : أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف .

الثاني : أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك . إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يُحصى .

وقد ألف ابن جبير المقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتاباً في القراءات وسماه « كتاب الخمسة » ، ذكر فيه خمسة من القراء لا غير . وألف غيره كتاباً وسماه « الثمانية » ، وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي . انتهى .

قلت : ومنهم من زاد ثلاثة وسماه كتاب العشرة .

قال مكّي : والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم : أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف ، ووجهها إلى الأمصار ، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيري العدد ، فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف ، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة في النقل ، وحسن الدين ، وكمال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصر على عدالته ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصّر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة ، وعاصم من أهل الكوفة وسواها ، والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ؛ كلهم ممن اشتهرت إمامتهم ، وطال عمرهم في الإقراء ، وارتحل الناس إليهم من البلدان .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة ،
وتابعه الناس . وألحق المحققون ، منهم : البغوي في تفسيره بهؤلاء السبعة
[قراءة] ثلاثة ، وهم يعقوب الحضرمي^(١) ، وخلف ، وأبو جعفر بن قعقاع^(٢)
المدني شيخ نافع ؛ لأنها لا تخالف رسم السبع .

وقال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتاب « الكافي »
له : فإن قال قائل : فلم أدخلتم قراءة أبي حفص المدني ، ويعقوب الحضرمي
في جملتهم ، وهم خارجون عن السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا : إنما اتبعنا
قراءتهما كما اتبعنا السبعة ؛ لأننا وجدنا قراءتهما على الشرط الذي وجدناه في
قراءة غيرهما ممن بعدهما في العلم والثقة بهما ، واتصال إسنادهما ، وانتفاء الطعن
عن روايتهما .

ثم إن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ؛ وإنما السنة أن
تؤخذ القراءة إذا اتصلت روايتها نقلاً ، وقراءة ، ولفظاً ولم يوجد طعن على أحدٍ
من روايتها ؛ ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك نقدم أبا جعفر ،
ويعقوب على غيرهما .

ولا يتوهم أن قوله ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » انصرافه إلى
قراءة سبعة من القراء يولدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة ؛ لأنه يؤدي
إلى أن يكون الخبر متعرياً عن فائدة إلى أن يحدثوا ؛ ويؤدي إلى أنه لا يجوز

(١) يعقوب الحضرمي ، هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري ، أبو محمد : أحد
القراء العشرة . ولد سنة ١١٧ هـ ، وتوفي ٢٠٥ هـ . من كتبه : « وجوه القراءات »
و « وقف التمام » وغير ذلك .

أنظر : (إرشاد الأريب ٣٢٠/٧ . وطبقات النحويين ٥١ . وغاية النهاية ٣٨٦/٢ .
والنجوم الزاهرة ١٧٩/٢ . والأعلام ١٩٥/٨) .

(٢) أبو جعفر بن القعقاع ، هو : يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء ، المدني ، أبو جعفر :
أحد القراء العشرة ، من التابعين . كان إمام أهل المدينة . توفي سنة ١٣٢ هـ .
أنظر : (وفيات الأعيان ٢٧٨/٢ . وغاية النهاية ٣٨٢/٢ . وتاريخ الإسلام ١٨٨/٥) .

لأحد من الصحابة أن يقرأوا إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه . قال :

وإنما ذكرناه لأن قوماً من العامة يتعلّقون به .

وقال الشيخ موفق الدين الكواشي : كلُّ ما صح سندهُ واستقام مع جهة العربية ، ووافق لفظه خطُّ المصحف الإمام فهو من السَّبْع المنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين . فعلى هذا الأصل يبني من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ؛ ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة ؛ ولا يقرأ بشيء من الشواذ ؛ وإنما يُذكر ما يذكر من الشواذ ؛ ليكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً .

وقال مكّي : وقد اختار الناس بعد ذلك ، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية ، وموافقته للمصحف ، واجتماع العامة عليه . والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ؛ فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار .

وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرّمين ، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم ؛ فقراءة هذين الإمامين أوّلَى القراءات ، وأصحّها سنداً وأفصحها في العربية ، ويتلوها في الفصاحة خاصّة قراءة أبي عمرو ، والكسائي .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : كلُّ قراءة ساعدها خطُّ المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئتها على الفصيح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة ؛ فإن اختلف أحدُ هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة ؛ أشار إلى ذلك جماعة من الأئمة المتقدمين ، ونصَّ عليه الشيخ أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنّفه في معاني القراءات السبع ، وأمر بالحقاقه بكتاب « الكشف » ، وذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه جمال القراء .

قال أبو شامة رحمه الله : وقد ورد إلى دمشق استفتاءً من بلاد العجم عن

القراءة الشاذة : هل تجوز القراءة بها ؟

وعن قراءة القارئ عشرًا ، كلّ آية بقراءة قارئ ، فأجاب عن ذلك

جماعةً من مشايخ عصرنا ؛ منهم شيخا الشافعية والمالكية حينئذٍ ، وكلاهما أبو عمر ، وعثمان - يعني ابن الصلاح ، وابن الحاجب .

قال شيخ الشافعية : يشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآنًا ، واستفاض نقله بذلك ، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع ؛ لأنَّ المعبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهّد في الأصول ؛ فما لم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فممنوع من القراءة به منع تحريم ، لا منع كراهة ؛ في الصلاة وخارج الصلاة ، وممنوع منه ممن عرف المصادر والمعاني ومن لم يعرف ذلك ، وواجب على مَنْ قَدَرَ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك ، وإنما نقلها من نقلها من العلماء لفوائد منها ما يتعلق بعلم العربية لا القراءة بها ؛ هذا طريق من استقام سبيله .

ثم قال : والقراءة الشاذة ما نقل قرآنًا من غير تواتر واستفاضة متلقة بالقبول من الأئمة ، كما يشتمل عليه « المحتسب » لابن جني وغيره .

وأما القراءة بالمعنى على تجويزه من غير أن ينقل قرآنًا فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلاً ؛ والمتجرىء على ذلك متجرىء على عظيم ، وضالٌّ ضلالاً بعيداً ، فيعزّز ويمنع بالحبس ونحوه : ويجب منع القارئ بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يمتنع فعلية التعزير بشرطه . وأما إذا شرع القارئ في قراءة فينبغي ألا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام متعلق بما ابتدأ به ، وما خالف هذا فمناهج جائزة وممتنع وعذره مانع من قيامه بحقه ، والعلم عند الله تعالى .

وقال شيخ المالكية رحمه الله : لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها ، عالماً بالعربية كان أو جاهلاً ؛ وإذا قرأها قارئ ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عُرِفَ به وأمر بتركها ، وإن كان عالماً أدب بشرطه ، وإن أصرَّ على ذلك أدب على إصراره ، وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك . وأما تبديل « آتينا » « بأعطينا » و « سولت » « بزيت » ونحوه ؛ فليس هذا من الشواذ ، وهو أشدَّ تحريمًا ، والتأديب عليه أبلغ ، والمنع منه أوجب ، وأما القراءة بالقراءات المختلفة في آي العشر الواحد ، فالأولى ألا يفعل .

نعم إن قرأ بقراءتين في موضع إحداهما مبنية على الأخرى مثل أن يقرأ

« نغفر لكم » بالنون و« خطيئاتكم » بالجمع ومثل : ﴿ إِنَّ تَضِلُّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ ﴾^(١) بالنصب ، فهذا أيضاً ممتنع وحكم المنع كما تقدم .

قال الشيخ شهاب الدين : والمنع من هذا ظاهر ، وأما ما ليس كذلك فلا يمنع منه ؛ فإن الجمع جائز ، والتخيير فيه بأكثر من ذلك كان حاصلًا بما ثبت من إنزال القرآن على سبعة حروف ، توسعة على القراء ؛ فلا ينبغي أن يضيق بالمنع من هذا ولا ضرر فيه ، نعم أكره ترداد الآية بقراءات مختلفة كما يفعله أهل زماننا في جمع القرآن لما فيه من الابتداء ، ولم يرد فيه شيء من المتقدمين ، وقد بلغني كراهته عن بعض متصديري المغاربة المتأخرين .

قلت : وما أفتى به الشيخان نقله النووي في « شرح المذهب » عن أصحاب الشافعي فقال : قال أصحابنا وغيرهم : لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة ؛ لأنها ليست قرآناً ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ؛ ومن قال غيره فغالط أو جاهل ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها ، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة مَنْ قرأ بالشواذ .

ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يُصَلَّى خَلْفَ مَنْ يَقْرَأُ بِهَا .

الأمر السابع : أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه :

الأول : الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو في حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ؛ نحو :

﴿ البُخْلُ ﴾ ، و﴿ البَخْلُ ﴾^(٢) . و﴿ ميسرة ﴾ و﴿ ميسرة ﴾^(٣) .
﴿ وَمَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾^(٤) . ﴿ وَهُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^(٥) ، و﴿ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ . ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴾ ، ﴿ وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴾^(٦) .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٣٧ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٨ .

(٤) سورة : المجادلة . آية : ٢ .

(٥) سورة : هود . آية : ٧٨ .

(٦) سورة : سبأ . آية : ١٧ .

الثاني : الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ،

ولا يزيلها عن صورتها في الخط ؛ نحو :

﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(١) ، و ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٢) . و ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾^(٣) ، و ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ . و ﴿ وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾^(٤) ، و ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ؛ وهو كثير يقرأ به ، لما صحت روايته ووافق العربية .

الثالث : الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير

معناها ، ولا يغير صورة الخط بها في رأي العين ؛ نحو :

﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾^(٥) ، و ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ ، و ﴿ فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾^(٦) ، و ﴿ فَزَعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ ، و ﴿ يَقْضُ الْحَقَّ ﴾ ، و ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾^(٧) ، وهو كثير يقرأ به إذا صحَّ سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأي العين .

الرابع : الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو :

﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً ﴾^(٨) ، و ﴿ إِلَّا زَقِيَةً وَاحِدَةً ﴾ ، و ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾^(٩) ، و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ؛ فهذا يقبل إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف ، ولأنه إنما ثبت عن آحاد .

الخامس : الاختلاف في الكلمة بما يُزيل صورتها في الخط ، ويُزيل

معناها ، نحو :

﴿ آلمَ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾^(١٠) في موضع ﴿ آلمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . و ﴿ طَلْحَ مَنْضُودٍ ﴾^(١١) و ﴿ طَلَعَ مَنْضُودٍ ﴾ فهذا لا يُقرأ به أيضاً ؛ لمخالفته الخط ، ويُقبل منه ما لم يكن فيه تضادٌ لما عليه المصحف .

السادس : الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو : ماروي عن أبي بكر

الصدِّيق رضي الله عنه أنه قرأ عند الموت : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ

(١) سورة : سبأ . آية : ١٩ .

(٢) سورة : سبأ . آية : ١٩ .

(٣) سورة : النور . آية : ١٥ .

(٤) سورة : يوسف . آية : ٤٥ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ .

(٦) سورة : سبأ . آية : ٢٣ .

(٧) سورة : الأنعام . آية : ٥٧ .

(٨) سورة : يس . آية : ٢٩ .

(٩) سورة : القارعة . آية : ٥ .

(١٠) سورة : السجدة . آية : ١ - ٢ .

(١١) سورة : الواقعة . آية : ٢٩ .

بِالْمَوْتِ ﴿١﴾ ، وبهذا قرأ ابن مسعود ؛ فهذا يقبل لصحة معناه إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به لمخالفته المصحف ، ولأنه غير واحد .

السابع : الاختلاف بالزيادة والنقص في الحروف والكلم نحو : ﴿ مَا عَلَّمْتَهُمُ أَيُّدِيهِمْ ﴾ ﴿٢﴾ و ﴿ مَا عَمِلْتَ ﴾ ، و ﴿ نَعِجَةُ أُنثَى ﴾ ﴿٣﴾ ونظائره ، فهذا يقبل منه ما لم يُحَدِّثْ حِكْمًا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ ، ويُقرأ منه ما اتفقت عليه المصاحف في إثباته وحذفه ، نحو : ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ﴾ ﴿٤﴾ في براءة عند رأس المائة ، و ﴿ مِنْ تَحْتَهَا ﴾ ، و ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿٥﴾ ، في الحديد ، و ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ ﴾ ؛ ونحو ذلك مما اختلف فيه المصاحف التي وجَّه بها عثمان إلى الأمصار فيقرأ به إذ لم يُخرجه عن خَطِّ المصحف ، ولا يقرأ منه ما لم تختلف فيه المصاحف ، لا يُزال شيء لم يُزد فيها ، ولا يُنقص شيء لم ينقص منها .

الأمر الثامن : قال أبو عبيد في كتاب « فضائل القرآن » إن القصد من القراءة الشاذة تفسيرُ القراءة المشهورة وتبيين معانيها ؛ وذلك كقراءة عائشة وحفصة : « حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى صَلَاةَ الْعَصْرِ » .

وكقراءة ابن مسعود : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا » .

ومثل قراءة أبي : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا

فِيهِنَّ » .

وكقراءة سعد بن أبي وقاص : « وَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمَّ

فَلِكُلِّ ... » .

وكما قرأ ابن عباس : « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي

مَوَاسِمِ الْحَجِّ » .

قلت : وكذا قراءته : « وَآيَقَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » وقال : ذهب الظن .

(١) سورة : قى . آية : ١٩ .

(٤) سورة : التوبة . آية : ١٠٠ .

(٢) سورة : يس . آية : ٣٥ .

(٥) سورة : الحديد . آية : ٢٤ .

(٣) سورة : ص . آية : ٢٣ .

قال أبو الفتح : يريد أنه ذهبَ اللفظ الذي يصلح للشك ؛ وجاء اللفظُ الذي هو مُصرَّحٌ باليقين . انتهى .

وكقراءة جابر : « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ، ثم صارَ في نفس القراءة ! فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل ؛ على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله ؛ إنما يعرف ذلك العلماء ، ولذلك يعتبر بهما وجه القرآن ؛ كقراءة من قرأ : ﴿ يَقْضِ الْحَقُّ ﴾^(١) فلما وجدتها في قراءة عبد الله : ﴿ يَقْضِي الْحَقُّ ﴾ علمت أنها إنما هي ﴿ يَقْضِ ﴾ فقرأتها على ما في المصحف ؛ واعتبرت صحتها بتلك القراءة ، وكذلك قراءة من قرأ : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾^(٢) ، ثم لما وجدتها في قراءة أبي « تنبئهم » علمت أن وجه القراءة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ في أشباه من هذا كثيرة .

فائدة :

قيل قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان ، وقراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي إلى عثمان ، وعلي ، وابن مسعود .

فائدة :

قال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأن الأول غير لحن في بعض المواضع .

* * *

(١) سورة : الأنعام . آية : ٥٧ .

(٢) سورة : النمل . آية : ٨٢ .

٢٣ - النوع الثالث وَالْعِشْرُونَ

معرفة الوقف والابتداء

وهو فنٌ جليل ، وبه يعرف كيف أداء القرآن . وترتب على ذلك فوائد كثيرة ؛ واستنباطات غزيرة . وبه تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات .

وقد صنف فيه الزَّجَّاج قديماً كتاب «القطع والإستئناف» ، وابن الأنباري ، وابن عباد ، والدَّانِي ، والعُماني ، وغيرهم .

وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده ، كما يتعلمون القرآن .

وروي عن ابن عباس : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾^(١) قال : فانقطع الكلام .

مأخوذة إلا عن النبي ﷺ ، وقد قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، فهما قراءتان حسنتان ، لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى . انتهى .

وقال في سورة المزمل : السَّلامَة عند أهل الدِّين أنه إذا صحَّت القراءتان عن الجماعة ألا يقال : أحدهما أجود ؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ ، فيأثم من قال ذلك ؛ وكان رؤساء^(٢) الصحابة رضي الله عنهم يُنكرون مثل هذا .

(١) سورة : النساء . آية : ٨٣ .

(٢) في ب : « وكان رؤوس » .

وقال الشيخ شهاب الدين أبوشامة رحمه الله : قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة ﴿ مَلِكٌ ﴾ ، و ﴿ مَالِكٌ ﴾ (١) ، حتى إن بعضهم يُبالغ إلى حدِّ يكاد يُسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ؛ واتَّصاف الربِّ تعالى بهما ؛ ثم قال : حتى إنني أصلي بهذه في ركعة ، وبهذه في ركعة .

وقال صاحب « التحرير » (٢) وقد ذكر التوجيه في قراءة ﴿ وَعَدْنَا ﴾ (٣) ، و ﴿ واعدنا ﴾ : لا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين والقراء والنحويين ؛ وليس ذلك راجعاً إلى الطريق حتى يأتي هذا القول ؛ بل مرجعه ما يتعلق بكثرة الاستعمال في اللغة والقرآن ، أو ظهور المعنى بالنسبة إلى ذلك المقام .

وحاصله أن القارئ يختار رواية هذه القراءة على رواية غيرها ، أو نحو ذلك ؛ وقد تجرأ بعضهم على قراءة الجمهور في ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (٤) فقال : أكره التأنيث لما فيه من موافقة دعوى الجاهلية في زعمها أن الملائكة إناث ؛ وكذلك كره بعضهم قراءة من قرأ بغير تاء ؛ لأن الملائكة جمع .

وهذا كله ليس بجيد ، والقراءتان متواترتان ؛ فلا ينبغي أن ترد إحداهما البتة ؛ وفي قراءة عبد الله ﴿ فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ ﴾ ما يؤيد أن الملائكة مراد به الواحد .

(١) سورة : الفاتحة . آية : ٣ .

(٢) صاحب كتاب التحرير ، هو : محمد بن سليمان ، المعروف بابن النقيب ، وقد سبقت ترجمته قريباً .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٥١ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ٣٩ .

فصل

وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة ، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب « المحتسب » لأبي الفتح ؛ إلا أنه لم يُستوفَ ، وأوسع منه كتابُ أبي البقاء العكبري ؛ وقد يُستبشع ظاهر الشاذ ، بإدبي الرأي ، فيدفعه التأويل ، كقراءة : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾^(١) ، على بناء الفعل الأول للمفعول دون الثاني ؛ وتأويل الضمير في ﴿ وَهُوَ ﴾ راجع إلى الولي .

وكذلك قوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمَصَوِّرَ ﴾^(٢) بفتح الواو والراء ؛ على أنه إسم مفعول ؛ وتأويله أنه مفعول لإسم الفاعل ، الذي هو الباريء ، فإنه يعملُ عملَ الفعل ؛ كأنه قال : الذي برأ المصوِّر .

وكقراءة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣) ، وتأويله أن الخشية هنا بمعنى الإجلال والتعظيم ؛ لا الخوف .

وكقراءة : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٤) بضم التاء على التكلم لله

(١) سورة : الأنعام . آية : ١٤ .

(٢) سورة : الحشر . آية : ٢٤ .

(٣) سورة : فاطر . آية : ٢٨ .

(٤) سورة : آل عمران . آية : ١٥٩ .

تعالى ؛ وتأويله على معنى : فإذا أرشدتُك إليه وجعلتك تقصده . وجاء قوله : ﴿ عَلَيَّ اللَّهُ ﴾ على الإلتفات ؛ وإلّا لقال : ﴿ فتوكل عليّ ﴾ ، وقد نُسب العزم إليه في قول أم سلمة « ثم عزم الله لي » ، وذلك على سبيل المجاز . وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١) .

(١) سورة : آل عمران . آية : ١٨ .

٢٤ - النوع الرابع والعشرون

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارىء

وهو فن جليل ، وبه تُعرف جلاله المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتباً ، منها كتاب « الحجّة » لأبي عليّ الفارسيّ ، وكتاب « الكشف » لمكيّ وكتاب « الهداية » للمهدوي^(١) . وكلّ منها قد اشتمل على فوائد .

وقد صنّفوا أيضاً في توجيه القراءات الشواذ ، ومن أحسنها كتاب « المحتسب » لابن جنّي ، وكتاب أبي البقاء ، وغيرهما .

وفائدته - كما قال الكواشيّ : أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً ؛ إلاّ أنّه ينبغي التنبيه على شيء ؛ وهو أنه قد ترّجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يُسقط القراءة الأخرى ؛ وهذا غير مرضيّ ؛ لأنّ كليهما متواترة .

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب « اليواقيت » عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ؛

(١) المهدوي ، هو : أحمد بن عمار بن أبي العباس ، المهدوي التميمي ، أبو العباس : مقرأ أندلسي ، أصله من المهديّة بالقيروان . توفي نحو ٤٤٠ هـ .
من كتبه : « التفصيل الجامع لعلوم التنزيل » و « أبيات في أجناس الظاءات » وغير ذلك .

أنظر : (كشف الظنون ٤٦٢ . وهدية العارفين ٧٥/١ . والأعلام ١٨٤/١) .

فإذ خرجتُ إلى الكلام - كلام الناس - فَضَلْتُ الأَقْوَى ؛ وهو حسن .

وقال أبو جعفر النحاس - وقد حكى اختلافهم في ترجيح ﴿ فَكٌ رَقِيبَةٌ ﴾ (١) بالمصدرية والفعلية فقال : والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون .

واستأنس له ابنُ النحاس بقول النبي ﷺ للخطيب : « بش الخطيب أنت » (٢) حين قال : مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِمُهُمَا - ووقف - قال : فقد كان ينبغي أن يصلَ كَلَامُهُ فيقول : وَمَنْ يَعْصِمُهُمَا فَقَدْ عَوَى ، أو يقف على : « ورسوله فقد رَشِدَ » ؛ فإذا كان مثل هذا مكروهاً في الخُطْبِ ففي كلام الله أشدُّ .

وفيما ذكره نزاع ليس هذا موضعه ، وقد سبق حديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلُّ كافٍ شافٍ ؛ ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب » .

وهذا تعليم للتمام ؛ فإنه ينبغي أن يوقف على الآية التي فيها ذكر العذاب والنار وتُفَصَّلَ عمَّا بعدها ؛ نحو : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) ولا توصل بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٤) .

وكذا قوله : ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (٥) ولا توصل بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ (٦) وكذا : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ

(١) سورة : البلد . آية : ١٣ .

(٢) أنظر : (صحيح مسلم ، حديث ٤٨ ، الجمعة . وسنن أبي داود ، الباب ٢٣ . من

الجمعة . ومسنند أحمد بن حنبل ٢٥٦/٤ ، ٣٧٩ . والسنن الكبرى . للبيهقي ٨٦/١ ،

٢١٦/٣ . والمستدرک ٢٨٩/١ . وتفسير القرطبي ٢٣٢/٤) .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٨١ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٨٢ .

(٥) سورة : غافر . آية : ٦ .

(٦) سورة : غافر . آية : ٧ .

يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴿١﴾ ؛ ولا يجوز أن يوصل بقوله : ﴿ وَالظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وقس على هذا نظائره .

وهذا الفنُ معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة .

قال أبو بكر بن مجاهد : لا يقوم بالتمام [في الوقف] ﴿٣﴾ إلا نحويّ عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن .

وقال غيره : وكذا علم الفقه ؛ ولهذا مَنْ لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب وقف عند قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ﴿٤﴾ .

فأما احتياجه إلى معرفة النحو وتقديراته ، فلأن مَنْ قال في قوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٥﴾ : إنه منصوب بمعنى « كَمَلَّةٍ » ﴿٦﴾ أو أعمل فيها ما قبلها ، لم يقف على ما قبلها .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ﴿٧﴾ ، ثم يبتدىء ﴿ قِيمًا ﴾ ﴿٨﴾ ، لثلاث تخيل كونه صفة له ؛ إذ العِوَجُ لا يكون قِيمًا ؛ وقد حكاها ابنُ النحاس عن قتادة .

وهكذا الوقف على ما في آخره هاء ؛ فإنك في غير القرآن تثبت الهاء إذا وقفت ، وتحذفها إذا وصلت ؛ فتقول : قَهْ وَعَهْ ، وتقول : قِ زِيدًا ، وعِ كلامي ؛ فأما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ كِتَابِيَّةٌ ﴾ ﴿٩﴾ ، و ﴿ حِسَابِيَّةٌ ﴾ ﴿١٠﴾ ، و ﴿ سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ ﴿١١﴾ ، و ﴿ مَاهِيَّةٌ ﴾ ﴿١٢﴾ ، و ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ ﴿١٣﴾ ، و ﴿ اقْتَدَهْ ﴾ ﴿١٤﴾ ؛

-
- | | |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الشورى . آية : ٩ . | (٨) سورة : الكهف . آية : ٢ . |
| (٢) سورة : الشورى . آية : ٩ . | (٩) سورة : الحاقة . آية : ١٩ . |
| (٣) ما بين المعقوفتين : ساقطة من ب . | (١٠) سورة : الحاقة . آية : ٢٠ . |
| (٤) سورة : النور . آية : ٤ . | (١١) سورة : الحاقة . آية : ٢٩ . |
| (٥) سورة : الحج . آية : ٧٨ . | (١٢) سورة : القارعة . آية : ١٠ . |
| (٦) في حـ : « بمعنى : كلمة » . | (١٣) سورة : البقرة . آية : ٢٥٩ . |
| (٧) سورة : الكهف . آية : ١ . | (١٤) سورة : الأنعام . آية : ٩٠ . |

وغير ذلك ، فالواجب أن يوقف عليه بالهاء ؛ لأنه مكتوب في المصحف بالهاء ، ولا يوصل ، لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل ؛ فإن أثبتها خالف العربية ، وإن حذفها خالف مراد المصحف ، ووافق كلام العرب ، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ، وأتبع المصحف وكلام العرب^(١) .

فإن قيل : فقد جوزوا الوصل في ذلك .

قلنا : أتوا به على نية الوقف ؛ غير أنهم قصّروا زمن الفصل بين النطقين ، فظن من لا خبرة له أنهم وصلوا وصلًا محضًا ، وليس كذلك .

ومثله قراءة ابن عامر ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾^(٢) ، بإثبات الألف في حال الوصل ؛ اتبعوا في إثباتها خط المصحف ؛ لأنهم أثبتوها فيه على نية الوقف ، فلهذا أثبتوها في حال الوصل ، وهم على نية الوقف .

وأما احتياجه إلى معرفة التفسير فلأنه إذا وقف على ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾^(٣) كان المعنى محرمة عليهم هذه المدة ، وإذا وقف على ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ كان المعنى محرمة عليهم أبدًا ؛ وأن التيه أربعين ؛ فرجع في هذا إلى التفسير ، فيكون بحسب ذلك .

وكذا يستحب الوقف على قوله : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾^(٤) ، ثم يتبدى ؛ فيقول : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾^(٥) لأنه قيل : إنه من كلام الملائكة .

وأما احتياجه إلى المعنى فكقوله : ﴿ قَالَ ، اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾^(٦) فيقف على ﴿ قَالَ ﴾ وقفة لطيفة ؛ لثلاثتهم كون الاسم الكريم فاعل : ﴿ قَالَ ﴾ وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام .

(١) من : «وهكذا الوقف...» إلى «كلام العرب» ساقط من ج .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٣٧ . (٤ ، ٥) سورة : يس . آية : ٥٢ .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٢٦ . (٦) سورة : يوسف . آية : ٦٦ .

وكذا يجب الوقف على قوله : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ (١) ثم يتبدى ؛
﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ (٣) .

قال الشيخ عز الدين : الأحسن الوقف على ﴿ إِلَيْكُمَا ﴾ ؛ لأن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها ؛ لأن المراد بالآيات العَصَا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم تمنع عنهم فرعون .

وكذا يستحب الوقف على قوله : ﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ (٤) ، والابتداء بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ (٥) ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَبِينُ أَنَّهُ رَدٌّ لِقَوْلِ الْكُفَّارِ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٦) . وقال الداني : إنه وقف تام .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (٧) والابتداء بما بعده ؛ أي : لأن يرحمهم ، فإن ابن عباس قال في تفسير الآية : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (٨) يعني : اليهود والنصارى ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ (٩) ، يعني أهل الإسلام ، ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١٠) أي : لرحمته خلقهم .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ﴾ (١١) والابتداء بقوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ (١٢) فَإِنَّ بِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ؛ لأن يوسف عليه السلام أمر بالإعراض ؛ وهو الصَّفْحُ عن جهل مَنْ جهل قدره ، وأراد ضَرْهَ ، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ؛ ولذلك أمرت به ؛ ولم يَهْمَ بذلك يوسف عليه السلام ، ولذلك لم يُؤْمَر

-
- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة : يونس . آية : ٦٥ . | (٧) سورة : هود . آية : ١١٩ . |
| (٢) سورة : يونس . آية : ٦٥ . | (٨) سورة : هود . آية : ١١٩ . |
| (٣) سورة : القصص . آية : ٣٥ . | (٩) سورة : هود . آية : ١١٩ . |
| (٤) سورة : الأعراف . آية : ١٨٤ . | (١٠) سورة : هود . آية : ١١٩ . |
| (٥) سورة : الأعراف . آية : ١٨٤ . | (١١) سورة : يوسف . آية : ٢٩ . |
| (٦) سورة : الحجر . آية : ٦ . | (١٢) سورة : يوسف . آية : ٢٩ . |

بالاستغفار منه ؛ وإنما همَّ بدفعها عن نفسه لعصمته ؛ ولذلك أكد أيضاً بعض العلماء الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ (١) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٢) ، وذلك للفصل بين الخبرين .

وقد قال الداني : إنه كافٍ ، وقيل : تام ، وذكر بعضهم أنه على حذف مضاف ، أي : همَّ بدفعها ، وعلى هذا فالوقف على ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ كالوقف على قوله تعالى : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ (٣) والابتداء بقوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ كالابتداء بقوله : ﴿ وَنَقِرْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ (٤) .

ومثله الوقف مراعاة للتنزيه على قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ (٥) ، وقد ذكر صاحب « الاكتفا » أنه تام ، وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنه على التقديم والتأخير ، والمعنى : وهو الله يعلم سرِّكم وجهركم في السموات والأرض .

وكذلك حكى الزمخشري في كشافه القديم عن أبي حاتم السجستاني في قوله : ﴿ مُسْتَهْزُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٦) قال : ليس ﴿ مُسْتَهْزُونَ ﴾ بوقف صالح ، لا أحب استئناف ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ولا استئناف ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٧) حتى أصله بما قبله ، قال : وإنما لم يستحب ذلك لأنه إنما جاز إسناد الاستهزاء والمكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما ، وذلك على سبيل المزوجة ، فإذا استأنفت وقطعت الثاني من الأول أوهم أنك تُسندُه إلى الله مطلقاً والحكم في صفاته سبحانه أن تصان عن (٨) الوهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٩) .

قال صاحب الاكتفا : إنه تام على قول مَنْ زَعَمَ أن الراسخين لم يعلموا

-
- (١) سورة : يوسف . آية : ٢٤ . (٥) سورة : الأنعام . آية : ٣ .
(٢) سورة : يوسف . آية : ٢٤ . (٦) سورة : البقرة . آية : ١٤ - ١٥ .
(٣، ٤) سورة : الحج . آية : ٥ . (٧) سورة : آل عمران . آية : ٥٤ .
(٨) من : « وكذلك حكى الزمخشري » إلى أن تصان عن « . ساقط من جـ .
(٩) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

تأويله ، وهو قول الأكثرين ، ويصدقه قراءة عبد الله : « وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ » .

وكذلك الوقف على : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(١) ، والابتداء بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ وقد ذكر ابن نافع أنه تام ، في كتابه الذي تعقب فيه على صاحب الاكتفا ، واستدرك عليه فيه مواقف كثيرة ، وذلك أن الله أخبر عنهم بقولهم : ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ، ثم رد قولهم ونزه نفسه بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ، فينبغي أن يفصل بين القولين .

ومثله : الوقف على قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾^(٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾^(٣) .

قال صاحب « الكافي » : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ كافٍ ، سواء قرىء ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ على ما لم يسم فاعله ، أو ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ ، على الإخبار ؛ لأن الإملاء في كلتا القراءتين مُسْنَدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لقوله : ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٤) ، فيحسن قطعه من التسويل الذي هو مسند إلى الشيطان ، وهو كما قال ، وإنما يحسن قطعه بالوقف ليفصل بين الحرفين .

ولقد نبه بعض مَنْ وصله على حسن هذا الوقف ، فاعتذر بأن الوصل هو الأصل .

ومثله : الوقف على قوله : ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾^(٥) ، والابتداء بقوله : ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾^(٦) ، وذلك للإعلام بأن الله تعالى جعل الرهبانية في قلوبهم ، أي خلق ، كما جعل الرأفة والرحمة في قلوبهم وإن كانوا قد ابتدعوها فالله تعالى خلقها ؛ بدليل قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ

(١) سورة : البقرة . آية : ١١ . (٤) سورة : الحج . آية : ٤٤ .
(٢) سورة : محمد . آية : ٢٥ . (٥) سورة : الحديد . آية : ٢٧ .
(٣) سورة : محمد . آية : ٢٥ . (٦) سورة : الصافات . آية : ٩٦ .

وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ ؛ هذا مذهب أهل السنة ، وقد نسب أبو علي الفارسي إلى مذهب الاعتزال بقوله في « الإيضاح » حين تكلم على هذه الآية فقال : ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على ﴿ جَعَلْنَا ﴾ مع وصفها بقوله : ﴿ ابْتَدَعُوهَا ﴾ ، لأن ما يجعله الله لا يتدعونه ، فكذلك ينبغي أن يفصل بالوقف بين المذهبين .

ومثله : الوقف على قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾ (٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (٣) ، أي : مُعِينُونَ له ﷺ ؛ فتكون هذه الجملة مستأنفة .

وأما احتياجه إلى المعرفة بالقراءات فلأنه إذا قرأ : ﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (٤) بفتح الحاء ، كان هذا التمام ، وإن ضمَّ الحاء - وهي قراءة الحسن - فالوقف عند ﴿ حَجْرًا ﴾ ؛ لأنَّ العرب كان إذا نزل بالواحد منهم شدة قال : « حَجْرًا » فقليل له : « محجوراً » أي : لا تُعَاذُونَ كما كتتم تعاذون في الدنيا ؛ حَجَرَ اللهُ ذلك عليهم يوم القيامة .

وإذا قرأ : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (٥) إلى قوله : ﴿ قِصَاصٌ ﴾ فهو التام إذا نصب ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ (٦) ، وَمَنْ رَفَعَ فالوقف عند : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (٧) ، وتكون ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ ابتداءً حكم في المسلمين وما قبله في التوراة .

واعلم أنَّ أَكْثَرَ الْقُرَّاءِ يبتغون في الوقف المعنى وإن لم يكن رأس آية ، ونازعهم فيه بعض المتأخرين في ذلك ؛ وقال : هذا خلاف السنة ، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقف عند كل آية فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨)

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : الصافات . آية : ٩٦ . | (٥) سورة : المائدة . آية : ٤٥ . |
| (٢) سورة : التحريم . آية : ٤ . | (٦) سورة : المائدة . آية : ٤٥ . |
| (٣) سورة : التحريم . آية : ٤ . | (٧) سورة : المائدة . آية : ٤٥ . |
| (٤) سورة : الفرقان . آية : ٢٢ . | (٨) سورة : الفاتحة . آية : ٢ . |

ويقف ، ثم يقول : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١) وهكذا ، روت أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ، ومعنى هذا الوقف على رءوس الآي ، وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف ، وأكثر ذلك في السور القصار الآي ، نحو الواقعة ، قال : وهذا هو الأفضل ؛ أعني الوقف^(٢) على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد ، والوقف^(٣) عند رءوس انتهائها ؛ واتباع السنة أولى . وممن ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب (شعب الإيمان) وغيره ، ورجح الوقف^(٤) على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها .

قلت : وحكى النحاس عن الأخفش عليّ بن سليمان أنه يستحب الوقوف على قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) لأنه رأس آية ، وإن كان متعلقاً بما بعده .

والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام :

تام مختار ، وكاف جائر ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

وقسمه بعضهم إلى ثلاثة ، وأسقط الحسن . وقسمه آخرون إلى اثنين ، وأسقط الكافي والحسن .

فالتام : هو الذي لا يتعلّق بشيء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ؛ كقوله تعالى : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦) ؛ وأكثر ما يوجد عند رءوس الآي كقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٧) ، ثم يتبدى بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٨) وكذا : ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٩) ثم يتبدى بقوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١٠) .

-
- | | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : الفاتحة . آية : ٣ . | (٦) سورة : البقرة . آية : ٥ . |
| (٢) في ج : « أعني الوقوف » . | (٧) سورة : البقرة . آية : ٥ . |
| (٣) في النسخة ب ، ج : « الوقوف » . | (٨) سورة : البقرة . آية : ٦ . |
| (٤) في النسخة ب : « الوقوف » . | (٩) سورة : البقرة . آية : ٤٦ . |
| (٥) سورة : البقرة . آية : ٢ . | (١٠) سورة : البقرة . آية : ٤٧ . |

وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾^(١) هنا التمام لأنه انقضى كلام بلقيس، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، وهو رأس الآية.

وكذلك: ﴿عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾^(٣) هو التمام، لأنه انقضاء كلام الظالم الذي هو أبي بن خلف، ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٤) وهو رأس آية.

وقد يوجد بعدها كقوله تعالى: ﴿مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾^(٥) ﴿مُصْبِحِينَ﴾ رأس الآية، ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾^(٦) التمام، لأنه معطوف على المعنى، أي والصبح وبالليل.

وكذلك: ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ ﴿وَزُخْرُفًا﴾^(٧). رأس الآية: ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾، ﴿وَزُخْرُفًا﴾ هو التمام، لأنه معطوف على ما قبله من قوله: ﴿سُقْفًا﴾^(٨).

وآخر كل قصة وما قبل أولها وآخر كل سورة تام، والأحزاب، والأنصاف، والأرباع، والأثمان، والأسباع، والأتساع، والأعشار، والأخماس. وقبل ياء النداء، وفعل الأمر، والقسم ولامه دون القول، و«الله» بعد رأس كل آية، والشرط ما لم يتقدم جوابه و«كَانَ اللهُ»، و«ما كان»، و«ذلك»، و«لولا» غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو ما في معناه.

والكافي: منقطع في اللفظ متعلق في المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما بعده، نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾^(٩) هنا الوقف، ثم يتبدى بما بعد ذلك، وهكذا باقي المعطوفات، وكل رأس آية بعدها «لام كي» و«إلا» بمعنى «لكن» و«إن» المكسورة المشددة، والاستفهام، و«بل» و«ألا»

(١) سورة: النمل . آية : ٣٤ .

(٢) سورة: النمل . آية : ٣٤ .

(٣) سورة: الفرقان . آية : ٢٩ .

(٤) سورة: الفرقان . آية : ٢٩ .

(٥) سورة: الصافات . آية : ١٣٧ .

(٦) سورة: الصافات . آية : ١٣٨ .

(٧) سورة: الزخرف . آية : ٣٤ - ٣٥ .

(٨) سورة: الزخرف . آية : ٣٣ .

(٩) سورة: النساء . آية : ٢٣ .

المخففة، و«السين» و«سوف» على التهدد، و«نعم»، و«بش»، و«كيلا»، وغالبهن كافٍ، ما لم يتقدمهن قول أو قسم، وقيل: «أن» المفتوحة المخففة في خمسة لا غير، البقرة: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾^(١)، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾^(٢)، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾^(٣)، والنساء: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾^(٤)، والنور: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾^(٥).

والحسن: هو الذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به في اللفظ والمعنى؛ نحو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، و﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٧)، والوقف عليه حسنٌ، لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٨) و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٩)، و﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١٠) لا يحسن لأن ذلك مجرورٌ، والابتداء بالمجرور قبيح؛ لأنه تابع.

والقبيح هو الذي لا يفهم منه المراد نحو ﴿الْحَمْدُ﴾ فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة، ولا على البديل دون المبدل منه، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، نحو ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ﴾^(١١)، ولا على المجرور دون الجار.

وأقبح من هذا الوقف على قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾^(١٢)، ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾^(١٣) والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(١٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(١٥)، ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾^(١٦)، لأن المعنى يستحيل بهذا في الابتداء، ومن تعمدته وقصد معناه فقد كفر.

- | | |
|--------------------------------|------------------------------------|
| (١) سورة: البقرة . آية : ١٨٤ . | (٩) سورة: الفاتحة . آية : ٣ . |
| (٢) سورة: البقرة . آية : ٢٣٧ . | (١٠) سورة: الفاتحة . آية : ٤ . |
| (٣) سورة: البقرة . آية : ٢٨٠ . | (١١) سورة: الحاقة . آية : ٤ . |
| (٤) سورة: النساء . آية : ٢٥ . | (١٢) سورة: المائدة . آية ١٧ ، ٧٣ . |
| (٥) سورة: النور . آية : ٦٠ . | (١٣) سورة: الأنبياء . آية : ٢٩ . |
| (٦) سورة: الفاتحة . آية : ٢ . | (١٤) سورة: المائدة . آية : ١٧ . |
| (٧) سورة: الفاتحة . آية : ٣ . | (١٥) سورة: المائدة . آية : ٧٣ . |
| (٨) سورة: الفاتحة . آية : ٢ . | (١٦) سورة: الأنبياء . آية : ٢٩ . |

ومثله في القبح الوقف على : ﴿ قَبِهَتِ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ ﴾^(١) ، و ﴿ مَثَلُ
السُّوءِ وَاللَّهُ ﴾^(٢) ، وشبهه .

ومثله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النُّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾^(٣) ، و ﴿ أَنْمَا
يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى ﴾^(٤) .

وأقبح من هذا وأشنع الوقف على النفي دون حروف الإيجاب ، نحو :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٥) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٦) .

وكذا ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ .
وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٧) .

و ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ . وَالَّذِينَ
آمَنُوا ﴾^(٨) .

فإن اضطرَّ لأجل التنفس جار ذلك ، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما
بعده ولا حرج .

وقال بعضهم : إن تعلقت الآية بما قبلها تعلقاً لفظياً كان الوقف كافياً ،
نحو : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾^(٩) .

وإن كان معنوياً فالوقف على ما قبلها حسن كاف ، نحو : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(٦) سورة : الإسراء . آية : ١٠٥ .

(٧) سورة : المائدة . آية : ٩ - ١٠ .

(٨) سورة : محمد . آية : ١ - ٢ .

(٩) سورة : الفاتحة . آية : ٦ - ٧ .

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٥٨ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٦٠ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١١ .

(٤) سورة : الأنعام . آية : ٣٦ .

(٥) سورة : محمد . آية : ١٩ .

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَ لَفْظِيًّا وَلَا مَعْنَوِيًّا فَتَأْمُّ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) ، بَعْدَهُ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ (٣) ، وَإِنْ كَانَتْ الْآيَةُ مُضَادَّةً لِمَا قَبْلَهَا كَقَوْلِهِ : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ . الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ (٤) ، فَالْوَقْفُ عَلَيْهِ قَبِيحٌ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَقْفَ الْوَاجِبِ إِذَا وَقَفْتَ قَبْلَ « وَاللَّهُ » ثُمَّ ابْتَدَأْتَ بِوَاللَّهُ ، وَهُوَ الْوَقْفُ الْوَاجِبُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٥) .

وَقَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ : الْجُمْلَةُ التَّأْلِيفِيَّةُ إِذَا عُرِفَتْ أَجْزَاؤُهَا (٦) ، وَتَكَرَّرَتْ أَرْكَانُهَا كَانَ مَا أَدْرَكَهُ الْحَسَنُ فِي حُكْمِ الْمَذْكُورِ ؛ فَلَهُ أَنْ يَقِفَ كَيْفَ شَاءَ . وَسِوَاءُ (٧) التَّامِّ وَغَيْرِهِ ؛ إِلَّا أَنَّ الْأَحْسَنَ أَنْ يُوَقِفَ عَلَى الْأَتَمِّ وَمَا يَقْدِرُ بِهِ .

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ الْوَقْفَ فِي التَّنْزِيلِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَضْرَبٍ : تَامٌ ، وَشَبِيهِهُ بِهِ ، وَنَاقِصٌ ، وَشَبِيهِهُ بِهِ ، [وَحَسَنٌ وَشَبِيهِهُ بِهِ] (٨) وَقَبِيحٌ ، وَشَبِيهِهُ بِهِ ، وَصَنَفُوا فِيهِ تَصَانِيفَ ، فَمِنْهَا مَا أَثَرُوهُ عَنِ النَّحَاةِ ، وَمِنْهَا مَا أَثَرُوهُ عَنِ الْقِرَاءِ ، وَمِنْهَا مَا اسْتَبْطَوْهُ ، وَمِنْهَا مَا اقْتَدَوْا فِيهِ بِالسَّنَةِ فَقَطْ ، كَالْوَقْفِ عَلَى أَوَاخِرِ الْآيِ ؛ وَهِيَ مَوَاقِفُ النَّبِيِّ ﷺ .

وَذَهَبَ أَبُو يُونُسَ الْقَاضِي (٩) صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى : أَنَّ تَقْدِيرَ الْمَوْقُوفِ

-
- (١) سورة : الفاتحة . آية : ٢ .
 (٢) سورة : البقرة . آية : ١٩ .
 (٣) سورة : البقرة . آية : ٢٧٥ .
 (٤) سورة : البقرة . آية : ٦ - ٧ .
 (٥) سورة : البقرة . آية : ٢٧٤ .
 (٦) سورة : البقرة . آية : ٢٧٤ .
 (٧) سورة : البقرة . آية : ٢٧٤ .
 (٨) ما بين المعقوفين : ساقط من ب ، ج .
 (٩) أبو يوسف ، هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه ، ولد سنة ١١٣ هـ ، وتوفي سنة ١٨٢ هـ .

من كتبه : « الخراج » و « الآثار » و « النوادر » و « الفرائض » و « أدب القاضي » و « الوصايا » وغير ذلك .

أنظر : (مفتاح السعادة ١٠٠/٢ ، ١٠٧ . وابن النديم ٢٠٣ . وأخبار القضاة

عليه من القرآن : التام ، والناقص ، والحسن ، والقبيح ، وتسميته بذلك بدعة ، ومتعمد الوقف على نحوه مبتدع ، قال : لأن القرآن معجز ، وهو كالقطعة الواحدة ، فكله قرآن وبعضه قرآن ، وكله تام حسن ، وبعضه تام ، حكى ذلك أبو القاسم بن برهان النحوي عنه .

وقال ابن الأنباري : لا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على الرفع دون المرفوع ، ولا على المرفوع دون الرفع ، ولا على الناصب دون المنصوب ، ولا عكسه ، ولا على المؤكد دون التأكيد ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، وكذا ظننت ، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا على المفسر عنه دون التفسير ، ولا على المترجم عنه دون المترجم ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهم به عنه ، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذي بينهما ، ولا على الذي يليه دون الجواب .

وجوز أبو علي الوقف على ما قبل « إلا » إذا كانت بمعنى « لكن » كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا أَضْطَرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١) .

وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّي الْأَعْلَى ﴾ (٢) ، و ﴿ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (٣) ونحوه .

وقال أبو عبيد : يجوز الوقف دون ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ (٤) ، ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ (٥) ، ﴿ إِلَّا سَلَاماً ﴾ (٦) ، لأن المعنى : لكن يقع خطأ ، ولكن قد يلتم ، ولكن يسلمون سلاماً ، وجميع استثناء منقطع .

= ٢٥٤/٣ . والنجوم الزاهرة ١٠٧/٢ . والبداية والنهاية ١٨٠/١٠ . والجواهر المضية ٢٢٠/٢ . وتاريخ بغداد ٢٤٢/١٤ .

(١) سورة : الأنعام . آية : ١١٩ .

(٢) سورة : الليل . آية : ٢٠ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٥٧ .

(٤) سورة : النساء . آية : ٩٢ .

(٥) سورة : النجم . آية : ٣٢ .

(٦) سورة : مريم . آية : ٦٢ .

وقال غيره : لا يجوز الوقف على المبدل دون البدل إذا كان منصوباً ، وإن كان مرفوعاً جاز الوقف عليه .

والحاصل أنّ كل شيء كان تعلّقه بما قبله كتعلّق البدل بالمبدل منه ، أو أقوى لا يجوز الوقف عليه .

مسألة (١) :

فصل بعضهم في الصفة بين أن تكون للاختصاص فيمتنع الوقف على موصوفها دونها ، وبين أن تكون للمدح فيجوز ، وجرى عليه الرّماني في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢) ؛ قال : ويجوز الوقف عليه خلافاً لبعضهم ، وعامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف ، فلهذا جاز قطعها عما قبلها ، بخلاف الاختصاص فإن عاملها عامل الموصوف ، وسيأتي في كلام الزمخشري ما يؤيده .

مسألة (٣) :

لا خلاف في التسامح بالوقف على المستثنى منه ، دون المستثنى ، إذا كان متصلاً ، واختلف في الاستثناء المنقطع ، فمنهم من يجوزُه مطلقاً ، ومنهم من يمنعه مطلقاً .

وفصّل ابن الحاجب في أماليه فقال : يجوز إن صُرح بالخبر ، ولا يجوز إن لم يصرّح به ؛ لأنه إذا صرح بالخبر استقلّت الجملة واستغنت عما قبلها ، وإذا لم يصرّح به كانت مفتقرة إلى ما قبلها .

قال : ووجه من جَوَز مطلقاً أنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه . فكان مثل قولنا : زيد ، لمن قال : مَنْ أبوك ! ألا ترى أن تقدير المنقطع في قولك : ما في الدار أحد إلا الحارث : لكن الحارث في الدار ، ولو قلت :

(١) هذه المسألة غير موجودة في ح . (٣) هذه المسألة غير موجودة في ج .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٥٥ .

« لكن الحارث » مبتدئاً به بعد الوقوف على ما قبله لكان حسناً ، ألا ترى إلى جواز الوقف بالإجماع على مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ﴾ (١) والابتداء بقوله : ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) ، فكذلك هذا .

ووجه من قال بالمنع ما رأى من احتياج الاستثناء المنقطع إلى ما قبله لفظاً ومعنى ؛ أما اللفظ فلأنه لم يعهد استعمال « إلا » وما في معناها إلا متصلاً بما قبلها لفظاً ، ألا ترى أنك إذا قلت : ما في الدار أحد غير حمار ، فوقفت على ما قبل « غير » وابتدأت به كان قبيحاً ! فكذلك هذا ، وأما المعنى فلأن ما قبله مُشعر بتمام الكلام في المعنى ؛ فإن : ما في الدار أحد إلا الحمار ، هو الذي صحح قولك : « إلا الحمار » ألا ترى أنك لو قلت : « إلا الحمار » على انفراده كان خطأ .

مسألة (٣) :

اختلف في الوقف على الجملة الندائية ، والمحققون كما قاله ابن الحاجب على الجواز ؛ لأنها مستقلة ، وما بعدها جملة أخرى ؛ وإن كانت الأولى تتعلق بها من حيث كانت هي في المعنى .

قاعدة :

جميع ما في القرآن من « الذين » ، و « الذي » يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً له ، والقطع على أنه خبر مبتدأ ، إلا في سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو المعين .

الأول : قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ (٤) .

الثاني : قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (٥)

في البقرة .

(٤) سورة : البقرة . آية : ١٢١ .

(١) سورة : يونس . آية : ٤٤ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١٤٦ .

(٢) سورة : يونس . آية : ٤٤ .

(٣) هذه المسألة غير موجودة في ج .

الثالث : في الأنعام كذلك (١) .

الرابع : قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ (٢) .

الخامس : في سورة التوبة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٣) .

السادس : قوله في سورة الفرقان : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ (٤) .

السابع : قوله في سورة حم المؤمن : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ (٥)

وقال الزمخشري في تفسير سورة الناس : يجوز أن يقف القارئ على الموصوف ويتبدى ﴿ الذي يُوسوس ﴾ إن جعله على القطع بالرفع والنصب ، بخلاف ما إذا جعله صفة (٦) .

وهذا يرجع لما سبق عن الرّماني من الفصل بالصفة بين التخصيصية والقطعية .

وجميع ما في القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه ؛ لأن ما بعده حكاية القول ، قاله الجويني في تفسيره .

وهذا الإطلاق مردودٌ بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فإنه يجب الوقف هنا ، لأن قوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (٧) ليس من مقولهم .

قال : وسمعت أبا الحسين الدهان يقول : حيث كان فيه إضمار من القرآن حسن الوقف ، مثاله قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ (٨) ، فيحسن الوقوف ها هنا ، لأن فيه إضماراً تقديره : فاضرب فانفلق .

(١) سورة : الأنعام . آية : ٢٠ .

(٥) سورة : غافر . آية : ٧ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٧٥ .

(٦) أنظر : (الكشاف ، للزمخشري ٥٦٩/٢)

(٣) سورة : التوبة . آية : ٢٠ .

(٧) سورة : يونس . آية : ٦٥ .

(٤) سورة : الفرقان . آية : ٣٤ .

(٨) سورة : الشعراء . آية : ٦٣ .

فصل جامع

لخصته من كلام صاحب «المستوفى»^(١) في العربية

قال : تقسيمهم الوقف إلى الجودة ، والحسن ، والقبح ، والكفاية ، وغير ذلك ، وإن كان يدل على ذلك فليست القسمة بها صحيحة مستوفاة على مستعملها ، وقد حصل لقائلها من التشويش ما إذا شئت وجدته في كتبه المصنفة في الوقوف .

فالوجه أن يقال : الوقف ضربان : اضطراري ، واختياري .

فالاضطراري : ما يدعو إليه انقطاع النفس فقط ؛ وذلك لا يخص موضعاً دون موضع ؛ حتى إن حمزة كان يقف في حرفه على كل كلمة تقع فيها الهمزة متوسطةً ، أو متطرفة ، إذا أراد تسهيلها ؛ وحتى إنه روى عنه الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، في نحو قوله :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ ﴾^(٢) .

قالوا : وقف هنا بالتاء على نحو جاءني « طلحت » إشعاراً بأن الكلام لم يتم عند ذلك ، وكوقفه على ﴿ إلى ﴾ من قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى ﴾^(٣) بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها ، كهذه الصورة « خَلَوْا لِي » ، وعلى هذا يجوز أن يقف في المنظوم من القول حيث شئت ؛ وهذا هو أحسن الوقفين .

(١) هو : علي بن مسعود ، جمال الدين أبو سعد الفرغاني .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٠٧ . (٣) سورة : البقرة . آية : ١٠٤ .

والاختياريّ : وهو أفضلهما ؛ هو الذي لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأي القول ؛ وينقسم بانقسام الانفصال أقساماً :

الأول : التام ؛ وهو الذي يكون بحيث يستغني كلُّ واحد من جزأي القولين اللذين يكتفانه عن الآخر ؛ كالوقف على ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ من قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) ، والآخر : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢) مستغن عن الآخر من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظي .

الثاني : الناقص ؛ وهو أن يكون ما قبلها مستغنياً عما بعده ؛ ولا يكون ما بعده مستغنياً عما قبله ، كالوقف على ﴿ المستقيم ﴾ من قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٣) ؛ ولأن لك أن تسكت على ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٤) ، وليس لك أن تقول مبتدئاً : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (٥) .

فإن قيل : ولم لا يجوز أن يُقدَّرَ ها هنا الفعل الذي يتصب به ﴿ صِرَاطَ ﴾ ؟

قلنا : أول ما في ذلك أنك إذا قدرت الفعل قبل ﴿ صِرَاطَ ﴾ لم تكن مبتدئاً به من حيث المعنى ، ثم إن فعلت ذلك كان الوقف تاماً ، لأن كلَّ واحد من طرفيه يستغني حينئذٍ عن الآخر . والنحويون يكرهون الوقف الناقص في التنزيل مع إمكان التام ؛ فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تامَّ حسنُ الأخذ بالناقص ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَوْحِيَ ﴾ (٦) إلى قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٧) إن كسرت بعده ﴿ إِنَّ ﴾ فإن فتحها فالى قوله : ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (٨) ؛ لأن الأوجه في « أن » في الآية أن تكون محمولة على ﴿ أَوْحِيَ ﴾

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : الفاتحة . آية : ٥ . | (٥) سورة : الفاتحة . آية : ٧ . |
| (٢) سورة : الفاتحة . آية : ٦ . | (٦) سورة : الجن . آية : ١ . |
| (٣) سورة : الفاتحة . آية : ٦ . | (٧) سورة : الجن . آية : ١٨ . |
| (٤) سورة : الفاتحة . آية : ٦ . | (٨) سورة : الجن . آية : ١٩ . |

وهذا أقرب من جعل الوقف التام ﴿حَطْبًا﴾^(١)، و﴿حَمِلَ﴾ : ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾^(٢) على القَسَمِ ، فاضطر في ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٣) إلى أن جعل التقدير : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٤) ؛ لأن المساجد لله .

فإن قيل : هذا هو الوجه في فتح « أن » في الجملة التي بعد قوله : ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٥) فلم لا يلزم من جعل الوقف التام ﴿حَطْبًا﴾^(٦) ألا يقف قبله على هذه الجمل في كسر « إن » في أول كل واحدة منها ؟

قلنا : لأن هذه الجمل داخلة في القول ، وما يكون داخلا في القول لا يتم الوقف دونه ؛ كما أن المعطوف إذا تبع المعطوف عليه في إعرابه الظاهر والمقدر لا يتقدمه الوقف تاماً .

فإن قيل : فهل يجوز الفصل بالمكسورات بين ﴿أنه أستمع﴾ وبين ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾^(٧) فيمن فتحهما وقد عطف بالثانية على الأولى .

قيل : أما عندنا فليس ذلك بفصل ؛ لأن ما بعد ﴿إنا سمعنا﴾ من المكسورات معطوف عليها ، وهي داخلة في القول ، والقول - أعني ﴿فقالوا﴾ - معطوف على ﴿أستمع﴾ ، و﴿أستمع﴾ من صلة « أن » الأولى المفتوحة ، فالمكسورات تكون في خبر المفتوحة الأولى ، فيعطف عليها الثانية بلا فصل بينها ، والثانية عندنا هي المخففة في قوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾^(٨) ثم الثالثة هي التي في قوله : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٩) .

ثم إن فتحت التي في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾^(١٠) رابعة

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة : الجن . آية : ١٥ . | (٦) سورة : الجن . آية : ١٥ . |
| (٢) سورة : الجن . آية : ١٦ . | (٧) سورة : الجن . آية : ١٦ . |
| (٣) سورة : الجن . آية : ١٩ . | (٨) سورة : الجن . آية : ١٩ . |
| (٤) سورة : الجن . آية : ١٩ . | (٩) سورة : الجن . آية : ١٩ . |
| (٥) سورة : الجن . آية : ١ - ٢ . | (١٠) سورة : الجن . آية : ١٩ . |

تابعة ؛ فإن فتحت التي بعد ﴿ سمعنا ﴾ كانت هي واللواتي بعدها إلى قوله : ﴿ حَطَبًا ﴾ (١) داخلَةً في القول حَمَلًا على المعنى ، وقد يجوز أن تكون هي الثانية ثم تُعَدُّ بعدها على النسق .

ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ (٣) وعلى هذا القياس .

الثالث : الأنقص ؛ ومثل له بقراءة بعضهم : ﴿ وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لِيُوفِّيْنَهُمْ ﴾ (٤) ، وقراءة بعضهم : ﴿ لَكِنْ هُوَ اللَّهُ ﴾ (٥) والفرق بينهما أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ في اللفظ ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأي القول إلا قليل لبث ، والذي دونهما لا لبث فيه ولا مهلة أصلاً .

ثم إن كلاً من التام والناقص ينقسم في ذاته أقساماً . فالتام أتمُّه ما لا يتعلق اللاحق فيه من القولين بالسابق معنى ، كما لا يتعلق به لفظاً ؛ وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ . لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٦) وشأن ما يتعلق فيه أحد القولين بالآخر معنى وإن كان لا يتعلق به لفظاً ، وذلك كقوله :

﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٧) .

وتعلق الثاني فيه بالأول تعلق الحال بذى الحال معنى .

ونحو : قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا ﴾ (٨) إلى قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ (٩) ، فهذه الحال قد عطف بعضها على بعض في المعنى ، وظاهر كل

(٦) سورة : الشورى . آية : ٤٨ - ٤٩ .

(٧) سورة : يس . آية : ٣٠ .

(٨) سورة : الأنبياء . آية : ٥٢ ، ٥٨ .

(٩) سورة : الأنبياء . آية : ٦٣ .

(١) سورة : الجن . آية : ١٦ .

(٢) سورة : التكوير . آية : ١ .

(٣) سورة : التكوير . آية : ١٤ .

(٤) سورة : هود . آية : ١١١ .

(٥) سورة : الكهف . آية : ٣٨ .

واحد منها الاستئناف في اللفظ .

ونحو : قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا ﴾^(١) ، وأنت تعلم أن « بل » لا يُبتدأ بها .

ونحو : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾^(٢) ؛ فإن ما بعده منقطع عنه لفظاً إذ لا تعلق له من جهة اللفظ لكنه متعلق به معنى ، وتعلقه قريب من تعلق الصفة بالموصوف إلى قوله : ﴿ وَتَصْلِيَةٌ جَاجِمٍ ﴾^(٣) .

ونحو قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٤) ؛ فإن الوقف عليه تام ، ولكنه ليس بالآتم ، لأن ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾^(٥) ، كالعلة لما قبلها ، فهو متعلق به معنى ؛ وإن كان لا تعلق له من جهة اللفظ ، فقس على هذا ما سواه ، فإنه أكثر أنواع الوقوف استعمالاً ، وليس إذا حاولت بيان قصة وجب عليك ألا تقف إلا في آخرها ؛ ليكون الوقف القول على الآتم ؛ ومن ثم أتى به من جعل الوقف على ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ من قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾^(٦) غير تام .

-
- (١) سورة : الزخرف . آية : ٢١ - ٢٢ .
(٢) سورة : الواقعة . آية : ٧ .
(٣) سورة : الواقعة . آية : ٩٤ .
(٤) سورة : الحج . آية : ١ .
(٥) سورة : النساء . آية : ٢٤ .
(٦) سورة : النساء . آية : ٢٤ .

فصل

يحسنُ الوقف الناقص بأمور :

منها : أن يكون لضربٍ من البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيَمًا ﴾^(١) إذ به تبين أن « قِيَمًا » منفصل عن « عِوَجًا » وأنه حالٌ في نية التقدم .

وكما في قوله تعالى : ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَيَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴾^(٢) ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا ﴾^(٣) ؛ ليبين أن « هذا » ليس من مقولهم .

ومنها : أن يكون على رءوس الآي ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَيْفِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(٤) ، ونحوه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . أَنْ تَقُولُوا ﴾^(٥) .

وكان نافع يقف على رءوس الآي كثيراً ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٦) .

-
- | | |
|----------------------------------|--|
| (١) سورة : الكهف . آية : ١ - ٢ . | (٤) سورة : الكهف . آية : ٣ - ٤ . |
| (٢) سورة : النساء . آية : ٢٣ . | (٥) سورة : الأنعام . آية : ١٥٥ - ١٥٦ . |
| (٣) سورة : يس . آية : ٥٢ . | (٦) سورة : المؤمنون . آية : ٥٥ - ٥٦ . |

ومنها : أن تكون صورته في اللفظ صورةً الوصل بعينها ، نحو قوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى . نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى . تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ (١) .

ومنها : أن يكون الكلام مبنياً على الوقف ، فلا يجوز فيه إلا الوقف صيغة ، كقوله :

﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ ﴾ (٢) .

هذا في الناقص ؛ ومثاله في التام : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ . نَارٌ حَامِيَهٗ ﴾ (٣) .

(١) سورة : المعارج . آية : ١٥ ، ١٨ .

(٢) سورة : الحاقة . آية : ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة : القارعة . آية : ١٠ - ١١ .

فصل

من خواص التام المراقبة :

وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البدل ، كلُّ واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به وجب الوصل في الآخر ، وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر ، كالحال بين « حياة » وبين « أشركوا » من قوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهْم أَلْحَرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ (١) ، فَإِنَّكَ إِنْ جَعَلْتَ الْقَطْعَ عَلَى ﴿ حَيَاةٍ ﴾ وَجَبَ أَنْ تَبْتَدِئَ فِتْقَوْلَ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ ﴾ (٢) ، عَلَى الْوَصْلِ لِأَنَّ ﴿ يَوَدُّ ﴾ صِفَةٌ لِلْفَاعِلِ فِي مَوْضِعِهِ ، فَلَا يَجُوزُ الْوَقْفُ دُونَهُ ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلَ الْمَقْطَعُ ﴿ أَشْرَكُوا ﴾ وَجَبَ أَنْ يَصِلَ ﴿ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ (٣) ، عَلَى أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ : وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ .

ومنه أيضاً : ما تراه بين ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ (٤) ، وبين ﴿ فِيهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٥) .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢ .

(١) سورة : البقرة . آية : ٩٦ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٩٦ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٩٦ .

فصل

ينقسم الناقص بانقسام ما مرّ من التعلّق اللفظي بين طرفيه ، فكلما كان التعلّق أشدّ وأكثر كان الوقف أنقص ، وكلّما كان أضعف وأوهى كان الوقف أقرب إلى التمام ، والتوسط يوجب التوسط .

فمن وكيد التعلّق ما يكون بين توابع الإسمية والفعلية وبين متبوعاتها ؛ إذا لم يمكن أن يتمحلّ لها في إعرابها وجهٌ غير الإتيان ؛ ومن ثمّ ضُعب الوقف على ﴿ مُتَّصِرِينَ ﴾ من قوله تعالى :

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ . فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّصِرِينَ . وَقَوْمِ نُوحٍ ﴾ (١) . فيمن جرّ - غاية الضعف .

وضُعبَ على ﴿ أَيْمٍ ﴾ من قوله : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ . عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (٢) .

وضُعبَ على ﴿ بِهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ سُوءاً يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٣) .

وضُعبَ على ﴿ أَبَدًا ﴾ من قوله : ﴿ مَا كَيْتِبَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (٤) .

(١) سورة : الذاريات . آية : ٤٣ ، ٤٦ . (٣) سورة : النساء . آية : ١٢٣ .

(٢) سورة : القلم . آية : ١٠ - ١٣ . (٤) سورة : الكهف . آية : ٣ - ٤ .

على أن هذه الطبقة من التعلق قد تنقسم أقساماً ؛ فإنه ليس بين البدل والمبدل منه من التعلق بين الصفة والموصوف على ما ذكرناه .

وأوهى من هذا التعلق ما يكون بين الفعل وبين ما ينتصب عنه من الزوائد التي لا يخل حذفها بالكلام كبير إخلال ، كالظرف ، والتمييز ، والاستثناء المنقطع ؛ ولذلك كان الوقف على نحو ﴿عَجَباً﴾ من قوله : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ (١) أوهى من الوقوف المذكورة .

فإن وسّطت بين التعلق بالمذكور من المتعلق الذي للمفعول أو الحال المخصصة ، أو الاستثناء الذي يتغير بسقوطه المعنى وانتصب - كان لك في الوقف على نحو ﴿مَسْغَبَةٍ﴾ من قوله تعالى : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (٢) .

وعلى نحو ﴿قَلِيلاً﴾ من قوله تعالى : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً . مُدْبَذِينَ﴾ (٣) .

وعلى نحو ﴿مَصِيراً﴾ من قوله : ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ (٤) .

وعلى نحو ﴿واحدة﴾ و ﴿زوجها﴾ ، من قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (٥) .

وعلى نحو ﴿نذيراً﴾ من قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (٦) مرتبة بين المرتبتين المذكورتين .

(١) سورة : الكهف . آية : ٩ - ١٠ . (٤) سورة : النساء . آية : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة : البلد . آية : ١٤ - ١٥ . (٥) سورة : النساء . آية : ١ .

(٣) سورة : النساء . آية : ١٤٢ - ١٤٣ . (٦) سورة : الأحزاب . آية : ٤٥ - ٤٦ .

فهذه ثلاث مراتب للوقفِ الناقص كما ترى ؛ بإزاء ثلاث طبقات من التعلق المذكور ، فإن قسمت طبقة من الطبقات انقسمت بإزائها مرتبة من المراتب ؛ فقد خرج لك بحسب هذه القسمة - وهي القسمة الصناعية - ستة أصناف من الوقف في الكلام : خمسة منها بحسب الكلام نفسه ، وهي الأتم ، والتام ، والذي يشبه التام ، والناقص المطلق ، والأنقص . وواحد من جهة المتكلم أو القارئ ، وهو الذي بحسب انقطاع النَّفس كما سبق عن حمزة .

واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس وإن كان لا شيء من انقطاع النَّفس إلا ومعه الوقف ، والوقوفُ أمرها على سبيل الجواز إلا الذي بُني عليه الكلام وما سواه ، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل ؛ بشرط أن تطابق به انقطاع نَفْسك لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانياً على الكلام الذي تُشئته بإخراجه على الوجه المذكور .

ومما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف الترتيل ؛ فإنه أعون شيء عليه ، وقد أمر الله تعالى به رسوله ﷺ في قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (١) .

ويدعو إليه اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريراً من غير فصل ؛ كما في قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (٣) .

(١) سورة : المزمل . آية : ٣ .

(٢) سورة : الطارق . آية : ٥ - ٦ .

(٣) سورة : التوبة . آية : ١٠٨ .

فصل

« كلاً » في القرآن على ثلاثة أقسام :

إحداها : ما يجوز الوقف عليه والابتداء به جميعاً باعتبار معنيين .

والثاني : ما لا يوقف عليه ولا يبدأ به .

والثالث : ما يبدأ به ولا يجوز الوقف عليه ، وجملته ثلاثة وثلاثون حرفاً ؛

تضمنها خمس عشرة سورة ؛ كلها في النصف الأخير من القرآن ؛ وليس في النصف الأول منها شيء . وللشيخ عبد العزيز الديريني^(١) رحمه الله :

وما نزلت « كلاً » يثرب فاعلمنْ ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جابرة ،

فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ،

بخلاف النصف الأول . وما نزل منه في اليهود لم يُحتج إلى إيرادها فيه لذلك وضعفهم .

(١) عبد العزيز الديريني ، هو : عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري ، المعروف

بالديريني : فقيه شافعي من الزهاد . ولد سنة ٦١٢ هـ ، وتوفي سنة ٦٩٤ هـ .

من كتبه : « التيسير في علم التفسير » و« الدرر الملتقط في المسائل المختلطة » وغير

ذلك .

أنظر : (طبقات الشافعية ٧٥/٥ . وخطط مبارك ٧٢/١١ . والأعلام ١٣/٤) .

والأول اثنا عشر حرفاً :

منها : في سورة مريم : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . كَلَّا ﴾ (١) .

ومنه : ﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا ﴾ (٢) .

وفي : « المؤمنين » : ﴿ فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴾ (٣) .

وفي : المعارج : ﴿ يُنَجِّهِ . كَلَّا ﴾ (٤) . وفيها : ﴿ جَنَّةُ نَعِيمٍ . كَلَّا ﴾ (٤) .

وفي : المدثر : ﴿ أَنْ أَرْبِدَ . كَلَّا ﴾ (٥) . وفيها : ﴿ صُحُفًا مُنشَّرَةً . كَلَّا ﴾ (٦) .

وفي : القيامة : ﴿ آيِنَ الْمَقَرُّ . كَلَّا ﴾ (٧) .

وفي عبس : ﴿ تَلَّهَى . كَلَّا ﴾ (٨) .

وفي التطهيف : ﴿ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . كَلَّا ﴾ (٩) .

وفي الفجر : ﴿ أَهَانَن . كَلَّا ﴾ (١٠) .

وفي الهمة : ﴿ أَخْلَدَهُ . كَلَّا ﴾ (١١) .

والثاني ثلاثة أحرف :

في الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ (١٢) .

(١) سورة : مريم . آية : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) سورة : مريم . آية : ٨١ - ٨٢ .

(٣) سورة : المؤمنون . آية : ١٠٠ .

(٤) سورة : المعارج . آية : ١٤ - ١٥ ، ٣٨ - ٣٩ .

(٥) سورة : المدثر . آية : ١٥ ، ١٦ .

(٦) سورة : المدثر . آية : ٥٢ - ٥٣ .

(٧) سورة : القيامة . آية : ١٠ - ١١ .

(٨) سورة : عبس . آية : ١٠ - ١١ .

(٩) سورة : المطففين . آية : ١٣ - ١٤ .

(١٠) سورة : الفجر . آية : ١٦ - ١٧ .

(١١) سورة : الهمة . آية : ٣ - ٤ .

(١٢) سورة : الشعراء . آية : ١٤ - ١٥ .

وفيها : ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ (١) .
وفي سبيل : ﴿ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا ﴾ (٢) .

والثالث ثمانية عشر حرفاً (٣) :

في المدثر : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴾ (٤) . ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴾ (٥) .
وفي القيامة : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (٦) . ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ
التَّرَاقِي ﴾ (٧) .

وفي النبا : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (٨) .
وفي عبس : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ﴾ (٩) .
وفي الانفطار : ﴿ كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ ﴾ (١٠) .
وفي التطهيف : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ ﴾ (١١) . ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ ﴾ (١٢) .
وفي الفجر : ﴿ كَلَّا إِذَا ﴾ (١٣) .
وفي العلق : ﴿ كَلَّا إِنَّ ﴾ (١٤) . ﴿ كَلَّا لئن لم ينته ﴾ (١٥) . ﴿ كَلَّا
لَا تُطْعَمُهُ ﴾ (١٦) .

وفي التكاثر : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٧) .

-
- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : الشعراء . آية : ٦١ - ٦٢ . | (١٠) سورة : الانفطار . آية : ٩ . |
| (٢) سورة : سبيل . آية : ٢٧ . | (١١) سورة : المطففين . آية : ٧ . |
| (٣) ما أورده أربعة عشر فقط . | (١٢) سورة : المطففين . آية : ١٥ . |
| (٤) سورة : المدثر . آية : ٣٢ . | (١٣) سورة : الفجر . آية : ٢١ . |
| (٥) سورة : المدثر . آية : ٥٤ . | (١٤) سورة : العلق . آية : ١٩ . |
| (٦) سورة : القيامة . آية : ٢٠ . | (١٥) سورة : العلق . آية : ١٥ . |
| (٧) سورة : القيامة . آية : ٢٦ . | (١٦) سورة : العلق . آية : ١٩ . |
| (٨) سورة : النبا . آية : ٤ . | (١٧) سورة : التكاثر . آية : ٣ . |
| (٩) سورة : عبس . آية : ٢٣ . | |

وقسمها مكيّ أربعة أقسام :

الأول : ما يحسنُ الوقف فيه على « كلا » ، على معنى الرد لما قبلها والإنكار له ؛ فتكون بمعنى : ليس الأمر كذلك ، والوقفُ عليها في هذه المواضع هو الاختيار ؛ ويجوز الابتداء بها على معنى « حقاً » ، أو « إلا » ؛ وذلك أحد عشر موضعاً :

منها الموضعان في مريم . وفي المؤمنين .

وفي سبأ : ﴿ أَلْحَقْتُم بِهٖ شُرَكَاءَ كَلًا ﴾^(١) . وموضعان في المعارج . وموضعان في المدثر . وموضع في المطففين ، والفجر ، والحطمة .

قال : فهذه أحد عشر موضعاً ، الاختيار عندنا وعند أكثر أهل اللغة أن تقف عليها على معنى النفي والإنكار لما تقدمها ، ويجوز أن تبتدىء بها على معنى « حقاً » ، لجعلها تأكيداً للكلام الذي بعدها ، أو الاستفتاح .

الثاني : ما لا يحسن الوقف عليه فيها ، ولا يكون الابتداء بها على معنى « حقاً » ، أو « إلا » أو تعلقها بما قبلها وبما بعدها ، ولا يوقف عليها ، ولا يبتدأ بها ، والابتداء بها في هذه المواضع أحسن ، وذلك في ثمانية عشر موضعاً : موضعان في المدثر :

﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشْرِ . كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾^(٢) .

﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ . كَلَّا إِنَّهٗ تَذَكِّرَةٌ ﴾^(٣) .

وثلاثة في القيامة : ﴿ أَيَّنَ الْمَفَرِّ . كَلَّا ﴾^(٤) .

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ . كَلَّا ﴾^(٥) .

(٤) سورة : القيامة . آية : ١٠ - ١١ .

(٥) سورة : القيامة . آية : ١٩ - ٢٠ .

(١) سورة : سبأ . آية : ٢٧ .

(٢) سورة : المدثر . آية : ٣١ - ٣٢ .

(٣) سورة : المدثر . آية : ٥٣ - ٥٤ .

﴿ أَنْ يُفَعَّلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . كَلًّا إِذَا ﴾^(١) .

وموضع في عم : ﴿ كَلًّا سَيَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

وموضعان في عبس : ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلًّا ﴾^(٣) ، ﴿ تَلَّهَى . كَلًّا ﴾^(٤) .

وموضع في الانفطار : ﴿ مَا شَاءَ رَبِّكَ . كَلًّا ﴾^(٥) .

وثلاثة مواضع في المطففين : ﴿ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . كَلًّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ ﴾^(٦) .

﴿ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلًّا إِنَّهُمْ ﴾^(٧) .

﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلًّا ﴾^(٨) .

وموضع في الفجر : ﴿ حُبًّا جَمًّا . كَلًّا ﴾^(٩) .

وثلاثة مواضع في العلق : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . كَلًّا ﴾^(١٠) .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى . كَلًّا ﴾^(١١) .

﴿ سَنَدُعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلًّا ﴾^(١٢) .

وموضعان في التكاثر : ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(١٣) .

وقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١٤) .

-
- | | |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) سورة : القيامة . آية : ٢٥ - ٢٦ . | (٨) سورة : المطففين . آية : ١٧ - ١٨ . |
| (٢) سورة : النبأ . آية : ٤ . | (٩) سورة : الفجر . آية : ٢٠ - ٢١ . |
| (٣) سورة : عبس . آية : ١٠ - ١١ . | (١٠) سورة : العلق . آية : ٥ - ٦ . |
| (٤) سورة : عبس . آية : ٢٢ - ٢٣ . | (١١) سورة : العلق . آية : ١٤ - ١٥ . |
| (٥) سورة : الانفطار . آية : ٨ - ٩ . | (١٢) سورة : العلق . آية : ١٨ - ١٩ . |
| (٦) سورة : المطففين . آية : ٦ - ٧ . | (١٣) سورة : التكاثر . آية : ٢ - ٣ . |
| (٧) سورة : المطففين . آية : ١٤ - ١٥ . | (١٤) سورة : التكاثر . آية : ٥ . |

فهذه ثمانية عشر موضعاً ، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبدأ بها ، و « كَلَّا » على معنى « حقاً » ، أو « إلا » وألاً يوقف عليها .

الثالث : ما لا يحسنُ الوقف فيه عليها ، ولا يحسنُ الابتداء بها ، ولا تكون موصولة بما قبلها من الكلام ، ولا بما بعدها ، وذلك موضعان : في ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (١) . وكذا في التكاثر : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، فلا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها .

الرابع : ما لا يحسنُ الابتداء بها ويحسن الوقوف عليها ، وهو موضعان في الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ (٤) .

قال : فهذا هو الاختيار ؛ ويجوز في جميعها أن تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها ولا تبتدىء بها .

وأما ﴿ بَلَى ﴾ فقد وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعاً ؛ في ست عشرة سورة :

وهي على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقف عليها ؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها ؛ وذلك عشرة مواضع :

موضعان في البقرة : ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ . بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ (٥) .

﴿ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى ﴾ (٦) .

وموضعان في آل عمران : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى ﴾ (٧) . ﴿ بَلَى إِنَّ

تَصَبَّرُوا ﴾ (٨) .

(١) سورة : النبأ . آية : ٤ - ٥ .

(٢) سورة : التكاثر . آية : ٤ .

(٣) سورة : الشعراء . آية : ١٤ - ١٥ .

(٤) سورة : الشعراء . آية : ٦١ - ٦٢ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٨٠ - ٨١ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ١١١ - ١١٢ .

(٧) سورة : آل عمران . آية : ٧٥ - ٧٦ .

(٨) سورة : آل عمران . آية : ١٢٥ .

- وموضع في الأعراف : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (١) ، وفيه اختلاف .
 وفي النحل : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ ﴾ (٢) .
 وفي يس : ﴿ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ﴾ (٣) .
 وفي غافر : ﴿ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (٤) .
 وفي الأحقاف : ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ ﴾ (٥) .
 وفي الانشقاق : ﴿ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَىٰ ﴾ (٦) .

فهذه عشرة مواضع يُختار الوقف عليها ؛ لأنها جواب لما قبلها ، غير متعلّقة بما بعدها . وأجاز بعضهم الابتداء بها .

والثاني : ما لا يجوز الوقف عليها ، لتعلق ما بعدها بها وبما قبلها ، وذلك في سبعة مواضع :

- في الأنعام : ﴿ بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴾ (٧) .
 وفي النحل : ﴿ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَىٰ ﴾ (٨) .
 وفي سبأ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴾ (٩) .
 وفي الزمر : ﴿ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ﴾ (١٠) .
 وفي الأحقاف : ﴿ بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴾ (١١) .
 وفي التغابن : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (١٢) .

- | | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الأعراف . آية : ١٧٢ . | (٧) سورة : الأنعام . آية : ٣٠ . |
| (٢) سورة : النحل . آية : ٢٨ . | (٨) سورة : النحل . آية : ٣٨ . |
| (٣) سورة : يس . آية : ٨١ . | (٩) سورة : سبأ . آية : ٣ . |
| (٤) سورة : غافر . آية : ٥٠ . | (١٠) سورة : الزمر . آية : ٥٩ . |
| (٥) سورة : الأحقاف . آية : ٣٣ . | (١١) سورة : الأحقاف . آية : ٣٣ . |
| (٦) سورة : الانشقاق . آية : ١٤ - ١٥ . | (١٢) سورة : التغابن . آية : ٧ . |

وفي القيامة : ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى ﴾ (١) .

وهذه لا خلاف في امتناع الوقف عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، لأنها وما بعدها جواب .

الثالث : ما اختلفوا في جواز الوقف عليها ؛ والأحسن المنع ؛ لأن ما بعدها متصل بها وبما قبلها ، وهي خمسة مواضع .

في البقرة : ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٢) .

وفي الزمر : ﴿ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ ﴾ (٣) .

وفي الزخرف : ﴿ وَنَجَّوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا ﴾ (٤) .

وفي الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ (٥) .

وفي الملوك : ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ (٦) .

﴿ وَأما نَعَمْ ﴾ في القرآن في أربعة مواضع :

في الأعراف : ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ (٧) ، والمختار الوقف على « نعم » لأن ما بعدها ليس متعلقاً بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس هو قول أهل النار ، و﴿ قالوا نعم ﴾ من قولهم .

والثاني ، والثالث ، في الأعراف والشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ ﴾ (٨) .

الرابع في الصافات : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (٩) .

-
- | | |
|------------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : القيامة . آية : ٣ - ٤ . | (٦) سورة : الملك . آية : ٩ . |
| (٢) سورة : البقرة . آية : ٢٦٠ . | (٧) سورة : الأعراف . آية : ٤٤ . |
| (٣) سورة : الزمر . آية : ٧١ . | (٨) سورة : الأعراف . آية : ١١٤ . |
| (٤) سورة : الزخرف . آية : ٨٠ . | (٩) سورة : الصافات . آية : ١٨ . |
| (٥) سورة : الحديد . آية : ١٤ . | |

والمختارُ ألا يوقف على « نعم » في هذه المواضع لتعلقها بما بعدها وبما قبلها لاتصاله بالقول .

وضابط ما يُختار الوقفُ عليه أن يقال : إن وقع بعدها « ما » اختير الوقف عليها وإلا فلا . أو يقال : إن وقع بعدها واو لم يَجْزِ الوقفُ عليها وإلا اختير ، وأنت مخير في أيهما شئت .

٢٥ - النوع الخامس والعشرون علم مرسوم الخط

ولما كان خطُّ المصحف هو الإمام الذي يعتمده القارىء في الوقف والتمام ، ولا يعدو رسومَه ، ولا يتجاوز مرسومه ، قد خالف خطُّ الإمام في كثير من الحروف والأعلام ، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق ؛ بل على أمرٍ عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه .

ولما كتب الصحابة المصحفَ زَمَنَ عثمان رضي الله عنه اختلفوا في كتابة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » ، وقال النفر القرشيون : « التابوت » ، وترافعوا إلى عثمان فقال : اكتبوا : « التابوت » ، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش .
قال ابن درستويه : خطَّان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض^(١) .

وقال أبو البقاء في كتاب اللباب : « ذهب جماعةٌ من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف ؛ فإنهم اتَّبَعُوا في ذلك ما وجدوه في الإمام ، والعمل على الأول » .

فحصل أن الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع به الاقتداء السلفي ، وهو رسم المصحف ، وخطٌ جرى على ما أثبتته اللفظ وإسقاط ما حذفه ؛ وهو خط العروض ، فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل . وخط جرى على العادة المعروفة ؛ وهو الذي يتكلم عليه النحوي .

(١) أنظر : (الكتاب ، لسيبويه ٧) .

واعلم أن للشيء في الوجود أربع مراتب : الأولى : حقيقته في نفسه .
والثانية : مثاله في الذهن - وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم . والثالثة : اللفظ
الذالُّ على المثال الذهني والخارجي . والرابعة : الكتابة الدالة على اللفظ -
وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم ، كاختلاف اللغة العربية والفارسية ، والخط
العربي والهندي ؛ ولهذا صنف الناس في الخط والهجاء ؛ إذ لا يجري على
حقيقة اللفظ من كل وجه .

وقال الفارسيّ : لما عمل أبو بكر بن السراج^(١) كتاب «الخط والهجاء» قال
لي : اكتب كتابنا هذا ، قلت له : نعم إلا أنني آخذ بآخر حرف منه ، قال : وما هو؟
قلت : قوله : «ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط» .

قال أبو الحسين بن فارس في كتاب «فقه اللغة» : «يروى أن أول من كتب
الكتاب العربيّ ، والسريريّ ، والكتب كلها : آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة
سنة ، كتبها في طين وطبخه ؛ فلما أصاب الأرض الغرق وجد كلُّ قوم كتاباً
فكتبوه ، فأصاب إسماعيل الكتاب العربيّ » .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربيّ إسماعيل عليه
السلام . قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة .

والذي نقوله : إن الخط توقيفي لقوله : ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمُ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) . [وإذا كان

(١) هو : محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر : أحد أئمة الأدب والعربية من أهل بغداد ،
يعرف بابن السراج . توفي سنة ٣١٦ هـ .

من كتبه : «الأصول» و«الخط والهجاء» و«العروض» و«المواصلات والمذكرات»
و«الموجز في النحو» وغيره .

أنظر : (بغية الوعاة ٤٤ . والوفيات ٥٠٣/١ . والوافي ٨٦/٣ . ونزهة الألبا ٣١٣ .
والأعلام ١٣٦/٦) .

(٢) سورة : العلق . آية : ٤ - ٥ .

(٣) سورة : القلم . آية : ١ .

كذا^(١)، فليس ببعيد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب.

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً.

ومذهبنا فيه التوقيف، فنقول^(٢): إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله تعالى آدم عليه السلام.

قال: وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره، وإنما نقول: إن هذين العَلَمين كانا قديماً، وأنت عليهما الأيام، وقلاً في أيدي الناس، ثم جدّهما هذان الإمامان.

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم^(٣) ذلك كتابتهم المصحف على الذي يُعلِّله النحويون في ذوات الواو والياء، والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً، نحو «الخبء» و«الدفء» و«الملء» فصار ذلك كله حجة، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصحف.

وأستد إلى الفراء قال: اتبأع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة القراء أحب إليّ من خلافه.

وقال أشهب: سئل مالك رحمه الله: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا؛ إلا على الكتابة الأولى. رواه أبو عمرو الداني في «المقنع» ثم قال: ولا مخالف له من علماء الأمة.

(١) ما بين المعقوفين: ساقط من الأصول. واستدركت من فقه اللغة، لابن فارس. ص ٧.

(٢) في الأصول: «ومذهبنا ان أسماء». والاضافة من فقه اللغة لابن فارس ص ٧.

(٣) في الأصول: «عرفان القدماء ذلك كتابتهم» والاضافة من المرجع السابق والصفحة.

وقال في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف: أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك؟ فقال: لا. قال أبو عمرو: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو الواو في (١): ﴿أولوا الأبواب﴾، ﴿وأولات﴾ و: ﴿الربوا﴾، ونحوه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.

قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حيّ غض، وأما الآن فقد يخشى الإلباس؛ ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة؛ لثلا يُوقع في تغيير من الجهال.

ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لثلا يؤدي إلى «دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين؛ ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة». وقد قال البيهقي في شعب الإيمان: من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبه شيئاً؛ فإنهم أكثرُ علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منّا؛ فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكاً عليهم. وروي بسنده عن زيد قال: القراءة سنة.

قال سليمان بن داود الهاشمي: يعني ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع.

قال: وبمعناه بلغني عن أبي عبيد في تفسير ذلك: وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذهب العربية في القراءة إذا خالفوا ذلك خط المصحف، واتباع حروف

(١) في الأصول: نحو: (أولوا الأبواب) والاضافة من كتاب المقنع، لابن عمرو الجاني

المصاحف عندنا كالسُنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدّها .

مسألة :

هل يجوز كتابة القرآن بقلم غير العربي ؟

هذا مما لم أر للعلماء فيه كلاماً . ويحتمل الجواز ؛ لأنه قد يحسّنه مَنْ يقرأه بالعربية ، والأقرب المنع ، كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلماً غير العربيّ قال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١) .

واعلم أن الخطَّ جرى على وجوه : فيها ما زيد عليه على اللفظ ؛ ومنها ما نقص ، ومنها ما كُتِبَ على لفظه ، وذلك لِحِكْمِ خفية ، وأسرار بهيّة ، تصدّى لها أبو العباس المراكشيّ الشهير بابن البناء (٢) ؛ في كتابه : « عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل » ، وبين أنّ هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها .

ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود ، والمقامات . والخط إنما يُرْتَسَم على الأمر الحقيقي لا الوهمي .

الأول : ما زيد فيه ، والزائد أقسام :

الأول : الألف :

وهي إما أن تزد من أوّل الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها .

(١) سورة : الشعراء . آية : ١٩٥ .

(٢) ابن البناء ، هو : أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي ، أبو العباس ، ابن البناء :

رياضي باحث ، من أهل مراكش ، ولد سنة ٦٥٤ هـ ، وتوفي سنة ٧٢١ هـ ، وله :

« حاشية على الكشاف » و « منتهى السؤل » و « المقالات » و « اللوازم العقلية » وغير ذلك .

أنظر : (جذوة الاقتباس ٧٣ ، ٧٧ . ونيل الابتهاج ٤١ . والدرر الكامنة ١/٢٧٨ .

والأعلام للزركلي ١/٢٢٢) .

١ - فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود ، مثل ؛
﴿لَا أَدْبَحْتُهُ﴾^(١) ، و ﴿وَلَا أَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾^(٢) زيدت الألف تنبيهاً على أن
المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً ؛ فالذبح أشد من العذاب ،
والإيضاع أشد إفساداً من زيادة الخبال ؛ واختلفت المصاحف في حرفين :
﴿لَا إِلَى الْجَحِيمِ﴾^(٣) ، و ﴿لَا إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٤) ؛ فمن رأى أن مرجعهم
إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الحميم ، وأن حشرهم إلى الله أشد
عليهم من موتهم أو قتلهم في الدنيا أثبت الألف . وَمَنْ لَمْ يَرِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْبٌ عَنَّا ،
فَلَمْ يَسْتَوِ الْقِسْمَانِ فِي الْعِلْمِ بِهِمَا لَمْ يَثْبِتْهُ ، وَهُوَ أَوْلَى .

وكذلك : ﴿لَا تَيْسَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾^(٥) ، ﴿أَقْلَمُ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾^(٦)
لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس ، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد
الصبر والانتظار .

٢ - والثاني : يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود ؛
لزيادتها بعد الواو في الأفعال ، نحو «يرجوا» ، و «يدعوا» ، وذلك لأن الفعل
أثقل من الاسم ؛ لأنه يستلزم فاعلاً ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستلزم غيره ،
فالفعل أزيد من الاسم في الوجود ، والواو أثقل حروف المد واللين ، والضمّة
أثقل الحركات ، والمتحرك أثقل من الساكن ، فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل
الجملة ، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل ، فمع الواو التي هي ضمير
الفاعلين أولى ، لأن الكلمة جملة ، مثل «قالوا» ، و «عصوا» ، إلا أن يكون
الفعل مضارعاً وفيه النون علامة الرفع ، فتختص الواو بالنون ، التي هي من جهة
تمام الفعل ؛ إذ هي إعرابه فيصير ككلمة واحدة وسطها واو ؛ كالعيون
والسكون ، فإن دخل ناصب أو جازم مثل : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾^(٧)
ثبّت الألف .

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : النمل . آية : ٢١ . | (٥) سورة : يوسف . آية : ٨٧ . |
| (٢) سورة : التوبة . آية : ٤٧ . | (٦) سورة : الرعد . آية : ٣١ . |
| (٣) سورة : الصافات . آية : ٦٨ . | (٧) سورة : البقرة . آية : ٢٤ . |
| (٤) سورة : آل عمران . آية : ١٥٨ . | |

وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل ، نحو : ﴿ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ (١) ، فإنه سعي في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود .

وكذلك : ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ (٢) ، و ﴿ وَجَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (٣) ، و ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ ﴾ (٤) ، و ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ ﴾ (٥) ، فإن هذا المنجى ليس على وجهه الصحيح .

وكذلك ﴿ فَإِنْ فَاءُوا ﴾ (٦) ، وهو فيء بالقلب والاعتقاد .

وكذا ﴿ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ (٧) اختاروها سكناً ، لكن لا على الجهة المحسوسة ؛ لأنه سوى بينهما ، وإنما اختاروها سكناً لمرضاة الله ؛ بدليل وصفهم بالإيثار مع الخصاصة ؛ فهذا دليل زهدهم في محسوسات الدنيا ، وكذلك ﴿ فاءو ﴾ لأنه رجوع معنوي .

وكذلك : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ ﴾ (٨) ، حذف ألفه لأن كيفية هذا الفعل لا تدرك ، إذ هو ترك المؤاخذة ؛ إنما هو أمر عقلي .

وكذلك ﴿ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴾ (٩) ، هذا عتو على الله ، لذلك وصفه بالكبير فهو باطل في الوجود .

وكذلك سقطت من : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (١٠) ، ولم تسقط من : ﴿ وَإِذْ مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (١١) ؛ لأن « غضبوا » جملة بعدها أخرى ، والضمير مؤكد للفاعل في الجملة الأولى ، و « كَالُوهُمْ » جملة واحدة ، الضمير جزء منها .

(٧) سورة : الحشر . آية : ٩ .

(١) سورة : سبأ . آية : ٥ .

(٨) سورة : النساء . آية : ٩٩ .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ١١٦ .

(٩) سورة : الفرقان . آية : ٢١ .

(٣) سورة : الفرقان . آية : ٤ .

(١٠) سورة : المطففين . آية : ٣ .

(٤) سورة : يوسف . آية : ١٦ .

(١١) سورة : الشورى . آية : ٣٧ .

(٥) سورة : يوسف . آية : ١٧ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٢٢٦ .

وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة في حرفين : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ ﴾ (١) و ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ ﴾ (٢) ؛ تنبيهاً على تفصيل المعنى ؛ فإنه يَبُوءُ بإثمين من فعل واحد ، وتنوء المفاتيح بالعصبة ، فهو نوءان للمفتاح ، لأنها بثقلها أثقلتهم فمالت وأمالتهم ، وفيه تذكير بالمناسبة يُتَوَجَّه به من مفاتيح كنوز مال الدنيا المحسوس ، إلى مفاتيح كنوز العلم الذي ينوء بالعصبة أولي القوة في يقينهم ، إلى ما عند الله في الدار الآخرة .

وكذلك زيدت بعد الهمزة من قوله : ﴿ كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ ﴾ تنبيهاً (٣) على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكتون وعلى تفصيل الأفراد ، يدل عليه قوله : ﴿ كَأَمْثَالِ ﴾ ، وهو على خلاف حال : ﴿ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤٌ ﴾ (٤) فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل .

وقال أبو عمرو : كتبوا ﴿ اللؤلؤا ﴾ في الحج ، والملائكة بالألف ، واختلف في زيادتها ، فقال أبو عمرو : كما زادوها في « كانوا » ، وقال الكِسَائِيُّ : لمكان الهمزة .

وعن محمد بن عيسى الإصبهاني (٥) . كل ما في القرآن من « لؤلؤ » فبغير الألف في مصاحف البصريين إلا في موضعين : في الحج ، والإنسان (٦) .
وقال عاصم الجحدري : كلُّها في مصحف عثمان بالألف إلا التي في الملائكة .

٣ - والثالث : تكون لمعنى في نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وَجِئْنَا

(١) سورة : المائدة . آية : ٢٩ . (٣) سورة : الواقعة . آية : ٢٣ .

(٢) سورة : القصص . آية : ٧٦ . (٤) سورة : الطور . آية : ٢٤ .

(٥) هو : محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين ، أبو عبد الله التيمي الأصبهاني : إمام في القراءات ، عالم بالعربية . أصله من أصبهان ومولده بالري . من كتبه : « الجامع في القراءات » وكتاب « رسم القرآن » .

أنظر : (غاية النهاية ٢/٢٢٣ . وأخبار أصبهان ٢/١٧٩ . والأعلام ٦/٣٢٢) .

(٦) في الآية : ١٩ .

يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿١﴾ ، زيدت الألف دليلاً على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء ، وقد عبّر عنه بالماضي ، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله ، فيستوي في علمنا ملكها وملكوتهما في ذلك المجيء ؛ ويدلّ عليه قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ (٣) ؛ هذا بخلاف حال : ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ (٤) ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على المعروف في الدنيا ، وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضاً .

وكذلك : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٥) ، الشيء هنا معدوم ، وإنما علمناه من تصور مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه ، من حيث إنه يقدر أنه يكون مثله في الوجود ، فزيدت الألف تنبيهاً على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود ، إذ هو موجود في الأذهان ، معدوم في الأعيان .

وهذا بخلاف قوله في النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴾ (٦) ، فإن الشيء هنا من جهة قول الله ، لا يعلم كيف ذلك ، بل نؤمن به تسليماً لله سبحانه فيه ، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها ، ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا ، فلا تشبيه ولا تعطيل .

وكذلك : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ (٧) ، زيدت الألف بين اللام والهمزة ، تنبيهاً على تفصيل مهمّ ظاهر الوجود .

ومثله زيادتها في « مائة » ، لأنه إسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتين : آحاد وعشرات .

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة : الفجر . آية : ٢٣ . | (٥) سورة : الكهف . آية : ٢٣ . |
| (٢) سورة : الشعراء . آية : ٩١ . | (٦) سورة : النحل . آية : ٤٠ . |
| (٣) سورة : الفرقان . آية : ١٢ . | (٧) سورة : هود . آية : ٩٧ . |
| (٤) سورة : الزمر . آية : ٦٩ . | |

قال أبو عمرو في «المقنع» : لا خلاف في رسم ألف الوصل الناقصة من اللفظ في الدَّرج ، نحو : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾^(١) و ﴿ المسيح ابن مريم ﴾^(٢) وهو نعت ، كما أثبتوها في الخير نحو : ﴿ عزيرُ ابنُ الله ﴾^(٣) و ﴿ المسيح ابنُ الله ﴾^(٤) ، ولم تحذف إلا في خمسة مواضع^(٥) .

قال : ولا خلاف في زيادة الألف بعد الميم في «مائة» و «مائتين» ، حيث وقعا ، ولم تُزد في «فئة» ولا «فتين» وزيدت في نحو : ﴿ تَبَوَّأَ بِأَيْمِي ﴾^(٦) ، و ﴿ لَتَنوَأَ بِالْعُصْبَةِ ﴾^(٧) . ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن رسمت خطأ في المصحف إلا في هذين الموضعين . ولا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا في قوله : ﴿ مَوثَلًا ﴾^(٨) ، في الكهف لا غير .

الزائد الثاني : الواو ، زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود ، في أعظم رتبة في العيان ، مثل : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٩) ، ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾^(١٠) .

ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد .

وكذلك «أولى» ، و «أولو» ، و «أولات» ، زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على «أصحاب» ، فإن في «أولي» معنى الصحبة وزيادة التمليك والولاية عليه ، وكذلك زيدت في «أولئك» و «أولائكم» حيث وقعا بالواو ، لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود ، وليس للفرق بينه وبين «أولئك» كما قاله قوم لانتقاضه «بأولاً» .

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٨٧ . | (٦) سورة : المائدة . آية : ٢٩ . |
| (٢) سورة : المائدة . آية : ١٧ . | (٧) سورة : القصص . آية : ٧٦ . |
| (٣) سورة : التوبة . آية : ٣٠ . | (٨) سورة : الكهف . آية : ٥٨ . |
| (٤) سورة : التوبة . آية : ٣٠ . | (٩) سورة : الأعراف . آية : ١٤٥ . |
| (٥) أنظر : (المقنع ، لابن عمرو الجاني (٣١) . | (١٠) سورة : الأنبياء . آية : ٣٧ . |

الزائد الثالث : الياء ، زيدت لاختصاص ملكوتي باطن ؛ وذلك في تسعة^(١) مواضع كما قاله في المقنع :

﴿ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾^(٢) .

﴿ مَنْ نَبَّأِي الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٣) .

﴿ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ﴾^(٤) .

﴿ وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَى ﴾^(٥) .

﴿ وَمِنْ أَنَايَ اللَّيْلِ ﴾^(٦) .

﴿ أَفَإِنَّ مِتُّ ﴾^(٧) .

﴿ مِنْ وَرَائِي حِجَابٌ ﴾^(٨) .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنِينَاهَا بِأَيْدِي ﴾^(٩) .

و ﴿ بِأَيْدِيكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾^(١٠) .

قال أبو العباس المراكشي : إنما كتبت ﴿ بِأَيْدِي ﴾ بياءين فرقاً بين « الأيد » الذي هو القوة ، وبين « الأيدي » جمع « يد » ، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في دراك الملكوتي في الوجود .

وكذلك زيدت بعد الهمزة في حرفين :

﴿ أَفَإِنَّ مَاتَ ﴾^(١١) ، ﴿ أَفَإِنَّ مِتُّ ﴾^(١٢) .

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| (١) في أ ، ب : سبعة . | (٧) سورة : الأنبياء . آية : ٣٤ . |
| (٢) سورة : آل عمران . آية : ١٤٤ . | (٨) سورة : الشورى . آية : ٥١ . |
| (٣) سورة : الأنعام . آية : ٣٤ . | (٩) سورة : الذاريات . آية : ٤٧ . |
| (٤) سورة : يونس . آية : ١٥ . | (١٠) سورة : آن . آية : ٦ . |
| (٥) سورة : النحل . آية : ٩٠ . | (١١) سورة : آل عمران . آية : ١٤٤ . |
| (٦) سورة : طه . آية : ٣٠ . | (١٢) سورة : الأنبياء . آية : ٣٤ . |

وذلك لأن مرته مقطوع به ، والشرط لا يكون مقطوعاً به ، ولا ما رُتّب على الشرط هو جواب له ؛ لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق ، فتقديره : « أهم الخالدون إن متَّ »؟! فاللفظ للاستفهام والربط ، والمعنى للإنكار والنفي ، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى ، الظاهر للفهم ، الباطن في اللفظ .

وكذلك زيدت بعد الهمزة في آخر الكلمة في حرف واحد ، في الأنعام : ﴿ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(١) تبيهاً على أنها أنباء باعتبار أخبار ، وهي ملكوتية ظاهرة .

وكذلك ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾^(٢) كتبت بياءين ، تخصيصاً لهم بالصِّفة لحصول ذلك وتحققه في الوجود ؛ فإنهم هم المفتونون دونه ، فانفصل حرف « أي » بياءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً ، لكنه باطن فهو ملكوتي ، وإنما جاء اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة في الكلام ، والإمهال لهم ؛ ليقع التدبر والتذكار^(٣) ، كما جاء : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٤) ، ومعلوم أننا على هدى ، وهم على ضلال .

الوجه الثاني : ما نقص عن اللفظ :

ويأتي فيه أيضاً الأقسام السابقة :

الأول : الألف :

كل ألف تكون في كلمةٍ لمعنى له تفصيلٌ في الوجود ، له اعتباران :

إعتبار من جهة ملكوتية ، أو صفات حالية ، أو أمور علوية مما لا يدركه الحسّ فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك وإعتباراً من جهة ملكية حقيقية في العلم ، أو أمور سُفلية ؛ فإن الألف تثبت .

(٣) في ب : ليقع التدبر والتذكر .

(١) سورة : الأنعام . آية : ٣٤ .

(٤) سورة : سبأ . آية : ٢٤ .

(٢) سورة : القلم . آية : ٦ .

واعتبر ذلك في لفظتي « القرآن » و « الكتاب » فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب ، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل .

قال الله تعالى في هود : ﴿الر كِتَبٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(١) .

وقال في فصلت : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وقال : ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٣) .

ولذلك ثبت في الخط ألف « القرآن » وحذفت ألف « الكتاب » .

وقد حذفت ألف « القرآن » في حرفين ؛ هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار ؛ قال تعالى في سورة يوسف : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٤) .

وفي الزخرف : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٥) ، والضمير في الموضعين ضمير الكتاب^(٦) المذكور قبله . وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما : ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٧) ، فقريئته هي من جهة المعقولية .

وقال في الزخرف : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(٨) .

وكذلك كل ما في القرآن من « الكتاب » و « كتاب » فبغير ألف ؛ إلا في أربعة مواضع هي مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلي :

في الرعد : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٩) ، فإن هذا « كتاب » الأجل فهو أخص من الكتاب المطلق ، أو المضاف إلى الله .

(٦) سورة : يوسف . آية : ١ .

(٧) سورة : يوسف . آية : ٢ .

(٨) سورة : الزخرف . آية : ٤ .

(٩) سورة : الرعد . آية : ٣٨ .

(١) سورة : هود . آية : ١ .

(٢) سورة : فصلت . آية : ٣ .

(٣) سورة : القيامة . آية : ١٧ .

(٤) سورة : يونس . آية : ٢ .

(٥) سورة : الزخرف . آية : ٣ .

وفي الحجر : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾^(١) ، فإن هذا « كتاب » إهلاك القرى ، وهو أخص من كتاب الأجال .

وفي الكهف : ﴿ وَأَنْتَ لِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ ﴾^(٢) ، فإن هذا أخص من « الكتاب » الذي في قوله : ﴿ أَنْتَ لِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ ﴾^(٣) ؛ لأنه أطلق هذا ، وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معنى في الوجود ، والأخص أظهر تنزيلاً .

وفي النمل : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٤) ، هذا « الكتاب » جاء تابعاً للقرآن ، والقرآن جاء تابعاً للكتاب .

كما جاء في الحجر : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾^(٥) ، فما في النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلي ، فهو تفصيل للكتاب الكلي بجوامع كليته .

ومن ذلك حذف الألف في : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ تنبيهاً على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده ، وأن عنه انقضت الأسماء ؛ فهو بكليتها ؛ يدل عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلها ، وأولها ، ولهذا لم يتسم به غير الله ، بخلاف غيره من أسمائه ، فلماذا ظهرت الألف معها ، تنبيهاً على ظهور التسمية في الوجود ، وحذفت الألف التي قبل الهاء من أسم الله ، وأظهرت التي مع اللام من أوله ، دلالةً على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان ، الباطن من جهة الإدراك والعيان .

وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه : « الرحمن » حيث وقع ، بياناً لأننا نعلم حقائق تفصيل رحمته في الوجود ، فلا يُفَرِّقُ في علمنا بين الوصف والصفة ، وإنما الفرقان في التسمية والاسم ، لا في معاني الأسماء المدلول

(١) سورة : الحجر . آية : ٤ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٢٧ .

(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٤٥ .

عليها بالتسمية ، بل نُؤمن بها إيماناً مفوّضاً في علم حقيقته إليه .

قلت : وعلماء الظاهر يقولون : للاختصار وكثرة الاستعمال ، وهو من خصائص الجلالة الشريفة ، فإن همزة الوصل الناقصة من اللفظ في الدرّج تثبت خطأ إلا في البسملة ، وفي قوله في هود : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا ﴾^(١) ، ولا تحذف إلا بشرطين :

أن تضاف إلى أسم الله - ولهذا أثبتت في ﴿ باسم ربك ﴾^(٢) - وأن تكون قبله الباء ، ولم يشترط الكسائي الثاني ، فجوز^(٣) حذفها كما تحذف في « بسم الملك » ؛ والجمهور على الأول .

وكذلك حذف الألف في كثير من أسماء الفاعلين مثل : « قدر » و « علم » ، وذلك أن هذه الألف في وسط الكلمة .

وكذلك الألف الزائدة في الجموع السالمة والمكسرة ، مثل « القنيتين » ، و « الأبرار » و « الجلل » ، و « الإكرام » ، و « اختلّف » ، و « استكبر » ، فإنها كلّها وردت لمعنى مفصّل يشتمل^(٤) عليه معنى تلك اللفظة ، فتحذف حيث يبطن التفصيل ، وتثبت حيث يظهر .

وكذلك ألفت الأسماء الأعجمية كإبراهيم لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي ؛ لأن العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي لا ظهور له ، فحذفت ألفه .

قال أبو عمرو : اتّفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية كإبراهيم وإسماعيل ، وإسحق ، وهرون ، ولقمن وأما حذفها من : سليمان ، وصلاح ، ومُلك - وليست بأعجمية - فلكثرة الاستعمال ؛ فأما ما لم يكثر استعماله من

(١) سورة : هود . آية : ٤١ .

(٢) سورة : العلق . آية : ١ .

(٣) في ح - « ولم يشترط الكسائي الثاني فيجوز » .

(٤) في ب : « وردت لمعنى مفصّل ليشتمل » .

الأعجمية فبالألف ، كطالوت ، وجالوت ، وبأجوج ، ومأجوج .

واختلف المصاحف في أربعة : هاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون ؛ فأما « داود » فلا خلاف في رسمه بالألف ، لأنهم قد حذفوا منه واواً فلم يجحفوا بحذف ألف أخرى ، ومثله « إسرائيل » ترسم بالألف ، لأنه حذف منه الياء .

وكذلك اتفقوا على حذف الألف في جمع السلامة ، مذكراً كان كالعلمين ، والصَّيرين ، والصَّديقين ، أو مؤنثاً كالمسلمت ، والمؤمنت ، والطيبت ، والخبيثت ، فإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت^(١) الألف ، نحو : السائلين ، والصائمين والظانين ، والضالين ، وحاقين ، ونحوه .

قال أبو العباس : وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية ، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى ملكية ، هي أظهر في الاسم ، فثبت الألف ؛ كالأواب ، والخطاب ، والعذاب ، و ﴿ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ ﴾^(٢) ، و ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾^(٣) .

وقد تكون ملكية ، وتعتبر من جهة مرتبة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم ، فتحذف الألف ، كالمحرب ، ولأجل هذا التداخل يغمض ذلك ، فيحتاج إلى تدبر وفهم .

ومنه : ما يكون ظاهر الفرقان ، « كالأخير » و « الأشرار » ، تحذف من الأول دون الثاني .

ومنه : ما يخفى كالفراش ، ويطعمون الطعام ، فالفراش محسوس والطعام ثابت ، ووزنهما واحد ؛ وهما جسمان ، لكن يعتبر في الأول مكان التشبيه ، فإن التشبيه محسوس ، وصفة التشبيه^(٤) غير محسوس ، فالمشبه به غير محسوس في حالة الشبه ، إذا جعل جزءاً من صفة المشبه به من حيث هو مستفرش ميثوث ، لا من حيث هو جسم ؛ وأما الطعام فهو المحسوس المعطى للمحتاجين .

(١) في ب : « حرف مضعف ثبت » . (٣) سورة : الناس . آية : ٤ .

(٢) سورة : ص . آية : ٧٥ . (٤) في أ : « وصفه الشبيهة » .

وكذلك : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعْمُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ (١) ثبتت الألف في الأول ؛ لأنه سفليٌ بالنسبة إلى طعامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثاني لأنه علويٌ بالنسبة إلى طعامهم ، لعلو ملتنا على ملتهم .

وكذلك : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعْمَ ﴾ (٢) ، فحذف لعلو هذا الطعام .

وكذلك : ﴿ غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ (٣) ، « غَلَقَتْ » فيه التكثير في العمل ، فيدخل به أيضاً ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام فحذفت الألف لذلك ، ويدل عليه : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ (٤) ، فأفرد « الباب » المحسوس من أبواب الاعتصام .

وكذلك : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (٥) ؛ محذوف لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية ، و : ﴿ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابَ ﴾ (٦) ملكية من حيث هي لهم ، فثبتت الألف . و ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ (٧) ، ثابتة لأنها من جهة دخولهم محسوسة سفلية . وكذلك : ﴿ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ (٨) من حيث حصرها العدد في الوجود ، ملكية فثبتت الألف (٩) .

وكذلك : « الجراد » و « الضفدع » (١٠) ، الأول ثابت ، فهو الذي في الواحدة المحسوسة ، والثاني محذوف لأنه ليس في الواحدة المحسوسة ، والجمع هنا ملكوتي من حيث هو آية (١١) .

وكذلك : ﴿ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾ (١٢) حذفت لأنها أمثال كلية لم يتعين فيها

(١) سورة : المائدة . آية : ٥ . (٥) سورة : الزمر . آية : ٧٣ .

(٢) سورة : المائدة . آية : ٧٥ . (٦) سورة : ص . آية : ٥٠ .

(٣) سورة : يوسف . آية : ٢٣ . (٧) سورة : الزمر . آية : ٧٢ .

(٤) سورة : يوسف . آية : ٢٥ . (٨) سورة : الحجر . آية : ٤٤ .

(٩) من « كذلك : (سبعة أبواب) » إلى : « فثبتت الألف » . ساقط من ج .

(١٠) سورة : الأعراف . آية : ١٣٣ .

(١١) في أ : « من حيث هو آية » . (١٢) سورة : الواقعة . آية : ٦١ .

للفهم جهة التماثل ؛ و ﴿ كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ ﴾^(١) ثابت الألف لأنه تعين للفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء . ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾^(٢) حذفت للعموم . و ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾^(٣) ثابت في الفرقان لأنها المذكورة حسيّة مفصلة ، ومحذوفة في الإسراء لأنها غير مفصلة باطنة .

وكذلك : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾^(٤) ، و ﴿ دُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾^(٥) الأولى محذوفة ، لأنها روحانية لا تعلم إلا إيماناً ، والثانية ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهويّ .

وكذلك : [أَلْف] ﴿ كِتَابِيَّةً ﴾^(٦) محذوفة لأنه ملكوتي و [أَلْف] ﴿ حِسَابِيَّةً ﴾^(٧) ثابتة ، لأنها ملكية ؛ وهما معاً في موطن الآخرة .
وكذلك : ﴿ الْقَضِيَّةِ ﴾^(٨) ملكوتية ، ﴿ وَمَالِيَّةً ﴾^(٩) ملكي محسوس ، فحذف الأول وثبت الثاني .

وكذلك : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَلُوتَ ﴾^(١٠) ، حذف لأنه الاسم ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾^(١١) ثبت لأنه مجسم محسوس ، [فحذف الأول وثبت الثاني]^(١٢) .

وكذلك : ﴿ سُبْحَانَ ﴾ حذفت لأنه ملكوتي إلا حرفاً واحداً ، واختلف فيه : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾^(١٣) ؛ فمن أثبت الألف قال : هذا تبرئة من مقام الإسلام ، وحضره الأجسام ، صُدِّرَ به مجاوبة للكفار في مواطن الردّ والإنكار .

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الواقعة . آية : ٢٣ . | (٧) سورة : الحاقة . آية : ٢٦ . |
| (٢) سورة : محمد . آية : ٣ . | (٨) سورة : الحاقة . آية : ٢٧ . |
| (٣) سورة : الفرقان . آية : ٩ . | (٩) سورة : الحاقة . آية : ٢٨ . |
| (٤) سورة : الحاقة . آية : ١٣ . | (١٠) سورة : البقرة . آية : ٢٥٠ . |
| (٥) سورة : الحاقة . آية : ١٣ . | (١١) سورة : البقرة . آية : ٢٥١ . |
| (٦) سورة : الحاقة . آية : ٢٥ . | |

(١٢) « فحذف الأول وثبت الثاني » غير موجودة في أ ، واستدركت من ب .

(١٣) سورة : الإسراء . آية : ٩٤ .

ومن أسقط فاعلوه حال المصطفى ﷺ لا يشغله عن الحضور تقلبه في الملكوت
الخطاب في الملك ، وهو أولى الوجهين .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (١) ، ثبتت ألف
﴿ ثَالِثُ ﴾ لأنهم جعلوه أحد ثلاثة مفصلة ، فثبتت (٢) الألف علامة لإظهارهم
التفصيل في الإله ، تعالى الله عن قولهم ! وحذفت ألف ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ لأنه إسم
العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة .

وكذلك : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ (٣) ، حذفت من ﴿ إِلَه ﴾ وثبتت
في ﴿ واحد ﴾ ألفه ، لأنه إله في ملكوته ، تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة
الإدراك ، واحد في ملكه ، تنزهه بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك . هذا
من جهة إدراكنا ، وأما من جهة ما هي (٤) عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك ،
بل يُسَلَّم علمه إلى الله تعالى فتحذف .

وكذلك سقطت الألف الزائدة لتطويل « هاء » التنبيه في النداء ، في ثلاثة
أحرف : ﴿ آيَةَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) ، و ﴿ آيَةَ السَّاحِرِ ﴾ (٦) ، و ﴿ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴾ (٧) ،
والباقى (٨) بإثبات الألف ، والسر في سقوطها في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى
الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها ، وتنبية على
الاقتصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي .

وقوله (٩) : ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٠) يدل على أنهم كل المؤمنين ،
على العموم والاستغراق فيهم .

(١) سورة : المائدة . آية : ٧٣ .

(٢) في ح : « فثبت » .

(٣) سورة : المائدة . آية : ٧٣ .

(٤) في أ ، م : « جهة ما عليه » والاضاف من ح .

(٥) سورة : النور . آية : ٣١ .

(٦) سورة : الزخرف . آية : ٤٩ .

(٧) سورة : الرحمن . آية : ٣١ .

(٨) في ح : والباقي .

(٩) في ح : بقوله .

(١٠) سورة : النور . آية : ٣١ .

وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) وقول فرعون : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ (٢) يدلُّ على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد . وقوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣) ، فإقامة الوصف مقام . الموصوف يدل على عظم الصفة الملكية ، فإنها تقتضي جميع الصفات الملكوتية والجبروتية ، فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى الاعتبار آلاء الله في بيان النعم ليشكروا ، وبيان النقم ليحذروا .

وكذلك حذفت الألف الآتية لمدِّ الصوت بالنداء ، مثل ﴿ يَقُومُ ﴾ ، ﴿ يُعْبَادُ ﴾ لأنها زائدة للتوصل بين المرتبتين ؛ وذلك أمرٌ باطن ليس بصفة محسوسة في الوجود .

قال أبو عمرو : كلُّ ما في القرآن من ذكر « آيتنا » فبغير الألف ، إلا في موضعين : في ﴿ بآياتنا ﴾ (٤) ، و ﴿ آياتنا بينات ﴾ (٥) .

وكلُّ ما فيه من ذكر « أيها » ، فبالألف ، إلا في ثلاثة مواضع محذوفة الألف : في النور : ﴿ آيَةَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٦) ، وفي الزخرف : ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ (٧) ، وفي الرحمن : ﴿ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴾ (٨) .

وكلُّ ما فيه من « ساحر » فبغير الألف إلا في واحد ؛ في الذاريات : ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٩) .

الثاني حذف الواو اكتفاء بالضممة قصداً للتخفيف :

فإذا اجتمع واوان والضم ، فتحذف الواو التي ليست عمدة ، وتبقى

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الشعراء . آية : ٣٤ . | (٦) سورة : النور . آية : ٣١ . |
| (٢) سورة : الشعراء . آية : ٤٩ . | (٧) سورة : الزخرف . آية : ٤٩ . |
| (٣) سورة : الرحمن . آية : ٣١ . | (٨) سورة : الرحمن . آية : ٣١ . |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٣٩ . | (٩) سورة : الذاريات . آية : ٣٩ . |
| (٥) سورة : يونس . آية : ١٥ . | |

العمدة ، سواء كانت الكلمة فعلاً ، مثل : ﴿ لَيْسُوْءُوا وُجُوْهُكُمْ ﴾ (١) ، أو صفة مثل « الموءدة » ، و « لِيُوْس » ، و « الغاؤون » ؛ أو اسماً مثل « داود » إلا أن يُنوى كل واحد منهما فتثبان جميعاً ، مثل « تبوءوا » فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام ، فنويت في الكلمة ، والواو الثانية ضمير الفاعل ، فثبنا جميعاً . وقد سقطت من أربعة أفعال ، تنبيهاً على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود :

أولها : ﴿ سَنَدُعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ (٢) ، وفيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصْرِ ﴾ (٣) .

وثانيها : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ (٤) ، حذفته منه « الواو » علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٥) ، وليس ﴿ يَمْحُ ﴾ معطوفاً على ﴿ يَخْتِمُ ﴾ (٦) الذي قبله ، لأنه ظهر مع ﴿ يمح ﴾ الفاعل ، وعطف على الفعل ما بعده ، وهو : ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقَّ ﴾ (٧) .

قلت : إن قيل : لم رُسم الواو في : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ (٨) ، وحذفت في : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ (٩) ؟

قلت : لأن الإثبات الأصل ، وإنما حذفته في الثانية لأن قبله مجزوم ، وإن لم يكن معطوفاً عليه ، لأنه قد عطف عليه ﴿ وَيُحِقُّ ﴾ ، وليس مقيداً بشرط ، ولكن قد يجيء بصورة العطف على المجزوم ، وهذا أقرب من عطف الجوار في النحو ، والله أعلم .

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : الإسراء . آية : ٧ . | (٦) سورة : القمر . آية : ٥٠ . |
| (٢) سورة : العلق . آية : ٨ . | (٧) سورة : الشورى . آية : ٢٤ . |
| (٣) سورة : القمر . آية : ٥٠ . | (٨) سورة : الرعد . آية : ٣٩ . |
| (٤) سورة : الشورى . آية : ٢٤ . | (٩) سورة : الشورى . آية : ٢٤ . |
| (٥) سورة : الإسراء . آية : ٨١ . | |

وثالثها : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ ﴾^(١) ، حذف الواو يدلُّ على أنه سهل عليه ويسارع فيه ، كما يعمل في الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير .

ورابعها : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾^(٢) حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

الثالث : حذف الياء اكتفاء بالكسرة :

نحو « فارهبون » ، « فاعبدون » .

قال أبو العباس : الياء الناقصة في الخط ضربان : ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة ، وضرب محذوف فيهما .

فالأول : هو باعتبار ملكوتي باطن ، وينقسم قسمين :

ما هو ضمير المتكلم ، وما هو لام الكلمة .

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم ، مثل : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾^(٣) ، ثبتت [الياء]^(٤) الأولى ، لأنه فعل ملكوتي . وكذلك ﴿ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾^(٥) . حذف الياء لاعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة ، فهو المؤتى الملكوتي من قبل الآخرة ، وفي ضمنه الجسماني للدنيا ، لأنه فاني ، والأول ثابت .

وكذلك : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٦) ، وعلمُ هذا المسئول

(١) سورة : الإسراء . آية : ١١ .

(٢) سورة : القمر . آية : ٦ .

(٣) سورة : القمر . آية : ١٦ .

(٤) في ب ، ج : « ثبتت الأولى » والاضافة من أ .

(٥) سورة : النمل . آية : ٣٦ .

(٦) سورة : هود . آية : ٤٦ .

غَيْبٌ مَلَكُوتِي ، بدليل قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (١) ، فهو بخلاف قوله : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٢) ، لأن هذا سؤالٌ عن حوادث الملك في مقام الشاهد ، كحرق السفينة ، وقتل الغلام (٣) ، وإقامة الجدار (٤) .

وكذلك : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٥) ، فحذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص الباطن .

وكذلك : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعَنِي ﴾ (٦) هو الإلتباع العلمي في دين الله بالجوارح المقصود بها وجه الله وطاعته .

وكذلك : ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (٧) ، ثبتت الياء في « المقام » لاعتبار المعنى من جهة الملك ، وحذفت من « الوعيد » لاعتباره ملكوتياً ، فخاف المقام من جهة ما ظهر للأبصار ، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار .

وكذلك : ﴿ لَيْنٌ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٨) ، هو التأخير بالمؤاخذه ، لا التأخير الجسمي ؛ فهو بخلاف قوله : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ (٩) ، لأن هذا تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة .

وكذلك : ﴿ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ (١٠) ، سياق الكلام في أمور محسوسة ، والهداية فيه ملكوتية ، وقد هداه الله في قصة الغار ، وهو في العدد ﴿ ثاني اثنين ﴾ (١١) ، حتى خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق

(٧) سورة : إبراهيم . آية : ١٤ .

(٨) سورة : الإسراء . آية : ٦٢ .

(٩) سورة : المنافقون . آية : ١١ .

(١٠) سورة : الكهف . آية : ٢٤ .

(١١) سورة : التوبة . آية : ٤٠ .

(١) سورة : هود . آية : ٤٦ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ٧٠ .

(٣) سورة : الكهف . آية : ٧٢ .

(٤) سورة : الكهف . آية : ٧٧ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ .

(٦) سورة : آل عمران . آية : ٢٠ .

أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوهم ، على ما قص الله علينا فيه ، وهذه الهداية بخلاف ما قال موسى : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) ، فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين في عالم الملك ، بدليل قوله : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ (٢) .

وكذلك : ﴿ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٣) .

وكذلك : ﴿ وَلَا تَتَّبِعَنَّ ﴾ ، هو في طريق الهداية لا في مسير موسى إلى ربه ؛ بدليل : ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ (٤) ، ولم يأمره بالمسير الحسي ، إنما أمره أن يخلفه في قومه ويصلح ، وهذا بخلاف قول هارون : ﴿ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (٥) ، فإنه اتباع محسوس في ترك ما سواه ، بدليل قوله : ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ ، وهو لا أمر له إلا الحسي .

وكذلك : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (٦) حيث وقع ، لأن النكير معتبر من جهة الملكوت ، لا من جهة أثره المحسوس ، فإن أثره قد انقضى وأخبر عنه بالفعل الماضي ، والنكير اسم ثابت في الأزمان كلها ، فيه التنبيه على أنه كما أخذ أولئك يأخذ غيرهم .

وكذلك : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٧) خاف موسى عليه السلام أن يكذِّبوه فيما جاءهم به ، وأن يكون سببه من قبله ، من جهة إفهامه لهم بالوحي ، فإنه كان عالي البيان ، لأنه كلیم الرحمن ، فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم ، فيصير إفصاحه العالي عند فهمهم النازل عُقْدَةً عليهم في اللسان ، يحتاج إلى ترجمان ؛ فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم ، وبه تتم الحجة عليهم .

-
- (١) سورة : القصص . آية : ٢٢ .
 (٢) سورة : القصص . آية : ٢٢ .
 (٣) سورة : الكهف . آية : ٦٣ .
 (٤) سورة : طه . آية : ٩٣ .
 (٥) سورة : طه . آية : ٩٠ .
 (٦) سورة : الملك . آية : ١٨ .
 (٧) سورة : الشعراء . آية : ١٢ .

وكذلك : ﴿ إِنَّ كَيْدَ لَتُرْدِينَ ﴾^(١) ، هو الإرداء الأخرويّ الملكوتي .
وكذلك : ﴿ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴾^(٢) ، ليس هو الرجم بالحجارة ، إنما هو
ما يرمونه من بهتانهم .

وكذلك : ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾^(٣) ، ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾^(٤) ،
هو الأخرويّ الملكوتي .

وكذلك : ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾^(٥) ، ﴿ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾^(٦) ، هذا الإنسان
يعتبر منزلته عند الله في الملكوت بما يتلوه في الدنيا ، وهذا من الإنسان خطأ ،
لأن الله تعالى يتلي الصالح والطالح ، لقيام حجته على خلقه .

والقسم الثاني : من الضرب^(٧) الأول ؛ إذا كانت الياء لامَ الكلمة ، سواء
كانت في الاسم أو الفعل ، نحو : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾^(٨) ، حذف تنيهاً
على المخلص لله ، الذي قلبه ونهايته في دعائه في الملكوت والآخرة ، لا في
الدنيا .

وكذلك : ﴿ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ﴾^(٩) ، هو داعٍ ملكوتيّ من عالم
الآخرة .

وكذلك : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾^(١٠) هو إتيان ملكوتيّ آخره متصل بما وراءه
من الغيب .

وكذلك : ﴿ المهتد ﴾^(١١) .

(٧) في النسخة ج : « من الصور » .

(٨) سورة : البقرة . آية : ١٨٦ .

(٩) سورة : القمر . آية : ٦ .

(١٠) سورة : هود . آية : ١٠٥ .

(١١) سورة : الكهف . آية : ١٧ .

(١) سورة : الصافات . آية : ٥٦ .

(٢) سورة : الدخان . آية : ٢٠ .

(٣) سورة : ق . آية : ١٤ .

(٤) سورة : إبراهيم . آية : ١٤ .

(٥) سورة : الفجر . آية : ١٥ .

(٦) سورة : الفجر . آية : ١٦ .

وكذلك : ﴿وَالْبَادِ﴾^(١) ، حذف لأنه على غير حال الحاضر الشاهد ، وقد جعل الله لها سراً .

وكذلك : ﴿كَالْجَوَابِ﴾^(٢) ، من حيث التشبيه ، فإنه ملكوتي ؛ إذ هو صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكي .

وكذلك : ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(٣) ، و ﴿التَّنَادِ﴾^(٤) كلاهما ملكوتي أخروي .

وكذلك : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾^(٥) ، هو السرى الملكوتي الذي يستدلُّ عليه بآخره من جهة الانقضاء أو بمسير النجوم .

وكذلك : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾^(٦) تُعتبر من حيث هي آية يدلُّ ملكها على ملكوتها ، فأخرها بالاعتبار يتصل بالملكوت بدليل قوله : ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾^(٧) .

وكذلك حذف ياء الفعل من « يُحيي » إذا انفردت ، وثبتت مع الضمير ، مثل : ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ﴾^(٨) ، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا﴾^(٩) ، لأن حياة الباطن أظهر في العلم من حياة الظاهر ، وأقوى في الإدراك .

الضرب الثاني : الذي تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة ، فهو اعتبار غيبية عن باب الإدراك جملة ، واتصاله بالإسلام بالله في مقام الإحسان ، وهو قسمان : منه ضمير المتكلم ، ومنه لام الفعل .

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم فإنها إن كانت للبعد فهو الغائب ، وإن كانت للرب فالغيبية للمذكور معها ، فإن العبد هو الغائب عن الإدراك في

- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : الحج . آية : ٢٥ . | (٦) سورة : الشورى . آية : ٣٢ . |
| (٢) سورة : سبأ . آية : ١٣ . | (٧) سورة : الشورى . آية : ٣٣ . |
| (٣) سورة : غافر . آية : ١٥ . | (٨) سورة : يس . آية : ٧٨ . |
| (٤) سورة : غافر . آية : ٣٢ . | (٩) سورة : يس . آية : ٧٩ . |
| (٥) سورة : الفجر . آية : ٤ . | |

ذلك كله ، فهو في هذا المقام مُسلم مؤمن بالغيب ، مكتفٍ بالأدلة ، فيقتصر في الخط لذلك على نون الوقاية والكسرة . ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال بالآيات دون تعرض لصفة الذات ؛ ولما كان الغرض من القرآن جهة الاستدلال واعتبار الآيات وضرب المثل دون التعرض لصفة الذات - كما قال : ﴿ وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ (٢) - كان الحذف في خواتم الآي كثيراً ؛ مثل : ﴿ فَاتَّقُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ فَارْهَبُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥) ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (٦) ، وهو كثير جداً .

وكذلك ضمير العبد ، مثل : ﴿ إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ ﴾ (٧) غائب عن علم إرادته الرحمن ، إنما علمه بها تسليماً وإيماناً برهانياً .

وكذلك قوله في العقود : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ ﴾ (٨) الناسُ كلِّي لا يدلُّ على ناس بأعيانهم ولا موصوفين بصفة فهمِ كلِّي ، ولا يعلم الكلِّي من حيث هو كلِّي ؛ بل من حيث أثر البعض في الإدراك ، ولا يعلم الكلِّي (٩) إلا من حيث هو أثر الجزئي في الإدراك ، فالخشية هنا كلية لشيء غير معلوم الحقيقة ؛ فوجب أن يكون الله أحقَّ بذلك ، فإنه حق ، وإن لم نحط به علماً ، كما أمر الله سبحانه بذلك ، ولا يُخشى غيره ، وهذا الحذف بخلاف ما جاء في البقرة : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ (١٠) ، ضمير الجمع يعود على ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (١١) من الناس ، فهم بعض لا كل ، ظهروا في الملك بالظلم ، فالخشية هنا جزئية ، فأمر سبحانه أن يُخشى من جهة ما ظهر ، كما يجب ذلك من جهة ما ستر .

(١) سورة : آل عمران . آية : ٢٨ . (٥) سورة : الذاريات . آية : ٥٦ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٧٤ . (٦) سورة : الذاريات . آية : ٥٧ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٤١ . (٧) سورة : يس . آية : ٢٣ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٤٠ . (٨) سورة : المائدة . آية : ٤٤ .

(٩) من : « من حيث هو كلِّي » إلى : « لا يعلم الكلِّي » ساقط من حـ .

(١٠) سورة : البقرة . آية : ١٥٠ . (١١) سورة : البقرة . آية : ١٥٠ .

وكذلك حذفت الياء من : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (١) ، و ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ ﴾ (٢) فإنه خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص ، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا ، وغاب العباد كلهم عن علم ذلك ، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب ؛ لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (٣) ، فإنها ثبتت ، لأنه خطاب لهم في الآخرة غير محجوبين عنه - جعلنا الله منهم - أنه منعم كريم ، وثبت حرف النداء ، فإنه أفهمهم نداءه الأخروي في موطن الدنيا ، في يوم ظهورهم بعد موتهم ، وفي محل أعمالهم ، إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخروي ، بعد موتهم وفي محل جزائهم .

وكذلك : ﴿ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ ﴾ (٤) ثبت الضمير وحرف النداء في الخط ، فإنه دعاهم من مقام إسلامهم ، وحضرة امثالهم إلى مقام إحسانهم ، ومثله : ﴿ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٥) في العنكبوت ، فإنه دعاهم من حضرتهم في مقام إيمانهم ، إلى حضرتهم ومقام إحسانهم ، إلى ما لا نعلمه من الزيادة بعد الحسنی .

وكذلك سقطتا في موطن الدعاء مثل : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ (٦) حذفت الياء لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى لغيبنا نحن عن الإدراك ، وحذف حرف النداء لأنه أقرب إلينا من أنفسنا . وأما قوله : ﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ ﴾ (٧) فأثبت حرف النداء ؛ لأنه دعا ربه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملك لقوله : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ (٨) ، وأسقط حرف ضميره لمغيبه عن ذاته في توجهه في مقام الملكوت ورتبة إحسانه في إسلامه .

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : الزمر . آية : ١٧ . | (٥) سورة : العنكبوت . آية : ٥٦ . |
| (٢) سورة : الزمر . آية : ١٠ . | (٦) سورة : نوح . آية : ٢٨ . |
| (٣) سورة : الزخرف . آية : ٦٨ . | (٧) سورة : الزخرف . آية : ٨٨ . |
| (٤) سورة : الزمر . آية : ٥٣ . | (٨) سورة : الزخرف . آية : ٨٨ . |

وكذلك في مثل : ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ ^(١) دلالة على أنه خارج عنهم في خطابه ، كما هو ظاهر في الإدراك ؛ وإن كان متصلاً بهم في النسبة الرابطة بينهم في الوجود ، العلوية من الدلائل .

والقسم الثاني : إذا كانت الياء لامَ الكلمة في الفعل أو الاسم ؛ فإنها تسقط من حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء إلى ملكوتية الباطن ، إلى ما لا يدرك منه إلا إيماناً وتسليماً ، فيكون حذف الياء منبهاً على ذلك ، وإن لم يكمل اعتباره في الظاهر من ذلك الخطاب بحسب عرض الخطاب ، مثل : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٢) ، هو ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ^(٣) وقد ابتداءً ذلك لهم في الدنيا متصلاً بالآخرة .

وكذلك : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٤) ؛ حذف لأنه يهديهم بما نصب لهم في الدنيا من الدلائل والعبر إلى الصراط المستقيم ، برفع درجاتهم في هدايتهم إلى حيث لا غاية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ^(٥) . وكذلك : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ ﴾ ^(٦) في الروم ، هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالي التي ترقى العبد في هدايته من الأرباب ^(٧) إلى ما يدرکه العيان ؛ ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان . ويدل على ذلك قوله قبلها : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ ^(٨) الآية ، فهذا النظر من عالم الملك ذاهباً في النظر إلى عالم الملكوت ^(٩) إلى ما لا يدرك إلا إيماناً وتسليماً . وهذا بخلاف الحرف الذي في النمل :

(١) سورة : هود . آية : ٦٣ . (٥) سورة : ق . آية : ٣٥ .

(٢) سورة : النساء . آية : ١٤٦ . (٦) سورة : الروم . آية : ٥٣ .

(٣) سورة : الزخرف . آية : ٧١ . (٧) في أ : « هدايته من الأوثان » .

(٤) سورة : الحج . آية : ٥٤ . (٨) سورة : النمل . آية : ٥٠ .

(٩) « ذاهباً في النظر إلى عالم الملكوت » . ساقط من ج .

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّي ﴾ (١) ؛ فثبتت الياء ؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة ،
بدليل قوله : ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِين ﴾ (٢) .

وكذلك : ﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ (٣) ، و ﴿ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ (٤) هما مبدأ
التقديس واليُمن الذي وصفا به ، فانتقل التقديس واليمن منهما إلى الجمال ،
ذاهباً بهما إلى ما لا يحيط بعلمه إلا الله .

وكذلك : ﴿ وَادِ النَّمْلِ ﴾ (٥) هو موضع لابتداء سماع الخطاب من أخفض
الخلق ، - وهي النملة - إلى أعلاهم - وهو الهدهد والطيور ، ومن ظاهر الناس
وياطن الجنّ إلى قول العفريت ، إلى قول الذي عنده علم من الكتاب ، إلى
ما وراء ذلك من هداية الكتاب ، إلى مقام الإسلام لله رب العالمين .

وكذلك ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ ﴾ (٦) سقطت الياء تنبيهاً على أنها
الله من حقّ إنشائها بعد أن لم تكن ، إلى ما وراء ذلك مما لا نهاية له من
صفاتها .

وكذلك ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ (٧) حذفت الياء تنبيهاً على أنها تجري من
محل اتصافها بالخناس ، إلى محلّ اتصافها بالكِناس ، وذلك يُفهم أنه اتصف
بالخناس عن حركة تقدمت بالوصف بالجوار الظاهر ، يفهم منه وصف بالجوار
في الباطن ؛ وهذا الظاهر مبدأ لفهمه ؛ كالنجوم الجارية داخل تحت معنى
الكلمة .

-
- (١) سورة : النمل . آية : ٨١ .
(٢) سورة : النمل . آية : ٧٩ .
(٣) سورة : طه . آية : ١٢ .
(٤) سورة : القصص . آية : ٣٠ .
(٥) سورة : النمل . آية : ١٨ .
(٦) سورة : الرحمن . آية : ٢٤ .
(٧) سورة : التكوير . آية : ١٦ .

فصل

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذي هو لام فعلٍ ، فيحذف تنبيهاً على صغر مبدأ الشيء وحقارته ، وأن منه ينشأ ويزيد ، إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله ، مثل ﴿ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً ﴾^(١) ، حذفت النون تنبيهاً على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ، ثم يترقى في أطوار التكوين ، ﴿ فَأِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾^(٢) فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون ؛ كذلك كل مرتبة ينتهي إليها كونه هي ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها ، فالوجود الدنيوي كله ناقص الكون عن كون الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾^(٣) .

وكذلك : ﴿ وَإِنَّ تَكْ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا ﴾^(٤) ، حذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار ، حقيرة في الاعتبار ، فإن إليه ترتبها وتضاعيفها . ومثله : ﴿ إِنْ تَكْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾^(٥) .

وكذلك : ﴿ أَوْلَمْ تَكْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ ﴾^(٦) جاءتهم الرسل من أقرب شيء في البيان ، الذي أقل من مبدأ فيه وهو الحس ، إلى العقل ، إلى الذكر . ورفوهم من أخفض رتبة - وهي الجهل - إلى أرفع درجة في العلم - وهي اليقين -

(١) سورة : القيامة . آية : ٣٧ .

(٢) سورة : يس . آية : ٧٧ .

(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٦٤ .

(٤) سورة : غافر . آية : ٤٠ .

(٥) سورة : لقمان . آية : ١٦ .

(٦) سورة : غافر . آية : ٥٠ .

وهذا بخلاف قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾^(١) ؛ فَإِنْ كُنْ تِلَاوَةَ
الآيات قد أكمل كونه وتم .

وكذلك : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾^(٢) هذا قد تمَّ
كونُهُ .

وكذلك : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾^(٣) هذا قد تم
كونُهُم ، غير منفكين إلى تلك الغاية المجعلولة لهم ، وهي مجيء البيئَة .

وكذلك : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ﴾^(٤) ، انتفى عن إيمانهم مبدأ
الانتفاع وأقله ، فانتفى أصله .

(٣) سورة : البيئَة . آية : ١ .

(٤) سورة : غافر . آية : ٨٥ .

(١) سورة : المؤمنون . آية : ١٠٥ .

(٢) سورة : النساء . آية : ٩٧ .

فصل

فيما كتبت الألف فيه واواً على لفظ التفخيم

وذلك في أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة .

فالأربعة الأصول : هي ﴿ الصَّلوة ﴾ ، و ﴿ الزَّكوة ﴾ ، و ﴿ الحيوة ﴾ ، و ﴿ الربوا ﴾ .

والأربعة الأحرف : قوله في الأنعام والكهف : ﴿ بِالْعَذْوَةِ ﴾^(١) ، والنور : ﴿ كَمِشْكُوَةٍ ﴾^(٢) ، وفي المؤمن : ﴿ النَّجْوَةِ ﴾^(٣) ، وفي النجم : ﴿ وَمَنُوءَ ﴾^(٤) .
فأما قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾^(٥) ، ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾^(٦) ، ﴿ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾^(٧) ، ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ رَبِّاً ﴾^(٨) ، فالرسمُ بالألف في الكل .

والقصدُ بذلك تعظيمُ شأن هذه الأحرف فإن الصلاة والزكاة عمودا الإسلام ، والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ، ومفتاح التقوى ؛ ولهذا قال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٩) ويشتمل على أنواع الحرام ، وأنواع الخباثت ، وضروب المفاسد ؛ وهو نقيض الزكاة ؛ ولهذا قوبل بينهما في

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ٥٢ . | (٦) سورة : الأنعام . آية : ١٦٢ . |
| (٢) سورة : النور . آية : ٣٥ . | (٧) سورة : الأنعام . آية : ٢٩ . |
| (٣) سورة : غافر . آية : ٤١ . | (٨) سورة : الروم . آية : ٣٩ . |
| (٤) سورة : النجم . آية : ٢٠ . | (٩) سورة : البقرة . آية : ٢٧٨ - ٢٧٩ . |
| (٥) سورة : الأنفال . آية : ٣٥ . | |

قوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) ، واجتنابه أصل في التصرفات المالية ؛ وإنما كُتِبَتْ بالألف في سورة الروم لأنه ليس العام الكلي ؛ لأن الكلي منفي في حكم الله عليه بالتحريم ، وفي نفي الكلي نفي جميع جزئياته .

فإن قلت : فلم كتب ﴿ الزكوة ﴾ هنا بالواو ؟ وهلا جرت على نظم ما قبلها من قوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا ﴾ (٢) ؟

قلت : لأن المراد بها الكلية في حكم الله ، ولذلك قال : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ﴾ (٢) .

وأما كتاب ﴿ النجوة ﴾ بالواو فلأنها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ﴾ (٣) .

وأما ﴿ الغدوة ﴾ فقاعدة الأزمان ، ومبدأ تصرف الإنسان ؛ مشتقة من الغدو .

وأما « المشكوة » فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية ، قال الله تعالى : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) .

وأما ﴿ منوة ﴾ فقاعدة الضلال ، ومفتاح الشرك والإضلال وقد وصفها الله بوصفين : أحدهما يدل على تكثيرهم الإله من مثني (٥) ومثلث ، والثاني يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه ، تعالى الإله عما يقولون !

(١) سورة : البقرة . آية : ٢٧٦ .
(٢) سورة : الروم . آية : ٣٩ .
(٣) سورة : غافر . آية : ٤١ .
(٤) سورة : النور . آية : ٣٥ .
(٥) سورة : النجم . آية : ١٩ - ٢٠ .

فصل

في مدّ التاء وقبضها

وذلك أن هذه الأسماء لما لازمت الفعل ، صار لها اعتباران : أحدهما : من حيث هي أسماء وصفات ، وهذا^(١) تقبض منه التاء . والثاني : من حيث أن يكون مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً في الوجود ، فهذا تمدّد فيه ؛ كما تمدّد في « قالت » و« حقت » . وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة ، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة .

فمن ذلك « الرحمة » مدت في سبعة مواضع للعلّة المذكورة :

بدليل قوله في أحدها : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) فوضعها على التذكير ، فهو الفعل .

وكذلك : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾^(٣) والأثر هو الفعل ضرورة .

والثالث : ﴿ أَوْلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾^(٤) .

والرابع : في هود : ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴾^(٥) .

والخامس : ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾^(٦) .

والسادس : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾^(٧) .

(١) في النسخة أ ، ب : « وهنا » .

(٢) سورة : الأعراف . آية : ٥٦ .

(٣) سورة : الروم . آية : ٥٠ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢١٨ .

(٥) سورة : هود . آية : ٧٣ .

(٦) سورة : مريم . آية : ٢ .

(٧) سورة : الزخرف . آية : ٣٢ .

والسابع : ﴿ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

ومنه : « النعمة » بالهاء إلا في أحد عشر موضعاً مدّت بها :

في البقرة : ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) ، في آل عمران (٣) ،
والمائدة (٤) . وفي إبراهيم (٥) موضعان . والنحل (٦) ثلاثة مواضع . وفي
لقمان (٧) ، وفاطر (٨) ، والطور (٩) .

والحكمة فيها ما ذكرنا أن الحاصلة بالفعل في الوجود تُمدّ ، نحو قوله في
إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١٠) بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١١) ، فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار في تنزيلهما . وهذا بخلاف
التي في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١٢) ، كتبت مقبوضة
لأنها بمعنى الاسم ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٣) ، فهذه نعمة
وصلت من الربّ ، فهي ملكوتية ، ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم
الإنسان .

ومن ذلك « الكلمة » مقبوضة إلا في موضع في الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ (١٤) هو ماتم لهم في الوجود الأخرى بالفعل الظاهر
دليله في الملك ، وهو الاختلاف وتامها أن لها نهاية تظهر في الوجود بالفعل
فمدت التاء .

ومنها : « السنّة » مقبوضة ؛ إلا في خمسة مواضع حيث تكون بمعنى
الإهلاك والانتقام الذي في الوجود :

- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) سورة : الزخرف . آية : ٣٢ . | (٨) سورة : فاطر . آية : ٥ . |
| (٢) سورة : البقرة . آية : ٢٣١ . | (٩) سورة : الطور . آية : ٢٩ . |
| (٣) سورة : آل عمران . آية : ١٠٣ . | (١٠) سورة : إبراهيم . آية : ٣٤ . |
| (٤) سورة : المائدة . آية : ١١ . | (١١) سورة : إبراهيم . آية : ٣٤ . |
| (٥) سورة : إبراهيم . آية : ٢٨ . | (١٢) سورة : النحل . آية : ١٨ . |
| (٦) سورة : النحل . آية : ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤ . | (١٣) سورة : النحل . آية : ١٨ . |
| (٧) سورة : لقمان . آية : ٣١ . | (١٤) سورة : الأعراف . آية : ١٣٧ . |

أحدها : في الأنفال : ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١) ويدل عليها أنها في الانتقام قوله قبلها : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٢) ، وقوله بعدها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (٣) .

وفي فاطر : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٤) ، ويدل ذلك على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (٥) ، وسياق ما بعدها .

وفي المؤمن : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ ﴾ (٦) .
 أمّا إذا كانت السنّة بمعنى الشريعة والطريقة فهي ملكوتية بمعنى الاسم تقبض تاؤها ، كما في الأحزاب : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي حكم الله وشرعه .

وفي الإسراء (٧) : ﴿ سُنَّتَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ (٨) .

ومنه : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾ (٩) فرد ، مدّت تاؤه ؛ لأنه بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس ؛ لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

ومنه : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾ (١٠) فرد ، وصفها بأنها فطر الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث (١١) .

(١) سورة : الأنفال . آية : ٣٨ . (٢) سورة : الأنفال . آية : ٣٨ . (٣) سورة : الأنفال . آية : ٣٩ . (٤) سورة : فاطر . آية : ٤٣ . (٥) سورة : فاطر . آية : ٤٣ . (٦) سورة : غافر . آية : ٨٥ . (٧) « وفي الإسراء » ساقط من ج . (٨) سورة الإسراء . آية : ٧٧ . (٩) سورة : هود . آية : ٨٦ . (١٠) سورة : الروم . آية : ٣٠ . (١١) أنظر : (صحيح البخاري ١٢٥/٢ . وسنن أبي داود ٤٧١٤ ، ٤٧١٦ . ومسند أحمد بن حنبل ٢٣٣/٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤٨١ ، ٣٥٣/٣ . ومسند الحميدي ١١١٣ . والدر المشور ، للسيوطي ١٥٥/٥ ، ٢٩٨/٦ . وتفسير ابن كثير ٣٦٨/٢ ، ٢٨٦/٣ ، ٥٣/٥ ، ٢٣١/٩ ، ٣١١/٨ ، ٤٠٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٩ ، ٥٠٠ . وتفسير القرطبي ٣٩٥/٥ ، ٢٦/١٤ ، ١٣٣/١٨) .

ومنه : ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلكَ ﴾ (١) ، فَرَد ، مَدَّت تَأْوَهُ لَأَنَّهُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ إِذْ هُوَ خَبْرٌ عَنِ مُوسَى ، وَهُوَ مَوْجُودٌ حَاضِرٌ فِي الْمَلِكِ ، وَهَذَا بِخِلَافِ : ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (٢) ، فَإِنَّهُ هُنَا بِمَعْنَى الْاسْمِ ، وَهُوَ مَلَكُوتِي إِذْ هُوَ غَيْرٌ حَاضِرٍ .

ومنه : ﴿ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ (٣) مَدَّت فِي مَوْضِعَيْنِ فِي سُورَةِ الْمَجَادَلَةِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْفِعْلُ ، وَالتَّقْدِيرُ : وَلَا تَتَنَاجَوْا بِأَنْ تَعْصُوا الرَّسُولَ ، وَنَفْسُ هَذَا النُّجُوى الْوَاقِعُ مِنْهُمْ فِي الْوُجُودِ هُوَ فِعْلٌ مَعْصِيَةٌ لِقُوعِ النَّهْيِ عَنْهُ .

ومنه : « اللَّعْنَةُ » مَدَّت فِي مَوْضِعَيْنِ : فِي آيَةِ الْمَبَاهِلَةِ (٤) ، وَفِي آيَةِ اللَّعَانِ (٥) . وَكُوتُهُمَا بِمَعْنَى الْفِعْلِ ظَاهِرٌ .

ومنه : « الشَّجَرَةُ » فِي مَوْضِعٍ : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴾ (٦) ، لِأَنَّهَا بِمَعْنَى الْفِعْلِ الْإِلْزَامِ وَهُوَ تَرْقُمُهَا بِالْأَكْلِ ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي الْبُطُونِ ﴾ (٧) ، فَهَذِهِ صِفَةُ فِعْلِ كَمَا فِي الْوَاقِعَةِ : ﴿ لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ ﴾ (٨) ، وَهَذَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ ﴾ (٩) ، فَإِنَّ هَذِهِ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا : ﴿ فِتْنَةٌ لِلظَّالِمِينَ ﴾ (١٠) ، وَأَنَّهَا ﴿ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ (١١) فَهُوَ حَلِيَّةٌ لِلْإِسْمِ ، فَلِذَلِكَ قَبِضَتْ تَأْوَاهَا .

ومنه : « الْجَنَّةُ » مَدَّت فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، فِي الْوَاقِعَةِ : ﴿ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴾ (١٢) لِكُونِهَا بِمَعْنَى فِعْلِ التَّنَعُّمِ بِالنَّعِيمِ ، بِدَلِيلِ اقْتِرَانِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ وَتَأْخُرُهَا عَنْهُمَا وَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَهَذِهِ جَنَّةٌ خَاصَّةٌ بِالنَّمْعِ بِهَا .

وَأَمَّا ﴿ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (١٣) ، وَ﴿ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ (١٤) ؛ فَإِنَّ

- | | |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : القصص . آية : ٩ . | (٨) سورة : الواقعة . آية : ٥٢ . |
| (٢) سورة : الفرقان . آية : ٧٤ . | (٩) سورة : الصافات . آية : ٦٢ . |
| (٣) سورة : المجادلة . آية : ٨ - ٩ . | (١٠) سورة : الصافات . آية : ٦٣ . |
| (٤) سورة : آل عمران . آية : ٦١ . | (١١) سورة : الصافات . آية : ٦٤ . |
| (٥) سورة : النور . آية : ٧ . | (١٢) سورة : الواقعة . آية : ٨٩ . |
| (٦) سورة : الدخان . آية : ٤٣ . | (١٣) سورة : الشعراء . آية : ٨٥ . |
| (٧) سورة : الدخان . آية : ٤٣ . | (١٤) سورة : المعارج . آية : ٣٨ . |

هذا بمعنى الاسم الكلي .

ولم تمد ﴿ تَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ ﴾ ^(١) لأنها إسم ما يفعل بالمكذب في الآخرة ،
أخبرنا الله بذلك ؛ فالمؤمن يعلمه تصديقاً ولا يحذف لفعل أبداً ، والضابط
لذلك : أن ما كان بمعنى الاسم لم تمد تاؤه ، مثل :

﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٢) ، و ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، و ﴿ زُلْزَلَةَ
السَّاعَةِ ﴾ ^(٤) ، و ﴿ تَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ ^(٥) ، و ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ ^(٦) ،
و ﴿ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ^(٧) .

ومنه : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ﴾ ^(٨) : مدت التاء تنبيهاً على معنى الولادة
والحدوث من النطفة المهينة ، ولم يُضَفْ في القرآن ولدٌ إلى والد ووصف به اسم
الولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام ، لما اعتقد النصارى فيهما أنهما إلهان ،
فنبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدوئهما بعد عدمهما ؛ حتى أخبر
تعالى في موطنٍ بصفة الإضافة دون الموصوف وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ
آيَةً ﴾ ^(٩) لَمَا غَلَوَا فِي إِلَاهِيَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ أُمَّهُ ، كما نبّه تعالى على حاجتهما وتغيّر
أحوالهما في الوجود ، يلحقهما ما يلحق البشر ، قال الله تعالى : ﴿ كَأَنَّا يَاكُلَانِ
الطَّعَامِ ﴾ ^(١٠) .

ومنه : « امرأة » هي في سبعة مواضع ؛ وهي خمس من النساء : « امرأت
عمران » ^(١١) ، و « امرأت فرعون » ^(١٢) ، و « امرأت نوح » ^(١٣) ، و « امرأت
لوط » ^(١٤) ، و « امرأت العزيز » ^(١٥) ، كلها ممدودة تنبيهاً على فعل التبعل ،

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : الواقعة . آية : ٩٤ . | (٩) سورة : المؤمنون . آية : ٥٠ . |
| (٢) سورة : طه . آية : ٣١ . | (١٠) سورة : المائدة . آية : ٧٥ . |
| (٣) سورة : البقرة . آية : ١٣٨ . | (١١) سورة : آل عمران . آية : ٣٥ . |
| (٤) سورة : الحج . آية : ١ . | (١٢) سورة : القصص . آية : ٩ . |
| (٥) سورة : التحريم . آية : ٢ . | (١٣) سورة : التحريم . آية : ١٠ . |
| (٦) سورة : قريش . آية : ١ . | (١٤) سورة : التحريم . آية : ١٠ . |
| (٧) سورة : المسد . آية : ٤ . | (١٥) سورة : آل عمران . آية : ٣٥ . |
| (٨) سورة : التحريم . آية : ١٢ . | |

والصحة ، وشدة المواصله ، والمخالطة ، والائتلاف في الموجود المحسوس .

وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن .

وواحدة خاصة واصلت بعلها باطناً وظاهراً ، وهي امرأت عمران ، فجعل الله لها ذرية طيبة ، وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين .

وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها طاعة لله ، وتوكلاً عليه وخوفاً منه ، فنجاها وأكرمها ، وهي امرأت فرعون . واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهما كفراً بالله فأهلكهما الله ودمرهما ، ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة ؛ مع أنها أقرب وصله بأفضل أحباب الله .

كما لم تضر امرأت فرعون وصلتها الظاهرة بأخبث عبيد الله . وواحدة انفصلت عن بعلها بالباطن اتباعاً للهوى وشهوة نفسها ، فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكنها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها ، فلم يغن ذلك عنها شيئاً .

وقوتها وعزتها إنما كانا لها من بعلها « العزيز » ، ولم ينفعها ذلك في الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها .

كما لم يضر يوسف ما امتحن به منها ، ونجّاه الله من السجن ، ومكّن له في الأرض ، وذلك بطاعته لربه . ولا سعادة إلا بطاعة الله ، ولا شقاوة إلا بمعصيته ؛ فهذه كلها عبر وقعت بالفعل في الوجود ، في شأن كل امرأة منهن ، فلذلك مُدّت تاءاتهن .

فصل في الفصل والوصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته^(١) في الخط ؛ كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط ؛ كما تفصل كلمة عن كلمة .

فمنه : « إنما » بالكسر ، كله موصول إلا واحداً ﴿ إِنَّ مَا تَدْعُونَ لَاتٍ ﴾^(٢) ؛ لأن حرف « ما » هنا وقع على مفصل^(٣) ، فمنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ؛ فمعنى « ما » مفصول في الوجود والعلم .

ومنه : « أنما » بالفتح كله موصول إلا حرفان : ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾^(٤) ، ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾^(٥) ، وقع الفصل عن حرف التوكيد ؛ إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود ؛ إنما وصلها في العدم والنفي ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمن : ﴿ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾^(٦) ، فوصل « أنما » في النفي ، وفصل في الإثبات ، لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه : « كلما » موصول كله إلا ثلاثة :

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) في أ ، ح : « توصل كلمته » . | (٤) سورة : الحج . آية : ٦٢ . |
| (٢) سورة : الأنعام . آية : ١٣٤ . | (٥) سورة : لقمان . آية : ٣٠ . |
| (٣) في ب : « وقع على مفصل » . | (٦) سورة : غافر . آية : ٤٣ . |

في النساء : ﴿ كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ﴾^(١) فما رُدُّوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ؛ بل أنواع مختلفة في الوجود ، وصفة مردهم ليست^(٢) واحدة بل متنوعة ، فانفصل « ما » لأنه لعموم شيء مفصل في الوجود .

وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾^(٣) ، فحرف « ما » واقع^(٤) على أنواع مفصلة في الوجود .

وفي قد أفلح : ﴿ كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾^(٥) ، والأمم مختلفة في الوجود ، فحرف « ما » وقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾^(٦) ؛ فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة ؛ بدليل قوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾^(٧) .

والمخاطبون على عهد النبي ﷺ لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باشروا آباؤهم ؛ لكن مذهبهم في ذلك واحد ، فحرف « ما » إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالفرض والتوهم ، لا بالحس ، فوصلت « كل » لاتصال الأزمنة في الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهم .

وكذلك : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾^(٨) ، هذا موصول ؛ لأن حرف « ما » جاء لتعميم الأزمنة ، فلا تفصيل فيها في الوجود ، وما رزقوا هو غير مختلف ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُمْتَلَبًا ﴾ .

ومنه : « أينما » موصول إذا كانت « ما » غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها ؛ مثل :

-
- (١) سورة : النساء . آية : ٩١ .
(٢) في ج : « وصفة مردهم ليس »
(٣) سورة : المؤمنون . آية : ٣٤ .
(٤) في ح : « فحرف ما واقع . »
(٥) سورة : المؤمنون ، آية : ٤٤ .
(٦) سورة : المائدة . آية : ٧٠ .
(٧) سورة : البقرة . آية : ٩١ .
(٨) سورة : البقرة . آية : ٢٥ .

﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ ﴾^(١) . ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا ﴾^(٢) . ﴿ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخِذُوا ﴾^(٣) .
﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ ﴾^(٤) .

فهذه كلها لم تخرج عن « الأين » الملكي ، وهو متصل حساً ، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع « ما » . وتفصل « أين » حيث تكون « ما » مختلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها ، مثل :

﴿ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾^(٥) . ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(٦) . ﴿ أَيَّنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾^(٧) .

ومنه « بِسْمَا » موصول ، إلا ثلاثة أحرف : اثنان في البقرة : ﴿ بِسْمِ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٨) . ﴿ بِسْمِ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ ﴾^(٩) ، وفي الأعراف : ﴿ بِسْمِ مَا خَلَقْتُمُونِي ﴾^(١٠) .

فحرف « ما » ليس فيه تفصيل ، لأنه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلاً مذموماً ؛ على خلاف حال « ما » في المائدة : ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾^(١١) ، فحرف « ما » يشتمل على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل .

وكذلك : ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(١٢) حرف « ما » مفصول ؛ لأنه يشمل ما بعده من الأقسام .

ومنه : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَنُونَ ﴾^(١٣) . ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ﴾^(١٤) ،

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة : النحل . آية : ٧٦ . | (٨) سورة : البقرة . آية : ٩٠ ، ٩٣ . |
| (٢) سورة : البقرة . آية : ١١٥ . | (٩) سورة : البقرة . آية : ٩٣ . |
| (٣) سورة : الأحزاب . آية : ٦١ . | (١٠) سورة : الأعراف . آية : ١٥٠ . |
| (٤) سورة : النساء . آية : ٧٨ . | (١١) سورة : المائدة . آية : ٦٢ . |
| (٥) سورة : الشعراء . آية : ٩٢ . | (١٢) سورة : المائدة . آية : ٨٠ . |
| (٦) سورة : الحديد . آية : ٤ . | (١٣) سورة : الذاريات . آية : ١٣ . |
| (٧) سورة : آل عمران . آية : ٩٢ . | (١٤) سورة : غافر . آية : ١٦ . |

”يَوْمَ هَمَّ عَلَى النَّارِ يَنْصَبُونَ“ ”يَوْمَ هَمَّ بِالرُّعُومِ“

حرفان ، فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ ، وأضيف « اليوم » إلى الجملة المنفصلة عنه .

و﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾^(١) ، و﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾^(٢) ، وصل الضمير لأنه مفرد ؛ فهو جزء الكلمة المركبة من « اليوم » المضاف والضمير المضاف إليه .

ومنه : « في ما » مفصول أحد عشر حرفاً :

في البقرة : ﴿ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَعْرُوفٍ ﴾^(٣) ، وذلك لأن « ما » يقع على فرد واحد من^(٤) أنواع ينفصل بها المعروف في الوجود و^(٥) على البدلية أو الجمع ؛ يدل على ذلك تنكيه « المعروف » ودخول حرف التبعض عليه ؛ فهو حَسِّيٌّ يُقَسَّمُ ، وحرف « ما » وقع على كل واحد منهما على البدلية أو الجمع ؛ وأما قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٦) فهذا موصول لأن « ما » واقعة على شيء واحد غير مفصل ، يُدَلِّكُ عليه وصفه بالمعروف .

وكذلك : ﴿ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾^(٧) ، وهو مفصول ؛ لأن شهوات الأنفس مختلفة أو مفصلة ، في الوجود . وكذلك فتدبره في سائرها .

ومنه : ﴿ لِكَيْلَا ﴾ موصول في ثلاثة مواضع ؛ وبقاها منفصل ؛ وإنما يُوصَلُ حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلي فيوصل ؛ لأن نفي الكلي

(١) سورة : الطور . آية : ٤٥ .

(٢) سورة : الزخرف . آية : ٨٣ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ٢٤٠ .

(٤) في ب : « على فرد واحد أنواع » والاضافة من أ ، ح .

(٥) في ب : « في الوجود على البدلية » . والاضافة من أ ، ح .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٢٣٤ .

(٧) سورة : الأنبياء . آية : ١٠٢ .

نفي لجميع جزئياته ، فعلةً نفيه هي علةً نفي أجزائه ؛ وليس للكلي المنفي أفراد في الوجود ، وإنما ذلك فيه بالتوهم ، ويفصل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئي ؛ فإن نفي الجزئي لا يلزم منه نفي الكلي ؛ فلا تكون علة نفي الجمع :

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾^(١) في الحج .

وفي الأحزاب : ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾^(٢) .

وفي الحديد : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾^(٣) .

فهذه هي الموصولة ، وهي بخلاف : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾^(٤) في النحل ؛ لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار ؛ وهو في الأول عام الاعتبار لدخول « من » عليه ؛ وهذا كقوله تعالى عن أهل الجنة : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾^(٥) ، اختص المظروف بقبل في الدنيا ، ففيها كانوا مشفقين خاصة .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾^(٦) ، فهذا الظرف عام لدعائهم بذلك في الدنيا والآخرة فلم يختص المظروف بقبل بالدنيا .

وكذلك : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا ﴾^(٧) فهذا المنفي هو حرج مقيد بظرفين .

وكذلك : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾^(٨) ، فهذا النفي هو كون : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾^(٩) دولة بين الأغنياء من المؤمنين ، وهذه قيود كثيرة .

(٦) سورة : الطور . آية : ٢٨ .

(٧) سورة : الأحزاب . آية : ٧٠ .

(٨) سورة : الحشر . آية : ٧٧ .

(٩) سورة : الحشر . آية : ٧٧ .

(١) سورة : الحج . آية : ٥ .

(٢) سورة : الأحزاب . آية : ٥٠ .

(٣) سورة : الحديد . آية : ٢٣ .

(٤) سورة : النحل . آية : ٧٠ .

(٥) سورة : الطور . آية : ٢٦ .

ومن ذلك « هم » ونحوه من الضمائر تدلّ على جملة المسمّى من غير تفصيل ، والإضمار حالّ لا صفة وجود ، فلا يلزمها التقسيم الوجوديّ إلا الوهمي الشعريّ والخطأ بما يرسم على العلم الحق .

ومن ذلك « مَالٍ » أربعة أحرف مفصولة ؛ وذلك أن اللام وصلّة إضافية ، فقطعت حيث تقطع الإضافة في الوجود :

فأولها في سورة النساء : ﴿ فَمَالٍ هُوَ لِآءِ الْقَوْمِ ﴾^(١) ، هذه الإشارة للفریق الذین نافقوا من القوم الذین قيل لهم : ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٢) فقطعوا وصلّ السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما ، كما أخبر سبحانه والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾^(٣) فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل ؛ فقطع لأم وصلهم في الخطأ علامة لذلك .

وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين ؛ وذلك في يوم الفصل : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾^(٤) .

والثاني : في سورة الكهف : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾^(٥) ؛ وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جعل الموعد لهم بوصل إحصاء الكتاب ، وعدم مغادرته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله ، فلذلك ينكرون على الكتاب في الآخرة ؛ ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم في تلك الآيات من الكهف .

والثالث : في سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾^(٦) فقطعوا وصل الرسالة لأكل الطعام فأنكروا فقطعوا قولهم هذا ليزول عن اعتقادهم أنه رسول ، فقطع اللام علامة لذلك .

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : النساء . آية : ٧٨ . | (٤) سورة : الحديد . آية : ١٣ . |
| (٢) سورة : النساء . آية : ٧٧ . | (٥) سورة : الكهف . آية : ٤٩ . |
| (٣) سورة : النساء . آية : ٧٨ . | (٦) سورة : الفرقان . آية : ٧ . |

والرابع : في المعارج : ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ (١) ، هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات ، كما يدل عليه ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ ﴾ (٢) ، قطعوا وصلهم في قلوبهم بمحمد ﷺ ، فقطع الله طمعهم في دخول الجنة ؛ ولذلك قطعت اللام علامة (٣) عليه .

ومن ذلك : ﴿ ابْنَ أُمَّ ﴾ في الأعراف (٤) مفصول ، على الأصل ، وفي طه (٥) : ﴿ ابْنُؤُمَّ ﴾ موصول لسرّ لطيف ؛ وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب (٦) على الأصل الظاهر في الوجود ، ولما تمادى ناداه بحرف النداء ، يتبّه لبعده عنه في الحال ، لا في المكان ، مؤكداً لوصلة الرّحم بينهما بالربط ؛ فلذلك وصل في الخط ، ويدل عليه نصب « الميم » ليجمعهما الاسم بالتعميم .

ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها ، وهي : الألف ، والواو ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي ؛ لأنها علامات لانفصالات ونهايات ، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة .

-
- (١) سورة : المعارج . آية : ٢٦ ، ٣٧ .
(٢) سورة : المعارج . آية : ٣٧ .
(٣) في ح : « اللام عليه » .
(٤) سورة : الأعراف . آية : ١٥٠ .
(٥) سورة : طه . آية : ٩٤ .
(٦) في ح : « فناداه من قريب » .

فصل في بعض حروف الإدغام

فمنه : ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١) ، فرد ظهر فيه النون وقطع عن الوصل ، لأن معنى « ما » عموم كليّ تحته أنواع مفصلة في الوجود غير متساوية في حكم النّهي عنها ، ومعنى « عن » المجاوزة والمجاورة للكليّ مجاوزة لكل واحد من جزئياته ، ففصل علامةً لذلك .

وكذلك : ﴿مِنْ مَا﴾ ثلاثة أحرف مفصولة لا غير .

في النساء : ﴿مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٢) .

وفي الروم : ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٣) .

وفي المنافقين : ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَارَزَقْنَاكُمْ﴾^(٤) .

وحرف « ما » في هذه كلّها مقسم في الوجود بأقسام^(٥) منفصلة غير متساوية في الأحكام ، وهي بخلاف قوله : ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦) ؛ فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة فهي غير مختلفة في وصفها بكتب أيديهم ؛ فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو في إفراده بالسوية .

وكذلك : « أَمْ مِنْ » بالفصل ، أربعة أحرف لا غير :

(٤) سورة : المنافقون . آية : ١٠ .

(١) سورة : الأعراف . آية : ١٦٦ .

(٥) في جـ : « مقسم في الوجود بأنواع » .

(٢) سورة : النساء . آية : ٢٥ .

(٦) سورة : البقرة . آية : ٧٩ .

(٣) سورة : الروم . آية : ٢٨ .

في النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (١) .

وفي التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ ﴾ (٢) .

وفي الصافات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ (٣) .

وفي السجدة : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي ﴾ (٤) .

فهذه الأربعة الأحرف « مَنْ » فيها تقسّم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها ، مثل : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي ﴾ (٥) ، فهذا موصول ؛ لأنه من نوع واحد حيث يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مستقيم .

وكذا : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ (٦) ؛ لا تفاصيل تحتها في الوجود .

وكذلك : ﴿ عَنْ مَنْ ﴾ مفصول :

حرفان في النور : ﴿ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٧) ، وفي النجم : ﴿ عَنْ مَنْ تَوَلَّى ﴾ (٨) ، حرف « مَنْ » فيهما كلّي وحرف « عن » للمجاورة ، والمجاورة عن الكلّي مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس ؛ فلا وصلة بين الجزأين (٩) في الوجود فلا يوصلان في الخطّ .

وكذلك « مَمَّنْ » موصول (١٠) كلّه لأن « مَنْ » بفتح الميم جزئي بالنسبة إلى « ما » ، فمعناه « أزيد » من جهة المفهوم ، ومعنى « ما » أزيد من جهة العموم ، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجوداً بالحصص ، والحصّة منه لا تنفصل ، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجوداً .

-
- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| (١) سورة : النساء . آية : ١٠٩ . | (٦) سورة : النمل . آية : ٦١ . |
| (٢) سورة : التوبة . آية : ١٠٩ . | (٧) سورة : النور . آية : ٤٣ . |
| (٣) سورة : الصافات . آية : ٣ . | (٨) سورة : النجم . آية : ٢٩ . |
| (٤) سورة : فصلت . آية : ٤٠ . | (٩) في ح : « فلا وصلة بين الحرفين » . |
| (٥) سورة : الملك . آية : ٢٢ . | (١٠) في ب : « وكذلك ممن متصل » . |

وكذلك: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾^(١) في سورة الرعد، فردة مفصولة، ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين:

أحدهما: أَنَّ الجوابَ المرتبَّ عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا، وهو البلاغ؛ بخلاف قوله: ﴿فَإِذَا مَا نُرِيَنَّكَ﴾^(٢) فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط لأنَّ الجواب المرتب عليه بالفاء خفيّ عنا، وهو الرجوع إلى الله.

والثاني: أَنَّ القصةَ الأولى منفصلة من الشرط وجوابه، وانقسم^(٣) الجواب إلى جزأين: أحدهما الترتيب بالفاء وهو البلاغ، والثاني المعطوف عليه وهو الحساب. وأحدهما في الدنيا، والآخر في الآخرة. والأول ظاهر لنا، والثاني خفيّ عنا.

وهذا الانقسام صحيح في الوجود، فقد انقسمت هذه الشرطية إلى شرطين، لانفصال جوابها إلى قسمين متغايرين، ففصل حرف الشرط علامةً لذلك، وإذا انفصلت لزم كتبه على الوقف، والشرطية الأخرى لا تنفصل، بل هي واحدة لإيجاد جوابها، فانفصال^(٤) حرف الشرط علامة لذلك.

وكذلك: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾^(٥) فرد في القَصص ثابت النون؛ وفي هود: ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾^(٦) فرد بغير نون؛ أظهر حرف الشرط في الأول لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو ﴿فَاعَلِمَ﴾ متعلق بشيء ملكوتي ظاهر، سفلي؛ وهو اتباعهم أهواءهم، وأخفي في الثاني لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو علمٌ متعلق بشيء ملكوتي خفيّ، علويّ وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد.

ومن ذلك: «أن لن» كُله مفصول إلا حرفان: ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾^(٧) في الكهف: ﴿أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾^(٨) في القيامة سقطت النون

(١) سورة: الرعد. آية: ٤٠. (٥) سورة: القصص. آية: ٥٠.

(٢) سورة: غافر. آية: ٧٧. (٦) سورة: هود. آية: ١٤.

(٣) في ح: «وجوابه والقسم». (٧) سورة: الكهف. آية: ٤٨.

(٤) في ج: «لإيجاد جوابها ففصل». (٨) سورة: القيامة. آية: ٣.

منهما في الخط تنبيهاً على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم ما ليس بمعلمٍ نسبه إلى الحي القيوم ، فأدغم حرف توكيدهم الكاذب في حرف النفي السالب هو ، بخلاف قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ (١) ، فهؤلاء لم ينسبوا ذلك لفاعل ؛ إذ ركب الفعل لما لم يسم فاعله ، وأقيموا فيه مقام الفاعل ، فعَدَمُ بعثهم تصوّروه من أنفسهم ، وحكموا به عليها توهماً ، فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة ، ولكونه حقاً بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة ثبت التوكيد ظاهراً وأدغم في حرف النفي من حيث الفعل المستقبل الذي هو فيه كاذب .

ومن ذلك كل ما في القرآن « أن لا » فهو موصول إلا عشرة مواضع فهي مفصولة ، تكتب النون فيها باتفاق ، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة توكيد القضية ولزومها :

أولها : في الأعراف : ﴿ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (٢) ، و ﴿ وَأَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (٣) .

و ﴿ أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٤) في التوبة .

﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٥) ، و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ ﴾ (٦) في

هود .

و ﴿ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ﴾ (٧) في الحج .

و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ (٨) في يس .

و ﴿ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ في الدخان (٩) .

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : التغابن . آية : ٧ . | (٦) سورة : هود . آية : ٢٦ . |
| (٢) سورة : الأعراف . آية : ١٠٥ . | (٧) سورة : الحج . آية : ٢٦ . |
| (٣) سورة : الأعراف . آية : ١٦٩ . | (٨) سورة : يس . آية : ٦٠ . |
| (٤) سورة : التوبة . آية : ١١٨ . | (٩) سورة : الدخان . آية : ١٩ . |
| (٥) سورة : هود . آية : ١٤ . | |

و ﴿ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾^(١) في الممتحنة .

و ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا ﴾^(٢) في القلم .

وواحد فيه خلاف ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾^(٣) في الأنبياء .

فتأمل كيف صحَّ في الوجود هذا التوكيد الأخير ، فلم يدخلها عليهم مسكين على غير ما قصدوا وتخللوا فيه .

وكذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف - وشأن المعرف أن يكون أبين وأظهر ، لا أخفى وأستر - ظهرت^(٤) في الخط ، ووصلت بالكلمة ؛ لأنها صارت جزءاً منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل « أليل » فإنه بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترها ويخفيها ، وكونه واحداً إما للجزئي أو للجنس فأخفي حرف تعريفه في مثله ، فإن تعين للجزئي بالتأنيث رُجع إلى الأصل .

ومثل « الذي » و « التي » وتثنيتهما وجمعهما ؛ فإنه مبهم في المعنى والكم ؛ لأن أول حده للجزئي وللجنس وكثيره للثلاث أو غيرها ؛ ففيه ظلمة الجهل كالليل . ومثل « التي »^(٥) في الإيجاب ، فإن لام التعريف دخلت على « لا » النافية وفيها ظلمة العدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف التعريف .

وكذلك « الأيكة » نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام ، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت « لَيْكَةً » علامةً على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى ؛ وذلك في حرفين : أحدهما في الشعراء^(٦) جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في

(١) سورة : الممتحنة . آية : ١٢ .

(٢) سورة : القلم . آية : ٢٤ .

(٣) سورة : الأنبياء . آية : ٨٧ .

(٤) في أ : « لا أخفي وأستر أظهرت » .

(٥) في أ ، ب : « ومثل إلا في الإيجاب » .

(٦) سورة : الشعراء . آية : ١٧٦ .

غاية البيان ، وجعلها جملة ؛ فهي آخر قصة في السورة بدليل قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ﴾ (١) فأفردتها ، والثاني في ص (٢) ، جمع الأُمم فيها بألقابهم وجعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمة فيها ، ووصف الجملة ، قال تعالى : ﴿ أَوْلَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ ، وليس الأحزاب وصفاً لكل منهم ؛ بل هو وصف جميعهم .
وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين :

أحدهما : في الحجر : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ (٣) أفردهم بالذكر والوصف .

والثاني في ق : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ (٤) ، جُمِعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كلٍ منهم لا على الجملة ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ كَذَّابٍ رُسُلًا ﴾ (٥) ، فحيث يعتبر فيهم التفضيل فصل لام التعريف ، وحيث يعتبر فيهم التوصيل وصل للتخفيف .

وكذلك : ﴿ لَتَّخَذَتْ عَلَيْهِ جُرًا ﴾ (٦) ، حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود ، فلزم عليه الأجر ، واتصل به حكماً ، بخلاف : ﴿ لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ (٧) ليس فيه وصلة اللزوم .

-
- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : الشعراء . آية : ١٩٠ . | (٥) سورة : ق . آية : ١٤ . |
| (٢) سورة : ص . آية : ١٣ . | (٦) سورة : الكهف . آية : ٧٧ . |
| (٣) سورة : الحجر . آية : ٧١ . | (٧) سورة : الإسراء . آية : ٧٣ . |
| (٤) سورة : ق . آية : ١٤ . | |

فصل

في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى

مثل : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(١) ، ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾^(٢) . ﴿ يَيْسُطُ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) ، ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾^(٤) ، فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقيد ، وبالصاد السعة^(٥) الكلية ؛ بدليل علو معنى الإطلاق ، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .

وكذلك : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ ﴾^(٦) ، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾^(٧) .

﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾^(٨) ، ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ﴾^(٩) ، فبالسين ما يحصر الشيء خارجاً عنه ، وبالصاد ما تضمنه منه .

وكذلك : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾^(١٠) ، ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾^(١١) ، فبالسين من السر ، وبالصاد من التماذي .

وكذلك : ﴿ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ ﴾^(١٢) و ﴿ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾^(١٣) ، فبالسين من الجر ، وبالصاد من الصحبة .

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ٢٤٧ . | (٨) سورة : الحديد . آية : ١٣ . |
| (٢) سورة : الأعراف . آية : ٦٩ . | (٩) سورة : يس . آية : ٥١ . |
| (٣) سورة : الرعد . آية : ٢٦ . | (١٠) سورة : هود . آية : ٥ ، ٢٠ . |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٢٤٥ . | (١١) سورة : الواقعة . آية : ٤٦ . |
| (٥) في الأصول : « وبالصاد السبعة » . | (١٢) سورة : القمر . آية : ٣٨ . |
| (٦) سورة : البقرة . آية : ٢٣ . | (١٣) سورة : الأنبياء . آية : ٤٣ . |
| (٧) سورة : الانفطار . آية : ٨ . | |

وكذلك : ﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ (٢) ، بالسین تفريق الأرزاق والإنعام ، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام .

وكذلك : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٣) ، بالصاد منعمة بما تشتهيهِ الأنفس ، وبالطاء منعمة بما تلذ الأعين . وهذا الباب كثير ، يكفي فيه اليسير .

(١) سورة : الزخرف . آية : ٣٢ .

(٢) سورة : الأنبياء . آية : ١١ .

(٣) سورة : القيامة . آية : ٢٢ - ٢٣ .

فصل

كتبوا « آلم » و « آلمر » و « آلر » موصولاً .

إن قيل : لم وصلوه والهجاء مقطوع لا ينبغي وصله ؛ لأنه لو قيل لك :
ما هجاء « زيد » ؟

قلت : زاي ، ياء ، دال ، وتكتبه مقطوعاً ، لتفرق بين هجاء الحروف
وقراءته ؟

قيل : إنما وصلوه لأنه ليس هجاء لاسمٍ معروف ؛ وإنما هي حروف
اجتمعت ، يراد بكل حرف فيها معنى .

فإن قيل : لِمَ قَطَعُوا « حَمَ عَسَقَ » ولم يقطعوا « آلمَصَ » ،
و « كَهَيْعَصَ » ؟

قيل : « حَمَ » قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت إسماءً للسور ،
فقطعت مما قبلها .

وجوزوا في : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ ﴾ و ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ﴾ وجهين : مَنْ جزمهما
فهما حرفان ، ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظهما .

* * *

٢٦ - النوع السادس والعشرون معرفة فضائله

وقد صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ،
والنسائي وغيرهم .

وقد صحَّ فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفي بعض السور بالتعيين .
وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضيلة سورة سورة ، فحديث
موضوع .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين
في إيداعه تفاسيرهم .

قلت : وكذلك الثعلبي ، لكنهم ذكروه بإسناد ، فاللومُ عليهم يقلُّ بخلاف
من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزمخشري فإن خطأه أشدَّ .

وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس
في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن
واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق ، فوضعتُ هذه الأحاديث
حسبة .

ثم قد جرت عادة المفسرين ممن ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كلِّ
سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشري فإنه يذكرها في
أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرمانى : سألتُ الزمخشري عن

العلّة في ذلك فقال : لأنها صفات لها ، والصفة تستدعي تقديم الموصوف .

وقد روى البخاري رحمه الله حديث : « خيركم مَنْ تعلم القرآن وعلمه » (١) .

وروى أصحاب السنن في حديث إلهي : « من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطيتي السائلين » . و « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » (٢) .

وقال عليه السلام : « ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » (٣) .

قال أبو النضر : يعني القرآن .

وروى أحمد من حديث أنس رضي الله عنه : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » (٤) .

وروى مسلم من حديث عمر رضي الله عنه : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » (٥) .

وقدم ﷺ في قتل أحد في القبر أكثرهم قرآناً .

* * *

(١) أنظر : (صحيح البخاري ٢٣٦/٦ . وسنن أبي داود ١٤٥٢ . وسنن الترمذي ٢٩٠٧ ،

٢٩٠٨ ، ٢٩٠٩ . وسنن ابن ماجه ٢١١ . ومسند أحمد بن حنبل ٥٨/١ ، ٦٩ . وسنن

الدارمي ٤٣٧/٢ . ومجمع الزوائد ١٦٦/٧ . وتفسير القرطبي ١٦/١) .

(٢) أنظر : (سنن الترمذي ٢٩٢٦ . والأسماء والصفات للبيهقي ٢٣٨ . وفتح الباري

٦٩/٩ . وتفسير القرطبي ٤/١) .

(٣) أنظر : (سنن الترمذي ٢٩١١ . ومسند أحمد بن حنبل ٢٦٨/٥ . والترغيب والترهيب

٣٥٠/٢ . وتاريخ بغداد ، للخطيب ٨٨/٧ ، ٢٢٠/١٢) .

(٤) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ١٢٨/٣ . ولسان الميزان ٣٠٢/٥ . وميزان الاعتدال

٤٨٢٠ . وكشف الخفا ٣٠٦/١) .

(٥) أنظر : (صحيح مسلم ، حديث ٢٦٩ من المسافرين . وسنن ابن ماجه ٢١٨ . ومسند

أحمد بن حنبل ٣٥/١ . والسنن الكبرى ٨٩/٣ . وسنن الدارمي ٤٤٣/٢ . و زاد السير

١٩٤/٨ . وتفسير القرطبي ٢٣٩/١٤ ، ٣٠٠/١٧) .

٢٧ - النوع السابع والعشرون معرفة خواصه

وقد صنّف فيه جماعة منهم التميمي ، وأبو حامد الغزالي^(١) . قال بعضهم : وهذه الحروف التي في أوائل السور جعلها الله تعالى حفظاً للقرآن من الزيادة والنقصان ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢) .

وذكر بعضهم أنه وقف على أنّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع ، فيحفظ .

وأخبر رجل من أهل الموصل قال : كان الكيا الهراسي^(٣) الإمام رحمه الله

(١) أبو حامد الغزالي ، هو : محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام ، فيلسوف ، متصوف ، له نحو ٢٠٠ مصنف . ولد سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ . من كتبه : « إحياء علوم الدين » ، و « تهافت الفلاسفة » و « المنقذ من الضلال » و « شفاء العليل » و « الولدية » و « أسرار الحج » وغيره .
أنظر : (وفيات الأعيان ١ / ٤٦٣ . وطبقات الشافعية ٤ / ١٠١ . وشذرات الذهب ٤ / ١٠ . والأعلام ٧ / ٢٢) .

(٢) سورة : الحجر . آية : ٩ .

(٣) إلكيا الهراسي ، هو : علي بن محمد الطبري ، أبو الحسن ، الملقب بعماد الدين : فقيه شافعي ، مفسر ، ولد في طبرستان سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٠٤ هـ . وعظ واتهم بالباطنية فرجم ، وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر ، وشهد له . من كتبه : « أحكام القرآن » .

أنظر : (وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧ . ومرآة الزمان ٨ / ٣٧ . وطبقات الشافعية ٤ / ٢٨١ . والأعلام ٤ / ٣٢٩) .

إذا ركب في رحلة يقول هذه الحروف التي في أوائل السور ، فسئل عن ذلك فقال : ما جعل ذلك في موضع أو كتب في شيء إلا حفظ تاليها وماله ، وأمن في نفسه من التلّف والغرق .

وحكي عن الشافعي رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمداً ، فكتب إليه في رقعة :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (١) . ﴿ لِلْسَّيِّئِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ (٢) ؛ فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ .
 وكان سفيان الثوري يكتب للمطلقة رقعة تعلق على قلبها : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ ﴾ (٣) . ﴿ فَأَخْرُجْ مِنْهَا ﴾ (٤) . ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ (٥) .

وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتثقل عليه ، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ (٦) إلى قوله ﴿ مَدَداً ﴾ (٧) ، ثم أضمر . في أي وقت أضمرت فإنك تقوم فيه ، قال : ففعلت فقامت في الوقت المعين .

قال الغزالي : وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول ، فكتب في صحيفة : البسملة ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْبِتًا ﴾ (٨) . ﴿ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٩) . ﴿ دَكَا دَكَا ﴾ (١٠) ، وألقى عليه الماء وشربه فيسر عليه البول ، وألقى الحصى .

وحكى الثعلبي في تفسيره أن قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ

- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| (١) سورة : ق . آية : ٢٢ . | (٦) سورة : الكهف . آية : ١٠٩ . |
| (٢) سورة : فصلت . آية : ٤٤ . | (٧) سورة : الكهف . آية : ١٠٩ . |
| (٣) سورة : الانشقاق . آية : ١ - ٤ . | (٨) سورة : الواقعة . آية : ٥ - ٦ . |
| (٤) سورة : الحجر . آية : ٣٤ . | (٩) سورة : الحاقة . آية : ١٤ . |
| (٥) سورة : القصص . آية : ٧٩ . | (١٠) سورة : الفجر . آية : ٢١ . |

تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يُكْتَبَ عَلَى كَاغِدٍ ، وَيُوضَعُ عَلَى شِقِّ الضَّرْسِ الِوَجِعِ ، يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

ويحكى أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيَّ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا لِي أُرَاكَ مَحْزُونًا ؟ فَقَالَ : وَلَدِي قَدْ مَرَضَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَالُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ أَنْتَ عَنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ : ﴿ وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) . ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٣) . ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) . ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) . ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٦) . ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ (٧) ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَبُرَأَ .

وحكى ابن الجوزيَّ عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية رضي الله عنها قالت : آذَانًا جَارًّا لَنَا ، فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ، وَقَرَأْتُ مِنْ تَزْوِلًا ﴿٨﴾ ، يَا مَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَمْسِكْهُ .

وفتحت عيني ؛ وَإِذَا بِهِ قَدْ نَزَلَ وَقْتُ السَّحْرِ فَزَلَّتْ قَدْمُهُ ، فَسَقَطَ وَمَاتَ .

وحكى عن ابنها أَنَّهُ كَانَ فِي دَارِهَا حَائِطٌ لَهُ جُوفٌ ، فَقَالَتْ : هَاتِ رَقْعَةً وَدَوَاةً ، فَتَاوَلْتُهَا ، فَكَبَيْتُ فِي الرَّقْعَةِ شَيْئًا ، وَقَالَتْ : دَعِهِ فِي ثَقْبٍ مِنْهُ ، فَفَعَلْتُ ، فَبَقِيَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا مَاتَتْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْقُرْطَاسَ ، فَقَمْتُ فَأَخَذْتَهُ فَوَقَعَ الْحَائِطُ ، فَإِذَا فِي الرَّقْعَةِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ (٨) ، يَا مَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَمْسِكْهُ .

تثبيته :

هذا النوع والذي قبله لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونبيته ، وتدبر الكتاب

من عقله وكفه

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة : الأنعام . آية : ٦٧ . | (٥) سورة : الإسراء . آية : ٨٢ . |
| (٢) سورة : التوبة . آية : ١٤ . | (٦) سورة : الشعراء . آية : ٨٠ . |
| (٣) سورة : يونس . آية : ٥٧ . | (٧) سورة : فصلت . آية : ٤٤ . |
| (٤) سورة : النحل . آية : ٦٩ . | (٨) سورة : فاطر . آية : ٤١ . |

الكتاب في عقله وسمعه ، وعمر به قلبه ، وأعمل به جوارحه ، وجعله سميره في ليله ونهاره ، وتمسك به وتدبره . هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب ؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذباً لقوله ؛ كما روي أن عارفاً وقعت له واقعة ، فقال له صديق له : نستعين بفلان فقال : أخشى أن تبطل صلاتي التي تقدمت هذا الأمر ، وقد صليتها .

قال صديقه : وأين هذا من هذا ؟

قال : لأنني قلت في الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) فإن استعنتُ بغيره كذبت ، والكذب في الصلاة يبطلها ، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجيم لا تكون إلا مع تحقق العداوة ، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب قوله ، فبطل ذكره .

(١) سورة : الفاتحة . آية : ٥ .

٢٨ - النوع الثامن والعشرون هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

وقد اختلف الناس في ذلك ، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ،
والقاضي أبو بكر ، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى : أنه لا فضل لبعض على
بعض ؛ لأنّ الكلّ (١) كلامُ الله ، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينها .

وروي معناه عن مالك ؛ قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على
بعض خطأ ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تُردّد دون غيرها ، واحتجوا بأنّ
الأفضل يُشعر بنقص المفضول ، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه .

قال ابن حبان في حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه : « ما أنزل الله في
التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن ، إنّ الله لا يُعطي لقارئ التوراة والإنجيل
من الثواب مثل ما يعطي لقارئ أمّ القرآن إذ الله بفضله فضّل هذه الأمة على
غيرها من الأمم ، وأعطاهما من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من
الفضل على قراءة كلامه » . قال : وقوله : أعظم سورة ، أراد به في الأجر ،
لا أن بعض القرآن أفضل من بعض .

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : الفضل
راجع إلى عِظَم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها
وتفكرها عند ورود أوصاف العلاء .

(١) في ج : لأن الكلام .

وقيل : بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ
وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ،
وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس موجوداً مثلاً في
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (٢) وما كان مثلها فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة
وكثرتها ؛ لا من حيث الصفة ، وهذا هو الحق .
وممن قال بالتفضيل إسحاق بن راهويه (٣) وغيره من العلماء .

وتوسط الشيخ عز الدين فقال : كلامُ الله في الله أفضلُ من كلام الله في
غيره ، ف ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أفضل من ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، وعلى ذلك
بنى الغزالي كتابه المسمى « بجواهر القرآن » ، واختاره القاضي أبو بكر بن
العريبي لحديث أبي سعيد بن المعلّى في صحيح البخاري : « إني لأعلمك
سورة هي أعظم السور في القرآن ، قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .
ولحديث أبي بن كعب في الصحيحين : قال لي رسول الله ﷺ : « أي
آية في كتاب الله أعظم ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « يا أباي ، أتدري
أي آية في كتاب الله أعظم ؟ » قال : قلت : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ ﴾ (٥) ، قال : فضرب في صدري وقال : « ليهنك العلم أبا المنذر » (٦) .

(١) سورة : البقرة . آية : ١٦٣ .

(٢) سورة : المسد . آية : ١ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، التميمي المروزي ، أبو يعقوب ابن راهويه :
عالم خراسان ، ولد سنة ١٦١ هـ ، وتوفي ٢٣٨ هـ . له : « المسند » أنظر : (تهذيب
ابن عساکر ٢ / ٤٠٩ ، ٤١٤ . وتهذيب التهذيب ١ / ٢١٦ . وميزان الاعتدال ١ / ٨٥ .
وحلية الأولياء ٩ / ٢٣٤ . والأعلام ١ / ٢٩٢) .

(٤) أنظر : (صحيح البخاري ٦ / ٢٠ ، ٧٧ . وفتح الباري ٨ / ١٥٦ . وسنن أبي داود ، الباب
١٥ من الوتر . ومسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢١١ . والسنن الكبرى ٢ / ٣٩٨ . والدر المنثور
٤ / ١ . وفتح الباري ٨ / ١٥٨ . وتفسير ابن كثير ١ / ٢٢ ، ٣ / ٥٤٧ . وتفسير الطبري
٤١ / ١٤) .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٥٥ .

(٦) أنظر : (صحيح مسلم ، الباب ٤٤ ، حديث ٢٥٨ من صلاة المسافرين . والمعجم =

وأخرج الحاكم في « مستدرکه » بسند صحيح عن أبي هريرة : « سيدة أي القرآن آية الكرسي »^(١) .

وفي الترمذي غريباً عنه مرفوعاً : « لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسي »^(٢) .

وروى ابن عيينة في جامعه عن أبي صالح عنه : « فيها آية الكرسي وهي سنام أي القرآن ولا تقرأ في دار فيها شيطان إلا خرج منها » ؛ وهذا لا يعارض ما قبله بأفضلية الفاتحة ، لأن تلك باعتبار السور وهذه باعتبار الآيات .

وقال القاضي شمس الدين الخويي : كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين ، وهل يجوز أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض؟

جوزه بعضهم لقصور نظرهم . وينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موضعه له حُسن ولطف ، وذاك في موضعه له حسن ولطف ، وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه .

فإن من قال : إِنَّ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٣) أبلغ من ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾^(٤) يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين ، وذلك غير صحيح ، بل ينبغي أن يقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ دعاء عليه بالخسران ، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٥) لا توجد عبارة تدل على الوجدانية

= الكبير، للطبراني ١/١٦٥ . والدر المثور ١/٣٢٢ . وزاد المسير ١/٣٠٢ . وتفسير ابن كثير ١/٤٥٠ . وتفسير القرطبي ٣/٢٦٨ .

- (١) أنظر : (المستدرک ٢/٢٦٠) .
(٢) أنظر : (سنن الترمذي ٢٨٧٨ . ومجمع الزوائد ٧/١٥٩ . والترغيب والترهيب ٢/٣٧٠) . وتفسير ابن كثير ١/٥١ ، ٤٥٤ . وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٧/٢٤٥) .
(٣) سورة : الإخلاص . آية : ١ .
(٤) سورة : اللهب . آية : ١ .
(٥) سورة : الإخلاص . آية : ١ .

أبلغ منها ، فالعالم إذا نظر إلى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (١) في باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول: أحدهما أبلغ من الآخر ، وهذا القيد يَغْفُلُ عنه بعض من لا يكون عنده علم البيان .

قلت : ولعل الخلاف في هذه المسألة يلفت عن الخلاف المشهور إن كلام الله شيء واحد أو لا ؛ عند الأشعري أنه لا يتنوع في ذاته ، إنما هو بحسب متعلقاته .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (٣) ، فجعله شيئين ، وأنتم تقولون بعدمه ، وأنه صفة واحدة ؟

قلنا : من حيث أنه كلام الله لا مزية لشيء منه على شيء . ثم قولنا : « شيء منه » يوهم التبعض ، وليس لكلام الله الذي هو صفته بعض ، ولكن بالتأويل والتفسير وفهم السامعين اشتمل على جميع أنواع المخاطبات ، ولولا تنزله في هذه المواقع لما وصلنا إلى فهم شيء منه .

وقال الحليمي : قد ذكرنا أخباراً تدلُّ على جواز المفاضلة بين السور والآيات . وقال الله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (٤) ؛ ومعنى ذلك يرجع إلى أشياء :

أحدها : أن تكون آيتا عمل ثابتتان في التلاوة ؛ إلا أن إحداهما منسوخة والأخرى ناسخة ، فنقول : إن الناسخ خيرٌ ، أي أن العمل بها أولى بالناس وأعودُ عليهم ، وعلى هذا فيقال : آياتُ الأمر والنهي والوعد والوعيد خيرٌ من آيات القصص لأن القصص إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والتبشير ، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون عن القصص ، فكل ما هو أعودُ عليهم وأنفعُ لهم مما يجري مجرى الأصول خيرٌ لهم مما يحصل تبعاً لما لا بد منه .

(١) سورة : المسد . آية : ١ . (٣) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

(٢) سورة : الإخلاص . آية : ١ . (٤) سورة : البقرة . آية : ١٠٦ .

والثاني : أن يقال : إن الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته وقدسيته أفضل أو خير ؛ بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجلُّ قدراً .

والثالث : أن يقال : سورة خير من سورة ، أو آية خير من آية ؛ بمعنى أن القارئ يتعجل بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ، ويتأدى منه بتلاوتها عبادة ، كقراءة آية الكرسي ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ؛ فإن قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يُخشى ، والاعتصام بالله جل ثناؤه ، ويتأدى بتلاوتها منه لله تعالى عبادة ، لما فيها من ذكر إسم الله تعالى جده بالصفات العُلا على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى فضل الذكر وبركته ؛ فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما يقع بها علم .

قال : ثم لو قيل في الجملة : إن القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور ، بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها ، والثواب يحسب بقراءته لا بقراءتها ، أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها ؛ وكان ذلك أيضاً نظير ما مضى .

وقد يقال : إن سورة أفضل من سورة ؛ لأن الله تعالى اعتد قراءتها كقراءة أضعافها ممّا سواها ، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا ، كما يقال : إن قوماً أفضل من قوم ، وشهراً أفضل من شهر ؛ بمعنى أن العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره ، والذنب يكون أعظم من الذنب منه في غيره . وكما يقال : إن الحرم أفضل من الحِل ، لأنه يُتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره . والله أعلم .

فصل

قال ابن العربي : إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم مقتضاها ، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته ، وهي في آي القرآن كقل هو الله أحد في سورة ، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين :

أحدهما : أنها سورة وهذه آية ، فالسورة أعظم من الآية ، لأنه وقع التحدي بها ، فهي أفضل من الآية التي لم يُتحدَّ بها .

والثاني : أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً ، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً ، فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه ، مكتوب مدده السبعة الأبحر ، لا ينفد ، عدد حروفه خمسون كلمة ، ثم يعبر عن معنى الخمسين كلمة خمسة عشر كلمة وذلك كله بيان لعظم القدرة والإنفراد بالوحدانية .

وقال أبو العباس أحمد بن المنير المالكي : كان جدِّي رحمه الله يقول : اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه أسم من أسماء الله تعالى ؛ وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها أسم الله ظاهراً في بعضها ، ومستكنّاً في بعض ؛ ويظهر للكثير من العاديين فيها ستة عشر إلا على حاد البصيرة لدقة استخراجِه : ١- الله ، ٢- هو ، ٣- الحي ، ٤- القيوم ، ٥- ضمير « لا تأخذه » ، ٦- ضمير « له » ، ٧- ضمير « عنده » ، ٨- ضمير « إلا بإذنه » ، ٩- ضمير « يعلم » ، ١٠- ضمير « علمه » ، ١١- ضمير « شاء » ، ١٢- ضمير

« كرسية » ، ١٣ - ضمير « يؤوده » ، ١٤ - وهو ، ١٥ - العليّ ، ١٦ - العظيم .
فهذه عدّة الأسماء .

وأما الخفيّ في الضمير الذي اشتمل عليه المصدر في قوله : « حفظهما » فإنه مصدر مضاف إلى المفعول ، وهو الضمير البارز ، ولا بدّ له من فاعل وهو والله ، ويظهر عند فكّ المصدر ، فتقول : ولا يؤوده أن يحفظهما هو .

قال : وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسيّ قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته عن الجّد ، فقال : يمكن أن تعدّ ما في الآية من الأسماء المشتقة كلّ واحد منها باثنين ، لأن كلّ واحد منها يحمل ضميراً ضرورةً كونه مشتقاً ، وذلك الضمير إنما يعود إلى الله وهو باعتبار ظهورها إسم ، وقد اشتملت على آخر مضمّر ، فتكون جملة العدد على هذا أحداً وعشرين إسماً ، فأجريت معه وجهاً لطيفاً ، وهو أن الاسم المشتق لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً على الأصح ، وهذه الصفات كلّها أسماء الله تعالى . ثم ولو فرضناها محتملة للضمائر بعد التسمية على سبيل التنزل ، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمّله ضميره ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم وجدت « كريماً » إنما يقع على « زيد » لأن فيه ضميره ؛ حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصاً بزيد ، بل لك أن توقعه على كلّ موصوف بالكرم من الناس ، ولا تجده مختصاً بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره ، فليس المشتق إذاً مستقلاً بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه ، فلا يمكن أن تجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معيّن البتة . قال : فرضي عن هذا البحث وصوّبه .

وقال الغزاليّ في قوله ﷺ : « إنّ لكلّ شيء قلباً ، وقلب القرآن يس »^(١) : إن ذلك لأنّ الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقرّر في

(١) أنظر : (سنن الترمذي ٢٨٢٧ . وسنن الدارمي ٤٥٦/٢ . والترغيب والترهيب ٣٧٧/٢ . وتفسير ابن كثير ٥٤٧/٦ . والدر المنثور ٢٥٦/٥) .

هذه السورة بأبلغ وجه ، فجعلت قلب القرآن لذلك . واستحسنه فخر الدين الرازي .

قال الجويني : سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : آل حم ديباج القرآن .

وقال ابن عباس : لكل شيء لباب ولباب القرآن آل حم - أو قال :

الحواميم .

وقال مسعر بن كدام : كان يقال لهنّ العرائس .

روى ذلك كله أبو عبيد في كتاب « فضائل القرآن » .

وقال حميد بن زنجويه : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن

أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل

انطلق يرتاد لأهله منزلاً ، فمرّ بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ

هبط على روضاتٍ دَمِثاتٍ ، فقال : عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب

وأعجب ، فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هذه

الروضات الدَمِثات مثل آل حم في القرآن . أورده البغوي .

وروى أبو عبيد عن بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - كراهة أن

يقال : الحواميم ، وإنما يقال : آل حم .

وفي الترمذي عن ابن عباس قال : قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ :

يا رسول الله ، قد شئت ، قال : « شيتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم

يتساءلون ، وإذا الشمس كورت » (١) .

(١) أنظر : (سنن الترمذي ٣٢٩٧ . والمستدرک ٣٤٣/٢ . ودلائل النبوة ، للبيهقي

٣٥٨/١ . ومصنف ابن أبي شيبة ٥٥٤/١٠ . وطبقات ابن سعد ١٣٨/٢/١ . ومجمع

الزوائد ٣٧/٧ ، ١١٨ ، ١٣٣ . والدر المنثور ٣١٩/٣ . وتفسير القرطبي ١/٩ . وتفسير

ابن كثير ٤/٢٣٦ . ٤٨٧/٧) .

خصّ هذه السور بالشيب لأنهنّ أجمعُ لكيفية القيامة وأهوالها من غيرهنّ .
ولهذا قال في حديث آخر : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى الْقِيَامَةَ رَأَى الْعَيْنَ فَلْيَقْرَأْ : ﴿ إِذَا
الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ » (١) .

وروى الترمذيّ : من حديث ابن عباس ، ومن حديث أنس : « إذا زلزلت
تعديل نصف القرآن ، وقلّ يأيها الكافرون تعدّل ربه » (٢) . وقال : في كل منهما
غريب .

وقد تكلم ابن عبد البر على حديث : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٣) تعديل ثلث
القرآن ، وحكى خلاف الناس فيه ، فقيل : لأنه سمع شخصاً يكرّرها تكرر من
يقراً ثلث القرآن . فخرج الجواب على هذا .
وفيه بعد عن ظاهر الحديث .

وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وقل هو الله
أحد كلّها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار . واعترض على ذلك باستلزام كون
آية الكرسي وآخر الحشر ثلث القرآن ولم يردّ فيه .

وقيل : تعديل في الثواب ، وهو الذي يشهد لظاهر الحديث .

قلت : ضعف ابن عقيل هذا وقال : لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر
ثلث القرآن ؛ لقوله ﷺ : « من قرأ القرآن فله بكلّ حرف عشر حسنات » (٤) .

ثم قال ابن عبد البر : على أني أقول : السكوت في هذه المسألة أفضل
من الكلام فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور ، قلت لأحمد بن
حنبل : قوله ﷺ : « قل هو الله أحد تعديل ثلث القرآن » ما وجهه ؟

(١) سورة : التكوير . آية : ١ .

(٢) أنظر : (سنن الترمذي ٢٨٩٤ . والمستدرك ١/٥٦٦ . ومشكاة المصابيح ، للتبريزي
٢١٥٦ . والدر المنثور ٦/٣٧٩ ، ٣٨٣ . والترغيب والترهيب ٢/٢٣٨) .

(٣) سورة : الاخلاص . آية : ١ .

(٤) أنظر : (سبق تخريجه ، راجع الفهرس) .

فلم يقم لي فيها على أمر .

وقال لي إسحاق بن راهويه : معناه أنّ الله لما فضّل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضاً فضلاً في الثواب لمن قرأه تحريضاً على تعلّمه ؛ لا أنّ مَنْ قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(١) ثلاث مراتٍ كان كمن قرأ القرآن جميعه ، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة .

قال أبو عمرو : وهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة .

قلت : وأحسن ما قيل فيه أن القرآن قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة أثلاث ، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن .

فائدة :

اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً :

الأول : آية « الدين »^(٢) ومأخذه أن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير ، فبمقتضى ذلك يُرجى عفو الله تعالى عنهم لظهور أمر العناية العظيمة بهم ، حتى في مصالحتهم الحقيرة .

الثاني : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾^(٣) ، وهذا رواه مسلم في الصحيح أثر حديث الإفك ، عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك .

الثالث : قال الشبلي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٤) ، فالله تعالى لما أذن الكافرين بدخول الباب إذا أتوا بالتوحيد والشهادة أتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها !

(٣) سورة : النور . آية : ٢٢ .

(١) سورة : الاخلاص . آية : ١ .

(٤) سورة : الأنفال . آية : ٣٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٨٢ .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ (١) .

الخامس : قوله : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٢) .

السادس : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٣) .

السابع : قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (٤) .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٥) .

حكى هذه الأقوال الخمسة الأخيرة الشيخ محيي الدين في رءوس المسائل .

التاسع : رأيت في « مناقب الشافعي » للإمام أبي محمد إسماعيل الهروي صاحب الحاكم بإسناده عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعي : أي آية أرجى ؟

قال : قوله تعالى : ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (٦) .

قال : وسألته عن أرجى حديث للمؤمن ؟

قال : حديث : « إذا كان يوم القيامة يُدفع إلى كل مسلم رجلٌ من الكفار فيذهب به إلى النار » (٧) .

العاشر ، والحادي عشر : روى الحاكم في « مستدرکه » عن محمد بن المنكدر قال : التقي ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس : أي آية في كتاب الله أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو :

(١) سورة : سبأ . آية : ١٧ . (٥) سورة : الضحى . آية : ٥ .

(٢) سورة : طه . آية : ٤٨ . (٦) سورة : البلد . آية : ١٥ - ١٦ .

(٣) سورة : الشورى . آية : ٣٠ . (٧) أنظر : (مناقب الشافعي ، للبيهقي ١٨٩/٢) .

(٤) سورة : الإسراء . آية : ٨٤ .

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾^(١) ، قال : لكن قول إبراهيم : ﴿ قَالَ
أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾^(٢) هذا لما في الصدور من وسوسة
الشیطان ، فرضي الله تعالى من إبراهيم بقوله : ﴿ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ ﴾ وقال :
صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٣) .

وقال النحاس في سورة الأحقاف : ﴿ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٤)
فقال : إن هذه الآية من أرجى آية في القرآن إلا أن ابن عباس قال : أرجى آية
في القرآن : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾^(٥) .

وأما أخوف آية فعن الإمام أبي حنيفة أنه قال : هي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٦) ولو قيل : إنها ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾^(٧)
لكان له وجه ؛ ولهذا قال بعضهم : لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم
أنم .

(٥) سورة : الرعد . آية : ٦ .

(٦) سورة : آل عمران . آية : ١٣١ .

(٧) سورة : الرحمن . آية : ٣١ .

(١) سورة : الزمر . آية : ٥٣ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٣٦٠ .

(٣) أنظر : (المستدرک) .

(٤) سورة : الأحقاف . آية : ٣٥ .

٢٩ - النوع التاسع والعشرون في آداب تلاوته وكيفيتها

اعلم أنه ينبغي لمُحْ موقع النعم على مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ تعالى القرآن العظيم أو بعضه، بكونه أعظم المعجزات ، لبقائه ببقاء دعوة الإسلام ، ولكونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فالحجة بالقرآن العظيم قائمة على كلِّ عصر وزمان ، لأنه كلام رب العالمين ، وأشرف كتبه جلَّ وعلا ، فَلْيَرَّ مَنْ عنده القرآن أن الله أنعم عليه نعمة عظيمة ، وليستحضر من أفعاله أن يكون القرآن حجة له لا عليه ؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور ، والكف عن أمور ، وذكر أخبار قوم قامت عليهم الحجة فصاروا عبرة للمعتبرين حين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم ، وأهلكوا لما عصوا ، وليحذر مَنْ علم حالهم أن يعصي ، فيصير مآله مآلهم ؛ فإذا استحضر صاحب القرآن علو شأنه بكونه طريقاً لكتاب الله تعالى ، وصدوره مصحفاً له انكفتت نفسه عند التوفيق عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح الهائل .
وأكبر معين على ذلك حُسن ترتيله وتلاوته^(١) ، قال الله تعالى لنبية ﷺ :
﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَفَرَّانًا فَرَقْنَاهُ لِيَتَّقَرَّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^(٣) .

(١) من أول الفقرة « اعلم أنه ينبغي » إلى « حسن ترتيله وتلاوته » ساقط من جـ .

(٢) سورة : المزمل . آية : ٣ .

(٣) سورة : الإسراء . آية : ١٠٦ .

فحَقُّ على كل أمرىء مسلم قرأ القرآن أن يرتِّله ، وكمال ترتيله تفخيمُ
الفاظه والإبانةُ عن حروفه ، والإفصاحُ لجميعة بالتدبر حتى يصلَ بكلِّ ما بعده ،
وأن يسكت بين النَّفس والنَّفْس حتى يرجع إليه نفسُه ، وألاً يُدغم حرفاً في
حرف ؛ لأن أقلَّ ما في ذلك أن يسقط من حسناته بعضها ، وينبغي للناس أن
يرغبوا في تكثير حسناتهم ؛ فهذا الذي وصفت أقل ما يجب من الترتيل .

وقيل : أقلُّ الترتيل أن يأتي بما يُبين ما يقرأ به ، وإن كان مستعجلاً في
قراءته ، وأكملُه أن يتوقف فيها ، ما لم يخرجها إلى التمديد والتمطيط ؛ فمن أراد
أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منزله ، فإن كان يقرأ تهديداً لفظاً^(١) به
لفظ المتهدّد ، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم .

وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه ، فيعرف من
كل آية معناها ، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ، فإذا مرَّ به آية رحمة
وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها ، واستبشر إلى ذلك ، وسأل الله
برحمته الجنة . وإن قرأ آية عذاب وقف عندها ، وتأمل معناها ؛ فإن كانت في
الكافرين^(٢) اعترف بالإيمان ، فقال : آمنا بالله وحده ، وعرف موضع التخويف ،
ثم سأل الله تعالى أن يعيده من النار .

وإن هو مرَّ بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال : « يا أيها الذين آمنوا » وقف
عندها - وقد كان بعضهم يقول : لبيك ربي وسعديك - ويتأمل ما بعدها ممّا^(٣)
أمر به ونهَى عنه ؛ فيعتقد قبول ذلك . فإن كان من الأمر الذي قد قصر عنه فيما
مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت ، واستغفر ربه في تقصيره ، وذلك مثل
قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^(٤) .

(١) في ب : « يقرأ تهديد بلفظ » .

(٢) في ب : « فإن كانت في الكافرين » .

(٣) في ب : « ويتأمل ما بعدها فيما أمر به » .

(٤) سورة : التحريم . آية : ٦ .

وعلى كل أحد أن ينظر في أمر أهله في صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم في طهاراتهم وجناباتهم ، وحيض النساء ونفاسهن . وعلى كل أحد أن يتفقد ذلك في أهله ، ويراعيهم بمسألتهن عن ذلك^(١) ، فمن كان منهم يحسن ذلك كانت مسألته تذكيراً له وتأكيداً لما في قلبه ، وإن كان لا يحسن كان ذلك تعليماً له ، ثم هكذا يراعي صغار ولده ويعلمهم إذا بلغوا سبعاً أو ثمان سنين ، ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك ؛ فمن كان من الناس قد قصر فيما مضى اعتقد قبوله والأخذ به فيما يستقبل ، وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فإنه^(٢) إذا مر به تأمله وتفهمه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾^(٣) ، فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفعاله في نفسه وذنوبه فيما بينه وبين غيره من الظلمات والغيبية وغيرها ، ورد ظلامته ، وأستغفر من كل ذنب قصر في عمله ، ونوى أن يقوم بذلك ويستحل كل من بينه وبينه شيء من هذه الظلمات ، من كان منهم حاضراً ، وأن يكتب إلى من كان غائباً ، وأن يرد ما كان يأخذه على من أخذه منه ، فيعتقد هذا في وقت قراءة القرآن حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع ؛ فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكمال ترتيل القرآن ؛ فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظها حتى يسأل عنها من يعرف معناها ؛ ليكون متعلماً لذلك طالباً للعمل به ، وإن كانت الآية قد اختلف فيها اعتقد من قولهم أقل ما يكون ، وإن احتاط على نفسه بأن يعتقد أوكد ما في ذلك كان أفضل له وأحوط لأمر دينه .

وإن كان ما يقرؤه من الآي فيما قص الله على الناس من خير من مضى من الأمم فلينظر في ذلك ، وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه ، فيجدد الله على ذلك شكراً .

(١) في ج : « بمسألتهن عنه » .

(٢) في ج : « وقد عرفه إذا مر به » .

(٣) سورة : التحريم . آية : ٨ .

وإن كان ما يقرؤه من الآي مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام ، والانتهاء عن المنهي والاجتناب له . فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيداً وعد الله به المؤمنين فليُنظر إلى قلبه ، فإن جنح إلى الرجاء فزعه بالخوف ، وإن جنح إلى الخوف فسح له في الرجاء ؛ حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين ، فإن ذلك كمال الإيمان .

وإن كان ما يقرؤه من الآي من المتشابه الذي تفرّد الله بتأويله ، فليعتقد الإيمان به كما أمر الله تعالى فقال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (١) يعني : عاقبة الأمر منه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٢) .

وإن كان موعظةً أتعظ بها ، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل .

وقال بعضهم : الناس في تلاوة القرآن على ثلاثة مقامات :

الأول : من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ، ومعرفة معاني خطابه ، فيُنظر إليه من كلامه ، وتكلمه بخطابه ، وتَمَلِّيه بمناجاته ، وتَعَرُّفه من صفاته ، فإن كل كلمة تنبئ (٣) عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إرادة ، أو فعل ؛ لأن الكلام ينبئ عن معاني الأوصاف ، ويدل على الموصوف ، وهذا مقام العارفين من المؤمنين ، لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه منعم عليه ، بل هو مقصور الفهم عن المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، مُستغرق بمشاهدة المتكلم ؛ ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق : لقد تجلّى الله لخلقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون .

ومن كلام الشيخ أبي عبد الله القرشي : لو طُهرت القلوب لم تشبع من

التلاوة للقرآن .

(١) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

(٢) سورة : آل عمران . آية : ٧ .

(٣) في ج : « فإن كل كلمة عن معنى إسم » .

الثاني : من يشهدُ بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بالطافه ، ويتملقه بإنعامه وإحسانه ، فمقام هذا الحياء والتعظيم ، وحاله الإصغاء والفهم ، وهذا لعموم المقربين .

الثالث : مَنْ يرى أنه يناجي ربّه سبحانه ، فمقام هذا السؤال والتمكّن^(١) ، وحاله الطلب ؛ وهذا المقام لخصوص أصحاب اليمين ؛ فإذا كان العبد يلقي السمع من بين يدي سميعة ، مصغياً إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعاني صفاته ، ناظراً إلى قدرته ، تاركاً لمعقوله ومعهود علمه ، متبرئاً من حوله وقوته ، معظماً للمتكلم ، متفرغاً إلى الفهم ، بحال مستقيم ، وقلب سليم ، وصفاء يقين ، وقوة علم ، وتمكين سمع - فصل الخطاب وشهد غيب الجواب ؛ لأن الترتيل في القرآن ، والتدبر لمعاني الكلام ، وحسن الاقتصاد إلى المتكلم في الإفهام ، والإيقاف على المراد ، وصدق الرغبة في الطلب - سببٌ للاطلاع على المطلع من السر المكنون المستودع .

وكلّ كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات ، للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات : أولها الإيمان بها ، والتسليم لها ، والتوبة إليها ، والصبر عليها ، والرضا بها ، والخوف منها ، والرجاء إليها ، والشكر عليها ، والمحبة لها ، والتوكل فيها .

فهذه المقامات العشر هي مقامات^(٢) المتقين ، وهي منطوية في كلّ كلمة يشهدها أهل التمكين والمناجاة ، ويعرفها أهل العلم والحياة ، لأن كلام المحبوب حياة للقلوب ، لا يُنذر به إلا حيّ ، ولا يحيا به إلا مُستجيب ، كما قال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾^(٤) .

(١) في النسخة ج : « هذا السؤال والتملق » .

(٢) في ح ، ب : « فهذه المقامات العشر هي نهايات المتقين » .

(٣) سورة : يس . آية : ٣٦ .

(٤) سورة : الأنفال . آية : ٢٤ .

ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلا من يتنقل في العشر المقامات المذكورة في سورة الأحزاب ، أولها مقام المسلمين ، وآخرها مقام الذاكرين ، وبعد مقام الذكر هذه المشاهدات العشر ، فعندها لا تملّ المناجاة ، لوجود المصافاة ، وعلم كيف تجلّى له تلك الصفات الإلهية في طيّ هذه الأدوات ، ولولا استتار كُنْه جمال كلامه بكسوة الحروف ، لما ثبت لسماع الكلام عرشٌ ولا ثرى ، ولا تمكّن لفهم عظيم الكلام إلا على حدّ فهم الخلق ، فكلّ أحدٍ يفهم عنه بفهمه الذي قُسم له ، حكمةً منه .

قال بعض العلماء : في القرآن ميادين وبساتين ، ومقاصير وعرائس ، وديابيج ورياض ، فالميمات ميادين القرآن ، والرءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصير القرآن ، والمسبّحات عرائس القرآن ، والحواميم ديابيج القرآن ، والمفصل رياضه ، وما سوى ذلك .

فإذا دخل المرید في الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديابيج ، وتنزّه في الرياض ، وسكن غرفات المقامات اقتطعه عما سواه ، وأوقفه ما يراه ، وشغله المشاهد له عما عداه ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : « اعرفوا القرآن والتمسوا غرائبه ، وغرائبه فروضه وحدوده ؛ فإن القرآن أنزل على خمسة : حلال ، وحرام ، ومحكم ، وأمثال ، ومتشابه ، فخذوا الحلال ، ودعوا الحرام ، واعملوا بالمحكم ، وأمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال »^(١) .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن .

قال ابن سبع^(٢) في كتاب « شفاء الصدور » : هذا الذي قال أبو الدرداء

(١) سبق تخريجه ، راجع الفهرس ، وطرق الحديث « أنزل القرآن على خمسة . . . » .

(٢) ابن سبع هو : الإمام أبو الربيع سليمان التيمي ، الخطيب . وقد سبقت ترجمته .

وابن مسعود لا يحصّل بمجرد تفسيره الظاهر .

وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقي من فهمه أكثر .

وقال آخرون : القرآن يحتوي على سبعة وسبعين ألف علم ، إذ لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعاً ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومطلع .
وبالجملة فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله .

فصل [في كراهة قراءة القرآن بلا تدبّر]

تكره قراءة القرآن بلا تدبّر ، وعليه حمل حديث عبد الله بن عمرو : لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ، وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليله : أهذا كهذا الشعر^(١) .

وكذلك قوله ﷺ في صفة الخوارج : « يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم »^(٢) ذمهم بإحكام ألفاظه ، وترك التفهم لمعانيه .

(١) أنظر : (صحيح البخاري ٣/٣٣٤) .
(٢) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ٣/٦٤ . والبداية والنهاية ٧/٣٠٠ . وسنن النسائي ٧/١١٩ . وسنن ابن ماجه . ١٧٥) .

فصل في تعلم القرآن

ثبت في صحيح البخاري من حديث عثمان : « خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلمه » ، وفي رواية « أفضلكم »^(١) .

وعن عبد الله يرفعه : « إن القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم »^(٢) ، رواه البيهقي .

وروي أيضاً عن أبي العالية قال : « تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل عليه السلام خمساً خمساً » ، وفي رواية : « مَنْ تعلمه خمساً خمساً لم ينسه »^(٣) .

قال أصحابنا : تعليم القرآن فرض كفاية ، وكذلك حفظه واجب على الأمة ، صرح به الجرجاني في « الشافي » والعبادي وغيرهما .

والمعنى فيه كما قاله الجويني ألا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقيين ، وإلا فالكل آثم . فإذا لم يكن في البلد أو القرية مَنْ يتلو القرآن أئتموا بأسرهم ، ولو كان هناك جماعة يُصلحون للتعليم وطُلب من بعضهم وامتنع لم يَأثم في الأصح ؛ كما قاله النووي في « التبيان » ؛ وهو نظير ما صححه في كتاب السير أن المفتي والمدرّس

(١) سبق تخريجه ، راجع الفهرس .

(٢) سبق تخريجه ، راجع الفهرس .

(٣) أنظر : (فتح الباري ، لابن حجر ١٣/٢٥٠) .

لا يأثمان بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره . وصورة المسألة فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير ؛ فإن كانت تفوت لم يجز الامتناع . كالمصلي يريد تعلم الفاتحة ولو رده لخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر ، ولضيق الوقت عن التعليم .

وينبغي تعليمه على التأليف المعهود ؛ فإنه توقيفي ؛ وقد ورد عن ابن مسعود : سئل عن الذي يقرأ القرآن منكوساً قال : ذاك منكوس القلب .

قال أبو عبيد : وجهه عندي أن يتدىء من آخر القرآن من آخر المعوذتين ؛ ثم يرتفع إلى البقرة ؛ كنجو ما تفعل الصبيان في الكتاب ، لأن السنة خلاف هذا ؛ وإنما وردت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما .

مسألة :

ويجوز أخذ الأجرة على التعليم ، ففي صحيح البخاري^(١) : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله »^(٢) .

وقيل : إن تعين عليه لم يجز ، واختاره الحلبي ، وقال : استقصر الناس المعلمين لقصرهم زمانهم على معاشر الصبيان ثم النساء حتى أثر ذلك في عقولهم ، ثم لابتغائهم عليه الأفعال وطمعهم في أطعمة الصبيان ، فأما نفس التعليم فإنه يوجب التشريف والتفضيل .

وقال أبو الليث في كتاب « البستان »^(٣) : التعليم على ثلاثة أوجه :

(١) أنظر : (صحيح البخاري ١٧١/٧) .

(٢) أنظر أيضاً : (السنن الكبرى ٤٣٠/١ ، ١٢٤/٦ ، ٢٤٣/٧ . وفتح الباري ١٩٨/١٠ ،

١٩٩ . وتفسير القرطبي ٣٣٥/١ . وسنن الدارقطني ٦٥/٣ . ولسان الميزان ٣١٨/٢ .

والدرر المنتشرة للسيوطي ٤٨) .

(٣) من : « وقال أبو الليث في كتاب البستان » حتى آخر الفصل ، ساقط من ح .

أحدها : للحسبة ولا يأخذ به عَوْضاً . والثاني : أن يعَلِّم بالأجرة . والثالث : أن يعَلِّم بغير شرط ، فإذا أُهْدِيَ إليه قَبْل .

فالأول : مأجور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : مختلف فيه ، قال أصحابنا المتقدمون : لا يجوز ؛ لقوله ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » (١) .

وقال جماعة من المتأخرين : يجوز ، مثل عصام بن يوسف ، ونصر بن يحيى ، وأبي نصر بن سلام . وغيرهم قالوا : والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفاظ وتعليم الكتابة ، فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به ؛ لأنَّ المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه .

وأما الثالث : فيجوز في قولهم جميعاً ؛ لأنَّ النبي ﷺ كان معلماً للخلق وكان يقبل الهدية .

ولحديث اللديغ لما رَقَّوه بالفاتحة ، وجعلوا له جعلاً وقال النبي ﷺ : « واضربوا لي معكم فيها بسهم » (٢) .

(١) أنظر : (صحيح البخاري ٢٠٧/٤ . وسنن الترمذي ٢٦٦٩ . وسنن الدارمي ١٣٦/١ .

ومسند أحمد بن حنبل ١٥٩/٢ . والدر المشور ٧/٣ . وتاريخ بغداد للخطيب ١٥٧/١٣ . وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٣٤٥/٣ ، ٤٣٨/١٠) .

(٢) أنظر : (السنن الكبرى ٢٠٠/٦ . ومسند أحمد بن حنبل ١٠/٣ ، ٤٤ . وشرح معاني

الأثار ، للطحاوي ١٢٧/٤) .

فصل

وَلْيُذَمِّنْ عَلَى تِلاوَتِهِ بَعْدَ تَعَلُّمِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُثْنِيًّا عَلَى مَنْ كَانَ دَابَّةَ تِلاوَةِ آيَاتِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ (١) وَسَمَّاهُ ذِكْرًا ، وَتَوَعَّدَ الْمَعْرِضَ عَنْهُ وَمَنْ تَعَلَّمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ .

وَفِي الصَّحِيحِينَ : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُو أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عِقَالِهَا » (٢) .

وَقَالَ : « بِشَمَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ : نَسِيَتْ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٌ بِلٌ هُوَ نُسِّيٌّ وَاسْتَذَكُرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَضُّيًّا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النِّعَمِ فِي عِقَالِهَا » (٣) .

مسألة :

يَسْتَحَبُّ الْاسْتِيَاكُ وَتَطْهِيرُ فَمِهِ ، وَالطَّهَارَةُ لِلْقِرَاءَةِ بِاسْتِيَاكِهِ ، وَتَطْهِيرُ بَدَنِهِ بِالطَّيِّبِ الْمَسْتَحَبِّ تَكْرِيمًا لِحَالِ التِّلاوَةِ ، لِابْسَاءِ مِنَ الثِّيَابِ مَا يَتَجَمَّلُ بِهِ بَيْنَ

(١) سورة : آل عمران . آية : ١١٣ .

(٢) أنظر : (صحيح مسلم ، الباب ٣٣ من صلاة المسافرين . ومسند أحمد بن حنبل ٣٩٧/٤ . ومجمع الزوائد ١٦٩/٧ . وفتح الباري ٧٩/٩ . والمستدرک ٥٥٣/١ . وحلية الأولياء ١٨٨/٤ . وتاريخ بغداد ، للخطيب ٤٢٤/١٠) .

(٣) أنظر : (صحيح مسلم ، حديث ٢٢٨ ، ٢٣٠ من كتاب المسافرين . ومسند أحمد بن حنبل ٤١٧/١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٩ . وسنن الدارمي ٣٠٩/٢ ، ٤٣٩ . وامالي الشجري ١١٣٠/١ . والسنن الكبرى ، للبيهقي ٣٩٥/٢) .

الناس ؛ لكونه بالتلاوة بين يدي المنعم المتفضل بهذا الإيناس ، فإن التالي للكلام ، بمنزلة المكالم الذي الكلام ، وهذا غاية التشريف من فضل الكريم العلام .

ويستحب أن يكون جالساً مستقبل القبلة ؛ سئل سعيد بن المسيب عن حديث وهو متكئ ؛ فاستوى جالساً وقال : أكره أن أحدث عن رسول الله ﷺ وأنا متكئ ، وكلام الله تعالى أولى .

ويستحب أن يكون متوضئاً ؛ ويجوز للمحدث ، قال إمام الحرمين وغيره : لا يقال إنها مكروهة ، فقد صح أنه ﷺ كان يقرأ مع الحدّث وعلى كل حال سوى الجنابة . وفي معناها الحيض والنفاس .

وللشافعي قول قديم في الحائض ، تقرأ خوف النسيان .

وقال أبو الليث : لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة . قال : وإذا أرادت الحائض التعلّم فينبغي لها أن تلقن نصف آية ، ثم تسكت ولا تقرأ آية واحدة بدفعة واحدة .

وتكره القراءة حال خروج الريح ؛ وأما غيره من النواقض كاللمس والمس ونحوه فيحتمل عدم الكراهة ؛ لأنه غير مستقدر عادة ، ولأنه في حال خروج الريح يبعده بخلاف هذه .

مسألة :

يستحب التعوذ قبل القراءة ، فإن قطعها قطع ترك وأراد العوذ جدد ، وإن قطعها لعذر عازماً على العوذ كفاه التعوذ الأول ما لم يطل الفصل . ولا بد من قراءة البسمة أول كل سورة تحرّزاً من مذهب الشافعي ؛ وإلا كان قارئاً بعض السور لا جميعها ؛ فإن قرأ من (١) أثنائها استحب له البسمة أيضاً ، نص عليه الشافعي رحمه الله فيما نقله العبادي .

(١) في ب : « فإن قرأ في » .

وقال الفاسي^(١) في شرح القصيدة : كان بعضُ شيوخنا يأخذ علينا في الأجزاء القرآنية بترك البسمة ، ويأمرنا بها في حزب : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) ؛ وفي حزب : ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٣) لما فيهما بعد الاستعاذة من قبح اللفظ . وينبغي لمن أراد ذلك أن يفعلهُ ؛ إذا ابتدأ مثل ذلك ، نحو : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(٤) ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾^(٥) ؛ لوجود العلة المذكورة . وقد كان مكِّي^(٦) يختار إعادة الآية قبل كل حزب من الحزبين المذكورين للعلة المذكورة .

مسألة (٧) :

ولتكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتقان لهذا الشأن ، الجامعين بين الدراية والرواية ، والصدق والأمانة ، وقد كان النبي ﷺ يجتمع به جبريل في رمضان فيدارسه القرآن .

مسألة :

وهل القراءة في المصحف أفضل ، أم على ظهر القلب ، أم يختلف الحال ؟ ثلاثة أقوال :

(١) الفاسي ، هو : محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف ، أبو عبد الله ، جمال الدين الفاسي : عالم بالقراءات . ولد بفاس سنة ٥٨٩ ، وتوفي سنة ٦٥٦ . وانتقل إلى مصر ، ثم أقام وتوفي بحلب . له « اللآلئ الفريدة » في شرح الشاطبية .
أنظر : (غاية النهاية ١٢٢/٢ . وبيروكلمان ٧٢٨/١ . والأعلام ٨٦/٦) .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٥٥ .

(٣) سورة : فصلت . آية : ٤٧ .

(٤) سورة : الروم . آية : ٥٤ .

(٥) سورة : الأنعام . آية : ١٤١ .

(٦) مكِّي بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ ، وقد سبقت ترجمته .

(٧) هذه المسألة ساقطة من ح .

أحدها: أنها من المصحف أفضل؛ لأن النظر فيه عبادة، فتجتمع القراءة والنظر، وهذا قاله القاضي الحسين والغزالي، قال: وعلة ذلك أنه لا يزيد على... (١) وتأمل المصحف وجمله (٢)، ويزيد في الأجر بسبب ذلك. وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع، وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون في المصحف، ويكرهون أن يخرج يومٌ ولم ينظروا في المصحف.

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن؛ إني لأصلي العتمة، وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصبح.

وقال عبد الله بن أحمد: كان أبي يقرأ في كل يوم سُبْعاً من القرآن لا يتركه نظراً.

وروى الطبراني (٣): من حديث أبي سعيد بن عون المكي عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفي عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة» (٤).

(١) مكان النقط : بياض في الأصول .

(٢) في ب : « وتأمل المصحف ونحوه » .

(٣) الطبراني هو : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم . من كبار المحدثين ولد بعكا سنة ٢٦٠ هـ . وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠ هـ .

له : « المعجم الصغير » و « المعجم الأوسط » و « المعجم الكبير » و « التفسير » و « الأوائل » و « دلائل النبوة » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٢١٥ . والنجوم الزاهرة ٤/٥٩ . وتهذيب ابن عساكر ٦/٢٤٠) .

(٤) أنظر : (المعجم الكبير ، للطبراني ١/١٩١ . ومشكاة المصابيح ، للتبريزي ٢١٦٧ . وعلل الحديث ، لابن أبي حاتم ١٧٢٦) .

وأبو سعيد قال فيه ابن معين: لا بأس به .

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» من طريقين إلى عثمان بن عبد الله بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ القرآن في المصحف كانت له ألفا حسنة، ومَنْ قرأه في غير المصحف - فأظنه قال - كَألف حسنة» .

وفي الطريق الأخرى قال: «درجة» ، وجزم بألف إذا لم يقرأ في المصحف .

وروى ابن أبي داود بسنده عن أبي الدرداء مرفوعاً: «من قرأ مائتي آية كلَّ يوم نظراً شُفِعَ في سبعة قبور حول قبره، وخُفِّفَ العذاب عن والديه وإن كانا مشركين» .

وروى أبو عبيد في «فضائل القرآن» بسنده عن النبي ﷺ قال: «فضل القرآن نظراً على من قرأ ظاهراً كفضل الفريضة على الناقل» .

وبسنده عن ابن عباس قال: كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه .

وروى أبو داود بسنده عن عائشة مرفوعاً: «النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر في وجه الوالدين عبادة، والنظر في المصحف عبادة»^(١) .

وعن الأوزاعي كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنيهة .

قال بعضهم: وينبغي لمن كان عنده مصحفٌ أن يقرأ فيه كلَّ يوم آيات يسيرة ولا يتركه مهجوراً .

والقول الثاني: أن القراءة على ظهر القلب أفضل، واختاره أبو محمد بن عبد السلام، فقال في أماليه: قيل القراءة في المصحف أفضل؛ لأنه يجمع فعل الجارحتين؛ وهما اللسان والعين، والأجر على قدر المشقة. وهذا باطل؛ لأن

(١) أنظر: (كشف الخفا ٢/٤٥٤ . والعلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لابن الجوزي

٣٤٤/٢ . وكتر العمال ٣٤٦٤٧، ٣٤٧١٤) .

المقصود من القراءة التدبير لقوله تعالى : ﴿ لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ ؛ والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخلّ بهذا المقصود، فكان مرجوحاً .

والثالث : واختاره النووي في «الأذكار» : إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبُّر والتفكير وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف بالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فمن المصحف أفضل ، قال : وهو مراد السلف .

مسألة :

يستحب الجهر بالقراءة ؛ صحَّ ذلك عن النبي ﷺ ، واستحب بعضهم الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ؛ لأن المسرَّ قد يملّ ، فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار ؛ إلا أن مَنْ قرأ بالليل جهر بالأكثر ؛ وإن قرأ بالنهار أسرّ بالأكثر^(١) ؛ إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه ولا صخب ، ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن .

ثم روي بسنده عن معاذ بن جبل يرفعه : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة »^(٢) .

نعم من قرأ والناس يصلُّون فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به ؛ فإن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد ، فقال : « يأيها الناس كلِّكم يناجي ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة »^(٣) .

مسألة :

ويكره قطع القرآن لمكالمة الناس ؛ وذلك أنه إذا انتهى في القراءة إلى آية

(١) في ج : « وإذا قرأ بالنهار أسر الأكثر » .

(٢) أنظر : (سنن أبي داود ١٣٣٣ . و سنن الترمذي ٢٩١٩ . و سنن النسائي ٨٠/٥ . و مسند أحمد ١٥١/٤ ، ١٥٨ . و السنن الكبرى ، للبيهقي ١٣/٣ . و المستدرک ٥٥٤/١ . و زاد المسير ٣٢٥/١ . و تفسير ابن كثير ٤٧٧/١ . و تفسير القرطبي ٨/١) .

(٣) أنظر : (حلية الأولياء ١٢٤/٤) .

وَحَضَرَهُ كَلَامٌ فَقَدْ اسْتَقْبَلَهُ الَّتِي بَلَّغَهَا وَالْكَلَامُ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْثِرَ كَلَامَهُ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، قَالَه الْحَلِيمِيُّ ، وَأَيَّدَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ : كَانَ ابْنُ عَمْرِو إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهُ .

مسألة :

لَا تَجُوزُ قِرَاءَتُهُ بِالْعَجْمِيَّةِ سِوَاءَ أَحْسَنِ الْعَرَبِيَّةِ أَمْ لَا ، فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَهَا ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾^(٢) .

وَقِيلَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ : تَجُوزُ قِرَاءَتُهُ بِالْفَارْسِيَّةِ مُطْلَقًا ، وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ : إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْعَرَبِيَّةَ ؛ لَكِنْ صَحَّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ الرَّجُوعُ عَنْ ذَلِكَ ، حَكَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ^(٣) فِي « شَرْحِ الْبَزْدَوِيِّ » .

وَاسْتَقَرَّ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ تَجِبُ قِرَاءَتُهُ عَلَى هَيْئَتِهِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْإِعْجَازُ لِنَقْصِ التَّرْجُمَةِ عَنْهُ ، وَلِنَقْصِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْسُنِ عَنِ الْبَيَانِ الَّتِي اخْتَصَّ بِهِ دُونَ سَائِرِ الْأَلْسِنَةِ . وَإِذَا لَمْ تَجُزْ قِرَاءَتُهُ بِالتَّفْسِيرِ الْعَرَبِيِّ لِمَكَانِ التَّحْدِيدِ بِنِظْمِهِ ، فَأَحْرَى أَنْ لَا تَجُوزَ التَّرْجُمَةُ بِلِسَانِ غَيْرِهِ ؛ وَمِنْ هَاهُنَا قَالَ الْقَفَالُ^(٤) مِنْ

(١) سورة : يوسف . آية : ٢ .

(٢) سورة : فصلت . آية : ٤٤ .

(٣) عبد العزيز ، هو : عبد العزيز بن أحمد بن محمد ، علاء الدين البخاري : فقيه حنفي من علماء الأصول . من أهل بخارى . له تصانيف منها : « شرح أصول البزدوي » وشرح منتخب الحاسمي ، للأخسيكتي « توفي سنة ٧٣٠ هـ .

أنظر : (الفوائد البهية ٩٤ . والجواهر المضية ٣١٧/١ . والأعلام ١٤/٤) .

(٤) القفال ، هو : محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر ، أبو بكر الشاشي القفال الفارقي ، الملقب بفخر الإسلام ، المستظهري : ولد سنة ٤٢٩ هـ وتوفي سنة ٥٠٧ هـ .

من كتبه : « حلية العلماء » و« المد » و« الفتاوى » و« العمدة في فروع الشافعية » و« تلخيص القول » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٤٦٤ . وطبقات الشافعية ٤/٥٨ . والأعلام ٥/٣١٦) .

أصحابنا : عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية ، قيل له : فإذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال : ليس كذلك ؛ لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ؛ أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله ، أي فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير .

وما أحاله القفال من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس في « فقه العربية » أيضاً فقال : « لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن ؛ كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب ؛ ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ (١) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد ، فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وأذنبهم بالحرب ؛ لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (٢) انتهى .

فظهر من هذا أن الخلاف في جواز قراءته بالفارسية لا يتحقق لعدم إمكان تصوّره .

ورأيت في كلام بعض الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالنلاوة ؛ فأما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة ، وينبغي أن يقتصر من ذلك على بيان المحكم منه ، والغريب المعنى بمقدار الضرورة ؛ من التوحيد وأركان العبادات ؛ ولا يتعرض لما سوى ذلك ، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك

(١) سورة : الأنفال . آية : ٥٨ .

(٢) سورة : الكهف . آية : ١١ .

بتعلم اللسان العربي ؛ وهذا هو الذي يقتضيه الدليل ، ولذلك لم يكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة لمعنى واحد ؛ وهو توحيد الله والتبري من الإشراك ؛ لأن النقل من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه كما سبق ، فإذا كان معنى المترجم عنده واحداً قل وقوع التقصير فيه ؛ بخلاف المعاني إذا كثرت ؛ وإنما فعل النبي ﷺ لضرورة التبليغ ؛ أو لأن معنى تلك الآية كان عندهم مُقرراً في كتبهم ؛ وإن خالفوه .

وقال الكواشي في تفسير سورة الدخان : أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية بشرطة ؛ وهي أن يؤدي القارئ المعاني كلها من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً . قالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة ؛ لأن كلام العرب - خصوصاً القرآن الذي هو معجزة - فيه من لطائف المعاني والإعراب ما لا يستقل به لسان من فارسية وغيرها .

وقال الزمخشري : ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية ؛ فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر . وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل صاحبيه في القراءة بالفارسية .

مسألة :

ولا تجوز قراءته بالشواذ ، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على منعه ؛ فقد سبق في الحديث : كان يمدّ مدّاً ؛ يعني أنه يمكن الحروف ولا يحذفها ، وهو الذي تسميه القراء بالتجويد في القرآن ، والترتيل أفضل من الإسراع ، فقراءة حزب مرتل مثلاً في مقدار من الزمان ، أفضل من قراءة حزبين في مثله بالإسراع .

مسألة :

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب لما يروى : « نزل القرآن بالتفخيم » .

قال الحليمي : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يُخضع الصوت فيه ككلام النساء ، قال : ولا يدخل في كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء .

وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ؛ فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن
إمالة على لسان جبريل عليه السلام .

وروى البيهقي من حديث ابن عمر : « من قرأ القرآن فأعرب في قراءته
كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر
حسانات » (١) .

مسألة :

وأن يفصل كل سورة عما قبلها ، إما بالوقف أو التسمية ، ولا يقرأ من
أخرى قبل الفراغ من الأولى ؛ ومنه الوقف على رءوس الآي ، وإن لم يتم
المعنى .

قال أبو موسى المدني : وفيه خلاف بينهم ، لوقفه ﷺ في قراءة الفاتحة
على كل آية وإن لم يتم الكلام .

قال أبو موسى : ولأن الوقف على آخر السور لا شك في استحبابه ؛ وقد
يتعلق بعضها ببعض ؛ كما في سورة الفيل مع قریش .

وقال البيهقي رحمه الله وقد ذكر حديث « كان النبي ﷺ يقطع قراءته آية
آية » : ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض
والمقاصد .

ومنها أن يعتقد جزيل ما أنعم الله عليه إذ أهله لحفظ كتابه ويستصغر
عَرْض الدنيا أجمع في جنب ما (٢) ما حوله الله تعالى ، ويجتهد في شكره .
ومنها ترك المباهاة فلا يطلب به الدنيا ؛ بل ما عند الله ؛ وألاً يقرأ في المواضع
القدرة ، وأن يكون ذا سكينه ووقار ، مجانياً للذنب ، محاسباً نفسه ، يُعرف

(١) أنظر : (كتر العمال ٢٣٨٩ ، ٢٣٩٠ . وعمل اليوم والليلة ، لابن السني ٥٦٥/١ .
وشعب الأعيان ، للبيهقي ٣٤٩/١) .

(٢) في أ ، ب : « عرض الدنيا أجمع ما حوله » .

القرآن في سمته وخلقُه ؛ لأنه صاحب كتاب الملك والمطلع على وعده ووعيده ، ولتجنب القراءة في الأسواق ، قاله الحلبي ، وألحق به الحمام . وقال النووي : لا بأس به في الطريق سراً حيث لا لغو فيها^(١) .

مسألة :

عدّ الحلبيُّ من الآداب تركَ خلط سورة بسورة ؛ وذكر الحديث الآتي . قال البيهقي : وأحسن ما يحتجُّ به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ وأخذَه عن جبريل ، فالأولى بالقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول المجتمع عليه .

وقد قال ابن سيرين : تأليفُ الله خيرٌ من تأليفكم . ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .

وقد روى أبو داود في سننه : من حديث أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بأبي بكر وهو يقرأ يخفِّض صوته ، ويعمر يجهر بصوته وذكر الحديث ، وفيه فقال : « وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ، ومن هذه السورة » .

فقال : كلامٌ طيبٌ يجمعه الله بعضه إلى بعض .

فقال : « كلکم قد أصاب »^(٢) .

وفي رواية لأبي عبيد في « فضائل القرآن » : قال بلال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : « اقرأ السورة على وجهها » - أو قال على نحوها - وهذه زيادة مليحة .

وفي رواية : « إذا قرأت السورة فأنفِذها » .

وروى عن خالد بن الوليد أنه أمَّ الناس فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلى الناس حين انصرف ، فقال : شغلني الجهاد عن تعلّم القرآن .

(١) في حـ : العبارة تنتهي إلى : « وعده ووعيده » والباقي ساقط حتى أول المسألة .

(٢) أنظر : (سنن أبي داود ، الباب ٢٦ من التطوع . وتاريخ بغداد ، للخطيب ٢٨٥/١٣ .

والدر المشور ، للسيوطي ١١١/٣) .

وروى المنع عن ابن سيرين ، ثم قال أبو عبيد : الأمر عندنا على الكراهة في قراءة القراء هذه الآيات المختلفة ؛ كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال ، وكما اعتذر خالد عن فعله ، ولكراهة ابن سيرين له . ثم قال : إن بعضهم روى حديث بلال ، وفيه : فقال النبي ﷺ : « كلُّ ذلك حسن » ، وهو أثبت وأشبهه بنقل العلماء . انتهى .

ورواه الحكيم الترمذي^(١) في « نواذر الأصول » ؛ وزاد : « مثل بلال كمثله نحلة غدت تأكل من الحلو والمر ، ثم يصير حلواً كله » .

قال : وإنما شبهه بالنحلة في ذلك ؛ لأنها تأكل من الثمرات : حلوها وحامضها ، ورطبها ويابسها ، وحارها وباردها ؛ فتخرج هذا الشفاء ؛ وليست كغيرها من الطير تقتصر على الحلو فقط لحظ شهوته فلا جرم أعاضها الله الشفاء فيما تلقيه .

وهذا كقوله : « عليكم بالبان البقر فإنها ترم من كل الشجر فتأكل »^(٢) .

فبلال رضي الله عنه كان يقصد آيات الرحمة وصفات الجنة ؛ فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة ؛ كما أنزل الله تعالى ؛ فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ، ولو شاء لَصَنَّفَهَا أصنافاً ، كلُّ صِنْفٍ على حدة ؛ ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل ، قال : ولقد أذهلني يوماً قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا . الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾^(٣) .

(١) أنظر : (مجمع الزوائد ٣٠٠/٩ . والدر المنثور ١٢٣/٤ . وكنز العمال . ٣٣١٦٠ . وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٣١٤/٣) .

(٢) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ٣١٥/٤ . وموارد الظمان ١٣٩٨ . وجامع مسانيد أبي حنيفة ٣١٣/٢ . وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٤٣/٧ . ومسند أبي حنيفة ١٥٦ ، (١٥٧) .

(٣) سورة : الفرقان . آية : ٢٥ - ٢٦ .

فقلت : يا لطيف ؛ علمت أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتترأى لهم تلك الأهوال لا تتمالك ؛ فلطفت بهم فنسبت ﴿ المُلْك ﴾ إلى أعمَ إسم في الرحمة ، فقلت : ﴿ الرَّحْمَن ﴾ ليلاقِي هذا الاسم تلك القلوب التي يحل بها الهول ، فيمازج تلك الأهوال ، ولو كان بدله إسمًا آخر ، من « عزيز وجبار » لتفطرت القلوب ، فكان بلال يقصد لما تطيب به النفوس ، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين ؛ فهو أعلم بالشفاء .

مسألة :

يستحب استيفاء كل حرف أثبته قارئ .

قال الحليمي : هذا ليكون القارئ قد أتى على جميع ما هو قرآن ؛ فتكون ختمة أصح من ختمة إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرىء بهما .

ألا ترى أن صلاة كل من استوفى كل فعل امتنع عنه كانت صلته أجمع من صلاة من ترخص بحذف منها ما لا يضر حذفه .

فصل :

ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع .

قال النبي ﷺ : « إقرأ القرآن في كل سبع ولا تزد »^(١) . رواه أبو داود .

وروى الطبراني بسند جيد : سئل أصحاب رسول الله ﷺ : كيف كان رسول الله ﷺ يجزئ القرآن ، قال : كان يجزئه ثلاثاً وخمساً ، وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث ، وحملوا عليه حديث : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »^(٢) رواه الأربعة ، وصححه الترمذي ، والمختار - وعليه أكثر المحققين -

(١) أنظره بلفظ « في كل شهر » : (صحيح البخاري ٥٢/٣ ، ٢٤٢/٦ ، ٢٤٣ . وصحيح

مسلم ، حديث ١٨٢ ، ٨٤ من كتاب الصيام . وسنن النسائي ٢١٤/٤ . ومسند أحمد بن

حنبل ١٥٨/٢ ، ١٦٢ ، ١٩٨ ، ٢٠١) .

(٢) أنظر : (سنن أبي داود ١٣٩٤ . وأذكار النووي ٩٦ . وكنز العمال ٢٨٢٨) .

أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط ، والضعف ، والتدبّر ، والغفلة ؛ لأنه رُوِيَ عن عثمان رضي الله عنه ؛ كان يختمه في ليلة واحدة . ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً . رواه أبو داود .

وقال أبو الليث في كتاب « البستان » : ينبغي أن يختم القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة .

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال : مَنْ قرأ القرآن في كلِّ سنة مرتين فقد أدى للقرآن حقّه ؛ لأنَّ النبي ﷺ عَرَضَهُ على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين . انتهى .

وقال أبو الوليد الباجي^(١) : أمرُ النبي ﷺ عبد الله بن عمرو أن يختم في سبع أو ثلاث ؛ يحتمل أنه الأفضل في الجملة أو أنه الأفضل في حق ابن عمرو ، ولما علم من ترتيبه في قراءته ، وعلم من ضعفه عن استدامته أكثر مما حدّ له . وأما من استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه .

وسئل مالك عن الرجل يختم القرآن في كل ليلة فقال : ما أحسن ذلك ! إنَّ القرآن إمام كل خير .

وقال بشر بن السريّ : إنما الآية مثل التمرة كلما مضغتها استخرجت حلاوتها . فحدّث به أبو سليمان ، فقال : صدق ؛ إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها .

مسألة :

يُسَنُّ ختمه في الشتاء أوّل الليل ، وفي الصيف أوّل النهار ؛ قال ذلك

(١) أبو الوليد الباجي ، هو : سليمان بن خلف بن سعد بن التجيبي ، القرطبي ، فقيه مالكي كبير ، من رجال الحديث . ولد سنة ٤٠٣ هـ ، وتوفي سنة ٤٧٤ هـ . من كتبه : « إحكام الفصول » و « الحدود » وغير ذلك .

أنظر : (الدبّاج المذهب ١٢٠ ، والوفيات ١٢٥/١ . والفوات ١٧٥/١ . ونفح الطيب ٣٦١/١ . وتهذيب ابن عساكر ٢٤٨/٦ . والاعلام ١٢٥/٣) .

ابن المبارك ، وذكره أبو داود لأحمد ؛ فكأنه أعجبه . ويجمع أهله عند ختمه ويدعو .

وقال بعض السلف : إذا ختم أول النهار صلّت عليه الملائكة حتى يُمسي ، وإذا ختم في أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يُصبح . رواه أبو داود .

مسألة :

يستحبُّ التكبير من أول سورة الضحى ؛ إلى أن يختم ؛ وهي قراءة أهل مكّة ؛ أخذها ابن كثير عن مجاهد ، ومجاهد عن ابن عباس ، وابن عباس عن أبي ، وأبي عن النبي ﷺ ؛ رواه ابن خزيمة^(١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » وقوّاه ورواه من طريقٍ موقوفاً على أبي بسند معروف^(٢) ؛ وهو حديث غريب ، وقد أنكره أبو حاتم الرازي على عادته [في]^(٣) التشديد ؛ واستأنس له الحلبي بأن القراءة تنقسم إلى أبعاض متفرقة ؛ فكأنه^(٤) كصيام الشهر ؛ وقد أمر الناس أنه إذا أكملوا العدة أن يكبروا الله على ما هداهم . فالقياس أن يكبر القارئ إذا أكمل عدة السور .

وذكر غيره أن التكبير [كان] لاستشعار انقطاع الوحي ؛ قال : وصفته في آخر هذه السور أنه كلما ختم سورة وقف وقفة ، ثم قال : الله أكبر ، ثم وقف وقفة ثم ابتداء السورة التي تليها إلى آخر القرآن . ثم كبر كما كبر من قبل ، ثم أتبع التكبير الحمد ، والتصديق ، والصلاة على النبي ﷺ ، والدعاء .

(١) ابن خزيمة ، هو : محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي ، أبو بكر : إمام نيسابور في

عصره . عالماً بالحديث . ولد سنة ٢٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ .

له : « التوحيد وإثبات صفة الرب » و « صحيح ابن خزيمة » .

أنظر : (طبقات السبكي ١٣٠/٢ . والأعلام للزركلي ٢٩/٦) .

(٢) أنظر : (تفسير ابن كثير ٥٢١/٤) .

(٣) في ب ، ج : « على عادته التشديد » .

(٤) في ب : « متفرقة فكانت » .

وقال سليم الرازي^(١) في تفسيره : يكبر القارئ بقراءة ابن كثير إذا بلغ « والضحي » بين كل سورتين تكبيرة ؛ إلى أن يختم القرآن ولا يصل آخر السورة بالتكبير ؛ بل يفصل بينهما بسكته ؛ وكأن المعنى في ذلك ما روي أن الوحي كان تأخر عن رسول الله ﷺ أياماً فقال ناس : إن محمداً قد ودَّعه صاحبه وقلاه ، فنزلت هذه السورة ، فقال : الله أكبر ، قال : ولا يكبر في قراءة الباقيين ؛ ومن حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن ؛ بأن زيد عليه فيتوهم أنه من القرآن فيثبتوه فيه^(٢) .

مسألة :

مما جرت به العادة من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ؛ نص الإمام أحمد على المنع ؛ ولكن عمل الناس على خلافه ؛ قال بعضهم : والحكمة في التكرير ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن ؛ فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فعلى هذا كان ينبغي أن يقرأ ثلاثاً بعد الواحدة التي تضمنتها الختمة ؛ فيحصل ختمتان .

قلنا : مقصود الناس ختمة واحدة ؛ فإن القارئ إذا قرأها ثم أعادها مرتين كان على يقين من حصول ختمة ؛ إما التي قرأها من الفاتحة إلى آخر القرآن ، وإما التي حصل ثوابها بقراءة^(٣) سورة الإخلاص ثلاثاً ، وليس المقصود ختمة أخرى .

مسألة :

ثم إذا ختم وقرأ المعوذتين قرأ الفاتحة وقرأ خمس آيات من البقرة إلى

(١) سليم الرازي ، هو : سليم بن أيوب بن سليم الرازي ، فقيه ، أصله من الري ، تفقه ببغداد ، ورابط بثغر « صور » وحج ، ففرق في البحر عند ساحل جدة . له : « غريب الحديث » و« الإشارة » . توفي سنة ٤٤٧ هـ .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٢١٢ . وطبقات السبكي ٣/١٦٨ . وإنباه الرواة ٢/٦٩) .

(٢) أنظر : (النشر في القرآن العشر ، لابن الجزري ٢/٤٠٠) .

(٣) في أ ، ب : « وإما ثوابها بقراءة » .

قوله : ﴿ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١) لأن « أَلَمْ » آية عند الكوفيين ، وعند غيرهم بعض آية . وقد روى الترمذي : أيّ العمل أحبّ إلى الله ؟ قال : الحالّ المرتحل ، قيل المراد به الحث على تكرار الختم ختمة بعد ختمة ؛ وليس فيه ما يدلّ على أنّ الدعاء لا يتعقب الختم .

فائدة^(٢) :

روى البيهقي في « دلائل النبوة » وغيره أن النبي ﷺ كان يدعو عند ختم القرآن : « اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي أماناً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكّرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آناء الليل ، واجعله لي حُجّة يارب العالمين »^(٣) . رواه في « شعب الإيمان » بأطول من ذلك ، فليُنظر فيه .

مسألة :

استماعُ القرآن والتفهّم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها ، ويكره التحدّث بحضور القراءة .

قال الشيخُ أبو محمد بن عبد السلام : والاشتغالُ عن السماع بالتحدّث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع ، وهو يقتضي أنّه لا بأس بالتحدّث للمصلحة .

مسألة :

وأفتى الشيخ أيضاً بالمنع من أن يشرب شيئاً كُتِب من القرآن ؛ لأنه تلاقيه النجاسة الباطنة .

وفيما قاله نظر ؛ لأنها في معدنها لا حكم لها .

(١) سورة : البقرة . آية : ٥ .

(٢) الفائدة كلها : ساقطة من ج .

(٣) أنظر : (إتحاف السادة المتقين ٤/٤٩٢ . وإحياء علوم الدين ١/٢٧٩) .

وممن صرّح بالجواز من أصحابنا العماد النيهي^(١) تلميذ البغوي فيما رأيتُه
بخط ابن الصلاح .

قال : لا يجوز ابتلاع رُقعة فيها آية من القرآن ، فلو غَسَلها وشرب ماءها
جاز .

وجزم القاضي الحسين^(٢) ، والرافعي^(٣) بجواز أكل الأطعمة التي كتب
عليها شيء من القرآن .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي في ذكر منصور بن
عمار^(٤) : أنه أوتي الحكمة : وقيل إن سبب ذلك أنه وجد رُقعة في الطريق
مكتوباً عليها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فأخذها فلم يجد لها موضعاً ،
فأكلها ، فأري فيما يرى النائم كأن قائلًا [قد] قال له : قد فتح الله عليك
باحترامك لتلك الرُقعة فكان بعد ذلك تتكلم بالحكمة .

مسألة :

وقال الشيخ أيضاً في « القواعد » : القيام للمصاحف بدعة لم تعهد في

(١) العماد النيهي ، هو : الحسن بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد النيهي ، أحد فقهاء
الشافعية ، توفي سنة ٤٨٠ هـ (أنظر الباب ٢٥٣/٣) .

(٢) هو : حسين بن محمد بن أحمد المرورودي : قاضٍ . من كبار فقهاء الشافعية . كان
صاحب وجوه غريبة في المذهب . له : « التعليقة » وتوفي بمرور سنة ٤٩٢ هـ .

أنظر : (طبقات السبكي ١٥٥/٣ . والاعلام ٢٥٤/٢ . وشذرات الذهب ٣١٠/٣) .
(٣) هو : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرافعي القزويني : فقيه ، من
كبار الشافعية ، ولد سنة ٥٥٧ هـ وتوفي سنة ٦٢٣ هـ . من كتبه : « الإيجاز »
و « الخواطر » و « المحرر » وغير ذلك .

أنظر : (فوات الوفيات ٣/٢ . ومفتاح السعادة ٤٤٣/١ . وابن الوردي ١٤٨/٢ .
وهديّة العارفين ٦٠٩/١ . وطبقات الشافعية ١١٩/٥) .

(٤) منصور بن عمار ، أبو السري ، زاهد ، واعظ من البصرة ، بليغ . (أنظر لسان الميزان
٩٨/٥) .

الصُّدْرُ الأوَّل ، والصواب ما قاله النووي في « التبيان »^(١) ؛ من استحباب ذلك والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به . وسئل العماد بن يونس الموصلي عن ذلك : هل يستحب للتعظيم أو يكره خوف الفتنة ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك نقلٌ مسموع ، والكلُّ جائز ، ولكلِّ نيتُهُ وقصدُهُ .

مسألة :

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه : فلا يجوز وضعه في شِقِّ أو غيره ليحفظ ؛ لأنه قد يسقط ويوطأ ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ؛ وفي ذلك إضرار بالمكتوب - كذا قاله الحلبي ؛ قال : وله غَسْلُهَا بالماء ، وإن أحرقتها بالنار فلا بأس ، أحرق عثمانُ مصاحفَ فيها آيات وقراءات منسوخة ، ولم يُنكر عليه .

وذكر غيره أن الإحراقَ أوَّلَى من الغسل ؛ لأنَّ الغسالة قد تقع على الأرض ، وجزم القاضي الحسين في « تعليقه » بامتناع الإحراق ؛ وأنه خلاف الاحترام ، والنووي بالكراهة ، فحصل ثلاثة أوجه .

وفي « الواقعات » من كتب الحنفية أن المصحف إذا بَلِيَ لا يحرق بل تحفر له في الأرض ، ويدفن .

ونقل عن الإمام أحمد أيضاً . وقد يتوقف فيه لتعرضه للوطء بالأقدام .

مسألة :

ويستحب تطييبُ المصحف وجعله على كرسِيٍّ ، ويجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح ، روى البيهقي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيض المصاحف ، فأخرج إلينا مصحفاً فقال : حدثني أبي عن جدِّي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه .

(١) هو كتاب « التبيان في آداب حملة القرآن » للنووي .

وأما بالذهب فالأصحّ يباح للمرأة دون الرجل ، وخصّ بعضهم الجواز
بنفس المصحف دون علاقته المنفصلة عنه ؛ والأظهر التسوية .

ويحرم تؤسّد المصحف وغيره من كتب العلم ؛ لأن فيه إذلالاً وامتهاناً ،
وكذلك مدّ الرجلين إلى شيء من القرآن أو كتب العلم .

ويستحب تقبيلُ المصحف ؛ لأنّ عكرمة بن أبي جهل كان يقبّله ،
وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود ؛ ولأنه هدية لعباده ، فشرع تقبيلُه كما
يستحب تقبيلُ الولد الصغير .

وعن أحمد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقف .
وإن كان فيه رفعة وإكرام ؛ لأنه لا يدخله قياس ؛ ولهذا قال عمر في
الحجر : لولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .
ويحرم السفر بالقرآن إلى أرض العدو للحديث فيه : خوف أن تناله
أيديهم .

وقيل : إن كثّر الغزاة وأمن استيلاؤهم عليه لم يمنع ؛ لقوله : « مخافة أن
تناله أيديهم » .

ويحرم كتابة القرآن بشيء نجس ؛ وكذلك ذكر الله تعالى ؛ وتكره كتابته
في القطع الصغير ؛ رواه البيهقي عن عليّ وغيره . وعنه تنوّق رجل في ﴿ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فغفر له .

وقال الضحاك بن مزاحم : ليتني قد رأيت الأيدي تقطع فيمن كتب ﴿ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . يعني لا يجعل له سنّات . قال : وكان ابن سيرين يكره ذلك كراهة
شديدة .

ويستحب تجريد المصحف عمّا سواه . وكرهوا الأعشار والأخماس مع ،
وأسماء السور وعدد الآيات . وكانوا يقولون : جردوا المصحف .

وقال الحلبيّ : يجوز ، لأن النقط ليس له قرار فيتوهم لأجلها ما ليس
بقرآن قرآناً ؛ وإنما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج
إليها .

وروى ابن أبي شيبة في «مصنّفه» في «الصلاة»، وفي «فضائل القرآن»: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله بن مسعود: جردوا القرآن. وفي رواية: لا تلحقوا به ما ليس منه.

ورواه عبد الرزاق^(١) في مصنّفه في أواخر «الصوم».

ومن طريقه رواه الطبراني في معجمه، ومن طريق ابن أبي شيبة رواه إبراهيم الحربي في كتابه «غريب الحديث».

وقال: قوله: «جردوا»، يحتمل فيه أمران: أحدهما: أي جردوه في التلاوة ولا تخلطوا به غيره، والثاني: أي جردوه في الخط من النقط والتعشير.

قلت: الثاني أولى؛ لأن الطبراني أخرج في معجمه: عن مسروق، عن ابن مسعود أنه كان يكره التعشير في المصحف. وأخرجه البيهقي في كتاب «المدخل»، وقال: قال أبو عبيد: كان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف.

ويروى عن عبد الله أنه كره التعشير في المصحف.

قال البيهقي: وفيه وجه آخر أبين منه، وهو أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب؛ لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى؛ وليسوا بمؤمنين عليها. وقوي هذا الوجه بما أخرجه عن الشعبي، عن قرظة بن كعب قال: لما خرجنا إلى العراق خرج معنا عمر بن الخطاب يشيعنا فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تشغلوهم بالأحاديث فتصدوهم، وجردوا القرآن.

(١) عبد الرزاق، هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني: من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. له «الجامع الكبير في الحديث» و«تفسير القرآن» و«المصنف في الحديث»، توفي سنة ٢١١ هـ.

أنظر: (التهذيب ٦/٣١٠. والأعلام ٣/٣٥٣).

قال : فهذا معناه أي لا تخلطوا معه غيره .

خاتمة :

روى البخاري في « تاريخه الكبير » بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه ، لعن بكل حرف عشر لعنات » .

٣٠ - النوع الثالثون
في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب
استعمال بعض آيات القرآن
وهل يقتبس منه في شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير
وحركة إعراب

جَوَزَ ذلك بعضهم للمتمكّن من العربية ؛ وسئل الشيخ عز الدين فقال :
ورد عنه ﷺ : « وجهت وجهي » ، والتلاوة ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ (١) .
وماروى البخاري في كتاب إلى هرقل : « سلام على من اتبع الهدى » (٢) ﴿ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ (٣) .
ومن دعائه ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (٤) .

-
- (١) سورة : الأنعام . آية : ٧٩ .
(٢) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ١/٢٦٣ . والسنن الكبرى ، للبيهقي ١٠/٣٠ ، ١٣١ .
وفتح الباري ١١/٤٠ وتفسير ابن كثير ٢/٤٦ ، ٥/٢٩٠ . وتهذيب تاريخ ابن عساکر
٦/٣٩١) .
(٣) سورة : آل عمران . آية : ٦٤ .
(٤) أنظر : (صحيح مسلم ٢٠٦٨ ، ٢٠٦٩ . وسنن الترمذي ٣٤٨٧ . ومسند أحمد بن حنبل
١٠٧/٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٧٧ . والأدب المفرد ، للبخاري ٦٨٢ . وأذکار النووي
١١١ ، ٢٣٨ . وعمل اليوم والليلة ٢٠٠ . ومصنف ابن أبي شيبة ١٠/٢٦١ . والكامل ،
لابن عدي ٣/١٠٥٥) .

وفي حديث آخر لابن عمر : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(١) .

وقال عليه السلام : « اللهم فالتق الإصباح ، وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حساباً ، اقص عني الدين ، وأغنني من الفقر »^(٢) .

وفي سياق كلام لأبي بكر : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^(٣) ، فقصد الكلام ولم يقصد التلاوة .

وقول علي رضي الله عنه : إني مبايع صاحبكم ﴿ لِيُقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(٤) .

وقول الخطيب ابن نباتة^(٥) : هُنَالِكَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ ، وَيُوضِعُ الْكِتَابَ ، وَيُجْمَعُ مِنْ لَهُ الثَّوَابُ ، وَحَقُّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ .

وقال النووي رحمه الله : إذا قال : ﴿ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾^(٦) ، وهو جُنُبٌ ، وَقَصَدَ غَيْرَ الْقُرْآنِ جَازَ لَهُ ، وَلَهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾^(٧) .

(١) لم أجده بهذا السياق .

(٢) أنظر : (تفسير القرطبي ٤٥/٧ . وتجريد التمهيد لابن عبد البر ٧٥٦ . والدر المثور

٣٤/٣ . ومصنف ابن أبي شيبة ٢٠٩/١٠) .

(٣) سورة : الشعراء . آية : ٢٢٧ .

(٤) سورة : الأنفال . آية : ٤٢ .

(٥) الخطيب بن نباتة ، هو : عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي ،

أبويحيى : صاحب الخطب المنبرية ، كان مقدماً في علوم الأدب ، ولد سنة ٣٣٥ هـ ،

وتوفي سنة ٣٧٤ هـ . له ديوان خطب .

أنظر : (ابن خلكان ٢٨٣/١ . وبيروكلمان ١٤٩/١ . والأعلام ٣٤٨/٣) .

(٦) سورة : مريم . آية : ١٢ .

(٧) سورة : الزخرف . آية : ١٣ .

قال إمام الحرمين : إذا قصد القرآن بهذه الآيات عصى ، وإن قصد الذِّكْر ولم يقصد شيئاً لم يعص .

وللطُّرطوشي^(١) :

رحل الظاعنون عنك وأبقوا في حواشي الأحشاءِ وجداً مقيماً
قد وجدنا السَّلامَ بَرْداً سَلاماً إِذْ وَجَدْنَا النَّوَى عَذَاباً أَلِيماً

وثبت عن الشافعي :

أُتِنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطَا وَأَشْهَدُ مَعِشْرًا قَدْ شَاهَدُوهُ^(٢)
فإن الله خَلَقَ الْبِرَايَا عَنَّتْ لَجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ
يقول « إذا تدايتم بدين إلى أجلٍ مُسَمًّى فاكتبوه »

ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني أن تضمين القرآن في الشعر مكروه ، وأئمة البيان جَوَزُوهُ وجعلوه من أنواع البديع ، وسماه القدماء تضميناً والمتأخرون اقتباساً ، وسَمَوْا ما كان من شعر تضميناً .

مسألة :

يكره ضربُ الأمثال بالقرآن ، نص عليه من أصحابنا العِمادُ النَّهْيِيُّ صاحب البغوي ، كما وجدتهُ في « رحلة ابن الصلاح » بخطه .

وفي كتاب « فضائل القرآن » لأبي عبيد عن النَّخَعِيِّ قال : كانوا يكرهون أن يَتْلُو الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا .

(١) الطرطوشي : هو : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، أبو بكر الطرطوشي ، ويقال له ابن أبي رندقة : أديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ . ولد سنة ٤٥١ هـ ، وتوفي ٥٢٠ هـ . له : « سراج الملوك » و « التعليقة » و « الفتن » و « الحوادث والبدع » و « المجالس » وغير ذلك .

أنظر : (وفيات الأعيان ١/٤٧٩ . ونفح الطيب ١/٣٦٨ . وآداب اللغة ٣/١٠٨ .
ويغية الملتبس ١٢٥ . والأعلام ٧/١٣٣) .

(٢) في أ : « قد عاينوه » .

قال أبو عبيد : وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهّم بحاجته ، فيأتيه من غير طلب ، فيقول كالمأزح : ﴿ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾^(١) ؛ فهذا من الاستخفاف بالقرآن ؛ ومنه قول ابن شهاب : لا تُناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله ﷺ . قال أبو عبيد : يقول : لا تجعل لهما نظيراً من القول ولا الفعل .

تنبيه :

لا يجوز تعدّي أمثلة القرآن ؛ ولذلك أنكر على الحريري في قوله في مقامته الخامسة عشرة « فأدخلني بيتاً أخرج من التابوت ، وأوهى من بيت العنكبوت » ، فأبي معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه ؛ حيث قال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾^(٢) فأدخل إن ، وبني أفعال التفضيل ، وبناءه من الوهن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرف الجمع باللام ، وأتى في خبر إن باللام ! وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾^(٣) ؛ وكان اللائق بالحريري ألا يتجاوز هذه المبالغة وما بعد تمثيل الله تمثيل ؛ وقول الله أقوم قيل ؛ وأوضح سبيل ؛ ولكن قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾^(٤) ، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لما دون ذلك فقال : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة . . . »^(٥) .

وكذلك قول بعضهم :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
غفر الله له ؛ والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَمَلُ

(١) سورة : طه . آية : ٤٠ .

(٢) سورة : العنكبوت . آية : ٤١ .

(٣) سورة : الأنعام . آية : ١٥٢ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ٢٦ .

(٥) أنظر : (سنن ابن ماجه ٤١١٠ . والدر المنثور ١٧/٦ . والمطالب العالية ٣١٧٢ .

وتفسير القرطبي ٤١٥/٦ ، ٨٨/١٦ ، وزاد المسير ٣١٤/٧) .

فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴿١﴾ فقد جعل ولوج الجمل في السَّمِّ غاية لنفي دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة منفياً ، وهذا الشاعر وصف جسمه بالنحول ، بما يناقض الآية . ومن هذا جرت مناظرة بين أبي العباس أحمد بن سريج^(٢) ، ومحمد بن داود الظاهري^(٣) ؛ قال أبو العباس له : أنت تقول بالظاهر وتنكر القياس ، فما تقول في قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^(٤) ؟ فسكت محمد طويلاً وقال : أبلغني ربيقي ؛ قال له أبو العباس : قد أبلعتك دجلة ، قال : أنظرني ساعة ، قال : أنظرتك إلى قيام الساعة ، واfterقا ، ولم يكن بينهما غير ذلك .

وقال بعضهم : وهذا من مغالطات ابن سريج وعدم تصور ابن داود ؛ لأن الذرة ليس لها أبعاد فتمثل بالنصف والربع وغير ذلك من الأجزاء ؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾^(٥) فذكر سبحانه ما لا يتخيل في الوهم أجزاءه ، ولا يدرك تفرقة .

* * *

(١) سورة : الأعراف . آية : ٤٠ .

(٢) هو : أحمد بن عمر بن سريج ، أبو العباس ، الشافعي ، قاضي ، من مناظري داود الظاهري . (أنظر : طبقات الشافعية ٢ / ٨٧) .

(٣) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري ، أبو بكر : أديب ، مناظر ، شاعر . أصله من أصبهان ، ولد سنة ٢٥٥ هـ . وتوفي مقتولاً سنة ٢٩٧ هـ . كان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه .

من كتبه : « الزهرة » و « ديوانه » و « الوصول إلى معرفة الأصول » ، وغير ذلك .

أنظر : (النجوم الزاهرة ٣ / ١٧١ . وابن خلكان ١ / ٤٧٨ . والمسعودي ٨ / ٢٥٤ . وتاريخ بغداد ٥ / ٢٥٦ . والمنتظم ٦ / ٩٣ . والوافي بالوفيات ٣ / ٥٨ ، ٦١ . واللباب ٢ / ١٠٠ . وصلة الطبري ٣٣ . والأعلام ، للزركلي ٦ / ١٢٠) .

(٤) سورة : الزلزلة . آية : ٧ - ٨ .

(٥) سورة : النساء . آية : ٤٠ .

٣١ - النوع الحادي والثلاثون معرفة الأمثال الكائنة فيه

وقد روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، وأتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، وأعتبروا بالأمثال » (١) .

وقد عدّه الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المثبتة لاجتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل . انتهى .

وقد صنّف فيه من المتقدمين الحسن بن الفضل وغيره ؛ وحقيقته إخراج الأغمض إلى الأظهر ؛ وهو قسمان : ظاهر وهو المصرّح به ، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه ، وحكمه حكم الأمثال .

وقسمه أبو عبد الله البكراباذي إلى أربعة أوجه :

أحدها : إخراج ما لا يقع عليه الحسن إلى ما يقع عليه .

وثانيها : إخراج ما لا يُعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة .

وثالثها : إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة .

(١) أنظر : (الدر المنثور ، للسيوطي ٦/٢) .

ورابعها : إخراج ما لا قوّة له من الصفة إلى ما له قوّة . انتهى .

وَضَرَبُ الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمورٌ كثيرة : التذكير ، والوعظ . والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقدير وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس ؛ بحيث يكون نسبه للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس . وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر . قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾^(١) ، فامتّن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾^(٢) .

وقال : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٣) .

والأمثال مقادير الأفعال ، والمتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته ، كالخياط يُقدّر الثوب على قامة المخيط ، ثم يفريه ، ثم يقطع . وكلُّ شيء له قالب ومقدار ، وقالب الكلام ومقداره الأمثال .

وقال الخفاجي : سمي مثلاً لأنه مائل^(٤) بخاطر الإنسان أبداً ، أي شاخص ، فيتأسى به ويتعظ ، ويخشى ويرجو ، والشاخص المنتصب .

وقد جاء بمعنى الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾^(٥) أي : الصفة العليا ، وهو قول « لا إله إلا الله » ، وقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٦) أي : صفتها .

ومن حكمته تعليم البيان ؛ وهو من خصائص هذه الشريعة ، والمثل أعونُ شيء على البيان .

-
- (١) سورة : إبراهيم . آية : ٤٥ .
(٢) سورة : الروم . آية : ٥٨ .
(٣) سورة : العنكبوت . آية : ٤٣ .
(٤) في ج : « سمي مثلاً لأنه يميل » .
(٥) سورة : النحل . آية : ٤٣ .
(٦) سورة : الرعد . آية : ٣٥ .

فإن قلت : لماذا كان المثلُ عوناً على البيان ، وحاصله قياس معنى بشيء ، من عرف ذلك المقيس فحقه الاستغناء عن شبيهه ، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة !

والجواب : أن الحكم والأمثال تصوّر المعاني تصور الأشخاص ؛ فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان ، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ؛ بخلاف المعاني المعقولة ؛ فإنها مجردة عن الحسّ ولذلك دقت ؛ ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجرباً مسلماً عند السامع .

وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى ؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والشاهد بالغائب ، فالمرغّب في الإيمان مثلاً إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود ، والمرهّد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبّحه في نفسه .

وفيه أيضاً تبيكُ الخصم ، وقد أكثر تعالى في القرآن وفي سائر كتبه من الأمثال وفي سور الإنجيل سورة الأمثال .

قال الزمخشري : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني ، وإدناء المتوهم من المشاهد ؛ فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك ؛ فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال المتمثل له ، ألا ترى أن الحقّ لما كان واضحاً جلياً تمثل له بالضياء والنور ، وأنّ الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة ، وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلاً في الوهن والضعف .

والمثل هو المستغرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) ؛ ولما كان المثل السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحلال ، أو الصفة ، أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابة .

(١) سورة : النحل . آية : ٦٠ . (٢) سورة : الرعد . آية : ٣٥ .

أما استعارته للحال فكقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (١) ؛
أي : حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد ناراً .

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ (٢) أي :
الوصف الذي له شأن .

وكقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ (٣) .

وكقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ (٥) .

وقوله سبحانه : ﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (٦) .

وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٧)

أي : فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ؛ ثم أخذ في بيان
عجائبها .

لا يقال : إن في هذه الأقسام الثلاثة تداخلاً ؛ فإن حال الشيء هي
وصفه ، ووصفه هو حاله ؛ لأننا نقول : الوصف يُشعر ذكره بالأمور الثابتة الذاتية
أو ما قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانفكاك عنه ، وأما الحال فيطلق على
ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ولا لازم ، فتغاييرا . وإن أُطلق أحدهما
على الآخر فليس ذلك إطلاقاً حقيقياً . وقد يكون الشيء مثلاً له في الجرم ،
وقد يكون ما تعلقه النفس ويتوهم من الشيء مثلاً ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ
كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (٨) ؛ معناه أن الذي يتحصل في النفس الناظر في
أمرهم ، كالذي يُتَّحَصَّلُ في نفس الناظر من أمر المستوقد ؛ قاله ابن عطية ،

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة : البقرة . آية : ١٧ . | (٥) سورة : العنكبوت . آية : ٤١ . |
| (٢) سورة : النحل . آية : ٦٠ . | (٦) سورة : الجمعة . آية : ٥ . |
| (٣) سورة : الفتح . آية : ٢٩ . | (٧) سورة : الرعد . آية : ٣٥ . |
| (٤) سورة : البقرة . آية : ٢٦٤ . | (٨) سورة : البقرة . آية : ١٧ . |

وبهذا يزول الإشكال الذي في تفسير قوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ (١) وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٢) ؛ لأن ما يحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ونفي ما لا يجوز عليه ليس يماثلُهُ فيه شيء ؛ وذلك المتحصل هو المثل الأعلى ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ (٣) ، وقد جاء : ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٤) ففسر بجهة الوحدانية .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾ (٥) : هي الأمثال ، وقيل : العقوبات .

وقال الزمخشري : المثل في الأصل بمعنى المِثْل ، أي : النظير ؛ يقال : مَثَلٌ وَمِثْلٌ وَمِثِيلٌ كَشَبَهُ وَشَبَّهُ وَشَبَّهَ . ثم قال : ويستعار للحال ، أو الصفة ، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة . انتهى .

وظاهر كلام أهل اللغة أن « المثل » ، بفتحيتين : الصفة كقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَاراً ﴾ (٦) ، وكذا ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ (٧) . وما اقتضاه كلامه من اشتراط الغرابة مخالف أيضاً لكلام اللغويين .

وما قاله من أن المَثَل والمِثْل بمعنىً ينبغي أن يكون مرادُهُ باعتبار الأصل وهو الشبه ؛ وإلا فالمحققون - كما قاله ابن العربي - على أن المِثْل (بالكسر) عبارة عن شبه المحسوس ، وبفتحيتها عبارة عن شبه المعاني المعقولة ؛ فالإنسان مخالف للأسد في صورته مشبه له في جرائته وحدته ، فيقال للشجاع أسد ، أي يشبه الأسد في الجرأة ، ولذلك يخالف الإنسان الغيث في صورته (٨) ، والكريم من الإنسان يشابهه في عموم منفعته .

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة : الرعد . آية : ٣٥ . | (٥) سورة : الرعد . آية : ٦ . |
| (٢) سورة : الشورى . آية : ١١ . | (٦) سورة : البقرة . آية : ١٧ . |
| (٣) سورة : النحل . آية : ٦٠ . | (٧) سورة : الرعد . آية : ٣٥ . |
| (٤) سورة : محمد . آية : ١٩ . | |

(٨) من : « في جرائته وحدته » إلى : « الإنسان . الغيث في صورته » ساقط من ج .

وقال غيره : لو كان المثل والمثل سيان للزم التنافي بين قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١) ، وبين قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾^(٢) فإن الأولى نافية له والثانية مثبتة له .

وفرق الإمام فخر الدين بينهما بأن المثل هو الذي يكون مساوياً للشيء في تمام الماهية ، والمثل هو الذي يكون مساوياً له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية .

وقال حازم في كتاب « منهاج البلغاء » : وأما الحكم والأمثال ؛ فإما أن يكون الاختيار فيها بجري الأمور على المعتاد فيها ، وإما بزوالها في وقت عن المعتاد ؛ عن جهة الغرابة أو الندور فقط ، لتوطن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرز منه ؛ إذ لا يحسن منها التحرز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها تستقر به وليبين لها أسباب الأمور ، وجهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها ؛ فهذه قوانين الأحكام والأمثال ؛ قلما يشد عنها من جزئياتها شيء .

فمنه قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ

بَيْتًا ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(٧) .

(١) سورة : الشورى . آية : ١١ .

(٢) سورة : النحل . آية : ٦٠ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٧ .

(٤) سورة : البقرة . آية : ١٩ .

(٥) سورة : البقرة . آية : ٢٦ .

(٦) سورة : العنكبوت . آية : ٤١ .

(٧) سورة : الجمعة . آية : ٥ .

وقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَرِيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ... ﴾ (١) الآيات .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ... ﴾ (٢) الآية .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ أَوْ كَطَّلَمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ... ﴾ (٣) الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ (٥) .
فهذه أمثال قصار وطوال مقتضبة من كلام الكشاف .

فإن قلت : في بعض هذه الأمثلة تشبيه أشياء بأشياء لم يذكر فيها المشبهات ، وهلاً صرح بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦) ؟

قلت : كما جاء ذلك تصريحاً فقد جاء مطوياً ، ذكره على طريق الاستعارة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ (٧) ، وكقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ (٨) .

والصحيح الذي عليه علماء البيان : أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة المقربة لا يتكلف لكل واحد شيء بقدر شبهه به ؛ بناءً على أن العرب تأخذ أشياء فردى معزولاً بعضها من بعض ، تشبهها بنظائرها ، كما جاء في بعض الآيات (٩) من القرآن . وقد تشبه أشياء قد تضامت وتلاحقت حتى عادت

(١) سورة : التحريم . آية : ١٠ ، ١٢ . (٦) سورة : غافر . آية : ٥٨ .

(٢) سورة : البقرة . آية : ٢٦٤ . (٧) سورة : فاطر . آية : ١٢ .

(٣) سورة : النور . آية : ٣٩ . (٨) سورة : الزمر . آية : ٢٩ .

(٤) سورة : النور . آية : ٤٠ . (٩) في أ : « كما جاءت في القرآن » .

(٥) سورة : النحل . آية : ٩٢ .

شيئاً واحداً بأخرى مثلها ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ (١) .

فإن الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار الذي يحمل أسفار الحكمة ، وليس له من حملها إلا الثقل (٢) والتعب من غير فائدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ (٣) ، المراد : قلة ثبات زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضرة .

وقد ضرب الله تعالى لما أنزله من الإيمان والقرآن مثليين ، مثله بالماء ومثله بالنار ، فمثله بالماء لما فيه من الحياة ، وبالنار لما فيه من النور والبيان ؛ ولهذا سمّاه الله روحاً لما فيه من الحياة ، وسمّاه نوراً لما فيه من الإنارة ؛ ففي سورة الرعد قد مثله بالماء فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . ﴾ (٤) الآية ، فضرب الله الماء الذي نزل من السماء فتسيل الأودية بقدرها ، كذلك ما ينزله من العلم والإيمان فتأخذه القلوب كل قلب بقدره ، والسيل يحتمل زبداً رابياً ، كذلك ما في القلوب يحتمل شبهات وشهوات . ثم قال : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ﴾ (٥) ؛ وهذا المثل بالنار التي توقد على الذهب ، والفضة ، والرصاص ، والنحاس ، فيختلط بذلك زبد أيضاً كالزبد الذي يعلو السيل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦) ، كذلك العلم النافع يكمث في القلوب بالتوحيد وعبادة الله وحده .

روى ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل

- (١) سورة : الجمعة . آية : ٥ .
(٢) في ح : « من حملها إلا النقل » .
(٣) سورة : الكهف . آية : ٤٥ .
(٤) سورة : الرعد . آية : ١٧ .
(٥) سورة : الرعد . آية : ١٧ .
(٦) سورة : الرعد . آية : ١٧ .

واحد ؛ يقول : كما اضمحل هذا الزبد فصار جُفاء لا يُنتفع به ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله .

وفي الحديث الصحيح : « إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَشَرِبَ النَّاسُ وَاسْتَقْوُوا وَزَرَعُوا ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، وَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فِيقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ فَتَفَعَّلَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ » (١) .

وقد ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلاً بالنار ، ومثلاً بالمطر ، فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً . . . ﴾ (٢) الآية ، يقال : أضاء الشيء وأضاءه غيره فيستعمل لازماً ومتعدياً ، فقوله : ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ هو متعدٍ ؛ لأن المقصود أن تضيء النار ما حول من يريدتها حتى يراها ، وفي قوله في البرق : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ (٣) ، ذكر اللازم ؛ لأن البرق بنفسه يضيء بغير اختيار الإنسان ؛ فإذا أضاء البرق سار ، وقد لا يضيء ما حول الإنسان ، إذ يكون البرق وصل إلى مكان دون مكان ، فجعل سبحانه المنافقين كالذي أوقد ناراً فأضاءت ثم ذهب ضوءها ، ولم يقل « انطفأت » ، بل قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (٤) ؛ وقد يبقى مع ذهاب النور حرارتها فتتضرر . وهذا المثل يقتضي أن المنافق حصل له نور ثم ذهب ، كما قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٥) .

(١) أنظر : (مسند أحمد بن حنبل ٣٩٩/٤ . وتفسير ابن كثير ٣٧٠/٤) .

(٢) سورة : البقرة . آية : ١٧ . (٤) سورة : البقرة . آية : ٢٠ .

(٣) سورة : البقرة . آية : ١٧ . (٥) سورة : المنافقون . آية : ٣ .

فهرست

الجزء الأول من كتاب البرهان في علوم القرآن

الصفحة	الموضوع
٥	الدراسة
١١	المؤلف في سطور
١٦	كتاب البرهان ومنهج التحقيق
٢١	مقدمة المؤلف
٣٠	فهرست أنواع كتاب البرهان في علوم القرآن
٤٥	النوع الأول: معرفة أسباب النزول
٦١	النوع الثاني: معرفة المناسبات بين الآيات
٨٣	النوع الثالث: معرفة الفواصل وءوس الآي
١٣٣	النوع الرابع: في جمع الوجوه والنظائر
١٤٥	النوع الخامس: علم المتشابه
٢٠١	النوع السادس: علم المبهمات
٢١٣	النوع السابع: في أسرار الفواتح والسُّور
٢٣٣	النوع الثامن: في خواتم السُّور
٢٣٩	النوع التاسع: معرفة المكي والمدني وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك
٢٦٣	النوع العاشر: معرفة أول ما نزل في القرآن وآخر ما نزل
٢٦٩	النوع الحادي عشر: معرفة على كم لغة نزل
٢٨٩	النوع الثاني عشر: في كيفية إنزاله
٢٩٥	النوع الثالث عشر: في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم

- النوع الرابع عشر: معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها ٣٠٧
- النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه واشتقاقاتها ٣٤٣
- النوع السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب ٣٥٥
- النوع السابع عشر: معرفة ما فيه من غير لغة العرب ٣٥٩
- النوع الثامن عشر: معرفة غريبه ٣٦٥
- النوع التاسع عشر: معرفة التصريف ٣٧٣
- النوع العشرون: معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها ٣٧٧
- النوع الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح ... ٣٨٧
- النوع الثاني والعشرون: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر ٣٩٥
- النوع الثالث والعشرون: معرفة الوقف والابتداء ٤١٥
- النوع الرابع والعشرون: معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ ٤١٩
- النوع الخامس والعشرون: علم مرسوم الخط ٤٥٧
- النوع السادس والعشرون: معرفة فضائله ٥١٣
- النوع السابع والعشرون: معرفة خواصه ٥١٥
- النوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء ٥١٩
- النوع التاسع والعشرون: في آداب تلاوته وكيفيتها ٥٣١
- النوع الثلاثون: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن وهل يقتبس منه في شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير وحركة إعراب ٥٦٩
- النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه ٥٧١

